[illegible]

Encyclopaedia Of The Arab Islamic World

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

Amman - Jordan

1999 - 1420

موسوعة الديار الأندلسية

Encyclopedia Of The Andalusian World

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية
(١٠١٤ / ٦ / ١٩٩٩)

رقم التصنيف : ٩٥٦٫٠٦٥١

المؤلف ومن هو : محمد عبده حتاملة

عنوان الكتاب : موسوعة الديار الأندلسية

الموضوع الرئيسي: ١- التاريخ والجغرافيا

٢ - تاريخ الأندلس

بيانات النشر :

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل المكتبة الوطنية

موسوعة الديار الأندلسية

Encyclopedia Of The Andalusian World

الجزء الأول

الأستاذ الدكتور محمد عبده حتاملة
قسم التاريخ / كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
الجامعة الأردنية

Prof. Mohammed Abdo Hatamleh
Department Of History / Faculty Humanitities
and Social Sciences / University of Jordan

عمان - الأردن

Amman - Jordan
1999 - 1420

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

المقدمـــة

جاءت هذه الموسوعة ثمرة جهد استمر سنوات طويلة قاربت على الأربعين عاماً، حين أخذت على عاتقي دراسة تاريخ الأندلس، فكانت هذه الموسوعة تتويجاً لسلسلة من الدراسات والكتب التي وضعتها في تاريخ الاندلس.

أما الدافع إلى تأليف هذه الموسوعة فهو ما لمسته من حاجة ماسّة انتظرها الدارسون والباحثون والمؤرخون منذ أمد طويل في ميدان الدراسات بغية تعرف المدن الأندلسية، نظراً لخلو المكتبة العربية والاسبانية من موسوعة متكاملة شاملة عن هذه المدن والمواقع والمعارك، فلم أجد دراسة شاملة تحقق هذا الغرض، على أنّ ثمة أعمالاً في هذا المجال من مثل كتاب الروض المعطار للحميري ومعجم البلدان لياقوت الحموي ودائرة المعارف الإسلامية بالإضافة إلى قواميس تاريخية وجغرافية اسبانية عامة، إلا أنّ هذه الدراسات على أهميتها وقيمتها التاريخية، لا تعطي صورة شاملة عن المدن الأندلسية ولا سيما الفترة اللاحقة للعصور التي عاش فيها هؤلاء المؤرخون الاندلسيون ودونوا فيها التاريخ بدقة وتفصيل.

وبناءً على ذلك فانني لم أقصد من وضع هذه الموسوعة أن تكون تكراراً أو اضافة شكلية للدراسات الاندلسية، وإنما قصدت من وضعها أن تسد فراغاً في المكتبة العربية ولتكون عوناً للباحثين والدارسين في التاريخ والأدب والحضارة الأندلسية.

ومن ناحية أخرى فإن خصوصية تاريخ الاندلس الذي يشكل جزءاً مهماً من التاريخ الاسلامي العام ولا سيما تاريخ المغرب العربي تتطلب عناية خاصة أيضاً إذ من المعروف أن تاريخ الاندلس كان وثيق الصلة بتاريخ المغرب منذ بدايات الفتح حتى سقوط غرناطة وما بعد ذلك، إذ شكل تاريخ هذين الجزأين من العالم الاسلامي وحدة حضارية، فضلاً عن وحدة

كفاحهما ضد الغزوين الاسباني والبرتغالي ولا سيما في عهود المرابطين والموحدين والمرينيين والحفصيين ثم الأشراف السعديين والعلويين.

ونظراً لاتصال تاريخ الاندلس بتاريخ الممالك الاسبانية فإنه لا بُدّ للباحث من الإطلاع على التاريخ الأوروبي العام في العصور الوسطى والحديثة بسبب اتصال تاريخ الممالك الاسبانية بغيرها من الممالك الأوروبية في هاتين الفترتين، مما تطلب التوسع في دراسة تاريخ أوروبا.

وقد تطلب إعداد مادة هذه الموسوعة استقصاء عدد كبير من المصادر والمراجع الجغرافية والتاريخية والأدبية العربية والإسبانية.

وقد تطلب استخراج المادة اللازمة من المراجع العربية والاسبانية، الكثير من الصبر، والعناية لتحديد المادة العلمية ومن ثم تبويبها وتحقيقها وتدقيقها والتعليق عليها ومناقشة جوانب الاختلاف بين ما توفره المصادر المتعددة عن كل موضوع من الموضوعات.

فضلاً عمّا يتطلبه هذا العمل من ضبط أسماء هذه المدن باللغتين العربية والاسبانية تحقيقاً للمزيد من الدقة والصواب حتى تستقيم مادة هذه الموسوعة. وجاء ترتيب موادها حسب الحروف الهجائية لسهولة الحصول على المادة الجغرافية والتاريخية اللازمة عند الحاجة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن نشأة المدن في شبه الجزيرة الإيبيرية لم يتم في فترة واحدة وإنما تمّ على فترات تاريخية متعاقبة تمتد من العهود الايبيرية حتى العهد العربي الإسلامي. على أن أهم هذه المدن وأقدمها كان قد نشأ في العهد الفينيقي، حيث أنشأ الفينيقيون منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد عدداً كبيراً من المراكز التجارية والمستوطنات

على طول سواحل البحر الأبيض المتوسط بما في ذلك السواحل الإفريقية الشمالية والسواحل الجنوبية لشبه الجزيرة الإيبيرية. وكان الفينيقيون قد وصلوا إلى هذه المناطق بصفتهم تجاراً أو باحثين عن المعادن والملح وأسماك التونة. وكانت قادش هي أول مدينة أسسوها في شبه الجزيرة الإيبيرية وأسموها Gadir وتعرف حالياً بالاسبانية Cádiz واتخذوها عاصمة لهم. وهي أقدم مدينة في شبه الجزيرة الإيبيرية وغرب أوروبا وكانت تحمل اسم نهر مقدس في لبنان وظلت مأهولة طوال العصور التالية حتى يومنا هذا، واسم المدينة مشتق من كلمة فينيقية معناها الجدار أو المكان المسوَّر. ثم نشأ عدد من المدن الفينيقية الأخرى في منطقة ترشيش Tartesus وخاصة بين قرطاجنة وقادش. واسم ترشيش هو فينيقي في الغالب ويعني المنجم أو مكان الصَّهر. كما أن اسم مدينة مالقة Malaga مشتقة من اللغة الفينيقية Malaca بمعنى دكان أو معمل صغير، وكان فيها مكان لتمليح الأسماك.

أما قرطبة فكانت في الأصل مدينة إيبيرية استولى عليها الفينيقيون فأقدم نقودها تحمل حروفاً فينيقية، ثم استبدلت فيما بعد بالقرطاجية. ومنها جمع هملكار برقه والد هانيبال كما جمع من غيرها من مدن شبه الجزيرة الإيبيرية جيوشاً في حملته ضد روما. وربما كان اسم برشلونة متصلاً بكلمة براق الفينيقية (بَرْق) التي نراها على شكل لقب بجانب اسم والد هانيبال.

زاد انتشار المدن الفينيقية في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد إذ أنشئت مدينة المنكب (Sexi) وحُرفّ هذا الاسم إلى الإسبانية Almuñecar ومدينة عذره Abdera التي حُرفّ اسمها إلى Adra بالاسبانية، كما أنشئت مدينتا طاقة Utica وقرطاجنة Cartagena، واستمرت المدن الفينيقية في شبه الجزيرة الإيبيرية بالنمو والاتساع وأصبحت مدنا شبه مستقلة Metrópoli كما أصبحت الأجزاء الجنوبية من شبه الجزيرة الإيبيرية مناطق فينيقية فضلاً عن أن الفينيقيين أسسوا مراكز تجارية في جزر البليار (الجزائر الشرقية) وبخاصة يابسه

Ibiza[1]. أما الاغريق فقد حضروا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية تجاراً ومستوطنين، ووجدوا صعوبة في منافسة الفينيقين على سواحل شبه الجزيرة الإيبيرية فتوجهوا إلى الشاطئ الشمالي من البحر المتوسط وأسسوا مرسيلية سنة ٦٠٠ق.م، وعلاليه Alalia (٥٦٠ق.م) وامبورياس (٥٥٠ق.م) وتبع ذلك إنشاء عدد من المستوطنات على الساحل الفرنسي الحالي. ومع ذلك تمكن الإغريق من إنشاء عدد من المستعمرات في شبه الجزيرة الإيبيرية تحولت إلى مدن وهي دانيه Denia و روسس Rosas وامبورياس Ampurias ولقنت Alicante[2].

وقد تمكن القرطاجيون من القضاء على النفوذ الإغريقي في شبه الجزيرة الإيبيرية بعد معركة علاليه البحرية سنة ٥٣٥ق.م. واستمرت سيطرة القرطاجيين على شبه الجزيرة الإيبيرية منذ ذلك الوقت حتى سنة ٢٠٥ق.م حين اخرجهم الرومان. وفي هذه الفترة أسس القرطاجيون مدينة ماهون Port Mahon في جزيرة منورقة[3].

أما في العهد الروماني فقد قسمت شبه الجزيرة الإيبيرية إدارياً إلى أقاليم ثم إلى أقضية فقسمت باطقة مثلاً إلى أربعة أقضية هي قادش Cádiz وقرطبة Córdoba واستجه Ecija اشبيلية Sevilla وقسمت مقاطعة طركونة إلى سبعة أقضية هي قرطاجنة وطركونة Tarrago وسرقسطة Zaragoza وكورونيا Coruña del Conde واسترقه Astorga ولُك Lugo إغة Braga وقسمت البرتغال (لوسيتانيا) إلى ثلاثة أقضية هي مارده Mérida وباجه Beja شنترين Santarem[4] فضلاً عن إنشائهم عدداً من المدن الجديدة.

---

(١) حول نشأة المدن الفينيقية في شبه الجزيرة الإيبيرية: أنظر:
حتاملة، محمد عبده، إيبيريا قبل مجيئ العرب المسلمين، ط١، عمان، الأردن، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ص ١٢٧ـ١٣٠.

(٢) حتاملة، إيبيريا، ص ١٤٩.

(٣) حتاملة، إيبيريا، ص ١٥٤ـ١٥٥.

(٤) حتاملة، إيبيريا، ص ١٧٦، ١٧٧.

توقف نمو المدن في العهد القوطي، واضمحلت خلاله بعض المدن القديمة. واكتفى العرب المسلمون حين دخلوا شبه الجزيرة الإيبيرية بتطوير المدن التي ورثوها من العهود السابقة بإضافة عدد من المنشآت العمرانية كالمساجد والحمامات والقصور والجسور والقناطر والمدارس والمستشفيات وغير ذلك من مظاهر التطوير العمراني. ثم لم تلبث الحاجة أن دعتهم إلى إنشاء مدن جديدة مع العناية باختيار مواقعها لأسباب حربية أو ديموغرافية، فكانوا يختارون المواقع والأماكن المناسبة من الناحية البيئية، مما ساعد على ازدهار هذه المدن وتطورها حتى الوقت الحاضر. ومن هذه المدن: مدينة جبل الفتح (جبل طارق) والجزيرة الخضراء وطريف، وقلعة أيوب Calatayub ومدينة سالم Medinaceli ووادي الحجارة Guadalajara ومرسية Murcia وبطليوس Badajoz وقلعة رباح Calatrava والبسيط Albacete والمرية Almeria وقصر آش Cáceres والمنكب Almuñécar ومجريط Madrid. كما أنشأ العرب عدداً من القلاع والحصون تحولت إلى مدن مثل طلمنكة وحصن الفرج.

ولما كان هذا العمل هو ثمرة جهد إنساني منفرد فإنه ليس من المتوقع أن يكون تاماً فالكمال لله وحده.

أسأل الله أن ينفع بهذا العمل أمتنا العربية والاسلامية وأن ينفع الباحثين والدارسين في التاريخ العربي الاسلامي المجيد والحضارة العربية الاسلامية.

والله من وراء القصد. وهو الهادي إلى سواء السبيل.

المؤلف

أ.د. محمد عبده حتاملة

الجامعة الأردنية

عمان في

الألـــف

أَرُهْ Aro :

إقليم، عدّه العذري من أقاليم الجزيرة الخضراء، وذكر أن "فيه الجبال الشامخة، المنيعة بالوعر، وثارت فيه الفتون بعد الفتون، وهو بلد ثمرة لا بلد زرع"[١]. وأشار ياقوت نقلاً عن أبي نصر الحميدي أن أرُه بالأندلس دون أن يحدد مكانه، ونقل عن الشيخ أبي الأصبغ الأندلسي قوله "المشهور عند العامّة وادي بارة بالباء"[٢]. وهناك من يؤكد أن المراد بأَرُهْ: جبل طارق[٣].

إِبَارْيَة (ايبيريا) Iberia:

هي الأندلس، فقد كان اسمها في القديم إبارية، من وادي إبرُه، ثم سميت بعد ذلك باطقة من وادي بيطي، وهو نهر قرطبة، أو نهر الوادي الكبير. ثم سميت إشبانية من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه إشبان[٤]. وأول من أطلق على إيبيريا هذا الاسم هو الإغريق، ثم سماها الرومان: سبانيا Spania، أو إسبانيا Hispania. وأصل هذه التسمية فينيقي[٥]. "وقال قوم: إن اسمها إنما هو في الحقيقة إشبارية، من أشبْرُش، وهو الكوكب المعروف بالأحمر. وسميت بعد ذلك بالأندلس"[٦].

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٢٠.
(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٥٢/١.
(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٨٢.
(٤) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٥٧ـ٥٨.
(٥) حتاملة، ايبيريا: ١٠٤ وما بعدها؛ وانظر: مؤنس، حسين، تاريخ الجغرافية والجغرافيين: ١٣٨ وما بعدها.
(٦) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٥٨ـ٥٩.

أُبَـــال Opál:

حصن، يقع إلى الشمال من قرطبة على بعد خمسة وعشـرين ميـلاً منهـا[1]. وأكـثر مـا يشتهر به معدن الزئبق[2]، إذ يدل ما ذكره الإدريسي والحميري عن هذا المعدن أن منجمه في أُبال كان ضخماً غزير الانتاج، فالعاملون في استخراجه أكـثر مـن ألـف رجـل. وهـذا العـدد الكبير من الرجال كانوا يتوزعون الأعمال، فبعضهم يتولى اسـتخراج المـادة الخـام، وبعضهـم يحضرون الحطب لإعداد النيران اللازمة للصهر، وفريق ثـالث يعـدون أوانـي السـبك لصهـر المعدن وتصفيته، وفريق رابع يشرفون على الأفران، وعلى عملية الصهر[3].

وذكر الإدريسي أنه رأى هذا المعدن، واستفسر عن كمياتـه فأُخـبر أنّ عمقـه أكـثر مـن مائتين وخمسين قامة مما يدل على احتياطي هائل من الزئبق في حصن أُبال[4].

وكان زئبق أُبال بعد تصنيعه يصدر إلى جميع أقطار العالم[5]. كما كان يصدر من حصن أُبال معدن آخر هو الزنجفر أو الزنجفور[6]، إلا أنه لم يحظ بما حظي به الزئبق من شهرة أو كثافة.

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٨١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠.
(2) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٨١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠.
(3) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٨١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠.
(4) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٨١؛ ويذكر الحميري أن عمق الزئبق من وجه الأرض إلى الأسفل أكـثر مـن مائة قامة. انظر: صفة جزيرة الاندلس: ١٠.
(5) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٨١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠.
(6) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٨١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠.

أُبَّدَة Ubéda: عُبَّادة العرب Ubbadat al-Arab

بالضمّ ثم الفتح والتشديد(١)، وتلفظ أيضاً بالذال المعجمة(٢)، وتعرف بأُبّدة العرب(٣).

وأُبدة مدينة صغيرة تبعد عن مدينة بياسة Baeza سبعة أميال إلى الشمال الشرقي منها، وتقع على مقربة من نهر الوادي الكبير(٤).

وتختلف المصادر في باني مدينة أبّدة، فبينما يشير الزهري إلى أنها قديمة، وأنها من المدائن التي تصالح عليها تدمير ملك الروم مع موسى بن نصير حين دخل الأندلس(٥). يذكر ابن خلدون أنها بُنيت في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن (الثاني الأوسط) بن الحكم بن هشام (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢١-٨٥٢م) أو في عهد ابنه محمد (٢٣٨-٢٦٤هـ/٨٥٢-٨٧٨م)(٦). وتشير مصادر أخرى إلى أن الذي بناها في عهد الأمير محمد هو وزيره هاشم بن عبد العزيز، الذي كان يؤثره بالوزارة، ويفضله على غيره للقيادة والإمارة. فلما ولي كورة جيان بنى أُبدة ومعظم معاقلها الحصينة(٧). وقد سميت عُبّادة العرب للتمييز بينها وبين مدن أخرى تحمل نفس الأسم(٨)

وتوجد في أبّدة عين ماء غزيرة تسقي الزعفران وغيره(٩). وقد اشتهرت المدينة بزراعة الكروم إذ كثر فيها العنب كثرة جعلته يكسُد في أسواقها(١٠). كما كثرت فيها الغلات وخاصة القمح والشعير(١١).

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٦٤/١.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٦؛ العذري، نصوص عن الأندلس: ١٧٠.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٦٤/١.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٩/٥؛ المقري، نفح الطيب: ١٤٢/١ الحاشية ٩؛ الزهري، الجغرافية: ٩٨؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١٥٥/١ الحاشية ٢.

(٥) الزهري، الجغرافية: ١٠٠.

(٦) ياقوت، معجم البلدان: ٦٤/١؛ وانظر: ابن سعيد، المغرب: ٧٥/٢.

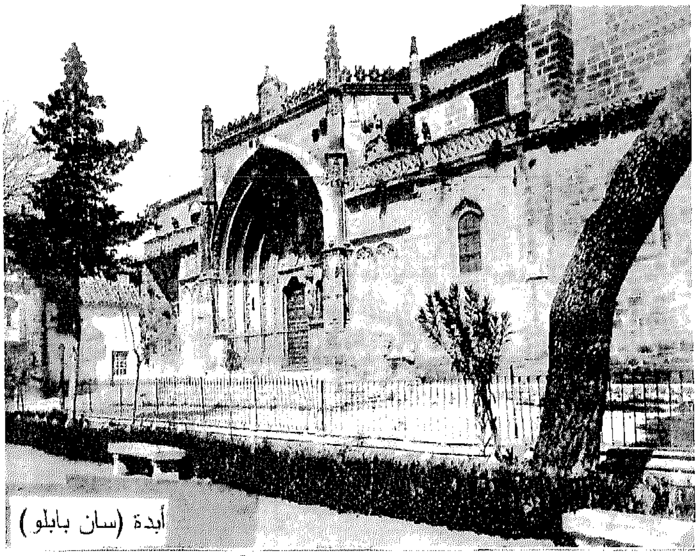
(٧) ابن الآبار، الحلة السيراء: ١٣٧/١.

(8) Encyclopédie de l'Islam, IV, p. 1038

(٩) الزهري، الجغرافية: ١٠٠؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب: ٧٥/٢.

(١٠) المقري، نفح الطيب: ٢١٧/٣.

(١١) الحميري، الروض المعطار: ٦.



Ubeda.—San Pablo *(Foto Talavera*



Ubeda.—Ayuntamiento *(Foto Talavera)*

واشتهرت أُبّدة أيضاً باستخراج حجر المرقشيتا الذهبي من جبالها، وهو معدن كبريتي نادر كانت تصدره الأندلس إلى الخارج[1]. وكانت تصنع فيها الحلي والشنوف[2]. وعُرفت إلى جانب ذلك كله بكثرة الملاهي، وبالراقصات المشهورات بحسن الانطباع والصنعة حتى وُصفن بأنهن أحذق خلق الله تعالى باللعب بالسيوف[3].

وكانت أبدة من المناطق التي سيطر عليها عمر بن حفصون أثناء ثورته ضد الأمويين، إلا أن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر استعادها منه[4]. ويذكر ابن خلدون أن الفونسو السابع اجبر يحيى بن غانية على أن يعطيه بياسة Baeza وأُبدَه سنة ٥١٢هـ/١١٤٧م بينما يذكر صاحب القرطاس بأن تسليمها لألفونسو السابع كان سنة ٥١٤هـ/١١٤٩–١١٥٠م[5]. بينما يذكر المراكشي أن الذي احتلها هو الفونسو الثامن بعد ثلاثة عشر يوماً من الحصار. وقد قتل رجالها، وسبى من نسائها وولدانها أعداداً كبيرة، وكان ذلك السبي أشد وقعاً على المسلمين من الهزيمة العسكرية[6]. ثم سقطت أبدة برمتها في يد فرناندو الثالث ملك قشتالة سنة ٦٣١هـ في حزيران ١٢٣٣م بعد حصار دام ستة أشهر. بعد أن حكمها المسلمون نحو أربعة قرون منذ بنائها[7]. وقد تهدم جزء منها سنة ١٣٠٥م من جراء فيضان نشأ عن غزارة الأمطار ومما زاد في خرابها، تعرضها سنة ١٣٦٨م لهجوم محمد الخامس (ملك غرناطة ولكنه لم يتمكن من احتلال قصبتها[8].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١/١٤٢.

(٢) القاضي عياض، ازهار الرياض: ٦٧.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٣/٢١٧؛ ابن حزم وآخرون، فضائل الأندلس: ٥٦.

(٤) ابن حيان، المقتبس: ٥/٦٥.

(5) - Ibn Jaldón, Historie des Berberés, trad. Slane II. Paris, 1925, p. 187.
- Leopoldo Torres Balbás De La Real Academia de La Historia, Ciudades Hispano musulmanas, 2nd Edi. Madrid, 1985. p. 60.

(٦) المراكشي، المعجب: ٣٢٢.

(٧) عنان، نهاية الاندلس: ١٦، ٢٧.

(8) - Chronique Latıne des rois de Castille, edic, Cirot Burdeos 1913, pp. 136-137.
Mariano, Gaspar Ramiro, Corres pondecia diplomática entre Granada Y Fez (Siglo XIV) Granada 1916, pp. 295 Y 325-330.s

أبطير Ibtir :

حصن، بناه المنصور محمد بن أبي عامر من الصخر قرب بطليوس، ويوجد بداخله عين ماء. وعلى مقربة منه "قبر في نشْز من الأرض قد نُحت في حجر، وقد نُضّد عليه صفائح الحجارة، ويعرف بقبر الشهيد، ولا يعلم له وقت لقدمه، يُرفع عنه بعض تلك الصفائح، فيُرى صحيح الجسم لم يتغيّر، نابت الشّعر"[1] .

إتْرِيش Itriš :

حصن بالأندلس من أعمال ريُّه، يلفظ اسمه بالكسر ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين معجمة، ذكر ذلك ياقوت، وأضاف أن هذا الحصن كان يلجأ إليه عمر بن حفصون، الثائر على الأمويين في الأندلس، عند الخوف[2] .

(1) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١ انظر: مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين: ٥٤٣.
(2) ياقوت، معجم البلدان: ١/٨٧.

أَخْشَنْبة Ijsanba :

بلد، يلفظ اسمه بالفتح ثم السكون وفتح الشين المعجمة، ونون ساكنة، وباء موحدة، وهو مشهور عظيم كثير الخيرات، بينه وبين شلب ستة أيام، وبينه وبين لَبّ ثلاثة أيام[1].

أرانخويس Aranjuez:

مدينة، تقع على نهر تاجُه المار بطليطلة، وتبعد ٤٧ كيلومتراً عن مجريط (مدريد). فيها قصور وبساتين جميلة كان يتنزه فيها ملوك إسبانيا. وقد زارها المكناسي في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، ووصفها بأنها مدينة صغيرة، ذات جنات وبساتين وأزهار ورياحين، حسنة المنظر. وفيها من الفواكه ما ليس في غيرها، وكان فيها محميات للصيد، ومنها تُشاهد طليطلة[2].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ١٢٣/١.

(2) المكناسي، الإكسير : ٧٩، ٨٠.

أُرْبُونَة Narbonne:

مدينة، يلفظ اسمها بفتح أوله، ويضم، ثم السكون وضم البـاء الموحـدة وسـكون الـواو، ونون، وهاء[١].

تقع في طرف الثغر من أرض الاندلس، بينها وبين قرطبة ألف ميل[٢]. وهي في أقصـى جنوب شرق فرنسا[٣]. ويرى المؤرخون والجغرافيون العرب المسلمون أنها غير داخلة في أرض الاندلس[٤]. وإنما تقع في أرض غالـة (فرنسـا) خلـف جبـال الـبرت الـتي تشـكل الحـاجز الجبلي بين فرنسا وإسبانيا[٥]. وجعلها البكـري مدينـة حدوديـة[٦]، وذكـر غـيره أن كتـاب الخليفة عمر بن عبد العزيز كان ينتهي إليها[٧].

وأكد الزهري أن أربونة مما يلي برشلونة على ساحل البحر من المشرق، وأنها آخر مـا استفتح المسلمون من بلاد الافرنج، ووصفها فقال: "وهذه المدينة يشقُ في وسطها نهر عظيـم، وهو أعظم نهر في بلاد الإفرنج. وعليه قنطرة عظيمـة، علـى متنهـا أسـواق وديـار، والنـاس يمشون عليها من نصـف المدينـة إلى النصـف الآخـر. وبـين هـذه المدينـة والبحـر فرسـخان. والمراكب تطلع من البحر في هذا النهر حتى تدخل تحت هـذه القنطـرة. وفي وسـطها جسـور وأرحية من بنيان الأولين"[٨].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١٤٠/١.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٠/١.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٢٨ الحاشية ٢.

(٤) المقري، نفح الطيب: ١٢٧/١؛ مؤنس، الجغرافية والجغرافيون: ٢٩٩، ٤٨٠.

(٥) المقري، نفح الطيب: ١٢٧/١، ١٢٨،١٣٠، ١٣٢؛ مؤنس، الجغرافية والجغرافيون: ٤٨٠، ٤٨٢.

(٦) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٥٩.

(٧) ابن عبد الحكم، فتوح افريقيا والأندلس: ٧٧.

(٨) الزهري، الجغرافية: ٧٧.

دخل المسلمون أربونة منذ بداية عهد الفتح على يد طارق بن زياد[١]. ولما دخل موسى بن نصير الأندلس توغل في جهة الشرق، ووصل إلى أربونة في الشمال عازماً على أن يعود إلى المشرق من ناحية القسطنطينية بعد افتتاح فرنسا، ثم يتجاوز إلى الشام مجاهداً حتى يلحق بدار الخلافة فيها[٢]. ورأى أن يتخذ مخترقه بتلك الأرض طريقاً يسلكه أهل الاندلس على البر، لا يركبون بحراً، إذا ما أرادوا المجيء إلى المشرق[٣].

واستمرت الحملات الاسلامية على المناطق الشمالية في عهد الولاة، وقد تمكن الحر بن عبد الرحمن الثقفي (٩٧ ـ ١٠٠هـ/٧١٦ـ٧١٩م) من اختراق جبال البرت الشرقية وفتح مدينة أربونة سنة ٩٨هـ/٧١٨م. ثم أعاد فتحها السمح بن مالك الخولاني سنة ١٠٢هـ/٧٢١م، وحصن اسوارها، ووضع فيها حامية، واتخذها قاعدة لفتوحاته[٤]. ووصل إلى طولوسة، ولكنه هزم وقتل أثناء حصاره لها على يد أوذو دوق اكتانيا سنة ١٠٢هـ/٧٢١م[٥].

ولما نشبت الفتن الداخلية في الأندلس بين الشاميين والبلديين والبربر توقفت الفتوحات الاسلامية في الشمال مؤقتاً. وفي تلك الفترة لجأ النصارى إلى جبال قشتالة وأربونة[٦]. ولكن النشاط الاسلامي في الفتوح ما لبث أن عاد في ولاية عبد الرحمن الغافقي الثانية (١١٢ـ١١٤هـ/٧٣٠ـ٧٣٢م)، إذ واصل الفتوحات، إلا أن النصارى تكالبوا عليه بعد أن

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٢٧٣/١.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٣/١ـ٢٣٤.

(٣) المصدر نفسه: ٢٧٧/١؛ وانظر مؤنس، فجر الاندلس: ١٠٢ حيث يرى أن ما فكر فيه موسى ـ كما أوردت بعض المصادر ـ يفتقر إلى دليل على صحته. ويستبعد مؤنس أن يكون موسى فكر بالوصول إلى القسطنطينية من الغرب.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٦/٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٦/٢؛ والمقري، نفح الطيب: ١٥/٣.

(٦) المقري، نفح الطيب: ٢٣٤/١.

تحالف ضده الدوق أوذو وشارل مارتل، وقتلوه في معركة بلاط الشهداء سنة ١١٤هـ/٧٣٢م، وانسحب الجيش الاسلامي إلى قاعدته في أربونة[١].

واستأنف والي الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي سنة ١١٦هـ أو ١١٧هـ/٧٣٤م أو ٧٣٥م عمليات الفتح متخذاً من مدينة أربونة قاعدة له[٢].

وضعفت حامية أربونة الاسلامية بسبب انقطاع الاتصالات بينها وبين الجيوش الاسلامية، فطمع فيها فايفر Vaifre ابن أوذو صاحب أكيتانيا سنة ١٣٣هـ/٧٥١م[٣]. وكان الوالي عبد الرحمن بن علقمة اللخمي قد عاد إلى أربونة بعد هزيمته في وقعة المصارة للدفاع عنها، لكن أمره ضعف أيضاً بسبب كثرة ما فقد من جنده أثناء الفتن الداخلية[٤]. ومع ذلك ظلت أربونة صامدة في ايدي المسلمين على الرغم من انشغالهم بشؤونهم الداخلية عندما عبر الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس الذي أرسل - بعد أن استقر له الأمر - حملة لدعم أربونة، غير أن هذه الحملة تبددت على أيدي النصارى[٥].

وفي سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م شعر أهل أربونة من النصارى أن باستطاعتهم الوثوب على المسلمين وإخراجهم من المدينة، ففعلوا وقتلوا عدداً كبيراً منهم، ثم استولت عليها الجيوش النصرانية، وقتلت من بقي فيها من المسلمين[٦].

---

(١) فرنانديث، تاريخ اسبانيا: ١٤٢.

(٢) المقري، نفح الطيب: ١٩/٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩/٢.

(٣) مؤنس، فجر الاندلس: ٢٨٨.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ١٦؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٢٨٨.

(٥) مؤنس، فجر الاندلس: ٢٩٠.

(٦) مؤنس، فجر الأندلس: ٢٩٠-٢٩٢.

ويذكر عنان أن أربونة سقطت سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م[١]. بينما يذكر ابن الأثير أن الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن سير إليها سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م جيشاً كثيفاً بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد مغيث فقتل رجالها من النصارى، وهدم أسوارها وأبراجها[٢]. وأما الحميري فيؤكد أن أربونة خرجت من أيدي المسلمين سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م. وهذه الروايات تعني أن سقوط المدينة سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م لم يكن نهائياً، فقد استعادها المسلمون فيما بعد، وأرسل عبد الرحمن الداخل والياً عليها وعلى ما اتصل بها إلى طرطوشة هو عبد الرحمن بن عقبة[٣]. ويؤكد تأخر سقوطها رواية المقري عن غزوة الأمير هشام بن عبد الرحمن، إذ ذكر أن المسلمين في تلك الغزوة اشترطوا على المعاهدين من أهل جليقية أن ينقلوا عدداً من أحمال التراب من سور أربونة إلى باب قصره في قرطبة، وبنى منه مسجداً فيها[٤]. كما يروي المقري أن الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) أحضر حلق باب أربونة المصنوع من النحاس ووضعه في أحد أبواب قرطبة[٥]. ويؤكد أن المدينة سقطت نهائياً في أيدي الفونسو بن بطرة سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م[٦].

---

(١) عنان، دولة الاسلام في الأندلس: ١١٨-١١٩.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥/٩٤.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٠.

(٤) المقري، نفح الطيب: ١/٣٣٧-٣٣٨.

(٥) المصدر نفسه: ١/٤٦٤.

(٦) المصدر نفسه: ٤/٣٥١.

أُرْجِبَة Orgiva:

حصن في سهل بريرة Fereira إلى الجنوب الشرقي من غرناطة، يجاور حصني الأنجرون lanjaron وأندرش Andarax[١]. ذكر ابن الخطيب أنه كان حصناً جليلاً منيعاً، وأن السلطان محمد بن يوسف بن اسماعيل النصري عينه عاملاً على أرجبة، حيث ذكر عن السلطان: "وجدد لي الرسوم الوزارية من الوقوف بين يديه في المجالس العامة، وإيصال الرقاع، وفصل الأمر، والتنفيذ للحكم، والترديد بينه وبين الناس والعرض والإنشاء...مطلق الجراية، مجدد الولايات، معزز الخطة بالقيادة بعمالة أرجبة ولاية الرؤساء من أقاربه، مسوّغ الإقطاع الجم"[٢]. ومن قضاة أرجبة: أحمد بن محمد بن أحمد بن قصنب الأزدي الذي توفي ببرجة سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م ودفن في إلبيرة[٣].

---

(١) مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين: ٥٦٧، ٥٦٨.

(٢) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ١١٥-١١٦.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/١٦٨؛ واللمحة البدرية: ٢٩.

أَرْجُونَة Arjona:

بلدة، يلفظ اسمها بالفتح ثم السكون، وجيم مضمومة وواو ساكنة، ونون[١]. قال الحميري: إنها مدينة أو قلعة[٢]، وذكر ابن خلدون والمقري أنها: حصن[٣]. وأشار ابن الخطيب في اللمحة إلى أنها: بلد[٤]، وفي الاحاطة دون أن يحدد صفتها[٥]، وكذلك فعل ابن سعيد في المغرب[٦].

تقع أرجونة في ولاية جيان[٧]، وتعد حصناً من حصون قرطبة[٨]، وهي إلى الشمال الغربي من جيان[٩].

تعود شهرة أرجونة إلى ولادة محمد بن يوسف بن الأحمر، مؤسس مملكة غرناطة التي أحيت دولة الاسلام في الاندلس فيها، وهي مملكة عمرت أكثر من مائتين وستين عاماً (٦٢٩-٨٩٧هـ/١٢٣٢-١٤٩٢م)[١٠]. وقد ذكر ابن الخطيب أن أرجونة تُعرف أيضاً بقرية الخزرج لأن محمد بن الأحمر يرجع نسبه إلى قيس بن سعد بن عبادة، وهو صحابي جليل من الخزرج[١١]. ويُعرف أحفاده في أرجونة ببني نصر[١٢].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٤٤.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٢.

(٣) ابن خلدون، تاريخ: ٤/٢١٨؛ المقري، نفح الطيب: ١/٢١٦.

(٤) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٣٤.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٤٥١.

(٦) ابن سعيد، المغرب: ١/٥٧.

(٧) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٤٤؛ ابن الخطيب، الاحاطة: ٢/٩٣.

(٨) ابن سعيد، المغرب: ١/٥٧، ج٤؛ وانظر أيضاً: المقري، نفح الطيب: ١/٤٤٧.

(٩) عنان، نهاية الاندلس: ٣١، ج١.

(١٠) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢١٨؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٣٤؛ المقري، نفح الطيب: ١/٤٤٧.

(١١) ابن الخطيب، الاحاطة: ٢/٩٢-٩٣.

(١٢) المقري، نفح الطيب: ١/٤٤٧.

وقد وصف ابن الخطيب أرجونة بأنها "أطيب البلاد مدرة، وأوفرها غلّة"[١]. وعاش فيها ابن الأحمر "في ظل نعمة، وعلاج فلاحة، وبين يدي نجدة وشهرة، بحيث اقتضى ذلك أن يفيض شريان الرياسة، وانطوت أفكاره على نيل الإمارة، ورآه مرتادو أكفاء الدول أهلاً، فقدحوا رغبته، وأثاروا طمعه"[٢].

ثار ابن الأحمر في أرجونة سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م[٣]. وتغلب على مدينة جيان سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م، ثم شريش ووادي آش وبسطة[٤]. وفي سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م[٥] دخل غرناطة بعد أن أطاعته، واتخذها عاصمة لملكته.

ولم تلبث أرجونة طويلاً حتى سقطت في أيدي النصارى، ففي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٥م وجه ملك قشتالة فرناندو الثالث ابنه ألفونسو (العاشر الملقب بالعالم أو الحكيم) على رأس حملة إلى منطقة جيان، وعاث فيها، واستولى على كثير من حصونها، ومنها حصن أرجونة[٦]. ويقال إن أبن الأحمر تنازل عن مسقط رأسه أرجونة لملك قشتالة، وعن غيرها من المدن والحصون بموجب المعاهدة التي وقعت بينهما سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٦م[٧].

(١) ابن الخطيب، الإحاطة: ٩٣/٢.
(٢) المصدر نفسه: ٩٣/٢.
(٣) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٤٢_٤٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٧/٤؛ المقري، نفح الطيب: ٤٤٧/١؛ الناصري، الاستقصا: ٢٣٦/٢.
(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٨/٤؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٤٣؛ المقري، نفح الطيب: ٤٤٧/١.
(٥) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٤٣؛ المقري، نفح الطيب: ٤٤٨/١.
(٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٩/٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٩٩/٢؛ وانظر أيضاً: اللمحة البدرية: ٤٧.
(٧) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٤٨؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٥٢/٧؛ وانظر: عنان، نهاية الاندلس: ٣٦.

أُرْش Orce:

أشارت المصادر إلى عدة مواقع بهذا الاسم، فقد ذكر البكري حصناً يسمى حصن الأرش في ماردة[1]، والأرش هو عطية الأرض أو الإقطاع[2]، ومن ذلك أرش قيس، وفيه: مرشانة ومنده شر، وأرش اليمن، وفيه مدينة ألمريّة، وأرش اليمانية فيه جلينالة وواسجة، وأرش اليمنيين فيه مدينة وادي آش. وأرش اليماني فيه القُليعة ومُنت روي فيه مدينة فنيانة "وهي كلها غزيرة السُّقيا والثمار"[3]. وأشار البكري إلى أرش اليمن وقال "وهي بجّانة"[4]. وقد وصف الحميري بجانة بأنها كانت في قديم الدهر من أشرف قُرى أرش اليمن "وإنما سمي الإقليم أرش اليمن لأن بني أمية لما دخلوا الأندلس أنزلوا بني سراج القضاعيين في هذا الإقليم، وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل، فكان ما ضمنوا من مرسى كذا إلى مرسى كذا يسمى أرش اليمن، أي عطيتهم ونحلتهم"[5]. وبنو سراج هؤلاء يحتمل أن يكونوا أجداد بني سراج الذين اشتهروا في تاريخ مملكة غرناطة في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي. وقد ورد ذكر أرش اليمن في رسالة خاطب بها أبو عامر بن غرسية أبا عبد الله بن الحداد يعاتبه فيها، ويفضل العجم على العرب. ومما جاء في الرسالة: "سلام عليك الروي المروي الموقوف فريضة على حلقة بجانة أرش اليمن بزهيد الثمن، كأن ما في الأرض إنسان إلا من غسّان..."[6].

(١) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ١٢٠.
(٢) مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين: ٥٦٨.
(٣) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٩-٣٠؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين: ٥٦٨.
(٤) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٣.
(٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣٧.
(٦) العبادي، أحمد مختار، الصقالبة في إسبانيا: ٣١ والهامش.

أُرْشُذُونَةُ (أرجدونة) Archidona:

مدينة، ضبطها ياقوت بالضم ثم السكون، وضم الشين المعجمة، والذال المعجمة، وواو ساكنة، ونون وهاء[١]. وكذلك ضبطها الحميري[٢]. وذكرها ياقوت في موضع آخر باسم: أُرجذونة (بالضم ثم السكون، وضم الجيم والذال المعجمة، وسكون الواو، وفتح النون، وهاء)[٣]. ووردت لدى ابن الخطيب: أرجذونة أيضاً، وضبطها بفتح الهمزة وكسر الجيم[٤]. وكذلك وردت في الإحاطة، ولكن بالدال المهملة[٥]. وأوردها بالذال المعجمة ابن القوطية[٦] وابن عذاري[٧]. فأرشذونة وأرجذونة اسمان لمدينة واحدة، أو قل: اسم اختلفت المصادر في لفظه.

تقع أرشذونة في كورة ريّه، ويبدو أنها كانت قاعدة تلك الكورة ومنزل الولاة والعمال، وكانت المدن الأخرى في تلك الكورة مثل مالقة تبعاً لها[٨]. وتبعد أرشذونة عن مالقة إلى الشمال ثمانية وعشرين ميلاً[٩]، بينما تبعد عن قرطبة إلى الجنوب عشرين فرسخاً[١٠].

ويلاحظ بعض التناقض في وصف المصادر لأرشذونة، إذ يذكر الحميري أن فيها عيوناً غزيرة، وأنهاراً كبيرة "سهلها واسع، وجبلها مانع، ولها حصن فوق المدينة، وبها آثار

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١٥٢/١.
(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٢.
(٣) ياقوت، معجم البلدان: ١٤٤/١.
(٤) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٦.
(٥) ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٨٦/١، ٥٢/٢.
(٦) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٤٩.
(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ١١٦/٢.
(٨) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ١٤٤/١، ١٥٢.
(٩) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٢؛ ويذكر الادريسي أنها تبعد عن مالقة خمسة وثلاثين ميلاً. انظر: نزهة المشتاق: ٥٧٠/٥.
(١٠) ياقوت، معجم البلدان: ١٥٢.

قديمة"[1]. وأما ابـن الخطيـب فيذكـر أنهـا "شـرّ دار، ... وعـورة سـاكنها ــ لعـدم المـاء ــ مستأسر... وقومها ذو بطر وأشر، وشيوخها تيوس في مسالخ بشر، طعام من يقـوت منهـم أو يعول، التيوس والوعول، وحرثها مُغلّ، وخلقها حسد وغلّ"[2]

ويبدو أن هذه المدينة تهدمت مع الأيام، وكان أول ما تهدم منها سورها[3] فهي "طلـل لم يبق منه غير جدار"[4]. وقد أشار الإدريسي إلى أن أرشذونة "أخلاها فتنة الثوار بـالاندلس بعد دولة ابن أبي عامر"[5]. ويمكن تحديد الفترة التي خربـت خلالهـا أرشـذونة، بـالنصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، فقد كان يحكمها في تلك الأثنـاء: كباب بن تميت، وثار فيها، وعاث فساداً، فسار إليه عبد الله بن بلقين، صـاحب غرناطـة وأعمالها وضيق عليه، حتى خضع، وأخرج بالأمان، وذلك سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م[6]. إلا أن ذلك لا يعني أن المدينة طمست، وإنما قلت أهميتها بعـد الخـراب الـذي لحـق بهـا، إذ إن بعض المصادر تشير إليها عند تناولها للأحداث المتـأخرة، فتذكـر أن محمـداً الأيسـر، ملـك غرناطة، ألحق عندهـا هزائم بالنصـارى سـنة ٨٣٥هـ/١٤٣٢م[7]، وأن سـعد بـن اسمـاعيل النصري ثار فيها ضد محمد الأيسر سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م[8].

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٢.
(٢) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٦.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٢.
(٤) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٦.
(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٧٠.
(٦) عنان، دول الطوائف: ١٤٢-١٤٣.
(٧) ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا: ١/١٨ مقدمة المحقق.
(٨) المصدر نفسه: ١/٣٠.

أَرَغُـون: Aragón:

منطقة أندلسية، كان الجغرافيون المسلمون يعتبرونها من مناطق الإقليم الخـامس الـذي يمر على طليطلة وسرقسطة وما في سمتهما إلى بلاد أرغون الـتي في جنوبيهـا بَرشـلونة، "ثـم يمر على رومية وبلادها، ويشق بحر البنادقة، ثم يمر على القسطنطينية"[١]. فأرغون تقـع في مواجهة الثغر الأعلى الذي عاصمته سرقسطة[٢].

وقد سميت أرغون بهذا الاسم نسبة إلى نهر أرغون (Aragón) الذي ينحدر من كانفرنك Canfranc[٣]، ويتحد مع نهر أرغه (A. Arga) ليشكلا نهراً واحداً يصب في نهر إيبُره شمـال مدينة الفارو (Alfaro) الواقعة بين مدينتي قلهرة Calahora وتطيلة (Tudela)[٤]. وتعـد جاقـة (Jaca) المدينة الرئيسية لأرغون[٥].

توغل المسلمون في هذه المنطقة خلال القرن الأول الهجري، إلا أنهم لم يستقروا فيهـا، وخاصة في الجزء الشـمالي الغربـي منهـا مثـل اشـتريس وجليقيـة لوعورتهـا وعزلتهـا وقسـوة مناخها وبعدها عن طريق الجيـوش الاسـلامية. وقـد تجمعـت فيهـا فئـات قليلـة مـن فلـول الأيبيريين والروم والقوط الغربيين لم يتجاوز عددها ثلاثمائة راجـل[٦]. وكـانوا بقيـادة بـلاي Pelayo الذي يحيط الغموض بشخصيته، وهو القائد الذي أخذه المسـلمون رهينـة عـن طاعـة أهل بلده، إلا أنه تمكن من الهرب من قرطبة في عهد الوالي الحر بـن عبـد الرحمـن الثقفـي سنة ٩٨هـ/٧١٨م، والتجأ إلى المنطقة الجبلية الوعـرة في كنتبريـا المعروفـة باسم قمـة أوروبـا

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١/١٣٧.

(٢) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٥.

(٣) جيرمان بليير، معجم تاريخ اسبانيا: ٢٩٤.

(٤) حتاملة، موسوعة الحضارة الاسلامية: مادة إيبره، ص ٤٤٧.

(٥) جيرمان بليبرع، معجم تاريخ اسبانيا: ٢٩٤.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة: ٢٨.

Picos de Europa ، حيث اعتصم في كهف كوفادونجا Covadonga[1] الذي تطلق عليه المصادر الإسلامية اسم الصخرة[٢] . ثم استقر في قرية كانجاس دي أونيس Cangas de Onis[٣].

وتذكر المصادر الاسلامية أن تلك الفئات تناقصت أعدادها بفعل حصار المسلمين والجوع إلى ثلاثين رجلاً وعشر نساء[٤]، ولم يبق لهم من طعام إلا العسل يستخرجونه من شقوق في الصخرة[٥]. وتذكر هذه المصادر أيضاً أنه قد أعيا المسلمين أمرهم فاحتقروا شأنهم وتركوهم، وقالوا: ثلاثون عِلْجاً ما عسى أن يكون أمرهم؟[٦]. ولكن هؤلاء النصارى ما لبثوا أن تعاظم شأنهم، وتمكنوا من الاستيلاء على كورة أشتريس، وعندئذ قام المسلمون بغزو بلاي من جليقية وأسترقة، ولاحقوهم وضايقوهم، وخاصة من قبل القائد البربري المسلم منوسة سنة ٩٦هـ/٧١٤م[٧]. لكن بلاي هرب واعتصم في صخرة كوفادونجا التي سبقت الاشارة إليها[٨].

وتختلف المصادر الاسلامية والاسبانية في تحديد السنة التي توفي فيها بلاي، إذ يذكر المقري أنه مات سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م[٩]، بينما يذكر بروفنسال أنه مات سنة ١١٩هـ/٧٣٧م[١٠]، وكانت مدة حكمه تسع عشرة سنة[١١]. وخلفه ابنه فافيلا ولم يترك

---

(١) رامون بيدال، تاريخ اسبانيا الاسلامية: ٤١.
(٢) مجهول، أخبار مجموعة: ١٨؛ المقري، نفح الطيب: ٣٥١/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩/٢.
(٣) بروفنسال، تاريخ اسبانيا الاسلامية: ٤١/٤-٤٢.
(٤) مجهول، أخبار مجموعة: ٢٨؛ المقري، نفح الطيب: ٣٥١/٤.
(٥) مجهول، أخبار مجموعة: ٢٨؛ المقري، نفح الطيب: ٣٥١/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩/٢.
(٦) مجهول، أخبار مجموعة: ٢٨؛ المقري، نفح الطيب: ٣٥١/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩/٢.
(٧) مجهول، أخبار مجموعة: ٦١-٦٢؛ المقري، نفح الطيب: ٣٥١/٤.
(٨) لويس فرناندث، تاريخ اسبانيا القديم والوسيط: ١٤٣.
(٩) المقري، نفح الطيب: ٣٥١/٤.
(١٠) بروفنسال، تاريخ الاندلس: ٤٢/٤.
(١١) فرانسيسكو كارمونا، موجز تاريخ اسبانيا: ٢٠٨.

فافيلا وريثاً، فخلفه ألفونسو الأول الملقب (الكاثوليكي) ١٢١-١٤٠هـ/٧٣٩-٧٥٧م[1]. وهو ابن دوق كنتبرية بيدرو الذي أنشأ إمارة في الطرف الشرقي من جبل البرت سميت: إمارة كنتبرية. وزادت أهمية هذه الإمارة بزواج الفونسو الأول من ابنة بلاي واسمها إرمسندا Ermesinda. وتذكر بعض المصادر التاريخية الحديثة أن الفونسو الأول كان مجرد مغامر يقوم بغارات من أجل الغنائم[2]. وكان حكمه معاصراً لثورة البربر في الأندلس، والمجاعة التي ألمت بها سنة ١٣٣هـ/٧٥٠م، واستمرت حتى سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م، وامتدت إلى المغرب، وأدت إلى هجرة البربر من الأندلس[3]، حيث عبروا إلى المغرب من واد بكورة شذونة يقال له وادي برباط، وسميت تلك السنة بسنيّ برباط[4].

واستطاع الفونسو الكاثوليكي أن يوحد الامارتين تحت تاجه[5]، وبذلك نشأت مملكة مسيحية موحدة هي مملكة ليون النصرانية، أو مملكة جليقية.

وقد اغتنم الفونسو الكاثوليكي فرصة المجاعة والفتن الداخلية بين المسلمين، وهجرة البربر، فنزل من أعالي الجبال، واستولى على جليقية، وأخرج المسلمين منها ومن أسترقة[6]. ثم وسع حدود مملكته على حساب أراضي المسلمين التي هجرها سكانها. وأصبح يحكم كل جليقية وشمال البرتغال وقشتالة القديمة، ثم تمكن في النهاية من ضم الأراضي الواقعة بين نهر دويره وجبال إسبانيا الوسطى. وشملت مملكته النصرانية عدة مدن من أهمها: لك Lugo، وتوي Tuy، وأسترقة Astorga، وشنت منكش Simancas، وشلمنقة Salamaca وغيرها[7]. ولكن هذه المناطق بالرغم من سيطرة الفونسو الأول عليها ــ ظلت خالية من

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٣٥١/٤.

(٢) بروفنسال، تاريخ اسبانيا الاسلامية: ٤٣/٤.

(٣) المرجع نفسه: ٤٣/٤.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة: ٦٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٨/٢.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٣٥١/٤.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة: ٦٢.

(٧) بروفنسال، تاريخ اسبانيا الاسلامية: ٤٣/٤.

السكان، إذ قُتل كثيرون من سكانها المسلمين، وهجرّ الباقون، ولم يكن عند الفونسو ما يكفي من السكان لإعمارها[1].

وفي بداية عهد عبد الرحمن الداخل ١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م كانت حدود الإمارة الاسلامية تمتد من سواحل المحيط الأطلسي إلى بنبلونة[2]، بينما امتدت حدود الأراضي النصرانية بمحاذاة مجرى نهر دويرة من منابعه حتى بسكونية[3].

وكانت المناطق الواقعة بين خطي الحدود مسرحاً للحروب بين المسلمين والنصارى، وقد استعمل الاندلسيون اصطلاح الثغور للدلالة على حدودهم المواجهة لاسبانيا النصرانية، وهي[4]:

- الثغر الأعلى: ويشمل سرقسطة (عاصمة هذا الثغر)، ولاردة، وتطيلة، ووشقة، وطرطوشة، وغيرها. وكان هذا الثغر يواجه برشلونة ومملكة نبرة. وتمثله اليوم منطقة أرغون.
- الثغر الأوسط: وكان يواجه مملكتي ليون وقشتالة، وكانت عاصمته أول الأمر مدينة سالم Medinaceli ، ثم استبدلت بها طليطلة Toledo.
- الثغر الأدنى: ويشمل المنطقة الواقعة بين نهري دويرة وتاجُه. ومن مدن هذا الثغر: قورية، وقلمرية، وشنترين، وماردة.

وكانت العلاقات بين الإمارة الأموية في الاندلس والإمارات النصرانية في الشمال علاقات حرب في الغالب، فقد أرسل إليها الأمير عبد الرحمن الداخل العديد من الغزوات،

---

(١) بروفنسال، تاريخ اسبانيا الاسلامية، ٤/٤٣-٤٤.

(٢) المرجع نفسه: ٤/٤٣-٤٤.

(٣) المرجع نفسه: ٤/٤٤.

(٤) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٥ الحاشية.

فأذعنت له، وأدت له الجزية[1]. وفي عهد هشام بن عبد الرحمن الداخل توجهت إليها عدة حملات، وأوقع بالنصارى فيها خسائر فادحة[2].

وتكونت مع مرور الزمن كيانات نصرانية سياسية تمتد من الغرب إلى الشرق على النحو التالي: نبرة، وأرغون، وسوبراربي، وريباغورثا، وبيارس، وبرشلونة[3]. وكانت هذه الكيانات السياسية مرتبطة بالدولة الكارولنجية التي كانت تتوجس خيفة من وجود دولة عربية قوية إلى جوارها، تناصبها العداء. ولذلك عمد شارلمان إلى تحصين حدود مملكته الجنوبية[4]، وكان يغتنم كل فرصة تتيح له الانقضاض على المسلمين في الأندلس، إلا أنه كان كثيراً ما يفشل، مما جعله يميل إلى مهادنة المسلمين؛ وخاصة في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل[5].

وكان أول حاكم ظهر في دوقية أرغون هو أورليو Orlio الذي كان يحكم الأراضي المتاخمة لبلاد الغال من ناحية، ومواجهة لمدينتي وشقة وسرقسطة الاسلاميتين من الناحية الأخرى[6]. وبعد وفاة أورليو اعتلى عرش الدوقية غاليندو الأول Aznar Galindo I الذي لم يلبث أن خرج عليه صهره غارسية الشرير وطرده منها، فاحتمى عند لودفيجو التقي Ludvico Pio الذي نصبه كونتاً على أورخيل Urgel وسردانية Cerdana سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠م، ومات هناك سنة ٢٢٢هـ/٨٣٦م، وخلفه ابنه غاليندو إثنار الثاني الذي تمكن من استعادة ملك أبيه في أرغون. وأخذ خلفاؤه يبتعدون عن الكارولنجيين، ووثقوا علاقاتهم مع حكام بنبلونة وحكام وشقة المسلمين، وقامت بينهم علاقات مصاهرة؛ فقد تزوج إثنار الثاني من

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٤/٢؛ المقري، نفح الطيب: ٣٣٣/١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٦٣/٢-٦٤؛ المقري، نفح الطيب: ٣٣٧-٣٣٨.

(٣) ماريا كوماس، موجز تاريخ اسبانيا: ٦٢.

(٤) ماريا كوماس، موجز تاريخ اسبانيا: ٦٥-٦٧؛ مونيث، أرغون في العصور الوسطى: ١٠٨-١٠٩.

(٥) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢١٨-٢٢٦.

(٦) جيرمان بليبرغ، معجم تاريخ اسبانيا: ٢٩٤.

أونيكا Oneca بنت ملك غارسيا، وأثمر هذا الزوج ابنة اسمها سانجة Sancha التي تزوجت من حاكم مدينة وشقة عمروس بن محمد المعروف بالطويل. وهو الذي سار الأمير عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله لمحاربته، إلا انه مات قبل أن يصل إليه جيش الأمير[1].

وتزوج غاليندو الثاني (إزنار) من الأميرة النبرية سانجة Sancha، وأنجبا ابنة اسمها أندريجوتوه Andregoto التي تزوجت بدورها غارسيا سانجث ٩٢٥ـ٩٧٠م[2]. ونتيجة لهذا الزواج اتحدت كونتية أرغون والأسرة الحاكمة في بنبلونة.

وفي القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي اندمجت الإمارات النصرانية في ثلاثة كيانات سياسية هي: نبرة في جبال البرت الغربية، وأرغون في الوسط، وقطلونية في الشرق[3]. وكانت العلاقات بين هذه الكيانات النصرانية وغيرها من الكونتيات الصغيرة مثل كونتية برشلونة التي كونت نواة إمارة قطلونية فيما بعد، والتي دمجت في مملكة أرغون سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م، كانت تتذبذب بين السلم والحرب. وكثيرا ما كانوا يتحالفون مع المسلمين ضد بعضهم أو يتحدون لغزو المسلمين وذلك وفقا لمصالحهم[4]. ويذكر في هذا المجال أن فرويلا الأول أغار على الأراضي الاسلامية في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، حيث غزا لك، وشلمنقة، وشقوبيا، وسمورة وغيرها[5].

وكان سانجة الكبير (١٠٠٠ـ١٠٣٥م) قد أوصى قبل وفاته بتقسيم مملكته بين أبنائه الأربعة، فأعطى نبرة لابنه الأكبر غارسيا، وقشتالة لفرديناند الأول مع لقب ملك، وأعطى غونثالو كونتية سوبراربي وريباغورثا. وأعطى ابنه غير الشرعي راميرو (راميره) أرغون مع

ابن حيان، المقتبس: ٥/١٣٦٣؛ موبيث، أرغون في العصور الوسطى: ١١٠.

خيرمان بليير ع، معجم تاريخ اسبانيا: ٢٩٤.

Comas, Breve Historia de España, P 62

عبد الواحد ذنون طه، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس: ١٣٧.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١/٢٣٠.

لقب ملك[1]. وقد أشار ابن الخطيب إلى ذلك فذكر أن دون سانجة الكبير اعطى ابنه دون راميره ملك أرغون، وقال: "وهو ابن غير شرعي من عشيقة غير ممهورة". ومن نسله جاء ملوك أرغون[2].

وهكذا ولدت في الشمال مملكتان هما: أرغون في الشرق، وقشتالة في الغرب. وقد حارب راميرو ملك أرغون المسلمين، واحتلّ مدينة بنابري Benabarre. ومما يذكر أن راميرو هذا تحالف مع المستعين بالله سليمان بن هود صاحب سرقسطة (٤٣١-٤٣٨هـ/١٠٣٩-١٠٤٦م)، واتجه على رأس قواته بمساعدة ابن هود إلى نبرة لكنه مني بهزيمة ساحقة قتل فيها معظم جيشه وجيش حلفائه من المسلمين سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م. وهرب راميرو على أثر ذلك إلى جبال سوبرابي، وأخذ يعد العدة لاسترجاع ما فقده[3].

وقتل راميرو أثناء حصار غراوس سنة ١٠٦٣م على يد المقتدر بالله بن هود ملك سرقسطة. وأثار مقتله الروح الصليبية بين النصارى، فقاموا بحملة استولت على بربشتر سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، وارتكبوا فيها كثيراً من الفظائع، إلا أن المسلمين بقيادة أحمد بن سليمان ابن هود والمعتضد بن عباد استعادوها عنوة[4].

وخلف راميرو ابنه سانجه راميرث Sancho Ramirez (١٠٦٣-١٠٩٤م) الذي أصبح ملكاً على نبرة وأرغون على أثر اغتيال ملك نبرة سانجة الرابع عام ١٠٧٦م من قبل أخيه رامون. وظلت الوحدة قائمة بين أرغون ونبرة حتى وفاة ألفونسو المحارب سنة ١١٣٤م[5].

---

(١) Bleye, Manual De Historia De España, P. 625-626.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٣٢٨-٣٢٩.

(٣) سحر، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢/٣٣٩.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ٤١.

(٥) مونيث، أرغون في العصور الوسطى: ١٢٠-١٢١؛ Bleye, Manual, P 626

وقد خلف بيدرو الأول أباه سانجه راميرث سنة ١٠٩٤م، وسار على نهج والده في مهاجمة الأراضي الاسلامية، إلا أنه كان دائماً يمنى بالفشل أمام المسلمين[١].

ويعتبر الفونسو المحارب أكبر ملوك أرغون ونبرة، وقد أصبح ملكاً على قشتالة أيضاً بعد زواجه من ابنة ألفونسو السادس أوراكه Urraca، ملكة قشتالة وليون وجليقية، لكنه لم يلبث أن انفصل عن زوجته سنة ١١١٤م[٢]. وكانت له حروب عديدة مع المسلمين، ونجح في احتلال سرقسطة في رمضان ٥١٢هـ/كانون الأول ١١١٨م، وهزم المرابطين الذين حاولوا استعادتها في معركة قتندة Cutanda سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م[٣]. ثم واصل احتلاله للمدن الاسلامية: تطيلة، وطراكونة وقلعة أيوب وغيرها. وكانت روطة آخر ما تبقى لبني هود من بلاد الثغر الأعلى بعد سقوط سرقسطة، فأقام فيها عبد الملك بن هود وابنه أحمد من بعده يحكمانها كتابعين للملك ألفونسو المحارب. لكن الخلاف لم يلبث أن دب بين أحمد بن عبد الملك وألفونسو المحارب، واستعان أحمد الذي لقب بالمستنصر بألفونسو رايمندو دي برغونيا ملك قشتالة (السليطين)، وتمكن من رد أطماع ألفونسو المحارب عن روطة. ولكن أحمد المستنصر عندما أحس بعجزه عن المحافظة على روطة تنازل عنها لملك قشتالة الذي منحه عوضا عنها نصف تطيلة[٤].

وقام بمغامرات خطيرة ضد بلنسية ومرسية وغيرهما سنة ٥١٩هـ/١١٢٥م لكنه لم يتمكن من احتلال أي مدينة مهمة[٥]. ثم هزمه المسلمون في معركة عند فراغة، وقتلوا أكثر رجاله، ففر إلى حصن خرب، فحاصره المسلمون، لكنه تسلل في ظلمة الليل وقفل عائدا[٦].

(١) ابن الكرديوس، تاريخ الاندلس: ١٠٨ الحاشية ٢.

(٢) موبيث، أرغون في العصور الوسطى: ١١٢٧، Bleye, Manual, P 628.

(٣) Bleye, Manual, P 629.

(٤) مؤنس، جغرافية الاندلس: ١٥٣-١٥٤، ابن الكرديوس، تاريخ الاندلس: ١١٩، الحاشية ٣.

(٥) Bleye, Manual, P 630.

(٦) الحميري، الروض المعطار: ٢٤-٢٥.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض العرب سكنوا في منطقة أرغون منذ الفتوحات الاسلامية الأولى، لكن حكمهم فيها ظل محدوداً[(١)].

ولم يعقب الفونسو الأول، ولذلك أوصى بإعطاء مملكته أرغون ـ نبرة إلى منظمتي فرسان القديس يوحنا (الاسبتارية)، وفرسان المعبد (الداوية). لكن الأرغونيين اختاروا أخاه راميره البندكتي ملكاً عليهم، كما اختار النبريون غارسيا راميرث الرابع الذي ينحدر من سلالة سانجة الكبير ملكاً عليهم، وبذلك عادت نبرة إلى استقلالها وانفصلت عن أرغون[(٢)].

وكان راميرو الثاني (الراهب) ١١٣٤ــ١١٣٧م ضعيف الشخصية، وتنقصه الكفاءة والحنكة السياسية حتى أنه وعد كونت برشلونة رامون بيرنجر الرابع بأن يزوجه من ابنته بترونيلا التي لم يكن عمرها يتجاوز السنتين. وأصبح رامون هذا الحاكم الفعلي لأرغون. وبعد زواجه من بترونيلا أصبح ملكاً على قطلونية أيضاً. ثم وسع مملكته على حساب الأراضي الاسلامية[(٣)].

وتوفي رامون بيرنجر الرابع سنة ٥٥٨هــ/١١٦٢م، وكان قد أوصى بأن يخلفه ابنه ريموند بيرنجر (ألفونسو الثاني) بحكم أرغون وقطلونية ولانجدوك. ولما كان ألفونسو الثاني في العاشرة من عمره فقد تولت أمه بترونيلا الوصاية عليه، وعملت على توطيد تحالفها مع قشتالة وانجلترا ونبرة[(٤)].

---

(١) ابن الفرضي، تاريخ العلماء: ١/٧٩.

(٢) Bleye, Manual, P. 660.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٨ الحاشية ١/ ١٠٠؛ وانظر: Comas, Breve Historia de España, P 83.

(٤) سحر، تاريخ بطليوس: ٢/٣٥٦؛ Bleye, Manual, P. 664-665.

ويعتبر الفونسو الثاني ١١٦٢-١١٩٦م أول ملك لاتحاد قطلونية ـ أرغون. وقد وسع مملكته على حساب الكونتيات النصرانية[1]، وتحارب مع ألفونسو الثامن ملك قشتالة عند قلعة رباح سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م، ثم اصطلح معه بوساطة هنري الثامن ملك انجلترا، ثم ما لبثا أن اختلفا. وكان من نتائج اختلافهما هزيمة ألفونسو الثامن في موقعة الأرك سنة ٥٩١هـ/١١٩٤-١١٩٥م.

وحاول ألفونسو الثاني ملك أرغون والبابا سلستين الثالث جمع شمل الممالك النصرانية ولكنهما فشلا، وعادت الحروب بين هذه الممالك[2].

وكان ألفونسو الثاني قد أوصى قبل وفاته بأن يخلفه ابنه بيدرو Pedro في حكم أرغون ـ قطلونية. وأعطى ابنه الثاني الفونسو اقليم بروفانس[3]. وقد تمكن بيدرو الثاني (الكاثوليكي) ٥٩٣-٦١٥هـ/١١٩٦-١٢١٣م من توسيع مملكته. ومنحه البابا إنوسنت الثالث سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤م لقب: سيد أرغون وقطلونية. ووعد بيدرو مقابل ذلك بإعطاء البابا جزية سنوية مما أغضب النبلاء في قطلونية وأرغون، وقد شكلوا مع سكان المدن والقرى اتحاداً أسموه: اتحاد الأخوة ضد الملك، وأرغموه على التخلي عن وعوده للبابا[4].

ويبدو أن سبب زيارة بيدرو الثاني لروما، وتقديمه تلك الوعود للبابا هو رغبته في الحصول على دعم البابا ضد الأمراء الفرنسيين المعادين له[5]. فقد ظهرت في جنوبي فرنسا طائفة دينية ابتعدت عن تعاليم الكنيسة الدومنيكية الاسبانية، واعتنقت مذهباً متأثراً بمذهب ماني الفارسي الذي يقوم على وجود الهين أحدهما للخير، وآخر للشر. ولذلك دعا

---

(١) Comas, Breve Historia, P. 84؛ ومونيث، أرغون في العصور الوسطى: ١٣٥.

(٢) Bleye, Manual, P. 668.

(٣) Comas, Breve Historia, P. 84.

(٤) لمزيد من التفاصيل أنظر المرجع نفسه: ٨٥.

(٥) المرجع نفسه: ٨٥.

البابا إلى شن حرب صليبية ضدهم، فتحرك ملك أرغون لحماية أتباعه هناك[1]. ولكن عندما احتشد الموحدون في الاندلس لمحاربة النصارى تجمع هؤلاء ضدهم، وهزموهم في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م.

وتوفي بيدرو الثاني ملك أرغون مقتولاً في معركة بالقرب من طولوشة سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م[2] فخلفه ابنه خايمي الأول (١٢١٣–١٢٧٦م) الملقب بالفاتح (Conquistador)، وكان في الخامسة من عمره. وعندما كبر غزا الجزائر الشرقية (ميورقة ومينورقة واليابسة) واحتلها[3]، ثم استولى على بلنسية سنة ٦٣٦هـ/١٢٣٨ بعد حصار دام ثماني سنوات، وضمها إلى مملكة أرغون[4]. ثم واصل حملاته على الأراضي الاسلامية واحتل عدداً من مدنهم[5].

وفي أواخر أيامه تعرضت مملكته لحالة من الاضطراب، وكذلك تعرضت مملكة قشتالة في عهد ملكها ألفونسو العاشر لكثير من المشكلات المشابهة، وهي مشكلات مع الشعب ومع الأبناء.

وكان خايمي الأول قد قسم مملكته قبل وفاته بين أبنائه، فأعطى ابنه الأكبر بيدرو Pedro مملكة أرغون وبلنسية وقطلونية، وأعطى خايمي مملكة ميورقة وكونتيات روسليون وسردانية. وقد بلغت حدود مملكة أرغون أقصى اتساعها في عهد خايمي الأول، وبقيت كذلك حتى اتحادها نهائياً مع قشتالة في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

---

(١) مونيث، أرغون في العصور الوسطى: ١٣٩.

(٢) Comas, Breve Historia, P 86.

(٣) Bleye, Manual, P 723.

(٤) المرجع نفسه: ٧٢٤-٧٢٥. وانظر أيضاً: الحميري، الروض المعطار: ٤٨ حيث يذكر أن سقوط بلنسية كان في سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٧٣؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦، الحواشي ١٠٨.

وتزوج بيدرو الثالث (الكبير) (١٢٧٦ـــ١٢٨٥م) الذي ورث أباه سنة ١٢٧٦م الأميرة السوابية كونستنثا Constanza وأصبحت ملكة صقلية. وبهذا الزواج صار من حقه أن يتدخل في شؤون صقلية، وأصبح معادياً لأسرة ألابخو الفرنسية والبابا بطرس الثالث Pedro III الذي عزم على إعطاء تاج صقلية لأمير فرنسي من أسرة أنجو. فتدخل بطرس الثالث واحتل باليرمو Palermo. فأصدر البابا مارتن الرابع ضده قرار الحرمان في التاسع من نوفمبر سنة ١٢٨٢. وأعطى عرشه وممتلكاته لشارل فالو ابن ملك فرنسا الذي حاول غزو أرغون[١]. وكان قبل موته بقليل قد أوصى بإعطاء مملكته في اسبانيا لابنه الفونسو، وصقلية لابنه خايمي، لكنه بعد ذلك تنازل عن صقلية للبابا مقابل غفرانه[٢].

وواجهت البلاد في بداية عهد الفونسو الثالث (الفرنجي) (١٢٨٥ـ١٢٩١م) فترة من الاضطراب، وفقد بعض سلطته الملكية لحساب النبلاء الذين أصبح باستطاعتهم إقصاؤه عن العرش: تعرض لمصالحهم. ولما تولى خايمي الثاني (العادل) الحكم ١٢٩١ـ١٣٢٧م أعلن تمسكه بصقلية، وأعلن الحرب على الفرنسيين وعين أخاه فريدريك Fadrique حاكماً عليها وانتهت هذه الحرب بتوقيع معاهدة عام ١٢٩٥ تم فيها الصلح مع البابا والفرنسيين، وتنازل بموجبها عن صقلية، إلا أن أهل صقلية رفضوا هذا الاتفاق، واختاروا فريدريك ملكاً عليهم. وعندما توفي ألفونسو الثالث خلفه ابنه ألفونسو الرابع (الوديع) ١٣٢٧ـــ١٣٣٦م، وقد حكم أرغون ثماني سنوات لم تسجل فيها أحداث تذكر. وخلفه ابنه بيدرو الرابع ١٣٣٦ـ١٣٨٧م الذي تميزت فترة حكمه بكثرة النزاعات مع النبلاء. وقد أطلقوا عليه اسم (القاسي) لقسوته في التعامل مع أسرته.

ومن أهم أعمال ألفونسو الرابع قيامه بضم جزيرة ميورقة إلى مملكته، وإخماده ثورة قامت في بلنسية. وكذلك ضمه صقلية إلى مملكته.

---

(١) Fernandez, Historia de España, P 184.

(٢) Vivo, P. 72.

وعندما توفي ألفونسو الرابع خلفه ابنه خوان الأول Juan I الملقب بالصياد (١٣٨٧-١٣٩٥م)، وكان مولعاً بالصيد والموسيقى والفنون. وقد مات في رحلة صيد، وخلفه أخوه مارتن Martin ١٣٩٥-١٤٠٠م الملقب بالانساني. وهو الذي تم في عهده ضم صقلية إلى مملكة أرغون. وقد تميز عهد الأخوين خوان الأول ومارتن بأنه كان العصر الذهبي للحضارة في أرغون[١].

وبعد وفاة مارتن تنازع على العرش كل من فرناندو دي انتيكيرا (ابن خوان الأول القشتالي ولينور بنت خوان الأول الأرغوني)، والأمير خايمي حفيد خوان الأول الأرغوني من ناحية الأم[٢]، ثم اتفق الأرغونيون والقشتاليون على حلّ نزاعهما بالطرق السلمية، وقاموا بتشكيل مجلس من تسعة أعضاء لحل النزاع. وقد تمكن من ذلك بعد عامين من الاجتماعات، وأصبحت العائلة الحاكمة في أرغون تعرف بهذا الاسم[٣].

وحاول فرناندو أنتيكيرا استرضاء الشعب طول مدة حكمه القصيرة (١٤١٢-١٤١٦م)، فأطلق عليه اسم: العادل النزيه. وقد خلفه في الحكم ألفونسو الخامس ١٤١٦-١٤٥٨م الذي حاول أن يوسع المملكة الأرغونية في البحر الأبيض المتوسط، وتمكن من ذلك إذ امتد حكمه حتى الشواطئ الايطالية والاسبانية المطلة على البحر المتوسط[٤].

ثم حكم أرغون خوان الثاني (١٤٥٨-١٤٧٩م)، وهو ثاني ملك أرغوني يحمل هذا الاسم، وآخر ملك لأرغون وحدها، إذ اندمجت أرغون بعده في قشتالة[٥]. وقد قامت في عهده حروب أهلية بينه وبين ابنه كارلوس دي فيانا انتصر فيها الأب. وعندما تقدمت به

---

(١) Vıvo, P. 74.

(٢) Vivo, P. 74-75.

(٣) Vivo, P.77. Peman, La Hıstoria De Espana, 149-163; Fernandez, Historia de Espana, 474.

(٤) Peman, La Hıstoria de Espana, P 151.

(٥) Peman, La Historia de Espana, P 157.

السن فقد بصره، ثم مات سنة ١٤٧٩م. وخلفه فرناندو الذي كـان قـد تـزوج ايزابيـلا أخـت إنريكو الرابع ملك قشتالة، ونتيجة لهذا الزواج نودي به حاكماً على قشتالة سـنة ١٤٧٤م، وبذلك تمت الوحدة بين مملكتي قشتالة وأرغون. وفي عهد فرناندو وإيزابيلا سقطت الأندلـس في يد النصارى، فهذان الملكان الكاثوليكيان هما اللذان تسـلما غرناطـة آخـر معقـل إسـلامي فيها سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م[1].

---

(1) Vivo, 77, 88؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٥٥٢ـ٥٥٤؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٨٢؛ عنان، نهاية الاندلس: ٢١٥ـ٢٥٥.

للاستزادة عن أرغون، انظر:

1- Baer, F , Die Juden in Christichen, Spanien, I, Aragón und Navarra, Berlin, 1919
2- Asso, Ignacio de, Historia de la economia politica de Aragón (Zaragoza, 1947)
3- Carreras Y candi, Francesch, Idea avenc urbá de Catalunya al segle XIV, III, congreso de Historia de la corona de Aragón (Valencia, 1923)
4- Flotats, Mariano, Y Bofarull, Antonio, de, Historia del rey de Aragon don Jaime el Conquistador, escrita en lemosin por el misono monarca (Barcelona 1848)
5- Lacarra, José Maria, El desarrollo Urbano de las Ciudades de Navarra Y Aragan en la Edad Media (Zaragoza, 1950).
6- Ribera Tarrago, Julián, Origenes del Justicia de Aragón (Zaragoza 1927)
7- Tilander, Gunnar, Los Fueros de Aragón (Lund, 1937)
8- Zurita, Gerónimo, Anales de la corona de Aragón (Zaragoza, 1610)
9- Galiay Y Sariñena, José, La dominación romana en Aragon (Zaragoza, 1943)
10- Balaguer, Federico, Notas documentales sobre mozarabes oscenses (Estodios de La Edad Medina de la Corona de Aragón III Zaragoza 1946)

الأَرَك: Alarcos: (معركة) Alarcos, Batalla de

معركة، سميت بهذا الاسم لوقوعها قرب حصن الأرك، وهو حصن منيع بناه ملك قشتالة ألفونسو الثامن بمقربة من قلعة رباح[1]، شمالي قرطبة[2]. وقد دارت المعركة في مرج يسمى مرج الحديد[3]. ويبعد الحصن نحو عشرين كيلومتراً إلى الغرب من قلعة رباح على أحد فروع نهر وادي آنه (Guadiana). وتشغل مكانه حالياً محلّة تسمى (Maria de Alarcos) تقع غرب المدينة الاسبانية الحديثة (Guidad Real) أي (المدينة الملكية). وموقع الأرك لا يبعد كثيراً عن الموقع الذي جرت فيه معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م بين ملك قشتالة ألفونسو السادس وأمير المرابطين يوسف بن تاشفين التي انتصر فيها المسلمون. ويوجد الحصن إلى الشرق من سهل الزلاقة[4].

مهدت لمعركة الأرك أحداث كثيرة وقعت في عهد الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م)؛ ففي سنة ٥٨٥هـ/١١٨٥م بدأ شانجة الأول، ملك البرتغال، سلسلة من الهجمات على الاندلس، وتمكن في تلك السنة من احتلال مدينة شلب بعد حصارها ثلاثة شهور[5].

وعبر الجيش الموحدي بقيادة أبي يوسف يعقوب، الذي تلقب بالمنصور، إلى الأندلس لاستعادة مدينة شلب، ورد اعتداءات النصارى، وذلك سنة ٥٨٦هـ/١١٨٦م. وقام بنشاط

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ٢٧؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ٢٣٣/٩؛ وانظر: ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٨٣/١ والحاشية ٢، و ٩٩/٢ والحاشية ٦.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٣٣/٩.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣٣/٩.

(٤) انظر: عنان، عصر المرابطين والموحدين: ٢٠٠/٢.

(٥) المرجع نفسه: ١٧٠/٢-١٧٨، ١٨٦-١٨٩؛ وانظر: النويري، نهاية الأرب: ٣٣١/٢٤؛ مجهول، الحلل الموشية: ١٥٩؛ المراكشي، المعجب: ٤٠٢.

عسكري في عدة مناطق ثم رجع إلى إشبيلية للاستعداد، ولتنظيم شؤون البلاد. ثم جهز جيشاً كبيراً لإعادة الكرة، وخرج من إشبيلية في ربيع الآخر سنة ٥٨٧هـ/نيسان ١١٩١م متجهاً نحو الشمال الغربي حيث استعاد مدينتي قصر أبي دانس وشلب[١]. ورجع إلى مراكش في رمضان من تلك السنة[٢].

وكان يحكم قشتالة في تلك الفترة الفونسو الثامن، الملقب (النبيل)، وقد جرت بينه وبين الموحدين أحداث عديدة انتهت بتوقيع هدنة بينهما سنة ٥٨٦هـ/١١٨٦م مدتها خمس سنين[٣]. وقبيل انتهاء مدة الهدنة بدأ الفونسو الثامن بمهاجمة الأراضي الاندلسية والعيث فيها تخريباً وتدميراً، حيث انتسف الغلات والكروم، وقطع أشجار الزيتون، وخرب الضياع، وقتل كثيراً من المسلمين[٤]. فاستغاث أهل الاندلس بالأمير الموحدي المنصور الذي عزم على التوجه إلى الاندلس لمحاربة النصارى، فكتب إلى ولاة الأطراف وقواد الجيوش بالحضور، وخرج إلى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها[٥].

ومرض الأمير المنصور في تلك الأثناء مرضاً شديداً حتى يئس منه أطباؤه، وحُمل إلى مراكش وهو مريض "فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في البلاد وعاثوا فيها، وأغاروا على النواحي والأطراف، وكذلك فعل الأذفونش (ألفونسو الثامن) فيما يليه من بلاد المسلمين بالأندلس. واقتضى الحال تفرقة الجيوش التي جمعها يعقوب المنصور شرقاً وغرباً، واشتغلوا بالمدافعة والممانعة، فكثر طمع الأذفونش في البلاد"[٦].

---

(١) المراكشي، المعجب: ٣٥٦؛ ابن الابار، الحلة السيراء: ٢/٢٧٢-٢٧٣؛ مجهول، الحلل الموشية: ١٥٩؛ وانظر: عنان، عصر المرابطين والموحدين: ٢/١٨٦-١٨٩.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين: ٢/١٨٦-١٨٩.

(٣) الناصري، الاستقصا: ٢/١٨٥؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧/٤.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٢٢٠؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٧؛ ابن أبي دينار، المؤنس: ١٤٢.

(٥) الناصري، الاستقصا: ٢/١٨٥.

(٦) الناصري، الاستقصا: ٢/١٨٥-١٨٦.

ووجه الفونسو الثامن إلى الأمير الموحدي المنصور، وهو على تلك الحال، رسالة فيها الكثير من الصلف والتحدي والاستفزاز، فقد جاء فيها: "... أما بعد، فإنه لا يخفى على ذي ذهن ثاقب، ولا ذي عقل لازب، أنك أمير الملّة الحنيفية كما أني أمير الملّة النصرانية. وقد علمت الآن ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل، وإهمال أمر الرعية، وإخلادهم إلى الراحة؛ وأنا أسومهم بحكم القهر وخلاء الديار، وأسبي الذراري وأمثل بالرجال، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم إذا أمكنتك يد العذرة. وأنتم تزعمون أن الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم، فالآن خفف الله عنكم، وعلم أن فيكم ضعفا، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحدٍ منا، لا تستطيعون دفاعاً، ولا تملكون امتناعاً"[1].

وعندما وصل كتاب الفونسو الثامن إلى الأمير يعقوب المنصور مزقه، وكتب على ظهر قطعة منه: "ارجع إليهم، فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون" ثم كتب "الجواب ما ترى لا ما تسمع"[2].

وأمر المنصور بالاستنفار، واستدعاء الجيوش، وخرج على رأسها من مراكش يوم الخميس ١٨ جمادى الأولى ٥٩١هـ/١١٩٤م، وتلاحقت به قوات اخرى من العرب والبربر، ولما اقترب من حصن الأرك نزل هناك يوم الخميس الثالث من شعبان، من السنة نفسها، وجمع الناس ووعظهم واستشارهم، ثم رحل "فنزل الأرك، وقد خيمت بأحوازه محلات العدو يضيق عنها المتسع"[3].

---

(١) الناصري، الاستقصا: ١٨٦/٢؛ وانظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٣٢/٩ـ٢٣٩.

(٢) الناصري، الاستقصا: ١٨٦/٢ـ١٨٧.

(٣) الناصري، الاستقصا: ١٨٧/٢ـ١٨٨.

وكان ألفونسو الثامن، ملك قشتالة، قد تجهز للقاء المسلمين منذ سمع بجواز الموحدين إلى الأندلس، وطلب العون من ملكي ليون ونبارة، ونزل في الأرك محاولاً منع الجيش الموحدي من العبور إلى الأراضي القشتالية.

ومرت عدة أيام لم يقع فيها اشتباك باستثناء مناوشات محدودة ألحقت بالجيش القشتالي الخسائر. وفي يوم السبت الخامس من شعبان جلس المنصور في قبته الحمراء المعدّة للجهاد، ودعا كبير وزرائه الشيخ أبا يحيى بن أبي حفص وقدمه على الجيش، ثم عين بقية القادة على قبائل العرب وقبائل البربر والمتطوعة[1]. وقد أشار أبو عبد الله بن صناديد، كبير قادة الاندلس، على المنصور أن تبدأ الجيوش الاندلسية ومعظم الجيوش الموحدية الاشتباك، بينما يبقى المنصور في جيش من الموحدين في موضع مستور، فأخذ المنصور برأيه. وكان الهدف من هذه الخطة أن يبادر المنصور بقواته للقاء العدو، وليحمي ظهور المسلمين إذا مالت الكفة لصالح النصارى[2].

ووفقا لهذه الخطة العسكرية سار الشيخ أبو يحيى بن أبي حفص وابن صناديد أمامه. وكان الشيخ أبو يحيى إذا أقلع بجيشه عن موضع صباحاً خلفه المنصور فيه بجيشه مساءً. ولما أشرف الشيخ أبو يحيى على جموع النصارى وجدهم قد ضربوا خيامهم على ربوة عالية ذات مهاو وصخور كبيرة قد ملأت السهل والوعر. وعندئذ عبأ الشيخ عساكره تعبئة الحرب، وعقد الرايات لأمراء القبائل، ووزعهم فجعل الجيش الأندلسي في الميمنة، والبربر وبعض العرب والمغاربة في الميسرة، وجعل المتطوعة والرماة في المقدمة، وبقي هو في القلب[3].

انظر التفاصيل: الناصري، الاستقصا: ٢/١٨٨-١٨٩.

عنان، عصر المرابطين والموحدين: ٢/٢٠٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٨٥-٤٨٦؛ وانظر: الناصري، الاستقصا: ٢/١٨٩.

الناصري، الاستقصا: ٢/١٨٩.

وكانت جيوش النصارى كثيرة الأعداد، وقد قدرها الضبي بأكثر من خمسة وعشرين ألف فارس ومائتي ألف راجل، إضافة إلى جماعات من التجار اليهود الذين وصلوا لشراء الأسرى من المسلمين وأسلابهم(١). بينما أشار المراكشي إلى كثرة الجيوش النصرانية بقوله : "وكان الأدفنش قد جمع جموعاً لم يجتمع له مثلها قط"(٢). وأما الجيوش الاسلامية فقد عبر ابن الأثير عن كثرتها بوصفها أنها كانت يضيق عنها الفضاء(٣).

وجرت معركة الأرك يوم الخميس التاسع من شعبان سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م(٤)، وقد قدم الناصري وصفاً دقيقاً لها، فقال: "ولما أخذ الناس مراكزهم من حومة القتال خرج جرمون بن رياح (قائد قبائل العرب) يمشي في صفوف المسلمين ويحضهم على الثبات والصبر؛ وبينما الناس على ذلك إذ انفصلت من جيوش العدو كتيبة عظيمة من نحو عشرة آلاف فارس كلهم مدجج في الحديد، وكانت هذه الكتيبة هي شوكة ذلك الجيش وحده، كان الفنش (الفونسو الثامن) لعنه الله قد انتخبهم، وصلّت أقسته عليهم صلاة النصر، ورشوهم بماء المعمودية، وتحالفوا عند الصلبان أن لا يبرحوا حتى يقتلوا المسلمين أو يهلكوا دونهم؛... وحملت كتيبة العدو حتى اندقت رماح المسلمين في صدور خيلها أو كادت، ثم تقهقرت قليلاً، ثم عاودت الحملة فكانت كالأولى؛ ثم تهيأت للحملة الثالثة، فدفعت حتى خالطت صفوف المسلمين، وخلص البعض منها إلى الشيخ أبي يحيى يظنونه المنصور، فاستشهد رحمه الله، واستشهد معه جماعة من المسلمين"(٥).

---

(١) الضبي، بغية الملتمس: ٤٥-٤٦.

(٢) المراكشي، المعجب: ٣٥٨-٣٥٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٣٣/٩.

(٤) الناصري، الاستقصا: ١٨٩/٢؛ ابن الآبار، التكملة: ٥٥٠/٢-٥٥١؛ الضبي، بغية الملتمس: ٤٥؛ المراكشي، المعجب: ٣٥٩؛ المقري، نفح الطيب: ٤٤٣/١.

(٥) الناصري، الاستقصا: ١٨٩/٢-١٩٠.

وبعد أن كادت الدائرة تدور على الجيش الاسلامي بـادر العرب والمتطوعة إلى هجوم مضاد، وأحاطوا بالكتيبة النصرانية، وأعملوا في فرسانها السيوف، واستحر القتل، فتقهقرت تلك الكتيبة، وتوغل المسلمون خلف فلولها إلى الربوة حيث اشتد القتال، وما لبثوا أن تغلبوا عليها، وطحنوها طحناً، فانكسرت شوكة ألفونسو بهلاكها[١].

ولما تأكدت عساكر المسلمين من القضاء على الكتيبة النصرانية عاد بعض الفرسان المسلمين إلى المنصور وأعلموه بالخبر. وعندئذ زحف المنصور بمن معه نحو موقع ألفونسو الثامن، فقذف الله في قلبه وقلوب جنوده الرعب، "وزلزلت بهم الأرض زلزالها فولّوا الأدبار"[٢].

وطارد المسلمون فلول النصارى يقتلون ويأسرون، وحاصر بعضهم حصن الأرك يظنون أن ألفونسو الثامن قد تحصن به، إلا أنه كان قد دخل من باب وخرج من آخر من الناحية الأخرى. ثم اقتحم المسلمون الحصن بعد أن أضرموا النار في أبوابه، وغنموا كل ما فيه من أموال وذخائر وأسلحة[٣].

وكانت عاقبة معركة الأرك على النصارى وخيمة، فقد قتل المسلمون منهم مائة وستة وأربعين ألفاً، وأسروا ثلاثين ألفاً. واستولوا على مائة وخمسين ألف خيمة، وثمانين ألفاً من الخيول، ومائة ألف من البغال، وأربعمائة ألف من الحمير، وكميات لا تحصى من الأموال والجواهر[٤]. أما المسلمون فقد بلغ عدد الذين استشهدوا منهم في هذه المعركة نحو عشرين ألفاً[٥].

---

(١) الناصري، الاستقصا: ٢/١٩٠.
(٢) الناصري، الاستقصا: ٢/١٩١.
(٣) الناصري، الاستقصا: ٢/١٩١.
(٤) المقري، نفح الطيب: ١/٤٤٣؛ وانظر للمقارنة: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٩/٢٣٣؛ والناصري، الاستقصا: ٢/١٩١-١٩٢.
(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٩/٢٣٣.

ويذكر هنا أن ألفونسو الثامن بعد هزيمته في معركة الأرك فرّ إلى طليطلة، وتحصن بها. فلحق به المنصور، وشن الغارات على ما حول المدينة، وخرب عدداً من حصون النصارى، فاجتمع ملوك النصارى وطلبوا عقد هدنة مع المنصور فاستجاب لهم[١]. وعقدت الهدنة لمدة خمس سنوات اعتباراً من سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م[٢].

ويبدو أن المنصور لم يستجب إلى ملوك النصارى، ويعقد هدنة معهم إلا بعد أن وصلته أنباء من بلاده المغرب بأن علي بن اسحق المسوفي المعروف بابن غانية قد دخل إفريقية بنية الاستيلاء عليها، "ففتّ ذلك في عزمه، وصالحهم (ملوك النصارى) على المدة التي ذكرنا"[٣]. وربما كان هذا هو السبب الذي دفعه إلى فك حصار طليطلة، وسارع بالعودة إلى المغرب، حيث عاجلته المنية في مدينة مراكش ليلة الجمعة ٢٢ ربيع الأول ٥٩٥هـ/١١٩٩م[٤].

وأما السبب الذي اورده المقري لترك المنصور فتح طليطلة بعد أن شارف على ذلك فلا يستقيم مع الأحداث التي كانت جارية في الأندلس آنذاك، وإن لم يكن غريباً على سماحة الاسلام والمسلمين حتى مع ألد أعدائهم. فقد ذكر المقري أن والدة ألفونسو السادس وبناته ونساءه خرجن إلى المنصور بعد أن ضيق الخناق على طليطلة، ولم يبق أمامه إلا فتحها، وبكين بين يديه، "وسألنه إبقاء البلد عليهن، فرق لهنّ، ومنّ عليهن بها"[٥]. ثم جاءته الرسل من ألفونسو الثامن بطلب الصلح فصالحه[٦].

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٣٣/٩.

(٢) الناصري، الاستقصا: ١٩٢/٢-١٩٣.

(٣) الناصري، الاستقصا: ١٩٣/٢.

(٤) المصدر نفسه: ٢٠٥/٢.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٤٤٣/١-٤٤٤.

(٦) المصدر نفسه: ٤٤٤/١. ولمزيد من التفاصيل عن معركة الأرك أنظر: ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٢٢٢-٢٢٩؛ مجهول، الحلل الموشية: ١٥٩؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس: ٤٤٨؛ ابن أبي دينار، المؤنس: ١٤٢-١٤٣.

وأيا كان سبب الصلح فقد تم عقده بين الطرفين، إلا أن النصارى أخذوا يعدون العدة منذ لحظة هزيمتهم للأخذ بثأر الأرك، وهو ما أقسم عليه ألفونسو الثامن[1].

(1) الناصري، الاستقصا: ٢/١٩٢.

آرْكُش Arcos:

حصن يقع على قمة كتلة صخرية مرتفعة تشرف على نهر وادي لكة، ويتخلل الكتلة عدد من الجداول والسواقي التي تغذي النهر[١]. وقد وصف بعض المؤرخين والجغرافيين هذا الحصن بأنه معقل[٢]، وأنه في غاية المنعة[٣]، مما يؤكد الأهمية الاستراتيجية للحصن.

وذكر بعض الجغرافيين أن آركش كورة من كور إشبيلية[٤]، تجاور إشبيلية مجاورة الأنامل لراحة اليد[٥]. أما الإحاطة فقد ورد فيه أن آركش بلدة أندلسية صغيرة من أعمال شريش تقع على نهر وادي لكة[٦]. وليس هناك من تناقض بين كونها تابعة لإشبيلية أو شريش أو حتى قادش ـ كما أشار بروفنسال[٧] ـ لأن هذه البلدات جميعها متجاورة، وكانت أركش تتبع إدارياً لإحداها في الفترات التاريخية المتعاقبة. وهي تبعد عن شريش خمسة عشر كيلومتراً، وعن قادش اثنين وستين كيلومتراً.

وكانت آركش كثيرة المياه، خصبة التربة، ولذلك اشتغل أهلها بالزراعة وجادت فيها اللوزيات والزيتون والعنب والحبوب. وكثرت فيها الأغنام والأبقار. وتتوافر فيها محاجر الرخام، وتتميز بمناظرها الخلابة. ولذلك اعتبرها الكتاب الإسبان أجمل قرية في إسبانيا[٨].

---

(١) أبو الفداء، تقويم البلدان: ١٦٦؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ١٠٨؛ الحميري، الروض المعطار: ١٤.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٢١٧/٤.

(٣) أبو الفداء، تقويم البلدان: ١٦٦.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق: ١٦٦/٢.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٢١٧/٤؛ أبو الفداء، تقويم البلدان: ١٦٦.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة: ٤٦٧/١ الحاشية ٥.

(٧) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٣٤؛ ليفي بروفنسال، تاريخ اسبانيا الاسلامية: ٢٩/٤.

(٨) أثورين Azorin، عجائب شبه الجزيرة الآيبيرية: ٣٣٢.

ونظراً لأهمية آركش كحصن ذي موقع استراتيجي تعاقبت عليه أحداث كثيرة، وتعرض للخراب مراراً وكان يعمر بعد كل مرة يخرب فيها[1].

أيد أهل آركش عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) في نزاعه مع يوسف الفهري ومساعدة الصميل. وتعرض للنهب والتخريب أثناء فتنة البربر بزعامة شقيا بن عبد الواحد المكناسي التي استمرت نحو عشر سنوات (١٥١-١٦٠هـ/٧٦٨-٧٧٧م)[2]. كما تأثر هذا المعقل بالأحداث التي شهدتها إشبيلية نظراً لقربه منها، وخاصة تلك الأحداث التي وقعت بين العرب والمولدين في أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي في عهد الأمير الأموي عبد الله بن عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م). ثم ملكه عماد الدولة أبو عبد الله محمد بن خزرون إلى أن مات سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م[3]. ثم استولى عليه المعتضد بن عباد سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م[4].

وكانت البلدان المجاورة لآركش في تلك الأثناء تحت حكم القائم عبدون بن خزرون، وهي شريش والجزيرة الخضراء وقلسانة. وقد ظل يملكها حتى غزاه المعتضد بن عباد وتغلب عليه[5].

وكان القائم قد اشترك مع القاسم بن محمد بن القاسم بن حمود، أمير الجزيرة الخضراء، في مهاجمة إشبيلية بلد ابن عباد، ونهبوها سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م[6]. وكان ذلك سبباً لنقمة المعتضد بن عباد على زعماء البربر، فلجأ إلى الحيلة للتخلص منهم، إذ دعاهم

---

(١) الحميري، الروض المعطار : ١٤.

(٢) العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس: ١٠٩.

(٣) ابن الابار، الحلة السيراء: ٥١.

(٤) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٠٨؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٤/٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٤/٣.

(٦) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٤٢.

إلى زيارته في إشبيلية سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م فأكرمهم، وأمر بتطييب الحمام لهم. ولما دخلوه أغلق عليهم جميع المنافذ فماتوا[١]. ثم ضيق المعتضد على زعماء البربر فطلبوا المساعدة من ابن باديس، ووعدوه بأن يعطوه قلعة آركش وجميع ما بأيديهم من بلاد شذونة على أن يعطيهم ـ مقابل ذلك ـ بلداً يقيمون فيه تحت كنفه، وخرجوا من آركش. ولكن المعتضد كمن لهم وقتلهم جميعاً، وملك آركش[٢].

وفي عهد المرابطين استولى على حصن آركش عبد الجبار بن المعتمد بن عباد، إلا أن يوسف بن تاشفين حاصره، وقتله، واستولى على الحصن[٣].

وفي عهد الموحدين كان يقيم في حصن آركش ابن قسي شيخ الصوفية، وقد دخل في دعوتهم وتابعهم من معقله في الحصن، وأمكنهم منه. وكان أول داعية لهم بالأندلس[٤].

وظل حصن آركش في يد المسلمين حتى سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م حيث سقط في يد الملك النصراني فرناندو الثالث (القديس) ١٢١٧-١٢٥٢م، وذلك على أثر سقوط اشبيلية في يده في تلك السنة[٥].

أَرْكُون Arcon:

حصن منيع من أعمال شنتمرية، يلفظ اسمه بالفتح ثم السكون، وضم الكاف، وواو ساكنة، ونون[٦].

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٣٩-٢٤٠؛ بالنثيا، تاريخ اسبانيا الاسلامية: ٧٤.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٧١-٢٧٥.
(٣) المقري، نفح الطيب: ٤/٢١٧-٢١٨؛ المراكشي، المعجب: ١٤٣.
(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٧/٢٨٠.
(٥) بالنثيا، تاريخ اسبانيا الاسلامية: ١١٠.
(٦) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٥٤.

أَرْنِيط Arnedo:

مدينة، يلفظ اسمها بالفتح ثم السكون، وكسر النون، وياء ساكنة، وطاء مهملة[١]. وقد أشار ابن عذاري إلى أن أرنيط: حصن[٢].

تقع أرنيط في شرقي الأندلس من أعمال تطيلة[٣]، وتبعد عنها نحو ثلاثين ميلاً[٤]، أو عشرة فراسخ، وتبعد عن سرقسطة سبعة وعشرين فرسخاً[٥]، وهي مطلة على أرض العدو[٦]. وقد نقل ياقوت عن ابن حوقل أنها "بعيدة عن بلاد الاسلام"[٧].

تحيط بأرنيط "بطاح طيبة المزارع، وهي قلعة عظيمة من أجل القلاع، وفيها بئر عذبة لا تنزح قد أنبطت في الحجر الصلد"[٨].

ذكر ابن عذاري أن أبا جعفر أحمد (المستعين بالله) بن هود (٤٧٨-٥٠٣هـ/١٠٨٥ - ١١٠٩م جمع وحشد وسار في جيش دخل به على أرنيط "فغلب على أرباضها، واعتصم أهلها منه بكنيسة منيعة، ثم صالحهم على مال يؤدونه إليه أخذ به رهائن منهم، ثم انصرف قافلاً عنهم، وشن في صدره الغارات على من بذلك الصقع من الروم، وهدم وحرق وقتل وسبى وعاد إلى بلاده"[٩]. والجدير بالذكر أن ابن هود قتل وهو عائد من تلك الغزوة،

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٦٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٨٤.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٦٢.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٤.

(٥) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٦٢.

(٦) المصدر نفسه: ١/١٦٢؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٤.

(٧) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٦٢.

(٨) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٤.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٥٣.

فقد لحق به النصارى، ونشبت بين الفريقين معركة دامية استشهد خلالها، واستشهد معه عدد كبير من المسلمين، وذلك في سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م[١]. وكان النصارى في هذه المعركة بقيادة ألفونسو الأول ملك أرغون، الملقب بالمحارب، يدعمه الرنك البرتغالي (Enrique de Borgona) بقوات مساندة. وقد وقعت المعركة قرب بلدة بلتيرة (Valtierra) من أعمال تطيلة[٢].

ويبدو أن أرنيط دخلت في حوزة المسلمين، وأصبحت بعد أن شحنوها بالعتاد والرجال شجى في حلوق النصارى، إذ ذكر ابن عذاري أنهم "أي النصارى" انتدبوا الخيل والرجال وحاصروا أرنيط لمنع وصول المؤن إليها، وذلك في سنة ٥٢٥هـ/١١٣٠م. وهب المرابطون للدفاع عن المدينة، ودارت الحرب سجالاً بينهم وبين النصارى وذلك في عهد والي الاندلس المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين. وقد استشهد في هذه الحرب كثير من المسلمين، إلا أنهم انتصروا في النهاية[٣].

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ٥٣/٤؛ وانظر أيضاً: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٧.
(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٧، ج٧؛ وانظر أيضاً: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٥٧.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٤/٤ـ٨٥.

أُرُون Aron:

ناحية، يلفظ اسمها بالفتح ثم الضم، وسكون الواو، ونون. ذكر ياقوت أنها من أعمال باجة، ووصف كتّانها بأن له فضلاً على سائر كتان الأندلس[1].

أُرْنِيش Aris:

ناحية، يلفظ اسمها بالضم ثم السكون، وكسر النون، وياء ساكنة، وشين معجمة. ذكرها ياقوت، وقال عن موقعها: "من أعمال طليطلة"[2].

أَرِيلِيَة Arilia:

حصن، يلفظ اسمه بالفتح ثم الكسر، وياء ساكنة، ولام مكسورة، وياء أخرى مفتوحة خفيفة، وهاء[3]. حدد ياقوت موقعه بين سُرتّة وطليطلة، على بعد عشرة فراسخ عن كل منهما. وقد استولى عليه النصارى في سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م[4].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١٦٤/١.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٢/١.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٦/١.

(٤) المصدر نفسه: ١٦٦/١.

إسْتِجَّة Ecija:

مدينة، يلفظ اسمها بالكسر ثم السكون، وكسر الياء فوقها نقطتان، وجيم، وهاء[١]. ويلفظه بعضهم بفتح الهمزة[٢]. ومعنى اسمها: جمعت الفوائد[٣]. "وفي أخبار الحدثان أنه كان يُقال: استجة البغي مذكورة باللعنة والخزي، يذهب خيارها ويبقى شرارها"[٤]. وكان اسمها القديم: Astiggi[٥].

تقع استجة على بعد ستة وخمسين ميلاً جنوب قرطبة[٦]، وهي من أعمالها[٧]، وتتصل أراضيها بأراضي ريّة[٨]. وقد ابتنيت المدينة على نهر شنيل "وهو النهر المنبعث من ذوب الثلج"[٩]، والذي تقع عليه أيضاً غرناطة[١٠]، ويصب في نهر الوادي الكبير.

وإستجة مدينة قديمة، كان سورها "قد عُقد بسورين أحدهما صخر أبيض والثاني صخر أحمر بأجمل صنعة وأحكم بناء، ورُدم بينهما وسوي، ووُضع في موضع الشرفات من الرمر صور بني آدم من كل الجهات تواجه القاصد نحوها فلا يشك الناظر أنها رجالٌ وقوف"[١١].

ياقوت، معجم البلدان: ١/١٧٤؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٧٣.

ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٧٣.

الحميري، الروض المعطار: ٥٣.

الحميري، الروض المعطار: ٥٣.

ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٠ الحاشية ٣.

المقري، نفح الطيب: ١/١٦٥، الحاشية ٤؛ وانظر أيضاً: الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٧٢؛ والحميري، الروض المعطار: ٥٣.

(٧) المقري، نفح الطيب: ١/١٦٥؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٠.

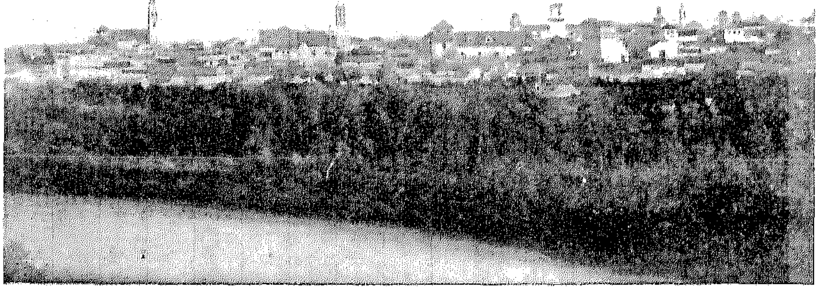
(٨) ابن خلدون، معجم البلدان: ١/١٧٤؛ وانظر أيضاً: البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٦٤.

(٩) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤١؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٧٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ١/١٧٤.

(١٠) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٧٤.

(١١) الحميري، الروض المعطار: ٥٣؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٠.

مدينة إستجة (منظر عام)



Ecija.—Vista general.



مدينة إستجة (منظر جزئي)

Ecija.—Una vista parcial.

وذكر الحميري أن لإستجة عدة أبواب، وأن فيها آثاراً كثيرة ورسوماً[1]. ولها أيضاً "قنطرة عجيبة البناء من الصخر المنجور، وبها أسواق عامرة، ومتاجر قائمة"[2]. أما أراضيها فمنبسطة واسعة خصبة تكثر فيها الجنات الملتفة، والحدائق الزاهية، والفواكه والزروع[3].

فتح طارق بن زياد مدينة إستجة بعد انتصاره على لذريق، ملك القوط، في معركة وادي لكه (رمضان ٩٢هـ/تموز ٧١١م)[4]، إذ لحق بفلول القوط الذين تجمعوا في إستجة، وفتح في طريقه إليها: شذونة، ومورور، وقرمونة، وإشبيلية[5]، ولما وصل المدينة، وجد القوط قد تحصنوا فيها فحاصرهم، وقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً[6]، حتى كثر القتل والجراح فيهم[7]. "ثم إن الله تعالى أظهر المسلمين عليهم، فانكسروا ولم يلق المسلمون فيما بعد ذلك حرباً مثلها، وأقاموا على الامتناع إلى أن ظفر طارق بالعلج صاحبها، وكان مغتراً سيء التدبير، فخرج إلى النهر لبعض حاجته وحده، فصادف طارقاً هناك قد أتى لمثل ذلك، وطارق لا يعرفه، فوثب عليه طارق في الماء، فأخذه وجاء به إلى العسكر، فلما كاشفه اعترف له بأنه أمير المدينة، فصالحه طارق على ما أحب، وضرب عليه الجزية، وخلّى سبيله، فوفى بما عاهد عليه"[8]. ثم نزل طارق على عين بينها وبين مدينة إستجة أربعة أميال، فسميت: عين طارق[9].

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ٥٣.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٧٢/٥.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٠-١٤١؛ الحميري، الروض المعطار: ٥٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٧٢/٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨/٢؛ المقري، نفح الطيب: ٢٥٩/١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٣؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٣٤-١٣٥؛ وانظر أيضاً: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم: ٧٩.

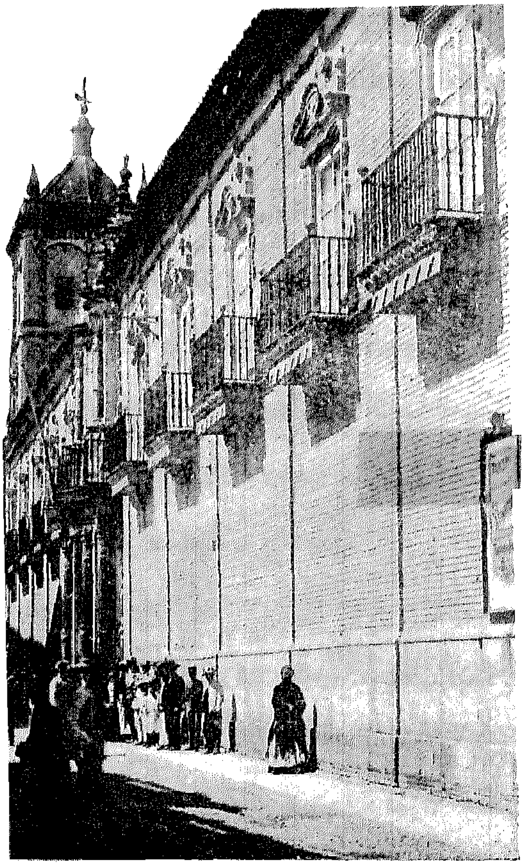
(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٣٥-١٣٨؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٦٣.

(٦) المقري، نفح الطيب: ٢٥٩/١-٢٦٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٨/٢.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨/٢؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٩؛ المقري، نفح الطيب: ٢٦٠/١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٢٢/٤.

(٨) المقري، نفح الطيب: ٢٦٠/١؛ وانظر أيضاً: مجهول، أخبار مجموعة: ٩؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٨٢.

(٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٢٢/٤؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٩.



إستجة (أحد الأحياء القديمة)

Ecija.—Uno de sus principales edificios.



إستجة (منظر جزئي)

Un bello paisaje de Ecija

وأصبحت إستجة بعيد فتحها قاعدة لانطلاق فرق من الجيش الاسلامي لافتتاح مدن الأندلس ومعاقلها، وهو ما أشار به يليان على طارق بن زياد، فبعد فتحها قدم عليه يليان وقال له: "قد فتحت الاندلس، فخذ من أصحابي أدلاء، ففرق معهم جيوشك، وسر أنت إلى طليطلة"، ففرق جيوشه من إستجة[1].

وكان أكثر سكان إستجة في عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٥م) من العرب[2]. حيث اختاروا لمنازلهم أخصب مناطق الاندلس، وأطيبها، وخاصة السهول المنتشرة على ضفاف الوادي الكبير وروافده، ومنها إستجة. وقد تزعم العرب فيها في عهد الوالي أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي (رجب ١٢٥هـ - رجب ١٢٨هـ/٧٤٣-٧٤٦م) أبو عطاء القيسي "وكان مشاحناً للصُميل مُسامياً له في القدر"[3].

وكانت إستجة ميداناً لمعركة خاضها سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية ضد ابن أخيه الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الذي تولى إمارة الاندلس (١٠٨-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)، إذ حشد سليمان برابر اجتمعوا إليه في إستجة، فغزاه الحكم، " ودارت بينهم حروب شديدة أياماً، ثم انهزم سليمان بمن كان معه"[4]، وكان ذلك سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م[5].

وتعرضت إستجة في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م) لسيل عظيم، خرب قوسين من أقواس قنطرتها على نهر شنيل[6].

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب: ٩/٢؛ المقري، نفح الطيب: ٢٦٠/١-٢٦١؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٠؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٥؛ والإحاطة : ١٠١/١.

(2) مؤنس، فجر الاندلس: ٣٧٥ و ٣٨٨؛ سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم: ١٢١.

(3) المقري، نفح الطيب: ٢٣/٣.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب: ٧٠/٢.

(5) المصدر نفسه: ٧٠/٢؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم: ٢٢٠.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٩/٢.

وأغار على نواحي إستجة في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) عمر بن حفصون، أحد الثوار البارزين على بني أمية، فوجه إليه الأمير عبد الله قائده عبد الملك بن مسلمة الباجي إلا أن ابن حفصون هزمه، ثم وقعت معركة أخرى بين الطرفين في مستهل صفر ٢٧٨هـ/٨٩١م، وكان الجيش الأموي بقيادة الأمير عبد الله نفسه، وقد تمكن من إلحاق الهزيمة بابن حفصون، ثم مضى إلى مدينة إستجة فنازلها حتى استأمنه أهلها، فأمنهم، وأقام على المدينة عاملاً من قبله[1].

وارتد عمر بن حفصون عن الاسلام سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م، وكثر أتباعه، واشتد خطره[2]، وكان أهل إستجة ممن تبعه، وخلعوا طاعة بني امية[3]. ولذلك تعرضت مدينتهم للدمار، وخاصة في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، فقد استهل عهده بمهاجمتها، إذ وجه إليها مولاه بدر بن أحمد ووزيره أحمد بن محمد بن حدير في يوم الخميس ٢١ جمادى الأولى ٣٠٠هـ/٩١٢م "فهدم سورها، ووضع بالأرض قواعدها، وألحق أعاليها بأسفلها، وهدم قنطرة نهرها"[4]. وقد اعتبر أحمد بن محمد بن عبد ربه ذلك فتحاً عظيماً، إذ قال في وصفه[5]:

ألا إنه فتح يقرُّ له الفتح ... فأوله سعد وآخره نجح
سرى القائد الميمون خير سرية ... تقدمها نصر وتابعها فتح
ألم تره أردى بإستجة العدى ... فلاقوا عذاباً كان موعده الصبح
فلا عهد للمّراق من بعد هذه ... يتمُّ لهم عند الإمام ولا صلح

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٢٢-١٢٣؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: تاريخ المسلمين وآثارهم: ٢٦٠-٢٦١.

(٢) انظر ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٣١-١٣٣.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ٥٣.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ٥٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٦٦؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم: ٢٦٥.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ٥٣.

وتوفي عمر بن حفصون في أوائل عهد الخليفة الناصر، وذلك في عام ٣٠٥هـ/٩١٧م[1].

وأعاد بناء قنطرة إستجة المنصور محمد بن أبي عامر الذي تغلب على الحكم في عهد الخليفة الأموي هشام بن الحكم، إذ أمر في سنة ٣٧٨هـ/٩٨٨م ببناء القنطرة على نهر شنيل، وبذلك سهل الطرق الوعرة والشعاب الصعبة[2].

ولما ثارت الفتنة المبيرة في الاندلس في أعقاب سقوط الخلافة الأموية، قامت في قرمونة إمارة بني برزال التي أسسها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن برزال المعروف بأبي عبد الله البرزالي، وضمت هذه الإمارة مدينة إستجة وغيرها[3]. ثم استولى على إستجة المعتضد بن عباد (٤٣٣-٤٦١هـ/١٠٤١-١٠٦٨م)[4] وذلك سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م[5]. وقد ظلت إستجة في أيدي المسلمين إلى أن استولى عليها ملك قشتالة ألفونسو العاشر في أواخر سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م[6].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٧١/٢؛ وانظر أيضاً: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم: ٢٨٢-٢٨٣؛ وعنان، تراجم اسلامية: ١٧٠.

(٢) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم: ٣٣٤؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣١٧؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ٤٠٩/١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٦٧/٣-٢٦٨؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ١٤٦.

(٤) عنان، تراجم إسلامية: ٢١٢.

(٥) عنان، دول الطوائف: ١٤٩.

(٦) عنان، نهاية الأندلس: ٤٠-٤١.

أَسْتُرْقَه Astorga:

مدينة قديمة، عُرفت في العهد الروماني باسم Astorica، ووردت في المصادر العربية الأندلسية باسم استرقة، وهو اسمها الحالي[1].

تقع مدينة أسترقة على أبواب إقليم جلّيقية في الشمال الغربي من الأندلس، إلى الغرب من مملكة ليون. وقد اشتهرت بكثرة شجر الصفصاف أو الحور Alamo. ويطلق النصارى الإسبان على المكان الذي يكثر فيه هذا النوع من الشجر: ألاميدو Alamedo، وهذا الاسم منتشر في اسبانيا، وخاصة في نواحي ليون وسرقسطة وبرغش وأسترقة[2]. كما اشتهرت مدينة أسترقة في البنية والصناعة والإتقان والحصانة[3].

فتح المسلمون مدينة أسترقة سنة ٩٣هـ/٧١٤م على يد طارق بن زياد[4]، واستقبل فيها ـ كما تروي بعض المصادر ـ موسى بن نصير، ثم سارا معاً إلى طليطلة[5]. إلا أن حكم المسلمين لأسترقة لم يُعمر طويلاً، إذ سرعان ما تجمعت فلول القوط بقيادة بلاي Pelayo، وتحصنت في كهف كوفادونجا Covadonga الواقعة في سلسلة جبال كنتبريا، وكانت هذه المجموعة من ثلاثمائة راجل، ثم تناقص عددها إلى ثلاثين رجلاً وعشر نساء بسبب المصاعب التي واجهوها، وقلة المؤن. وهو عدد أهمله المسلمون، وخاصة أن تلك المنطقة كانت وعرة المسالك، وبعيدة عن طريق الجيوش الاسلامية، مما أدى إلى تعاظم شأنهم،

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١/٢٦٥، ٢٧١؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٢؛ مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الاندلس: ٢٦٥.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٥٦ الحاشية ٧.

(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٢.

(٤) المقري، نفح الطيب: ١/٢٦٥؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ١٠؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٦٦.

(٥) المقري، نفح الطيب: ١/٢٧١.

وأصبحوا قوة لا يستهان بها. وقد استولوا بقيادة بلاي على كورة اشتريس بما فيها مدينة أسترقة[١].

ويذكر ليفي بروفنسال أن بلاي توفي سنة ١١٩هـ/٧٣٧م[٢]، وخلفه ابنه فافيلا الذي حكم سنتين فقط، إذ توفي سنة ١٢١هـ/٧٣٩م دون أن يترك وريثاً، فملك بعدهما ألفونسو الأول (الملقب بالكاثوليكي)[٣] الذي استولى على جليقية وأخرج المسلمين منها ومن أسترقة[٤].

وعندما تولى إمارة الاندلس الأمير هشام الأول بن عبد الرحمن الداخل بن معاوية (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) وجه حملات عديدة إلى الشمال. وكانت إحداها بقيادة عبد الملك ابن عبد الواحد بن مغيث الرومي قد وصلت إلى أسترقة "فجمع له ملك الجلالقة، واستمد بملك البشكنس، ثم خام عن اللقاء، ورجع أدراجه، واتبعه عبد الملك... واعترضتهم عساكر الفرنج فنالوا منهم بعض الشيء، ثم خرجوا سالمين ظافرين"[٥].

وتمكن المنصور محمد بن أبي عامر سنة ٣٨٥هـ/٩٩٥م من غزو ليون، واضطر ملكها برمودو الثاني الذي اتخذ أسترقة عاصمة له إلى التماس الصلح منه، إلا أن المسلمين لم يستقروا في المكان[٦] للأسباب التي ذكرناها.

---

(١) مؤنس، فجر الاندلس: ١٠٤، ١٠٥؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٢٨؛ بيمان، تاريخ اسبانيا: ٧٤-٧٥؛ المقري، نفح الطيب: ٣٥٠/٤-٣٥١.

(٢) ليفي بروفنسال، تاريخ الاندلس: ٤٢/٤.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٣٥١/٤.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة: ٦٢.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٣٣٧/١-٣٣٨.

(٦) عنان، الدولة العامرية: ٦٤.

وتجدر الإشارة إلى أن المصادر الإسلامية لم تأت على ذكر أسترقة بتوسع كما فعلت في ذكرها للمدن الأندلسية الأخرى. وسبب ذلك هو قصر المدة التي حكم المسلمون فيها هذه المدينة.

إسطبة Estepa:

أوردها الحميري بالصاد (إصطبة)، وقال: "مدينة بالأندلس، على خمسة وعشرين ميلاً من قلشانة، ومن قلشانة ـ وهي قاعدة شذونة ـ إلى قرطبة أربعة أيام، ومن الأميال: مائة ميل وعشرة أميال"[1]. وإسطبة حصن ومدينة من أعمال قرطبة، والمسافة بينهما ستة وثلاثون ميلاً[2]. وقد استولى عليها الثائر عمر بن حفصون، واستعادها منه الأمير الأموي عبد الله بن محمد (٢٧٥ـ٣٠٠هـ/٨٨٨ ـ ٩١٢م)[3].

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٢٣.

(٢) المقري، نفح الطيب: ١/١٦٥.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ٢٨.

إسْطِبُونَة Estepona:

تسمى أيضاً: اشتبونة[1]، وهي بلدة صغيرة على ساحل البحر الأبيض المتوسط شمال جبل طارق إلى الجنوب الغربي من مالقة[2]. وتقع في منتصف الطريق بين جبل طارق وماربّلة (Marbella)[3].

كانت اسطبونة كثيرة النعم[4]، وقد برزت خلال الأحداث التي وقعت في الأندلس منذ النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، فعندما اشتد ضغط النصارى على مملكة غرناطة، وعبرت جيوش بني مرين إلى الأندلس لإغاثة المسلمين فيها رابط أحد هذه الجيوش في اسطبونة، فقد عقد السلطان المريني أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م "لعياد بن أبي عباد العاصمي على مسلحة... وأنزله بأسطبونة"[5].

وظلت اسطبونة في يد بني مرين إلى أن استولى عليها ملك غرناطة محمد بن محمد (الفقيه) (٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٢-١٣٠٢م) سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م، ذلك أن محمداً الفقيه كان قد عقد صلحاً مع ملك قشتالة سانشو الأول، وأعانه ضد جيوش بني مرين، إذ كان يخشى أن تجتاح الجيوش المرينية في عهد السلطان المريني أبي يعقوب يوسف (الناصر) مملكته. فعندما حاصر سانشو الأول طريف بهدف احتلالها نزل محمد الفقيه بقواته في مالقة قرب معسكر النصارى، وكان يمدهم بالرجال والسلاح والمؤن والأقوات، ثم وجه فرقة من جيشه

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة: ٢/٢٤.

(٢) ابن الخطيب، مشاهدات: ٧٥، ج٣؛ الإحاطة: ٣/٧٥، ج٤؛ معيار الاختيار: ٨٦، ج ٥٢.

(٣) ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا: ٢/٧٧، ج٦.

(٤) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥١.

(٥) الناصري، الاستقصا: ٣/٦٤. ويذكر ابن خلدون هذا القائد باسم: عياد بن أبي عياض العاصمي. انظر: تاريخ: ٧/٢٧٨.

حاصرت اسطبونة واستولت عليها بعد مدة من الحصار[1]. وتجدر الاشارة هنا إلى أن جزيرة طريف سقطت في أيدي النصارى في شوال سنة ٦٩١هـ/١٢٩١م[2].

واستشهد قرب اسطبونة ملك غرناطة محمد بن اسماعيل بن فرج (٧٢٥-٧٣٣هـ/ ١٣٢٥-١٣٣٣م) على أيدي بعض المغاربة في جيش عثمان أبي العلاء، شيخ الغزاة في الأندلس، فقد كان هؤلاء يطمعون بعرش المغرب، وتوجسوا خيفة من ملك غرناطة الذي كان قد تصالح مع المرينيين، وحقق بمعاونتهم نصراً كبيراً تمثل في استعادة جبل طارق من النصارى في ذي الحجة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م[3]. فبينما كان عائداً إلى غرناطة بعد استعادة الجبل ترصده بعض المغاربة "فأدركوه دون حصن أصطبونة. وعتبوه فاستعتب، وأغلظوا له في القول، وقتلوا مولاه عاصماً صاحب ديوان العطاء تجنياً عليه"[4]. ثم تقدم أحدهم، واسمه زيان صونع، وعاجله بطعنة قاتلة فاستشهد، وذلك يوم الأربعاء ١٣ ذو الحجة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م[5].

وظلت اسطبونة في أيدي المسلمين حتى سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م، ففي تلك السنة هب المسلمون في الأندلس والمغرب لاستعادة جزيرة طريف من أيدي النصارى، وطوقوها من جميع جهاتها، وكانت حاميتها النصرانية على وشك الاستسلام عندما حشد ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر قوات إضافية تمكنت من هزيمة المسلمين هزيمة شديدة في ٧ جمادى الأولى

---

(١) ابن خلدون، تاريخ: ٢٨٥/٧؛ الناصري، الاستقصا: ٧١/٣.

(٢) ابن خلدون، تاريخ: ٢٨٥/٧-٢٨٦؛ الناصري، الاستقصا: ٧١/٣؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس: ٨٩-٩٠.

(٣) ابن خلدون، تاريخ: ٣٣٨/٧؛ الناصري، الاستقصا: ١٢٢/٣؛ وانظر أيضاً: ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٩٢-٩٣.

(٤) ابن خلدون، تاريخ: ٣٤٩/٧.

(٥) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٩٧؛ الإحاطة: ٥٤٠/١؛ الناصري، الاستقصا: ١٢٣/٣.

سنة ٧٤١هـ/٣٠ تشرين الأول ١٣٤٠م[١] ، وبعيد هذا الحادث المؤلم خربت اسطبونة، وقد عبر ابن الخطيب عن ذلك بقوله : "ذهب رسمها، وبقي اسمها"[٢] .

أُسْقُفَة: Uscufa

رُستاق، ذكره ياقوت، وقال: "بالضم، ثم السكون، وضم القاف، وفتح الفاء، وآخره هاء". ووصفه بأنه نزه بشجر نضر، وقصبته غافق[٣] .

(١) ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٢٢/٤؛ واللمحة البدرية: ١٠٦؛ ابن خلدون، تاريخ: ٣٤٦/٧-٣٤٧؛ الناصري، الاستقصا: ١٣٧/٣.

(٢) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥١.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: ١٨١/١.

أشب Aspe:

بلدة، تقع على بعد اثني عشر كيلومتراً مـن مدينـة ألـش Elche، مـرّ بهـا المكناسـي في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، وذكر أنها تقع في بلاد بلنسية[1].

أُشْبُورَة Aspura:

أوردها ياقوت "بالضم ثـم السـكون، وضـم البـاء الموحـدة، وواو سـاكنة، وراء، وهـاء: ناحية بالأندلس من أعمال طليطلة. ويقولـون: أشـبورة مـن أعمـال إستجة، ولا أدري أهمـا موضعان يقال لكل واحد منهما أشبورة أم هو واحد؟"[2].

---

(١) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير: ١٥٦.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٩٥.

إشْبِيلْيَة Sevilla:

مدينة يُلفظ اسمها بالكسر ثم السكون، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة، ولام، وياء خفيفة[1].

كانت تسمى: إشبالي، أي: المدينة المنبسطة[2]. ويقال إنها سُميت "بإشبان بن طيطش من نسل طوبال، وهو أحد الملوك الإشبانيين، وكان أول ظهوره فيها[3]. وقد حرف العرب المسلمون إشبالي إلى إشبيلية. ولما جند والي الأندلس أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي (١٢٥-١٢٨هـ/٧٤٣-٧٤٦م) الأجناد، أنزل أهل حمص إشبيلية، وسماها حمص لشبهها بها[4].

تقع إشبيلية على نهر الوادي الكبير إلى الجنوب الغربي من مدينة قرطبة، وهو موقع هيأ لها ميزة فريدة استراتيجياً وتجارياً، إذ إن المد والجزر يصعد في النهر لمسافة اثنين وسبعين ميلاً، مما جعلها تعد ميناء نهرياً وبحرياً بالرغم من بعدها عن مصبه في المحيط الأطلسي نحو ستين ميلاً، تصل إليه السفن الكبيرة، والمراكب المثقلة[5].

وتوصف إشبيلية بأنها عروس مدن الأندلس مشبهين مرتفع الشرف الذي يعلوها بالتاج، ونهر الوادي الكبير الذي يحيط بأحيائها الأمامية بالعقد[6]. وجبل الشرف كثير

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٩٥.

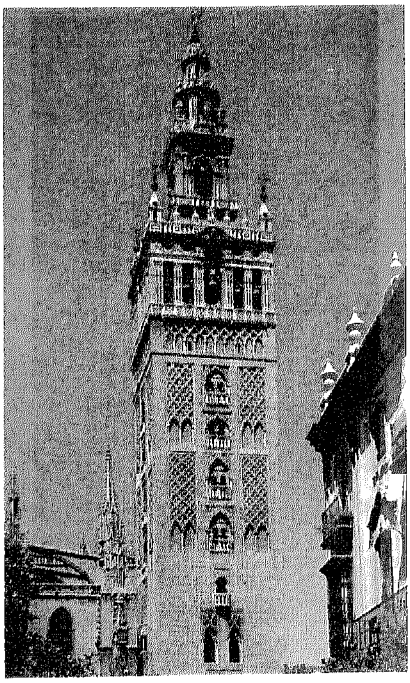
(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٠٧.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٣٩؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٩.

(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/١٥٣؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٢١؛ الزهري، الجعرافية: ٨٨.

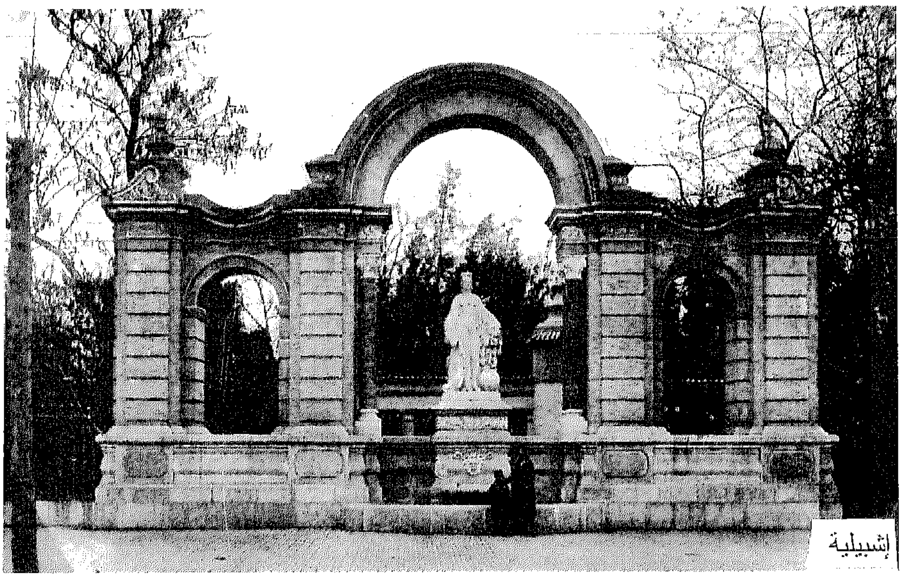
(٥) الإشبيلي، اقتباس الأنوار: ١٠٢؛ الزهري: الجعرافية: ٨٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٣٨-١٣٩؛ ياقوت، معجم البلدان: ١/١٩٥.

(٦) الزهري، الجعرافية: ٨٨.



Seville, Giralda

إشبيلية (الخيرالدة – منظر من الجهة الشمالية)



الشجر من زيتون وأشجار فاكهة، ويعد "أشرف بقعة في الأرض وأكرم تربة، المغترس بالزيتون، القائم في اخضراره المبارك عند اعتصاره، ولا يتغير به حال، ولا يعروه اختلال. قد أخذ في الأرض طولاً وعرضاً فراسخ في فراسخ. وفضل عصيره يأخذ في كل أفق، ويركب به البحر إلى الشرق. ويبقى زيتها برقته وعذوبته أعواماً لا يتغير طعمه، ولا يؤثر فيه مكث.. وكذلك عسلها يبقى حيناً لا يترمل، ويدوم بحالته لا يتبدل. وكذلك اليابس من تينها يبقى دهراً"[١]. وجنات إشبيلية وبساتينها ورياضها على ضفة النهر تحجب نور الشمس لكثافتها، حتى أن القوارب تمشي في ظلالها نحو ثمانية فراسخ، ويضطر ركابها إلى استخدام السّراج[٢].

ويجود في تربة إشبيلية: القطن والعصفر والقمح وقصب السكر، وكانت معظم محصولاتها من هذه الأنواع تصدر إلى الخارج[٣].

ومدينة إشبيلية موغلة في القدم، وقد أعاد بعض المؤرخين بناءها إلى إشبان بن طيطش من ذرية يافث بن نوح (عليه السلام)، وكان أحد ملوك الإشبانيين. ويقال: إن الذي بناها اسمه توليس، وإنه أول من سمي قيصر[٤].

وذكر الحميري أن الذي بناها هو يوليش القيصر (Julios Caesar)، وكان سبب بنائه إياها أنه لما دخل الأندلس ووصل إلى مكانها أعجبه كرم ساحته، وطيب أرضه، وجبله المعروف بالشرف، فردم على النهر مكاناً، وأقام فيه المدينة[٥].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٩٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٢١؛ العذري، نصوص عن الأندلس: ٩٥-٩٦.

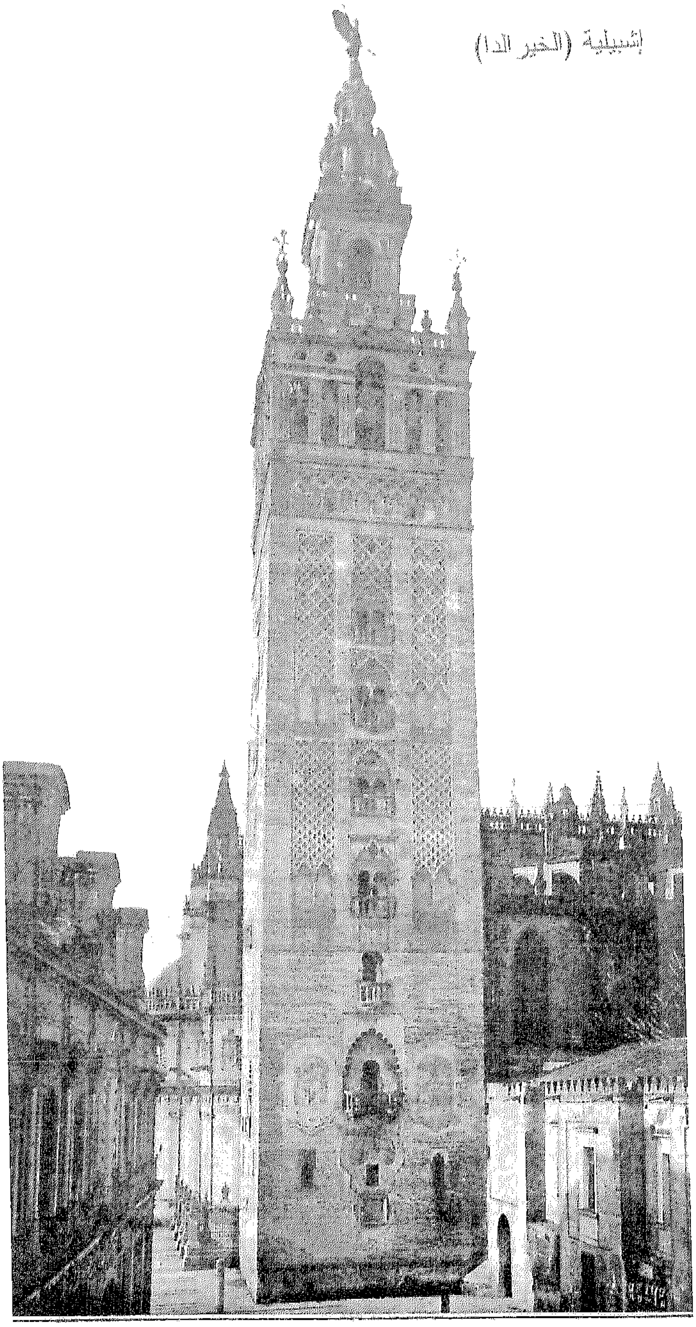
(٢) الزهري، الجعرافية: ٨٨.

(٣) العذري، نصوص عن الاندلس: ٩٦.

(٤) الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٣٨، ١٩٨؛ وانظر أيضاً: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨-١٩؛ وانظر أيضاً: البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٠٧.

إشبيلية (الخيرالدا)



Sevilla.—La Giralda vista desde el costado Norte

وذكر الزهري أن إشبيلية من بناء اليونانيين أو القوط، بينما ذكر ابن عذاري أنها كانت دار ملك روم رومه قبل غلبة القوطيين على الأندلس، ولما غلب القوطيون (الغربيون) عليها استوطنوا طليطلة، واتخذوها عاصمة، ومع ذلك ظل في إشبيلية أهل روما وكتابهم ورؤساؤهم[١].

كانت إشبيلية ثالث مدينة يفتحها موسى بن نصير من مدن الاندلس بعد شذونة وقرمونة؛ فقد دخل موسى الأندلس في رمضان سنة ٩٣هـ/حزيران ٧١٢م من الموضع المنسوب إليه المعروف بجبل موسى، ثم سار في طريق مغاير للطريق الذي سلكه طارق بن زياد، وبعد أن فتح شذونة وقرمونة توجه إلى إشبيلية وحاصرها شهراً، ثم فتحها الله عليه[٢]. ولم يكد يخرج منها لمواصلة الفتح حتى ثار أهلها من النصارى، وساعدهم نصارى مدينتي باجة ولبلة على إخراج حاميتها الاسلامية. وكان موسى في أثناء ذلك يحاصر مدينة ماردة، فبعث ابنه عبد العزيز فأعاد فتحها[٣].

وكانت إشبيلية أول عاصمة للمسلمين في الاندلس، فقبل عودة موسى بن نصير إلى المشرق عين ابنه عبد العزيز والياً على الاندلس، وأسكنه إشبيلية لاتصالها بالبحر، فأقام فيها، وجعلها منطلقاً لفتح ما بقي من المدن دون فتح. وبذلك أصبحت "قاعدة ملك الأندلس وسريره"[٤] وأصبحت من أعظم قواعد الاندلس شأناً، وأتقنها بنياناً[٥]. ولكن مدة عبد العزيز بن موسى لم تطل، فقد وثب جنده عليه لأشياء نقموها عليه، وقتلوه في الأول من رجب سنة ٩٧هـ/٧١٥م، وهو يصلي في مسجد رفينة، بمدينة إشبيلية[٦].

---

(١) الزهري، الجعرافية: ٨٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٤.

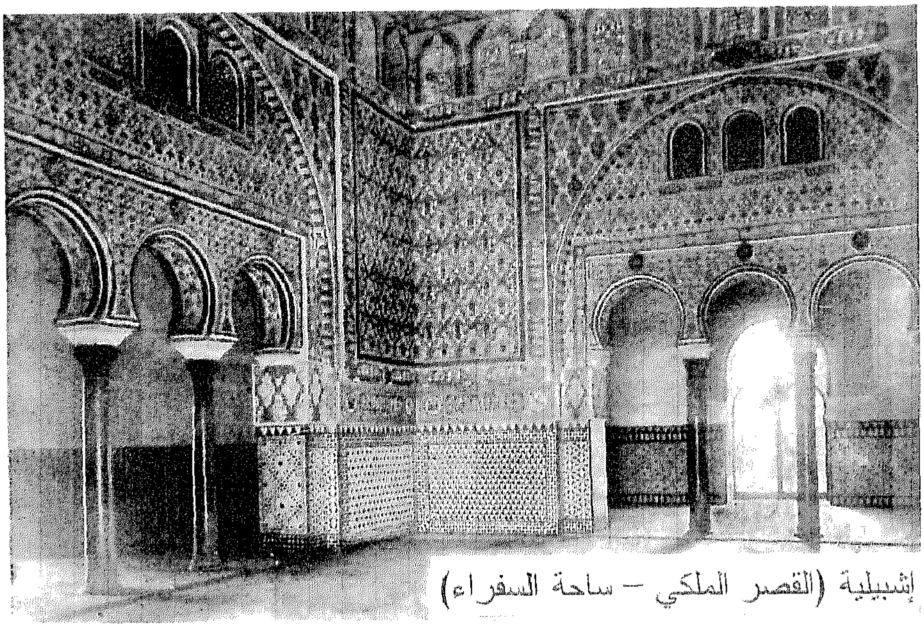
(٢) المقري، نفح الطيب: ١/٢٦٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٤؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٢٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٣٨-١٤٠.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٥.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٩٥؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ١/٢٧٦-٢٧٧.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٤.

(٦) المصدر نفسه: ١/٢٤.



Sevilla.—Real Alcázar: Salón de Embajadores *(Foto Grafos)*



Sevilla. Triana.—Calle de la Pureza *(Foto Hauser y Menet.)*

وأقام أهل الأندلس بعد مقتل عبد العزيز مدة دون أمير، ثم اختاروا أيوب بن حبيب اللخمي والياً عليهم، ولم يلبث الوالي الجديد أن نقل العاصمة من إشبيلية إلى قرطبة[١].

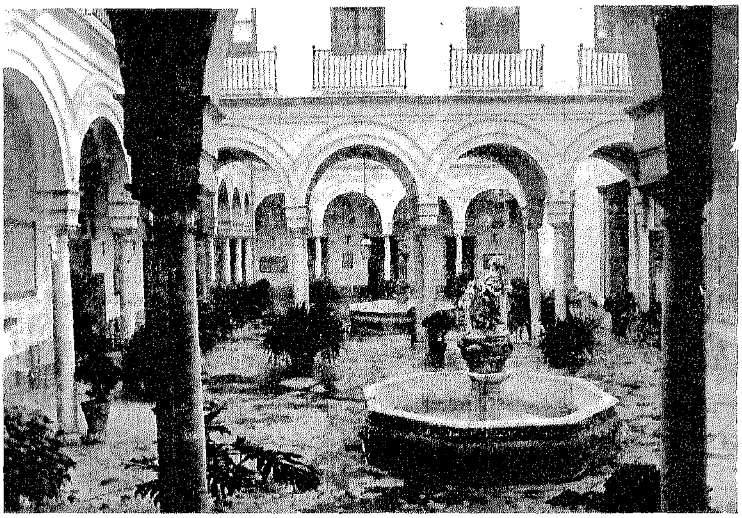
اتسعت إشبيلية في العهد الاسلامي اتساعاً كبيراً، وألحقت بها عدة أقاليم، هي: المدينة، وألية، والسهل، والشعراء، والبصل، وطالقة، والشرف، والوادي، وطُشانة، والفحص، وقرطشانة، والمنستير[٢]. كما ضمت: طريانة وتيطل وباجة[٣].

وتعرضت إشبيلية عبر تاريخها الاسلامي لأكثر من اعتداء، فقد هاجمها النورمان في ثمانين مركباً عبر نهر الوادي الكبير سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م، وحلّوا بها، وارتكبوا فيها كثيراً من أعمال القتل والسلب، فأرسل إليها الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م) نجدة، وفي الوقت نفسه استمر توافد المراكب النورماندية، واشتبك الطرفان، إلا أن الغلبة كانت للنورمان الذين استمروا في القتل والسبي في أهالي إشبيلية ثلاثة عشر يوماً. وبعد خروجهم من إشبيلية دافعتهم قوات الأمير عبد الرحمن، وجاءت الإمدادات إلى المسلمين من قرطبة، وتمكنت من إنزال الهزيمة بالنورمان. وقد أحرق المسلمون ثلاثين من مراكبهم، وقتلوا كثيرين منهم. وفر الباقون[٤]. "وكان بين دخولهم إلى إشبيلية وخروج من بقي منهم وانقطاعهم اثنان وأربعون يوماً"[٥].

وعاد النورمان لمهاجمة سواحل الاندلس سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م، ووصلت مراكبهم إلى مصب نهر الوادي الكبير، ثم تقدموا إلى إشبيلية. وقاومهم المسلمون في إشبيلية وغيرها مقاومة شديدة، وأحرقوا الكثير من مراكبهم، فارتدوا خائبين سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م[٦].

---

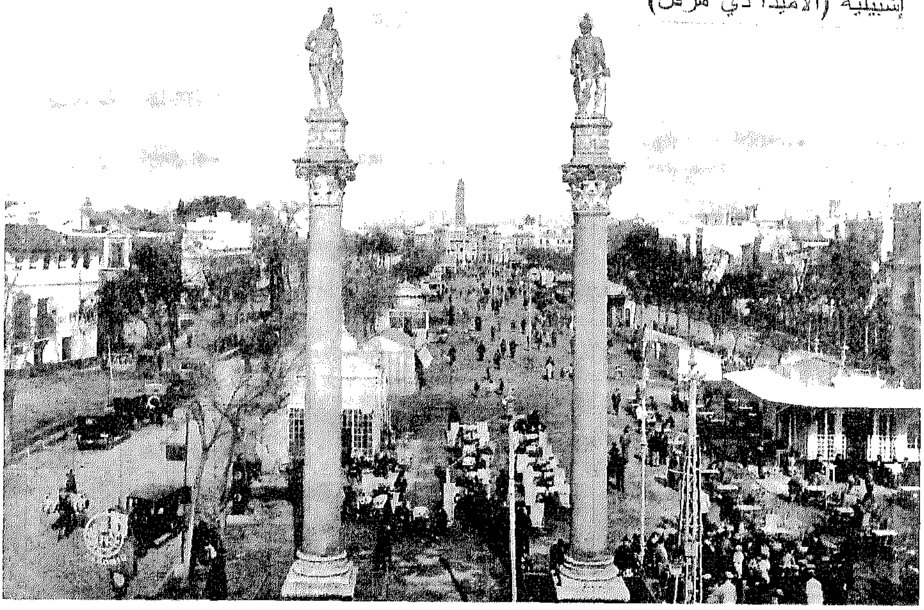
(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ١/٢٥؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ١١-١٢.
(٢) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ١١٥.
(٣) الأندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٠٤.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٨٧-٨٨؛ العذري، نصوص عن الأندلس: ٩٨-١٠٠.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٨٨.
(٦) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٢٨-٢٣٨ نقلاً عن ابن حيان والعذري.



Sevilla.—Patio del Hospital de la Santa Caridad. *(Foto Grafos.)*

إشبيلية (منظر جزئي لمستشفى سانتا كاريداد)

إشبيلية (ألاميدا دي هرقل)



Sevilla.—Alameda de Hércules *(Cliché E. Ramos)*

وكان هجوم النورمان الأول قد نبه المسلمين إلى ضرورة تحصين إشبيلية، فبني الأمير عبد الرحمن حولها سوراً محكماً[(١)].

وتأثرت إشبيلية بالمنازعات التي قامت بين القوى السياسية المختلفة في الأندلس، وساعد على اشتعال الفتنة في إشبيلية تعدد الأعراق التي ينتمي إليها سكانها، فقد كانوا عرباً وبربر ومولدين. وكان من بين القبائل العربية التي نزلت بإشبيلية بنو خلدون الذين ينتسبون إلى عرب حضرموت، وبنو حجاج الذين ينتسبون إلى لخم[(٢)].

وقد ظهر أمر بني حجاج في إشبيلية في عهد الأمير الأموي عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، إذ انفرد بها ابراهيم بن الحجاج، واجتبى الأموال، واصطنع الرجال، وارتقى في الأحوال[(٣)]. وأنشأ فيها دولة شبه مستقلة سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م عاشت نحو ستين عاماً، كانت إشبيلية خلالها تنافس قرطبة سياسياً وثقافياً[(٤)].

ولما توفي ابراهيم بن الحجاج سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م خلفه ابنه عبد الرحمن فاستأثر بحكم إشبيلية حتى وفاته سنة ٣٠١هـ/٩١٣م[(٥)].

واستولى أول خلفاء بني أمية في الاندلس عبد الرحمن الناصر على إشبيلية سنة ٣٠١هـ/٩١٣م دون إراقة دماء[(٦)]. وقد استقرت أحوال الاندلس أيام الأمويين بما فيها

---

(١) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١١٢؛ وانظر أيضاً: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٢٠.
(٢) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١١٢؛ والحاشية (٥)؛ وانظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٤/٤.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٢٦/٢.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٢٥/٢-١٣١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٤/٤.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٢٩/٢.
(٦) المصدر نفسه: ١٣٠/٢.

إشبيلية، ولما ضعفت دولتهم وخارت انتزى بإشبيلية بنو عباد الذين يرجع نسبهم إلى قبيلة عربية من لخم[1].

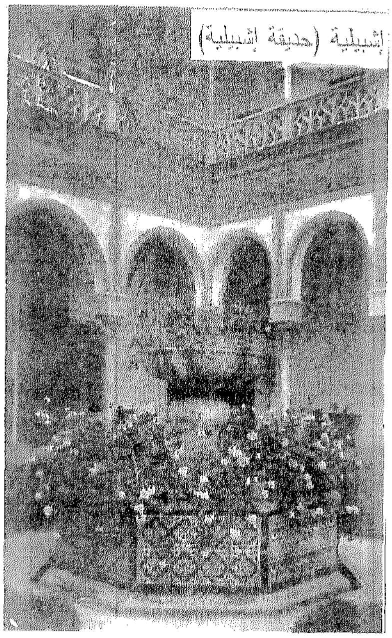
ويعد بنو عباد أشهر ملوك الطوائف الذين حكموا الاندلس بعد انهيار الدولة الأموية. وقد ذاع صيت أحدهم فملأ ذكره المغرب والمشرق وهو المعتمد ابن عباد[2] والذي ضم قرطبة إلى مملكة إشبيلية، ووسع رقعة مملكته، وقواها حتى أصبحت أعظم دول الطوائف. وقد "استفحل ملكه بغرب الأندلس، وعلت يده على من كان هنالك من ملوك الطوائف مثل: ابن باديس بن حبوس بغرناطة، وابن الأفطس ببطليوس، وابن صمادح بالمرية، وغيرهم"[3] وخاصة عندما أخذ النصارى بقيادة الفونسو السادس يهدد ممالكهم، ويعتدون عليها[4].

وكان المعتمد بن عباد أول من أدرك المخاطر المحدقة بالأندلس على يد النصارى، وكان الذي نبهه إلى هذه المخاطر سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس، ملك قشتالة في محرم من سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م. وهو الأمر الذي دعاه ـ بالاتفاق مع ملوك الطوائف الآخرين ـ إلى استدعاء المرابطين بعد ثلاثة أشهر من سقوط طليطلة. فقد تعلقت آمال هؤلاء الملوك، وآمال المسلمين في الاندلس بيوسف بن تاشفين، أمير المرابطين ليعينهم ضد ألفونسو السادس الذي أثقل كاهلهم، وأحدق خطره ببلادهم[5]. وقد لبى ابن تاشفين النداء، وجاز إلى الاندلس، وأوقع هزيمة ساحقة بألفونسو السادس في معركة الزلاقة في ١٢ رجب ٤٧٩هـ/٣ تشرين الأول ١٠٨٦م[6].

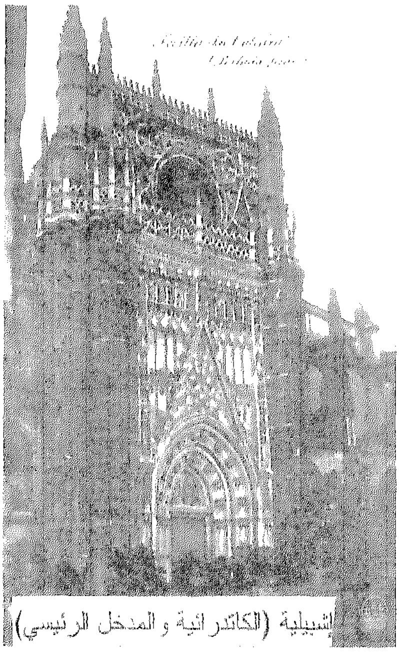
[1] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٠١-٢٠٤.
[2] المقري، نفح الطيب: ١/٤٣٨.
[3] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٠٣.
[4] الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٩٠.
[5] المرجع نفسه: ٣٩٥؛ وانظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٠٣.
[6] المقري، نفح الطيب: ١/٤٣٩.



Sevilla. Puerta del Aceite. (Cliché E. Ramos)



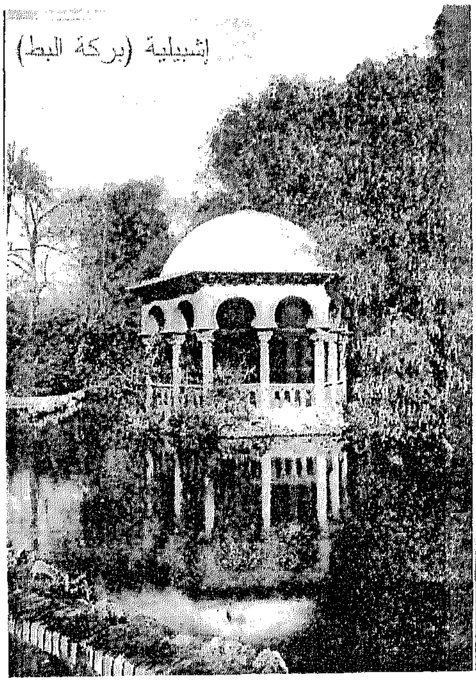
Sevilla. - Un patio sevillano (Foto Grafos)



Sevilla. La Catedral (portada principal) (Cliché E. Ramos)

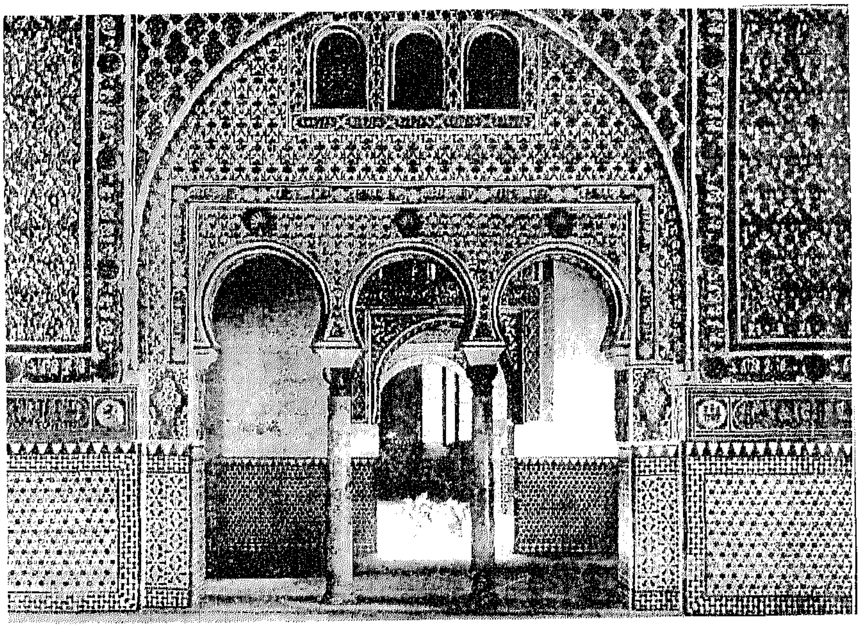


Sevilla. - Catedral y Plaza del Triunfo (Cliché E. Ramos)



إشبيلية (بركة البط)

Sevilla.—Estanque de los Patos



Sevilla.—Alcázar إشبيلية (واجهة القصر) *(Foto Grafos)*

وخلع المرابطون ملوك الطوائف، ووحدوا الاندلس، وضموها إلى دولتهم. وقد نقل يوسف بن تاشفين ملك اشبيلية المعتمد بن عباد إلى أغمات قرب مراكش سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، واعتقله فيها إلى أن مات سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م[١].

وعندما ضعف أمر المرابطين من الأندلس، وعادت إلى سيرتها الأولى من التفكك والانحلال توجهت وفود منها بطلب النجدة من الموحدين الذين ورثوا الدولة المرابطية. وكان ممن وفد على عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين القاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي، سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م، فعبر عبد المؤمن إليها، ونظم أمورها، وملأ أقطارها خيلا ورجالاً[٢]. وقد توفي عبد المؤمن سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م فخلفه ابنه أبو يعقوب يوسف الذي جاز إلى الاندلس وتابع الجهاد ضد النصارى متخذاً من إشبيلية قاعدة له، وقد أقام فيها أربع سنوات متواصلة. ولما توفي خلفه ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور الذي أوقع بالنصارى هزيمة كبيرة في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م[٣]. ولما توفي المنصور خلفه ابنه أبو عبد الله الناصر، وقد عبر إلى الأندلس سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، وواجه النصارى في معركة العقاب التي انتصر فيها النصارى على المسلمين وهزموهم[٤]. وعلى أثر هذه المعركة ضعف الموحدون، وما لبثت دولتهم أن انهارت[٥]

ودخلت إشبيلية بعد ضعف الموحدين تحت طاعة بني هود، فقد استقل بها ــ إضافة إلى عدد من المدن الاندلسية ـ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامي الذي لُقّب. أمير المسلمين سيف الدولة والمتوكل على الله. وقد ملك اشبيلية سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م،

---

(١) المقري، نفح الطيب. ٤٣٩/١.

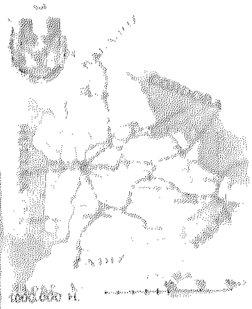
(٢) المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ١٠٣.

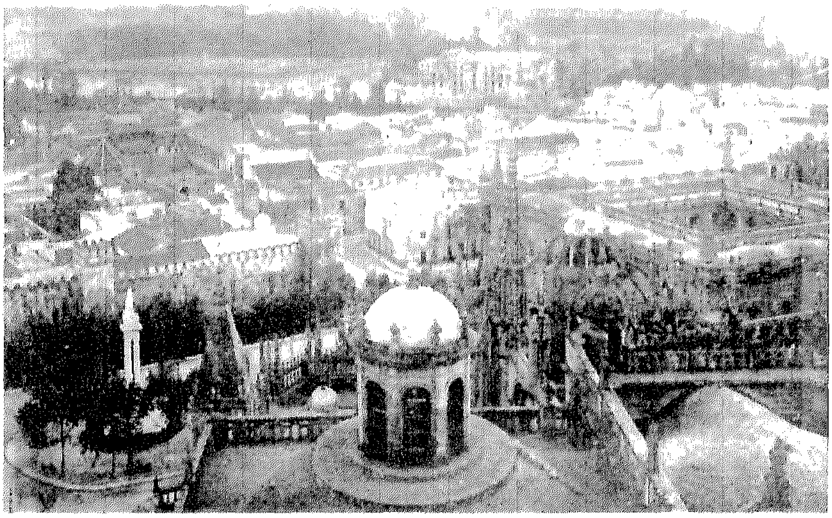
(٣) المقري، نفح الطيب: ٣٨٢/٤.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٣٨٣/٤.

(٥) المصدر نفسه: ٣٨٣/٤-٣٨٤.

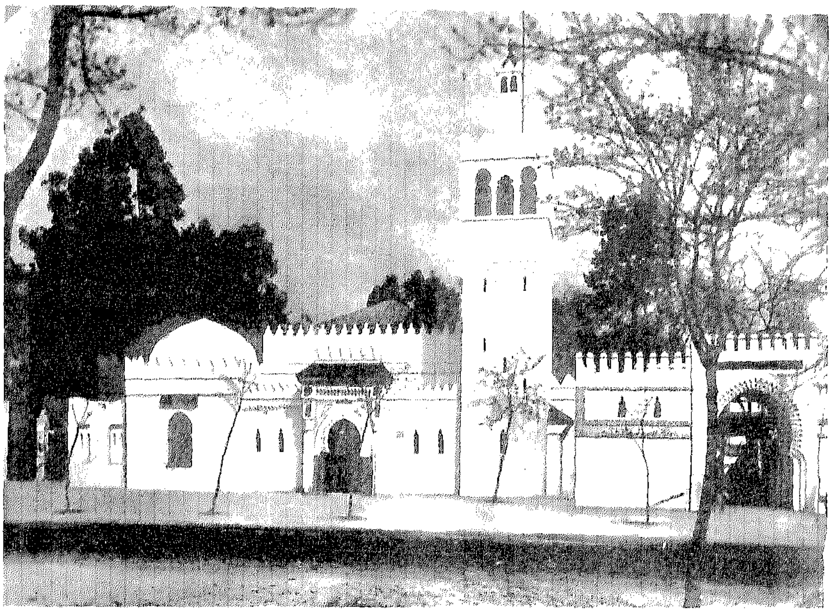






Sevilla. Vista parcial (al fondo la puerta la Palma y de Tabac...

اشبيلية (منظر جزئي)



Sevilla – Exposición: Pabellón de Marruecos *(Cliché E. Ramos)*

إشبيلية

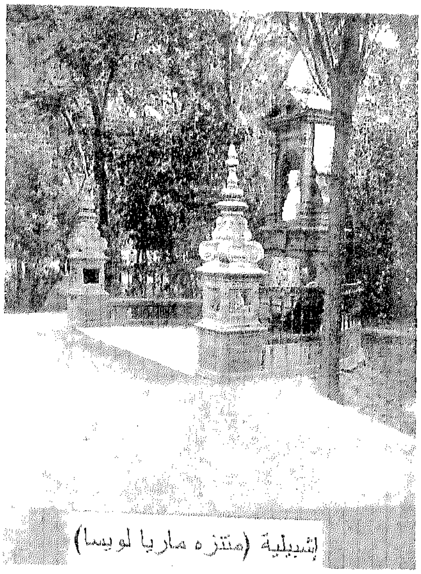
واعتقل من كان بها من الموحدين[١] وكان ابن هود قليل الخبرة، تغلب على تحركه الخفة والاستعجال، وقد هزم امام النصارى في عدد من المعارك. وفي عهده دخل ابن الأحمر، صاحب غرناطة، إشبيلية، ولكن اهلها ثاروا عليه بعد شهر من دخولها، وعادوا إلى طاعة ابن هود[٢].

وفي تلك الفترة العصيبة من عهد المسلمين في الاندلس كان فرديناند الثالث، ملك قشتالة وليون، يتأهب للاستيلاء على إشبيلية. وقد تمكن في أواسط سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م من السيطرة على جميع الحصون الواقعة حولها تم بدأ النصارى بحصار المدينة نفسها في ربيع الثاني سنة ٦٤٥هـ/آب ١٢٤٧م. وحشد حولها فرديناند الثالث قوات كبيرة. وبعد حوالي ثمانية عشر شهرا سقطت في يده، فقد دخلها في ٢٧ رمضان ٦٤٦هـ/٢٣ تشرين الثاني ١٢٤٨م[٣]. وقد تم تحويل المسجد الجامع الإشبيلي الكبير الذي بني في عهد الموحدين إلى كنيسة سانتا ماريا، تم تهدم المسجد بفعل زلزال وبنيت مكانه كاتدرائية سنة ١٤٨٢م[٤].

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٦/٣٩٢-٣٩٣.
(٢) المصدر نفسه: ٦/٣٩٣.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ٢٢. ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، نهاية الاندلس: ٣٧-٣٨.
(٤) سالم، سيد عبد العزيز، المساجد والقصور في الأندلس: ٣٥-٤٥.

للاستزادة عن اشبيلية انظر المراجع التالية:

1- Angulo, Diego La Pintura de Granada Y Sevilla hacia 1500 (Archivo Espanol de Arte Y Arqueologia, num 1
2- Antura, P Melchor Sevilla Y sus monumentos árabes (Escorial, 1930)
3- Ballestoros, Antonio, Sevilla en el siglo XIII, Sevilla, 1913
4- Carande, Remon, Sevilla, fortaleza Y mercado (Anuario de Historia del Derecho Español II Madrid, 1925
5 Caro, Rodrigo, Antiguedades Y Principado de La ilvstrissima civdad de Sevilla (Sevivilla, 1634)
6- Gestorso, Y Perez, Jose, Sevilla monumental Y artistica (Sevilla 1889)
- Curiosidades antiguas Sevillanas Sevilla 1910
7- Contreras, Rafael, Estudio descriptivo de Los monumentos arabes de Granada, Sevilla Y Córdoba (Madrid 1878)
8- Collantes de Teran, Francisco, Los castillos del reino de Sevilla (Archivo Hispalense, XVIII, 1953
9- Gomes Zarzuela, Manual, Guia de Sevilla Su provincia, etc , Y Agenda de bufete para 1872 (Sevilla 1872)
10 Gomes Zarzuela Manuel, Guia de Sevilla Su provincia, etc Para, 1868, año IV, Sevilla 1868
11- Gonzalez, Julio Repartimleno de Sevilla, (Madrid 1951)
12- Hernandez Diaz, Jose, Sancho Corbacho, Antonio Y Collantes de Teran, Francisco, Catalogo Arqueologica Y Antistico de La Provincia de Sevilla (sevilla 1934 Y 1951)
13- Carriazo, Juan de Mota, Una Zanja en el suelo de Sevilla (Diario "ABC" Sevilla de 16 de Septiembre de 1960
14 Levi Provencal, E , Y Garcia Gomez E. Sevilla a comienzos del siglo XII El Tradato de Ibn 'Abdun (Madrid 1948)
- L'inscription almohade de silves (Melanges d etudes portugaises offerts a Mr Georges le Gentil, 1949
15- Mallara, Juan de, Recibimiento que hizo la muy noble Y muy Leal Ciudad de Sevilla a La C R M de Rey D Phulipe, N S (Sevilla 1570)
16 Montoto, Santiago, Sevilla en el Imperio (Sevilla S)



Sevilla.—Parque de María Luisa: Glorieta



Sevilla.—Casa de Pilatos: La reja bonita (siglo XVI).—*(Foto Grafos)*

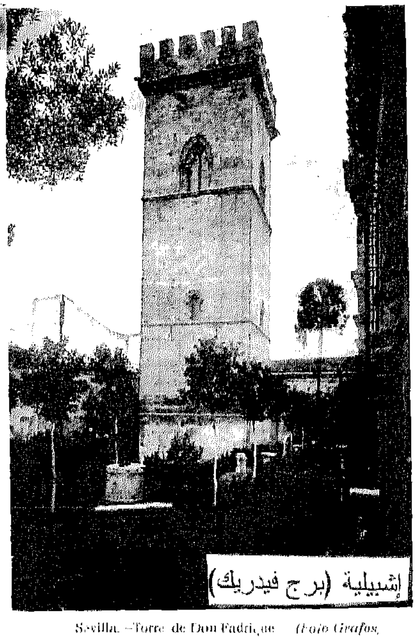


Sevilla.—Vista general del Alcázar (al fondo la Exposición) *(Cliché E. Ramos)*

إشبيلية (تمثال السيد)



Sevilla.—Exposición: Estatua del Cid.—*(Cliché E. Ramos)*



إشبيلية (برج فيدريك)

Sevilla.—Torre de Don Fadrique *(Foto Grafos.*

أُشْتُون Astún:

حصن، يلفظ اسمه بالضم ثم السكون، وتاء مثناة مضمومة، والواو ساكنة، ونون. وهــو من أعمال كورة جيان[1] .

[1] ياقوت، معجم البلدان: ١٩٦/١.

أشتيبان (أشتبين) San Esteban:

حصن "تحت أصل جبل ممتنع لا يدركه لمقاتل طمع"[١]، يقع على الحدود بين جلّيقية وأراضي المسلمين، كان النصارى يتخذونه قاعدة يغيرون منها على مواقع المسلمين، ثم أصبحت هذه القاعدة مدينة من أشهر مدن جليقية بعد أن أنشأ ملوك النصارى على الجبل حصونا أخرى كثيرة[٢].

وقعت عند حصن أشتبين معركة بين النصارى بقيادة ملك ليون أردون الثاني Ordoño II وبين المسلمين سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م، وقد انتصر الملك النصراني في هذه المعركة، وتمكن من أسر أحد قادة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر، ثم قتله وعلّق رأسه على جدار في الحصن[٣]، وأثار ذلك عبد الرحمن الناصر، فوطن نفسه على الثأر لمقتل قائده، إذ توجه على رأس جيش كبير سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م لمحاربة عمر بن حفصون، ومن ثم تقدم إلى حصن أشتبين، وتمكن من فتحه، وتخريب عدد من الحصون القريبة منه، وذلك في سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م[٤]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الحميري يحدد تاريخاً آخر لهذا الفتح، فقد ذكر أن الحصن "حوصر مدة سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، وبعد لأي ما افتتح، وذلك في عقب سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة"[٥].

(١) الحميري، الروض المعطار: ٦٠.
(٢) المصدر نفسه: ٦٠.
(٣) الحجي، أندلسيات (المجموعة الثانية): ٤٩.
(٤) ابن حيان، المقتبس: ٥/٦١، ٦٨، ٢٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٧٧.
(٥) الحميري، الروض المعطار: ٦٠.

وقد أوقع الخليفة الأموي الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) الهزيمة بملوك نبّرة وبرشلونة وليون عند حصن أشتبين سنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م، حيث توجه إلى قشتالة غازياً، فالتقى بملوك النصارى عند الحصن[1] .

وفي سنة ٣٧٩هـ/٩٨٩م خرج المنصور محمد بن أبي عامر لغزو قشتالة، فتوجه أولاً إلى مدينة شنت اشتبين، والتقى مع النصارى هناك، وفي أثناء القتال فرّ ابنه عبد الله من العسكر ولحق بأمير قشتالة غرسية بن فرنانديث، فأجاره ضد أبيه، فحمل المنصور على غرسية، وهزمه، واشتق بلد ألبة Alaba، وافتتح حصن وخشمة Osma عنوة، وأسكنه المسلمين. وأرغم المنصور أمير قشتالة على تسليم ابنه عبد الله، ومن ثم قتله. وقد استغل المنصور ما وقع من خلاف بين ملك قشتالة غرسية وابنه، فأعلن تأييده لابن غرسية، وقاد جيوشه نحو قشتالة، وفتح شنت اشتبين[2] .

(١) الحجي، أندلسيات: ٨٧.

(٢) الصوفي، تاريخ العرب في الأندلس: ١٠٠، ١٣٠، ١٣٣.

اشتريس Asturias:

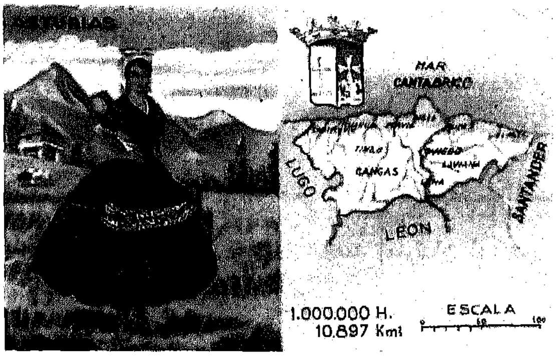
اشتريس حوز يشكل القسم الثاني من بلاد جليقية (Galicia)[١]. ووردت بالشين (اشتريش) في كتاب (نصوص عن الأندلس)[٢].

واشتريس منطقة في أقصى الشمال الغربي لشبه الجزيرة الإيبيرية[٣]، ومنتهاها في جليقية[٤]. وقد التجأت إلى هذه المنطقة شراذم من القوط بعد فتح المسلمين للأندلس، وامتنعت هناك في مفاوز الجبال حيث أُنشئت فيما بعد إمارتان نصرانيتان صغيرتان في كانتبريا وجليقية، وكانت جليقية تقع في أعماق جبال اشتريس الوعرة[٥]. ويدعى مؤسس الكيان النصراني في جليقية: بلاي الذي انضمت إليه طائفة من المناوئين، فحمى المنطقة، ودافع عنها، وحال دون دخول المسلمين إليها، فاتفق قومه على تنصيبه ملكاً عليهم سنة ٩٩هـ/٧٥٧م، وقد حكم ثلاث عشرة سنة[٦].

ويعتبر الفونسو الثالث الملقب بالكبير Magno (٨٨٦ـ٩١٠) من أشهر مؤسسي تلك المملكة النصرانية، وقد تولى الحكم بعد أخيه Ordoño I، ثم تنازل عن العرش لأبنائه الثلاثة سنة ٩١٠م، وهم: غرسية Garcia وكان نصيبه ليون، و Ordoño وكان نصيبه جليقية، وفرويلا وكان نصيبه اشتريس[٧].

---

(١) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٧٢.
(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٥٧.
(٣) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٧٢.
(٤) مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين: ٦٤.
(٥) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٧١ـ٧٣.
(٦) ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ٣٢٢؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٢٨؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٣٥٠.
(٧) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٥٧.



أَشكَابُس Ascabus:

حصن، ذكره ياقوت، وقال "بالفتح، وفتح الكاف، وبعد الألف باء موحـدة مضمومـة، وسين مهملة"، وهو من أعمال شنتمرية[1] .

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٩٩.

أشْكَر Huescar:

بلدة صغيرة حصينة تقع شمال مدينة بسطة، وتعد من حصونها[1]، كانت تتبع ولاية غرناطة[2]، وهي إلى الشمال الشرقي من مدينة غرناطة[3].

وصف ابن الخطيب بلدة أشكر بقوله: "نعم البسيط المديد، والرزق الجديد، والتقى العديد، والصيد والقديد. تركب الجداول فحصها، ويأبى الكمال نقصها، ويلازم ظل الخصب شخصها، مسرح البهائم، ومعدن الرعي الدائم. إلا أن معقلها لا يمنع، ومكانها يحوم عليه الحادث الأشنع..."[4].

ومن المرجح أن بلدة أشكر ظلت في أيدي المسلمين حتى تنازل عنها محمد بن يوسف بن الأحمر، مؤسس مملكة غرناطة لملك قشتالة ألفونسو العاشر سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م، وذلك بموجب معاهدة وقعت بينهما قضت بتنازل ابن الأحمر عن نحو مائة مدينة وحصن وقرية[5]. وأصبحت أشكر منذ ذلك التاريخ شجى يتعرض في حلق مدينة بسطة، حسب تعبير ابن الخطيب[6]، ولذلك كان المسلمون يهاجمونها كلما سنحت الفرصة، ففي رجب من سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م نازلها ملك غرناطة أبو الوليد اسماعيل بن فرج (٧١٣-٧٢٥هـ/١٣١٤-١٣٢٥م)، وضرب حولها الحصار، وقذفها بكرات من الحديد حتى استسلمت[7].

(١) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٣٩٠، ج ٥.
(٢) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٠، ج ١٦٤.
(٣) ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا: ١/٢١٩، ج٦.
(٤) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٠.
(٥) عنان، نهاية الاندلس: ٤١-٤٢؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر: ٢٩.
(٦) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٣٩٠؛ واللمحة البدرية: ٨٥.
(٧) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٣٩٠؛ اللمحة البدرية: ٨٥.

وفي سنة ٨٣٥هـ/١٤٣٢م ألحق القائدان المسلمان أبو اسحاق ابراهيم بن عبد البر وأبو القاسم محمد بن السراج هزائم متلاحقة بالقوات القشتالية في عدد من المواقع بينها بلدة أشكر[١].

وتعرضت بلدة أشكر في سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م لغزو الجراد الكثيف، وأخذ أهل بسطة، وأهل أشكر "في دفع هذا الحيوان بأقصى العزم، شمروا في قتله ودفع أذاه عن ساعد الجد، فخدوا له أخاديد اضطروه إلى الهُوي فيها، ودكدكوا عليه بالأرجل، وألجؤوه إلى الأنهار المقمعة بالماء، ثم يستخرجون ما احتمله تيارها بغرابل الزرع، فيطرحونها في تلك الأخاديد"[٢]. وقد فتح أهل أشكر أربعاً وعشرين ساقية لحجز الجراد وقتله[٣].

وتمكن المسلمون من الحفاظ على أشكر إلى أن ضعفت مقاومتهم بعد سقوط مالقة في جمادى الآخرة سنة ٨٩٢هـ/حزيران ١٤٨٧م[٤]. ففي ربيع سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٨م هاجمها ملك قشتالة فرناندو الخامس واحتلها، وذلك بعد أن طلب أهلها الأمان. ويورد عنان نص العهد الذي أصدره فرناندو لأهل أشكر[٥] "وفيه يتعهد الملكان (فرناندو وإيزابيلا) بقبول أهل أشكر بين رعاياهما وتحت حمايتهما، وأن لا يؤخذ شيء من أمتعتهم أو يصيبهم أي مكروه، وألا يدفعوا من الضرائب إلا ما كانوا يؤدونه لملوكهم المسلمين، وألا يرغموا على محاربة إخوانهم مسلمي غرناطة، وأن يسمح لهم باستبقاء زعمائهم وفقهائهم، وعوائدهم وشريعتهم، وأن يحق لهم الإقامة في أي جزء من أراضي مملكة قشتالة. كما يحق لهم العبور إلى المغرب أحراراً ودون أي قيد، وأن يعامل السكان جميعاً ذكوراً وإناثاً بالرفق والكرامة، وألا يغصبهم أحد في

---

(١) ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا: ١/١٨ مقدمة المحقق.
(٢) المصدر نفسه: ١/٢١٨-٢١٩.
(٣) المصدر نفسه: ١/٢٢٠.
(٤) المقري، نفح الطيب: ٤/٥٢٠؛ مجهول، نبذة العصر: ٢٤-٢٥؛ عنان، نهاية الاندلس: ٢٠٢.
(٥) انظر: عنان، نهاية الاندلس: ٢٠٩.

دورهم، أو يسيء إليهم، أو يتلف شيئاً من أمتعتهم أو محاصيلهم، وألا يعاشر نصراني مسلمة أو مسلم نصرانية، ومن فعل ذلك يعاقب بالموت وتصادر أملاكه...".

وغني عن القول أن هذا العهد وغيره من العهود التي أعطاها النصارى للمسلمين كانت زبدا، إذ سرعان ما كانوا ينكثون عهودهم، ويعاملون المسلمين معاملة بالغة السوء تتمثل في القتل والاضطهاد والتعذيب والطرد.

إشكرْب Ascrob:

مدينة، يلفظ اسمهـا بالكسر، وراء ساكنة، وبـاء موحـدة، تقع في شـرقي الأندلـس، وينسب إليها أبو العباس يوسف بن محمد بن فارو الإشكربي الذي ولد فيها، ونشأ بجيان، ثم سافر إلى خراسان، وأقام ببلخ إلى أن مات بها في سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م[١] .

أَشكوني Ascuni:

موضع، ذكره الحميري، وقال "من كور تُدمير معروف، ومن أراد أن يتخذ فيـه جنانـاً صرف إلى الموضع العنايـة... فتنبـت الأرض هنـاك بطبعهـا شـجر التفـاح والكمـثرى والتـين والرمان وضروب الفواكه ـ حاشا شجر التوت ـ من غير غراسة ولا اعتمال"[٢] .

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٩٩.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٦٠؛ صفة جزيرة الأندلس: ١٢٢؛ العذري، نصوص عن الأندلس: ١٣٧.

أُشُونَــة: Osuna، Urso

حصن، ضبط الحميري وابن سعيد وياقوت اسمه بضم الهمزة[1]. وضبطه البكـري وابنُ حزم بفتحها[2]. وأصل الكلمة من الاسم اللاتيني Urso.

يقع حصن أشونة في نواحي إستجة[3]، وهـو بـين إشبيلية وغرناطـة[4]، وقـد اعتـبره البكري من الجزء الخامس الذي قاعدته مدينة إشبيلية[5]. ويبعد عن استجة نصـف يـوم[6]. ونقل ياقوت عن السلفي أنه "حصن من نظر قرطبة"[7].

"حصن أشونة ممدن، كثير الساكن"[8]. وقد كان بعد الفتح مـن منـازل الـبربر، حيـث سكنه بنو طريف من قبيلة مصمودة، وبنو عبد الوهاب من صنهاجة، ومن هـؤلاء ميمـون بـن أبي جميل ابن أخت طارق بن زياد فاتح الاندلس[9].

وقد بايع أهل أشونة في أوائل عهد ملوك الطوائف أبـا عبـد الله محمـد بـن عبـد الله البرزالي، فقد ذكر ابن عذاري أنه "بويع بقرمونـة سـنة أربـع وأربعمائـة (١٠١٣م) فضبطهـا وجمع رجالها، ورتب جندها، وواسى رعيتها، ونشأ العدل فيهـا، فسـارت إليـه النفـوس، وعمرت قرمونة وجهاتها، وحاشى البرابر حوزتها من أجله. وكان فارساً بطلاً شجاعاً مهيباً

(١) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٢٢؛ ابن سعيد، المغرب: ٣١٧/١؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٠٢/١؛ وانظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب: ٣١١/٣.
(٢) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٦٤؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٥٠٠.
(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٢٠٢/١.
(٤) ابن سعيد، المغرب: ٣٣/١.
(٥) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٦٤.
(٦) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٢٣.
(٧) ياقوت، معجم البلدان: ٢٠٢/١.
(٨) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٢٣.
(٩) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٥٠٠، ٥٠٢؛ وانظر: مؤنس، فجر الاندلس: ٣٨٩.

مع بسط اليد في كل الأحايين على كل الأصناف. فلما أنس الناس خيره، وأمنوا من شره ألقوا أزمتهم بيده، فبايعته أستجة وأُشونة والمدوّر وغيرها من البلاد، فأمنت بأمنه، وكثر خيرها بيمنه، ولم يزل على أحسن أحوالٍ بها إلى أن مات سنة أربع وثلاثين وأربعمائة (١٠٤٢م)[١].

الأصْنَام Al-Asnam:

إقليم من أعمال شذونة، فيه حصن يعرف بطُبيْل، وفي أسفل هذا الحصن عين غزيرة الماء عذبة، "اجتلب الأوائل منها الماء إلى جزيرة قادس في خرز الصخر المجوف أنثى وذكر، وشقوا به الجبال، فإذا صاروا إلى موضع المنخفضة والسباخ بُنيت له فيه قناطر على حنايا، كذلك حتى وصلوا البحر، ثم دخلوا به في البحر الملح ستة أميال في خرز من الحجارة حتى أخرج إلى جزيرة قادس"[٢].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣١١-٣١٢.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ١/٢١٢.

إفْرَاغَــةُ: Brácara ،Fraga

مدينة، وموقعة. يلفظ اسمها بكسر الهمزة، والغين معجمة[1]. وتعتبر من معـاقل الثغـر الأعلى[2]، فهي من أعمال لاردة[3]، ولا تبعد عنها إلى الجنوب الغربـي سـوى ثمانيـة عشـر ميلاً[4].

ومدينة إفراغة هي نفسها مدينة براغـة Braga، وهـي مدينـة قديمـة كـانت معروفـة في العهد الروماني، وكان اسمهـا: (Brácara)[5]. وقـد خربهـا ملـك الونـدال Vándalos المسـمى: خندريكو سنة ٤١٩م بعد أن احتلها[6]. ثم خضعت لمملكة السويف (Suevos)[7]، وقد نشـبت بين ملوكها والملك القوطي تيودوريك حروب انتهت بانتصاره، وخضعت لـه كثـير مـن مـدن اسبانيا بينها براغة التي نشر قادته فيها وفي غيرهـا مـن المدن والخـراب والدمـار[8]. وكـان احتلاله لبراغة سـنة ٤٥٧م[9]. ويبـدو أن براغـة عُمـرت بعـد ذلـك، حيـث وضعـت فيهـا مجموعة قوانين وأنظمة سنة ٥٦١م[10].

يصف الحميري إفراغة بأنها "حسنة البناء، لها حصن منيـع لا يـرام"[11]. وقـد ذكـر أنها تقع على نهر سماه "نهر الزيتون"[12]. وهو رافد من روافد نهر ايبرو (Ebro)، ويبدو أنه

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ٢٢٧/١.

(2) ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠٨/١، ح٣.

(3) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٢٤؛ المقري، نفح الطيب: ٣٥١/٤. وقد اختلط الأمر على ياقوت فجعلها من أعمال ماردة. انظر: معجم البلدان: ٢٢٧/١.

(4) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٢٤.

(5) حتاملة، أيبيريا: ١٧٧.

(6) المرجع نفسه: ١٩٦.

(7) السويف: مجموعة من الشعوب الجرمانية اتمكنوا بعد حروب طويلة مع الفرنجة من عبور نهر الراين سنة ٤٠٦م من عبور نهر الراين إلى غالة، ثم دخلوا إلى اسبانيا سنة ٤٠٩م. انظر: حتاملة، أيبيريا: ١٩٨.

(8) حتاملة، أيبيريا: ٢٠٠-٢٠١.

(9) المرجع نفسه: ٢١٣.

(10) المرجع نفسه: ٢٦٥.

(11) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٢٤.

(12) المصدر نفسه: ٢٤.

سماه كذلك لأن زيتون إفراغة يكثر حوله، إذ أشار إلى كثرته أيضاً ياقوت[(١)]. وهذا النهر، أي الرافد، يصفه المقري بأنه عظيم[(٢)]، وكانت أراضي إفراغة ترتوي منه، مما جعلها ذات "بساتين كثيرة لا نظير لها"[(٣)].

فتح إفراغة ـ على الأرجح ـ موسى بن نصير سنة ٩٥هـ/٧١٣م بعد التقائه بطارق بن زياد، وربما جاء فتحها بعد سرقسطة[(٤)].

وسكن إفراغة وما حولها من مناطق إلى الشمال العرب والبربر[(٥)]، وبسبب استبداد العرب بالحكم ـ كما يرى مؤنس ـ ثار البربر عليهم[(٦)]، ونشبت بين الطرفين معارك طاحنة في ولاية عبد الملك بن قطن الفهري الثانية (١٢٣-١٢٤هـ/٧٤١-٧٤٢م)، واستمرت الحروب بينهما، وصاحبتها مجاعة أتت على الأخضر واليابس، وخاصة خلال الفترة ١٣٤-١٣٦هـ/ ٧٥١-٧٥٣م[(٧)]، فانجفل الناس إلى الجنوب، وأصبحت المنطقة شبه خالية. وقد شجع ذلك النصارى على مهاجمة تلك المنطقة بقيادة ملك ليون: الفونسو الأول الملقب بالكاثوليكي (١٢١-١٤٠هـ/٧٣٩-٧٥٧م)، ويبدو أنه عاث فيها تخريباً وتدميراً، بل تدعي المصادر النصرانية أنه استرجع عدداً من المدن من بينها إفراغه، إلا أن ذلك ليس صحيحاً كما سيأتي[(٨)]. إذ يذكر المقري أن ثغر المسلمين في سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م "من شرق الأندلس

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٢٤؛ وياقوت، معجم البلدان: ٢٢٧/١.
(٢) المقري، نفح الطيب: ٣٥١/٤.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٢٤.
(٤) انظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ١٦/٢؛ المقري، نفح الطيب: ٢٧٠/١-٢٧١؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٨-١٩؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٤٧؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٠١، ١٠٤.
(٥) مجهول، أخبار مجموعة: ٣٨.
(٦) مؤنس، فجر الأندلس: ١٩٦.
(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٨/٢؛ مجهول، اخبار مجموعة: ٣٨-٣٩.
(٨) مؤنس، فجر الأندلس: ٢٠٦، ٢٤٩-٢٥٠.

طرطوشة، وعلى سائر بحر الروم مما يلي طرطوشة آخذاً في الشمال إفراغة على نهر عظيم ثم لاردة"[١].

وأصبحت إفراغة في عهد ملوك الطوائف إحدى مدن مملكة سرقسطة لأصحابها بني هود، وظلت في أيديهم إلى أن استولى عليها المرابطون سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م[٢]، وفي عهدهم حدثت موقعة إفراغة بين القائد المرابطي يحيى بن علي بن غانية، وملك أرغون ألفونسو الأول (المحارب) (٤٨٧-٥٢٨هـ/١٠٩٤-١١٣٤م)[٣].

جرت موقعة إفراغة سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م، ففي تلك السنة حشد ملك أرغون قوات كبيرة اشترك فيها عدد كبير من الفرسان الفرنسيين، وكان من بين أهدافه احتلال إفراغة[٤]. فنهض للدفاع عنها يحيى بن غانية عامل بلنسية ومرسية[٥]، فعندما وصلته الأنباء بما عزم عليه ألفونسو سعى إلى "حماية الزرع بالثغر، وبث الطلائع أثناء ذلك، فانتهى إليه تقدم عسكر العدو يروم الضرب على بلاد الاسلام، فأخذ في أثرهم"[٦].

تقدم ألفونسو المحارب إلى إفراغة وحاصرها في جمعه الكثيف، ودلل على تصميمه أنه لن يبرحها حتى يأخذها عنوة[٧]. واشتد بأهلها الحصار فضعفوا، وكادت القوات النصرانية أن تقتحمها رغم بسالة حاميتها بقيادة سعد بن محمد بن مردنيش في الدفاع عنها[٨]. فقد

(١) المقري، نفح الطيب: ٣٥١/٤.
(٢) ابن عذاري، البيان المعرب: ٥٤/٤ وما بعدها؛ السامرائي، علاقات المرابطين: ٢٠٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٥٧؛ عنان، دول الطوائف: ٢٥٥.
(٣) ابن عذاري، البيان المعرب: ٩١/٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠٨/١، ح٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٢٤.
(٤) ابن عذاري، البيان المعرب: ٩٠/٤-٩١؛ السامرائي، علاقات المرابطين: ٢٦٢.
(٥) انظر ترجمة حياته: ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٤٣/٤ وما بعدها.
(٦) ابن عذاري، البيان المعرب: ٩١/٤.
(٧) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٢٤.
(٨) ابن عذاري، البيان المغرب: ٩٢/٤.

تكالبوا عليها، وضاعفوا من قواتهم حولها، وأقسم الفونسو ومعه عشرون من رجاله على فتحها أو الموت دون ذلك[1].

وصل يحيى بن غانية بقواته التي بلغت نحو عشرة آلاف فارس واشتبكت مع الجيش النصراني المكون من اثني عشر ألفاً من الفرسان تحت أسوار إفراغة "بعزمة صادقة ونية صحيحة"[2]. ووقع بين الجيشين قتال مروّع خرج في اثنائه أهل المدينة وهاجموا المعسكر النصراني من الخلف، فاشتد الأمر على النصارى، وكثر فيهم القتل، وهلك كثير من قادتهم، وألحق بهم المسلمون هزيمة ساحقة، وذلك في ٢٣ رمضان ٥٢٨هـ/١٧ تموز ١١٣٤م[3]. وبعد هزيمته في هذه المعركة بنحو ثمانية أيام مات ألفونسو المحارب غماً، وكان المسلمون بعد أن انجلت المعركة لصالحهم قد طاردوه، فأوى إلى حصن خرب في رأس جبل شاهق مع من بقي معه، فأحدق المسلمون به، لكنه تمكن من الهرب ليلاً، ولجأ إلى دير: فوان دي لابينا في سرقسطة حيث توفي في ٢٥ تموز ١١٣٤م[4].

وأصبح يحيى بن غانية بعد انتصاره على ألفونسو المحارب في هذه الموقعة من المشاهير، فقد "طار ذكره، وعظم صيته، واشتهر سعده"[5]. وبعد أن انصرف مع المسلمين من هذه الموقعة "مغتبطين بغنيمتهم وأجرهم"[6] مدحه الشعراء، ومنهم أبو جعفر بن وضاح المرسي الذي قال فيه مشيراً إلى انتصاره في إفراغه[7]:

---

(١) السامرائي، علاقات المرابطين: ٢٦٤.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٢٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٩١/٤؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٢٤-٢٥. ويذكر أن الحميري يجعل تاريخ هذه الموقعة سنة ٥٢٥هـ؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٢٤٤/٤، ج٢؛ وانظر: السامرائي، علاقات المرابطين: ٢٦٤.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٩١/٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٢٥؛ السامرائي، علاقات المرابطين: ٢٦٥.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٤٤/٤.

(٦) ابن الخطيب، صفة جزيرة الأندلس: ٢٥.

(٧) المصدر نفسه: ٢٥.

شمرّت برديك لما أسبل الواني وشبّ منك الأعادي نـــار غيّان

ولفت في غابة الخطيّ نحوهُمْ كالعين يهفو عليها وُطف أجفان

عقرتهم بسيوف الهند مصلتةً كأنما شربوا منهـــــا بغـــــدران

وتجدر الإشارة هنا إلى أن يحيى بن غانية توفي في شعبان من عـام ٥٤٣هـ/١١٤٨م[١]، وهو العام الذي سقطت فيه إفراغة بيد النصارى، حيث يذكر ياقوت في حديثه عن إفراغـة: "تملكها الافرنج في سنة ٥٤٣ في أيام علي بن يوسف بن تاشفين الملثم"[٢].

(١) ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٤٧/٤.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٢٢٧/١؛ وانظر: السامرائي، علاقات المرابطين: ٢٦٢.

أقش Lucus :

مدينة مبنية بالصخر المربع الكبير كانت قاعدة الجليقيين، تبعد عن ليوزذال ثلاثين ميلاً، وهي على نهر كبير يدخل منه المجوس (النورمان) بمراكبهم إلى المدينة[1]. وفي أقش حمّة غزيرة المياه، كان الناس يستحمون على جنباتها لشدة سخونتها[2]. وكانت هذه المدينة تنسب إلى غرسية بن لبّ. ويبدو من وصف الحميري لها أنها تقابل لُك Lugo البلدة الرئيسية في جليقية. وكانت في القديم تسمى Lucus Augusti. وربما قُرئت أقش باللام (لقش)[3].

أُقلوش Uclus :

موضع، يلفظ بضم الهمزة وآخره شين معجمة، وهو من عمل غرناطة، يُنسب إليه أحمد بن القاسم بن عيسى الأقلوشي أبو العباس المقري، رحل إلى المشرق، وحدث عن عبد الوهاب بن الحسن الكلابي الدمشقي، وروى عنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الخولاني، ووصفه بالصلاح[4].

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٨ والروض المعطار: ٥٢.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٢٨.

الحميري، الروض المعطار: ٥٢.

ياقوت، معجم البلدان: ١/٢٣٧.

أقْليش Uclés:

مدينة، وحصن، ومعركة، يلفظ اسمها بضم الهمزة، وسكون القاف، وكسر اللام، وياء ساكنة، وشين معجمة[١]. تقع على نهر ينبع من عين على رأس المدينة، فيعم جميعها، ومنه ماء حمامها[٢]. وهي من أعمال طليطلة بالقرب من حصن قونقة[٣].

ومدينة أقليش محدثة بناها ـ كما يذكر الحميري ـ الفتح بن موسى بن ذي النون، "وفيها كانت ثورته سنة ١٦٠هـ ـ ٧٧٥هـ/٧٧٦م، ثم اختار إقليش داراً وقراراً فبناها ومدّنها"[٤]. وبنى فيها مسجدا يعتبر من عجائب الاندلس، فكل جائزة من جوائزه مائة شبر وأحد عشر شبرا، وهي مربعة مستوية الأطراف[٥].

ويبدو أن جد بني ذي النون حصل على شرعية ولايته لأقليش في عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)، فقد خرج الأمير محمد في بعض غزواته لأرض شنت برية، وفي أثناء ذلك مرض أحد أكابر خصيانه، فتركه عند الظافر اسماعيل بن ذي النون الذي اعتنى به، وعالجه حتى شُفي. فكافأة الأمير محمد بأن عينه والياً على تلك الناحية، بما فيها أقليش[٦]. وظلت هذه المدينة تابعة لبني ذي النون[٧] طوال العهد

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢٣٧/١؛ وانظر: الحميري، الروض المعطار: ٥١؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ١٤٩.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٥٢.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٤ الحاشية ٢.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ٥١-٥٢؛ وانظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي: ١٧.
Levi Provencal, E La Péninsule iberique au Moyen-age d'apres kitab ar Rawd al Mi'tar, Leiden, 1938, pp 35, 36

(٥) الحميري، الروض المعطار: ٥٢؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ١٥٨/١، وقد ورد فيه أن الجائزة هي الدعامة من الخشب.

(٦) ابن سعيد، المغرب: ١١/٢؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، دول الطوائف: ٩٤ وما بعدها.

(٧) انظر عن بني ذي النون: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٦/٤-٢٠٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٧٦/٣ وما بعدها.

الأموي، وبعد انتهاء هذا العهد انتزى الذنونيون بطليطلة، وكانت أُقليش إحدى قواعدها الرئيسية[1].

وتعود شهرة أُقليش إلى المعركة الكبيرة التي دارت قربها بين ألفونسو السادس ملك قشتالة، والمرابطين. وقد بدأت إرهاصات هذه المعركة في أوائل سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م حيث كتب الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م) إلى أخيه تميم الذي كان والياً على غرناطة[2]، يأمره باستئناف الجهاد في الاندلس، فجهز جيشاً، واتجه إلى مدينة أقليش، وكان فيها جيش النصارى القشتالي الذي ما إن رأى عساكر المسلمين حتى تحصن في قصبة المدينة، ولما علم ملك قشتالة الفونسو السادس بالأمر أمد جيشه بفرقة من عشرة آلاف فارس بقيادة ابنه الوحيد، ولي عهده (شانجة)[3] (Sancho) الذي لم يكن عمره يتجاوز حينئذ إحدى عشرة سنة، وذلك برفقة قائده الكبير البرهانس، وبذلك أصبح للنصارى جيش كبير يفوق في عدده جيش المسلمين. ودارت بين الطرفين معركة كبيرة في ١٦ شوال ٥٠١هـ/٢٩ أيار ١١٠٨م هزمت فيها القوات القشتالية هزيمة ساحقة، وقتل فيها شانجة[4]. ولما علم الفونسو السادس بهذه الهزيمة، وبمقتل ولده الوحيد حزن حزناً شديداً "فأقام ثلاثة شهور، في غير عافية ولا سرور، ومات لعنه الله، فحمل على أعناق الرجال إلى قشتالة، فدفن مع أبائه..."[5].

وهكذا فقد مات الفونسو السادس تأثراً على ابنه، وكانت وفاته "في طليطلة في شهر ذي الحجة من عام اثنين وخمسماية، وكان ملكه نيفاً على خمسين سنة بأشهر"[6].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٧٦-٢٧٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٠٦-٢٠٧.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٤، الحاشية ١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٥٠.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٥٠؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٤.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٥.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٠.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن الفونسو السادس شانجة، كان في معركة أُقليش محاطاً بسبعة من القادة النصارى الكبار منهم ـ إضافة إلى البرهانس: الكونت غرسية أوردونيت، والكونت رامون دي بورجونيازوج بنت ألفونسو السادس: دونيا أوراكا، ولذلك سميت المعركة باسم : أقليش أو الأقماط السبعة[1].

[1] ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٥، الحاشية ١.

أَكْشُونُبَة Ocsonoba:

مدينة وكورة، ذكر ياقوت أنها تكتب بفتح الهمزة، وسكون الكاف، وضم الشين المعجمة، وسكون الواو، وكسر النون، وياء خفيفه[1]، وهو ينفرد بهذا اللفظ عن معظم المصادر الأخرى، حيث وردت فيها بضم الهمزة والنون، وبالباء الموحدة[2]. ووردت في بعضها دون واو: أكشنبة[3]. وقدم بعض المصادر الشين المعجمة على الكاف، وجعلها بالياء المثناة: أشكونبة[4]. والصحيح في اسمها: أُكْشونُبة (بضم الهمزة وبالواو والباء الموحدة)[5].

تقع مدينة أكشونبة وكورتها جنوب البرتغال، فالكورة تحتل الزاوية الجنوبية الغربية من شبه جزيرة الأندلس[6]. والمدينة إلى الغرب من قرطبة[7].

ومدينة أكشونبة برية بحرية كثيرة الخيرات، "قد يلقي بحرها على ساحلها العنبر الفائق الذي لا يقصر عن الهندي"[8]. وفي أراضيها جبل يعرف بجبل الجنة، كثيراً ما يتضوع منه ريح العود الذكي إذا أُرسلت فيه النار[9]. وفيها معدن القصدير "لا نظير له يشبه الفضة"[10].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٠/١؛ وانظر: ابن خلدون، تاريخ: ١٤٦/٤.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٦، ١١٤؛ المقري، نفح الطيب: ١٤١/١؛ ابن حيان، المقتبس: ١٠٥/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٥/٢.

(٣) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ١٢٥؛ العذري، نصوص عن الأندلس: ١٠٠؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٦٢.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٢٧.

(٥) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٧٥؛ المقري، نفح الطيب: ١٤١/١، ج٣؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٢٥، ١٢٧، ج٣؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٣، ١٢٥، ج٢.

(٦) انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٠/١؛ المقري، نفح الطيب: ١٤١/١، ج٣؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ١٢٥.

(٧) ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٠/١.

(٨) ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٠/١.

(٩) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ١٢٥؛ المقري، نفح الطيب: ١٤١/١.

(١٠) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ١٢٩؛ المقري، نفح الطيب: ١٤٣/١.

تم فتح أكشونبة على يد موسى بن نصير سنة ٩٣هـ/٧١٢م، فبعد جـوازه إلى الأندلـس عقد اجتماعا في الجزيرة الخضراء حضره أصحاب رايات العرب ووجوه الكتائب، وتداولوا في كيفية الفتح ووجهته، فأشاروا بالسير إلى إشبيلية، وفتح ما بقـي مـن غـرب الأندلس حتـى أكشونبة[١]. ويرجح مؤنس أنها فتحت بأمر من موسى على يد ابنه عبـد العزيـز[٢]. وكـانت أكشونبة ـ بعد الفتح ـ من منازل جند مصر[٣].

تعرضت أكشونبة لهجوم المجوس (النورمان) سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م أثناء عودتهم من غـزو إشبيلية[٤]، وذلك في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ـ٢٣٨هـ/٨٢٢ـ٨٥٢م)، ذلك أنه وجه لمحاربتهم خمسة عشر مركبـاً، فلمـا أحسّوا بهـا غـادروا إشـبيلية إلى لبلـة، وانتهوا إلى أكشونبة، ثم مضوا إلى باجة ومنها إلى لشبونة حيث انقطع خبرهم بعدها[٥].

وانضم صاحب أكشونبة في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ـ٣٠٠هـ/٨٨٨ـ٩١٢م) إلى الخارجين على طاعة بني أمية، فقد تحالف صاحبها، ويدعى ابن بكر مع عبد الملك بن أبي الجواد الذي اسـتقل بمدينـة باجـة، وابـن مـروان الجليقـي صـاحب بطليـوس "فكـانوا متألبين على من خالفهم"، وقد شقوا عصا الطاعة في أوائل عهد الأمير عبد الله، وذلك سـنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م[٦].

(١) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ٩٤ (نقلاً عن: أخبار فتح الأندلس من الرسالة الشريفية في الأقطار الأندلسية للرازي).
(٢) مؤنس، فجر الأندلس: ٩٦.
(٣) المرجع نفسه: ٣٦٠.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٨٧ـ٨٨.
(٥) العذري، نصوص عن الأندلس: ١١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٨٨؛ وانظر أيضاً: الحجي، التاريخ الأندلسي: ٢٢٩.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٣٥.

وفي عهد الخليفة الأموي الناصر (٣٠٠ـ٣٥٠هـ/٩١٢ـ٩٦١م) كانت ثورة ابن بكر في أكشونبة مستمرة، فتوجه إليه على رأس قوة عسكرية سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م "وكان قد افتتح في طريقه حصن الوقاع، وأصاب فيه لخلف بن بكر صاحب أكشونبة أموالاً وعدة وسلاحاً؛ فغنم ذلك الحشم وأهل العسكر، وصار لهم نفلاً"[(١)]. ويبدو أن ذلك فتّ في عضد ابن بكر، وأضعف قوته فبادر إلى الطاعة، وتوسّل إلى الناصر أن يكف عنه "مظهراً للإنابة إليه، فاستجاب له، وأقره على ما بيده بعد ان اشترط عليه شروطاً التزم بها، وهي: أن يقدم مقداراً محدداً من الأموال إلى قرطبة كل عام، وأن يحسن السيرة، ويرفق بالرعية، "وألا يقبل نازعاً، ولا يكشف هارباً"[(٢)].

ويبدو أن الزمن أتى على أكشونبة فتلاشت، وربما بنيت على أطلالها مدينة شنتمرية الغرب أو الفارو Faro. وقد ورد ذكر مدينة أكشونبة في المصادر سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م حيث ذكر ابن عذاري أن "سعيد بن هارون صاحب مدينة أكشونبة" توفي في تلك السنة[(٣)].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٠٠ـ٢٠١؛ وانظر: ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٤٨.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٠١؛ ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٤٩، ٢٥٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢١٥؛ وانظر الناصري، الاستقصا: ٢/٦٩، حيث يذكر أن تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين غزا مدينة أشكونية ففتحها عنوة وذلك سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م؛ وانظر أيضاً: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١٢٧، ج٣.

الاميدا Alameda:

بلد، ذكره المكناسي الذي زارها في أواسط القرن الثامن عشر، حيث قال أنــه مـرّ ببلـد يقال لها (للميده) واستقبله كبارها بظاهرها، وبات فيها ليلة، والأرض التي بخارجها سهلة ذات زيتون[١]. ويسمى كل مكان يكثر فيه شجر الصفصاف أو الحور في الأندلس: Alameda، وهذا الاسم منتشر في نواحي ليون وسرقسطة وبرغش واسترقة[٢].

والاميدا هو الاسم الذي أطلقته المصادر الإسبانية على موقعة المصارة، بين عبد الرحمن الداخل من جهة، ويوسف الفهري والصميل بن حاتم من الجهة المقابلة، وذلك سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م. وقد انتصر الداخل في هذه الموقعة مما مهّد له إنشاء الدولة الأموية بالأندلس[٣].

ويذكر الدكتور أحمد مختار العبادي أن كلمة المصارة تطلق على عدة أماكن في الأندلس، مثل: قرطبة وغرناطة، وكانت تقام في هذه الأماكن ألعاب الفروسية، وعرض الجيوش، وصلوات العيدين، مما أدى إلى اختلاط الأمر بين المصارة والمصلى. وقد انتقل لفظ المصارة إلى الإسبانية Almuzara[٤].

---

(١) المكناسي، الإكسير في فكاك الأسير: ١٨٤.
(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٥٦-٥٧.
(٣) ابن الكردبوس، المصدر السابق: ٥٦.
(٤) المصدر نفسه: ٥٦.

أَلْبَشَرْتَل Albašartel :

مدينة، ذكرها ابن القوطية، وقال إنها تقابل بطليوس، وبينهما النهر. بُنيت في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م). وتعود قصة بنائها إلى أيام فتنة عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي الذي خرج من قرطبة إلى الغرب، وكان من المولدين، وتضافر مع مولد آخر هو السرنباقي، فأرسل الأمير إليهما جيشاً بقيادة الأمير المنذر ومعه هاشم قائد الجيش، لكن هذا الجيش هُزم، وأسر قائده هاشم، وبذلك أصبح الجليقي رئيس المولدين في الغرب، وصار السرنباقي نائباً له، وبسط نفوذه حتى كورة إشبيلية، وغنم حصن طليطلة، واجتاز كورة لبلة ثم دخل اكشونبة، وسيطر على جبل فيها يقال له: منت شاقر. ولما عجز جيش الأمير عن إعادته إلى الطاعة فاوضه، فطلب أن تباح له البشرتل "أبتنيها وأمدنها وأعمرها وأقيم الدعوة ولا تلزمني جباية ولا طاعة في أمر ولا في نهي"، فاجيب إلى طلبه، وكفّ عن مضايقة الأمويين[1] .

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس: ١٠٠-١٠٢.

إلْبِيرَة Elvira :

كورة[١]، ومدينة[٢]، وحصن[٣]، والألف في هذه الاسم ألف قطع، وليس بألف وصل، فهو بوزن: إخريطة، وكبريته[٤]. ويلفظ بعضهم اسمها: يلبيرة[٥]، ويلفظها بعضهم الآخر: ليبيرة، دون ألف[٦].

وتقع مدينة إلبيرة في وسط الكورة، وهي مدينة رومانية قديمة كانت تسمى على عهد الرومان (Illbaris)، كما كانت عاصمة الولاية التي تسمى بهذا الاسم[٧]. وهي بين القبلة والشرق من قرطبة، وبينهما تسعون ميلا، وبينها وبين غرناطة ستة أميال[٨]، وبينها وبين وشقة خمسة وثلاثون ميلا[٩]. وموقعها من غرناطة إلى الشمال الغربي[١٠].

وقد ذكر البكري أن البيرة من الجبال المشهورة بالأندلس، ووصفه بأنه جبل الثلج (Sierra Elvira) "وهو متصل بالبحر المحيط المتوسط، منتظم بجبل رية ولاصق بالجزيرة مع

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٤/١؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٨؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٨١؛ الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ١٧؛ المقري، نفح الطيب: ١٤٣/١، الحاشية ٣؛ ابن الخطيب: اللمحة البدرية: ٢٥.

(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ٨٨؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٨؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٩١/١ والحاشية ٢، ابن سعيد، المغرب: ٩٣/٢.

(٣) السندي، بذة العصر: ١١٨ وانظر: ابن الخطيب، الإحاطة: ٩١/١ والحاشية ٥.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٤/١.

(٥) المصدر نفسه: ٢٤٤/١.

(٦) المصدر نفسه، وانظر أيضاً: العذري، نصوص عن الاندلس: ٨٩.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة: ٩١/١، والحاشية ١٢ والحميري، الروض المعطار: ٢٨.

(٨) ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٤/١؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٨؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ١٤٣/١ الحاشية ٣.

(٩) العذري، نصوص عن الاندلس: ٨٩.

(١٠) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٢٦ الحاشية ٢.

البحر. ويذكر ساكنوه أنهم لا يزالون يرون الثلج فيه شتاءً وصيفاً. وهذا الجبل يُرى من أكثر بلاد الاندلس، ويرى من عدوة البحر ببلاد البربر"[١].

وكانت إلبيرة سنام الاندلس، وقد سميت بذلك في عهد الروم[٢]. وتشبه في طبيعة أرضها، وكثرة أنهارها، وخصوبة تربتها دمشق، ولذلك نزل فيها أهل دمشق من الفاتحين الأوائل، وسموا كورة إلبيرة كورة دمشق لشبهها بها[٣]. وتجود في تربة إلبيرة زراعة الأشجار والحبوب، ففي جبلها "السنبُل الفائق الطيب[٤]، وتكثر في أرضها المعادن، وخاصة: الذهب والفضة والحديد والنحاس والتوتيا"[٥].

فتح إلبيرة طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١١م إذ وجه إليها جيشاً من إستجة، فحاصرها، وافتتحها عنوة[٦].

واختار أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي، والي الاندلس (١٢٥-١٢٨هـ/٧٤٣-٧٤٦م) كورة إلبيرة منزلاً لجند دمشق، فنزلوا "وسكنوا واغتبطوا وكبروا وتمولوا"[٧].

وأصبحت إلبيرة في عهد بني أمية في الأندلس مدينة عظيمة "لها من الشهرة والعمارة، ولأهلها من الثروة والعُدة، وبها من الفقهاء والعلماء ما هو مشهور"[٨]. وقد بنى فيها الأمير

---

(١) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٨٤-٨٥.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٩١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤/٣٦١؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٤٨؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٨؛ الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ١٧.

(٤) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٢٦.

(٥) ياقوت، معجم البلدان: ١/٢٤٤؛ وابن الخطيب: الإحاطة: ١/٩٨.

(٦) المقري، نفح الطيب: ١/٢٦٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١/١٠١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١١.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/١٠٣؛ وانظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤/٣٦١.

(٨) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٩١.

الأموي محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) مسجداً جامعاً كان يجتمع ببابه كثيرون من الأشراف، وقد نقش على محرابه: "بسم الله العظيم، بُنيت لله؛ أمر ببنائها الأمير محمد بن عبد الرحمن أكرمه الله، رجاء ثوابه العظيم، وتوسيعاً لرعيته، فتم بعون الله على يدي عبد الله بن عبد الله عامله على كورة إلبيرة في ذي قعدة سنة خمسين ومائتين"[١].

وظلت إلبيرة طوال العصر الأموي مدينة عامرة، ولكن كثرت فيها الفتن، منها فتنة عمر بن حفصون في عهد الخليفة الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، إلا أن الناصر خلصها منه سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م[٢]. "ولم تزل الأيام تخيف ساكنها، والعفاء يتبوأ مساكنها، والفتن الإسلامية تجوس أماكنها، حتى شملها الخراب"[٣].

وقد وقعت أكبر فتنة فيها عام ٤٠٠هـ/١٠٠٩م، وهي الفتنة البربرية التي استولى في أثنائها البربر على البيرة، وخربوها، فانتقل أهلها إلى غرناطة[٤]، وذلك بعد أن طُمس رسمها، ولم يبق منها إلا بعض أثره[٥]. "فخربت إلبيرة من حينئذ"[٦].

وظل من البيرة إلى أواخر عهد المسلمين بالاندلس حصنها. وقد شهد حصن إلبيرة النزوح الكبير الثاني لأهل هذه المدينة التي أمست اطلالا إلى مدينة غرناطة التي ورثتها، وأصبحت عاصمة المملكة في عهد بني الأحمر. ففي أيام حكم السلطان أبي عبد الله الزغل (٨٩٠-٨٩٢هـ/١٤٨٥-١٤٨٧م) تعرض حصن إلبيرة لحصار ملك قشتالة الكاثوليكي فرديناند،

(١) ابن الخطيب، الإحاطة: ٩٢/١.
(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٨/٤؛ وانظر: ابن حيان، المقتبس: ٦٦/٥-٦٨.
(٣) ابن الخطيب، الإحاطة: ٩٢/١-٩٣.
(٤) ابن الخطيب، الإحاطة: ٩٣/١؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٩٣.
(٥) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ١٢١؛ وابن سعيد، المغرب: ٩٣/٢.
(٦) ابن سعيد، المغرب: ٩٣/٢؛ وانظر أيضا: الحميري، الروض المعطار: ٢٨.

ففي النصف الأول من جمادى الآخرة من عام ٨٩١هـ/١٤٨٦م نزل فرديناند على الحصن "ونصب انقاطه وعدته، فلما رأى المحصورون ما لا طاقة لهم به من شدة القتال والحصار طلبوا منه الأمان على أنفسهم وخيلهم ودوابهم وأسلحتهم وجميع ما يقدرون على حمله من أمتعتهم، فأجابهم إلى ما طلبوه منه، ووفى لهم به، فخرجوا وأخلوا له الحصن، وصاروا إلى غرناطة"[١].

---

(١) البستاني، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر: ١٨؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ٤/٥١٨.
للاستزادة عن البيرة، انظر:

Gomez, Moreno, Manual, Medina Elvira (Granada, 1888).

ألبه والقلاع Las Castillas Y Alava:

منطقة، تقع بين نبرّة وليون، إلى الشمال من نهر ايبره[1] والعرب هم الذين أطلقوا عليها هذا الاسم. ويذكر ابن خلدون أن الذي بنى القلاع أحد ملوك الرومان وهو إشكانيس بن أناش[2]. وألبة والقلاع هي قشتالة وقشتالة القديمة. وقد كانت قشتالة القديمة تابعة لمملكة ليون، ثم استقلت عنها في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

فتحت ألبه والقلاع على يد موسى بن نصير وطارق بن زياد معاً، إلا أن المسلمين لم يستقروا فيها طويلاً لبعدها عن مواقع الإمداد، ووعورتها. غير أنها كانت ميداناً للجهاد المتواصل، فقد غزاها الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٥هـ/٧٩١م، وكان كثير الغزو والجهاد[3]. وفي سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م وجه الأمير هشام وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث على رأس جيش إلى ألبة والقلاع، فبلغها وأثخن في نواحيها[4].

وفي سنة ٢٠٨هـ/٨٢٣م وجه الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم حملة بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث إلى ألبة والقلاع فدخل تلك الأرض، ونازل مدائنها، وفتح معاقلها[5]، وصالح بعض حصونها على الجزية وإطلاق سراح أسرى المسلمين، وعاد ظافراً[6].

---

(١) ابن الابار، الحلّة السيراء: ١/١٣٥.
(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢/٢٣٢.
(٣) المقري، نفح الطيب: ١/٣٣٨.
(٤) مجهول، أخبار مجموعة: ٥؛ المقري، نفح الطيب: ١/٣٣٧-٣٣٨؛ ابن الأبار، الحلة السيراء: ٢/٣٧٥.
(٥) ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ١٩؛ المقري، نفح الطيب: ١/٣٣٨؛ ابن خلدون، تاريخ: ٤/١٦٤.
(٦) المقري، نفح الطيب: ١/٣٤٤-٣٤٥.

ووجه عبد الرحمن بن الحكم إلى ألبة والقلاع حملة أخرى سنة ٢٢٤هـ/٨٣٨م بقيادة قريبه عبد الله البلنسي فتوغل في المنطقة، وهزم النصارى، وأكثر القتل والسبي[١]. وقد أشار ابن الأثير إلى معركة كبيرة وقعت بين النصارى وعبد الله البلنسي "وانهزم المشركون، وقُتل منهم ما لا يحصى"[٢].

واستمر جهاد المسلمين في ألبة والقلاع في عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) الذي تعوّد على قيادة الجيوش إليها قبل توليه الإمارة، ففي سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م قاد حملة إلى ألبة والقلاع[٣]، وفي سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م سار إلى هناك بعد أن حشد أهل الثغور، وفتح حصوناً كثيرة[٤]. ثم تولى الأمير محمد بنفسه قيادة إلى ألبة والقلاع سنة ٢٤٩هـ/٨٦٣م[٥]، ووجه إليها حملة أخرى بقيادة ابنه المنذر سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م[٦].

واستأنف الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) الجهاد في ألبة والقلاع، حيث قاد إليها حملة سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م، وتمكن من فتح ثلاثين حصناً من حصونها[٧]. واستمر الجهاد في ألبة والقلاع في أيام الخليفة الأموي الحكم المستنصر، إذ وجه إليها حملة بقيادة غالب (مولى الحكم المستنصر) فهزم أهلها، ثم انصرف عنها[٨].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٣٤٥/١؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: ٣٦٤/٢؛ ابن سعيد، المغرب: ٤٤/١.
(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٥٩/٥.
(٣) ابن حيان، المقتبس: ١٠٢/٢-١٠٣.
(٤) المصدر نفسه: ٣٠٤/٢.
(٥) المصدر نفسه: ٣١٨/٢.
(٦) المقري، نفح الطيب: ٣٥١/١؛ ابن حيان، المقتبس: ٣١٩/٢.
(٧) المقري، نفح الطيب: ٣٦٣/١؛ ابن خلدون، تاريخ: ١٨٢/٤-١٨٣.
(٨) المقري، نفح الطيب: ٣٨٣/١.

أَلْتايَه Altaya :

اسم قرية، قال ياقوت "ألفه قمعية مفتوحة، واللام ساكنة، والتاء فوقها نقطتان، وألف، وياء مفتوحة"[1]. وألتايه من قرى مدينة دانية، يُنسب إليها: أبو زيد عبد الرحمن بن عامر المعافري الألتائي النحوي "كان قرأ كتاب سيبويه على أبي عبد الله محمد بن خلصة النحوي الكفيف الداني، وسمع الحديث عن أبي القاسم خلف بن فتحون الأريولي وغيره، وكان أوحد في الآداب، وله شعر جيد"[2].

(1) ياقوت، معجم البلدان: ١/٢٤٥.
(2) المصدر نفسه: ١/٢٤٥.

أَلَشْ Elche:

مدينة، يلفظ اسمها بفتح أوله، وسكون ثانيه، وشين معجمة[١]. وضبطها بالفتح أيضاً: البكري، والحميري، وابن سعيد، وابن الخطيب[٢]. بينما ضبطها العذري بكسر الهمزة: إلش[٣].

تقع ألش في كورة تُدمير[٤]، وهي على مقربة من أوريولة في شرقي الأندلس[٥]. وتبعد عن أوريولة خمسة عشر ميلاً، وعن لقنت خمسة عشر ميلاً أيضاً[٦].

وقد بُنيت ألش على أرض منبسطة[٧]، "ويشقها خليج يأتي إليها من نهرها، يدخل من تحت السور ويجري في حمامها، ويشق أسواقها وطرقها، وهو مِلحُ سبخي"[٨]. ويعتمد أهلها في الشرب على مياه الأمطار، وما يجلبونه من خارجها ويحفظونه في الخوابي[٩]. ويذكر ابن سعيد أنه زار ألش ووجد أن أرضها تغلب عليها السبخة[١٠]، وأشار إلى ما يتناقله الناس من أنها تشبه المدينة المنورة[١١]، وربما كان وجه الشبه كثرة نخيلها وجودته، حيث قال ياقوت: "وفيها نخيل جيدة لا تفلح في غيرها من بلاد الأندلس"[١٢]. ويؤكد ذلك أنها

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٥/١.

(٢) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣١؛ ابن سعيد، المغرب: ٢٧٣/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٥٤٩/١.

(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ٥.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٥/١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣١؛ ابن سعيد، المغرب: ٢٧٣/٢.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة: ٥٤٩/١.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣١.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٩/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣١.

(٨) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣١؛ وانظر أيضاً: ابن سعيد، المغرب: ٢٧٣/٢.

(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٩/٥. والخابية آنية كبيرة من الفخار تشبه الجرّة.

(١٠) ابن سعيد، المغرب: ٢٧٣/٢.

(١١) ابن سعيد، المغرب: ٢٧٣/٢.

(١٢) ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٥/١.



Eleche.—La célèbre Palmera del Huerto del Cura

اليوم مصيف جميل تشتهر بغابات النخيل التي تمتد بجانبها لمسافة طويلة[1]. وتشتهر أيضاً بجودة ما تنتجه من زبيب[2]، "وفيها بسط فاخرة لا مثال لها في الدنيا حُسناً"[3].

فتح ألش صُلحاً عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٤هـ/٧١٣م، فقد كانت إحدى المدن السبع التي صالحه عليها تُدمير بن عبدوس بعد أن هزمه في معركة وقعت بقرطاجنة الحلفاء[4]، فقد انعقد الصلح بينهما على إتاوة يؤديها تُدمير للمسلمين، "وجزية عن يد يعطيها، وذلك على سبع مدائن منها ألش"[5].

ويبدو أن ألش لم تكن بالمدينة المهمة طوال العهد الاسلامي في الأندلس، فقد كانت إشارات المصادر إليها نادرة مما يدل على أن أياً من الأحداث المهمة لم تقع فيها. ويشير العذري إليها في أثناء حديثه عن ثورة البربر في أعقاب سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، حيث يذكر أنهم تغلبوا على كورة تدمير كلها، ثم غلب على شرق الأندلس خيران الصقلبي "وأخرج البربر من مدينة أوريولة وبلاد تدمير، وصار البلد في طاعته"[6]. وقد حدث ذلك سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م[7].

وبعد وفاة خيران سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م[8] ولي بعده صاحبه زهير الفتى العامري "فخالفت عليه تدمير، ثم إنه غلب عليها، وطاعت له كلها إلى سنة تسع وعشرين

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٥٤٩، ج٥.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ١/٢٤٥.

(٣) المصدر نفسه: ١/٢٤٥.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١٥١.

(٥) انظر نص كتاب الصلح في: العذري، نصوص عن الأندلس: ٤-٥؛ وانظر أيضاً: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٥٢؛ والمقري، نفح الطيب: ١/٢٦٤؛ ويذكر ابن عذاري أن الذي فتح تدمير صلحاً هو طارق بن زياد. أنظر: البيان المغرب: ٢/١١؛ ويذكر ذلك أيضاً صاحب أخبار مجموعة: ١٣، والأرجح أن فاتحها صلحاً هو عبد العزيز بن موسى.

(٦) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٦؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٩٦.

(٧) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٦.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٦٦.

وأربعمائة (١٠٣٧م)، وصارت بلاد تدمير بعضها للمنصور أبي الحسن عبد العزيز بن أبي عامر"[1]، وصار بعضها الآخر لمجاهد العامري صاحب دانية، ومن ذلك إلش وما والاها[2].

وتغلب على ألش بعد العامريين شخص اسمه أبو عبد الرحمن بن طاهر الذي صار حاكماً مطلقاً لقاعدة كورة تدمير: مرسية وأعمالها. وكان ابن طاهر من أعظم علماء الأندلس وكتابها. وقد استمر في حكم ألش وغيرها حتى غلب عليها المعتمد بن عباد سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م، حيث قبض على ابن طاهر وسجنه[3].

وسقطت ألش - على الأرجح - قبل سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م بيد ملك أراغون خايمي الأول، ففي تلك السنة استسلمت له مرسية، وكانت معظم نواحي شرقي الأندلس قد سقطت في أيدي النصارى قبل ذلك[4].

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٦.

(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٦؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، دول الطوائف: ١٧٧-١٧٨.

(٤) ابن خلدون، تاريخ: ٤/٢١٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٧، ج ٤٤ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٨١.
للاستزادة عن الش، انظر:
Vicent, Ana Maria, Restos Visigóticos en Valencia (Crónica del IV Congreso Arqueológica del Sudeste español (Elche, 1948 Cartagena, 1949)

المَرِيَّة Al-Mariyyat :Almeria

بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها[١]. حاول ياقوت تفسير اسمها فقال: " يجوز أن يكون من مَرَى الدم يمري إذا جرى، والمرأة مرئية. ويجوز أن يكون من الشيء المريّ فحذفوا الهمزة، كما فعلوا في خطية وردية"[٢]. وهذا التفسير بعيد عن الصواب، فالمرية كانت محرساً بحرياً تُرقب منه السفن في البحر، ولذلك فإن الصواب في اسمها أنه مشتق من رأى ومرأى، فهي مرئية، ثم حذفت الهمزة للتسهيل، فأصبح (المريّة).

والمرية مدينة محدثة، بناها الخليفة الأموي عبدالرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م) سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م[٣]. وكانت قبل ذلك فرضة ساحلية تابعة لبجانة[٤]. وذكر الرشاطي ان المدينة كانت بجانة " وبينهما خمسة أميال، فلما خربت بجانة في فتنة البربر بُنيت المرية، وعمرت حينئذٍ، وذلك في سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م"[٥].

وتقع مدينة المرية على الساحل الشرقي للأندلس، إلى الجنوب الشرقي من بجانة[٦]، على حافة البحر الأبيض المتوسط[٧]، فهي مدينة بحرية برية[٨]،

---

(١) ياقوت، معجم البلدان : ١١٩/٥.

(٢) المصدر نفسه : ١١٩/٥.

(٣) الحميري، الروض المعطار : ٥٣٧ ؛ الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ٥٩ ؛ العبادي، مشاهدات : ٤٣ الحاشية ١ ؛ ويذكر العذري ان سورها بُني سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م (نصوص عن الأندلس : ٨٦) ، ويذكر الزهري أن بانيها هو معاوية بن محمد الأمين (الزهري، الجعرافية : ١٠١)؛ وانظر : ابن سعيد، المغرب : ١٩٠ ؛ المقري، نفح الطيب : ١٤٢/١ الحاشية ١١.

(٤) الادريسي، نزهة المشتاق : ٥٦٦/٥ ؛ ابن سعيد ، المغرب : ١٩٠/٢.

(٥) الرشاطي، الاندلس في اقتباس الانوار : ٥٩ ؛ وانظر: العذري، نصوص عن الاندلس : ٨٢.

(٦) المقري، نفح الطيب : ١٤٢/١ الحاشية ١١ ؛ العبادي، مشاهدات : ٤٣ الحاشية ١.

(٧) ابو الفداء، تقويم البلدان : ١٧٧.

(٨) ابن الخطيب، معيار الاختيار : ٥٦.



Almería. Citadel

مدينة المرية (منظر عام)



Almería. - Vista general

مدينة المرية (منظر عام)

واصبحت أيام الأمويين الثغر الكبير للأندلس[1]، وقد اتخذها العـرب مرابطـاً، وابتنـت بهـا المحارس، وكانوا ينتجعونها ويرابطون فيها حتى أصبحت أشهر مراسي الأندلس وأعمرها ، ومن أجل أمصارها وأشهرها[2].

ويرجع سبب بناء المرية إلى حاجة الامويين في الاندلس لأساطيل قويـة يواجهـون بهـا الأخطار الخارجية المتمثلة خاصة في اعتداءات المجـوس (النورمـان)، والداخليـة المتمثلـة في الثورات والفتن. ولذلك أمر الخليفة الناصر ببناء المرية، وأصبحت في القرن الرابع الهجـري/ العاشر الميلادي أشهر مراسي الاندلس وأعمرها كما ذكرنا. وكان خليجها العميق يضم معظم وحدات الأسطول الأموي، كما أصبح مرفأها هو مرفأ الأندلس للحـط والاقـلاع[3]، وأصبحـت دار صناعة السفن فيها تنتج أعداداً كبـيرة مـن السـفن، حيـث كـثرت في تلـك الـدار العـدد والآلات اللازمة لهذه الصناعة[4].

وقد بنى الخليفة عبدالرحمن الناصر سوراً حصيناً منيعاً عالياً عرضه نحو خمسة أشبار يحمي مدينة المرية من جهة البحر[5]. ثم بُني سور حول ربضها الشرقي، وسور ثالث حول الريض الغربي. وقد اتصلت هذه الأسوار بالمدينة[6]. وأما قصبة المدينة فقد أنشئت

(١) مورينو، الفن الاسلامي في اسبانيا (مترجم) : ٣١٦.

(٢) الحميري، الروض المعطار : ٥٣٧.

(٣) الرشاطي، الاندلس في اقتباس الانوار: ٦٠؛ ابن الكرديوس ، تاريخ الاندلس: ٨٩ الحاشـية ٣ ؛ الادريسـي ، نزهة المشتاق : ٥/٥٦٢.

(٤) العذري، صفة جزيرة الاندلس: ٨٦ ؛ الزهري، الجعرافية: ١٠١ ؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار : ٥٧؛ ابن غالب، قطعة من فرحة الانفس : ١٤ ؛ الرشاطي، الاندلس في اقتباس الانوار : ٦٠.

(٥) الحميري، الروض المعطـار: ٥٣٧-٥٣٨ ؛ ابـو الفداء، تقويم البلدان: ١٧٧؛ العذري ، نصـوص عـن الأندلس: ٨٦ ؛ الإدريسي، نزهة المشتاق : ٥/٥٦٢.

(٦) الأدريسي، نزهة المشتاق : ٥/٥٦٢ ؛ العذري، نصوص عن الأندلس : ٨٦.

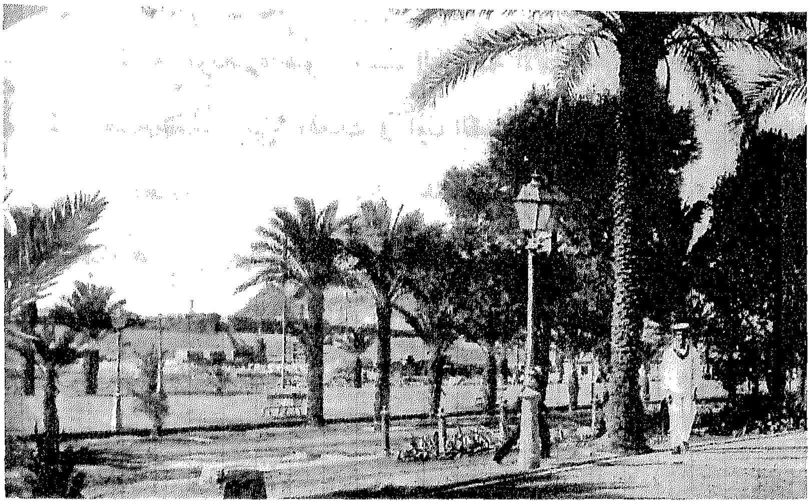
على جبل مسوّر فلا يصُعد إليها إلا بمشقة[1] . كما بنيت لحماية المدينة قلعة منيعة شامخة[2] .

وظلت مدينة المرية مزدهرة طوال عهد الخلافة الأموية في الأندلس. وبعد سقوط الخلافة في أعقاب فتنة البربر التي وقعت في أول القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي[3] (٤٠٣-٤١٩هـ/١٠١٢-١٠٢٨م) دخل خيران العامري، وهو أحد الفتيان العامريين (من الصقالبة) مدينة المرية، وذلك في المحرم من سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٤م، وأتخذها مركزاً له[4]، وعمل على تحصينها وسدّ عوراتها، ودعم أسوارها. وينسب إليه السور الهابط من جبل لَيْهَم إلى البحر، وهو سور الربض الشرقي والغربي المتصل بسور المدينة، وهو الذي فتح في هذا السور أربعة أبواب: أحدها في جبل ليهم، والثاني يُخرج منه إلى بجانة، والثالث يعرف بباب المرسى، والرابع قرب ساحل البحر يعرف بباب السودان، وكان هذا الأخير يعرف بباب الأسد[5].

وكان خيران العامري في أثناء الفتنة البربرية أحد الفتيان العامريين الذين كانوا بالعاصمة قرطبة بعد استيلاء سليمان بن الحكم (المستعين) عليها بمساعدة البربر، ولم يكن راضياً عن ولاية سليمان، وحفاظاً على نفسه هرب من قرطبة. وتبعه كثير من الفتيان العامريين، فتبعهم البربر، ودار بين الفريقين قتال شديد جرح خلاله الفتى خيران، فتركوه على أنه ميت، ولما ذهبوا قام يمشي، فأخذه رجل من البربر إلى داره، واعتنى به وعالجه،

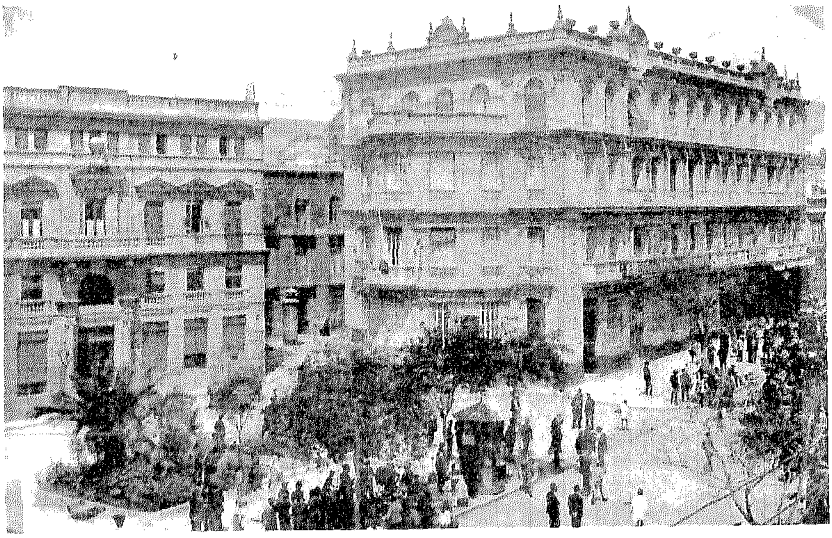
---

(١) العذري ، نصوص عن الأندلس : ٨٦.
(٢) أبو الفداء ، تقويم البلدان : ١٧٧.
(٣) لمزيد من التفاصيل من هده الفتنة أنظر : ابن عذاري، البيان المغرب : ٨٧/٣ وما بعدها.
(٤) العذري، نصوص عن الأندلس : ٨٣ ؛ المقري ، نفح الطيب : ١٤١/١ الحاشية ٢.
(٥) العذري ، نصوص عن الأندلس : ٨٣.



Almeria.—El Parque *(Foto Hauser y Menet)*

مدينة المرية (المتنزه)



Almeria.- Paseo del Principe *(Foto Hauser y Menet)*

مدينة المرية (متنزه الأمير)

وأعطاه مالاً. وخرج من بيته سراً إلى شرق الأندلس " فكثر جمعه، وقويت نفسه، وقاتل وملك المرية، وأزال البربر عن البلاد المجاورة له، فغلظ أمره، وعظم شأنه"[1].

وعُرف خيران بالدهاء والشجاعة وحسن التدبير، وقد استغل كل ذلك في تكوين جبهة أندلسية لمواجهة البربر الذين استبدوا بالاندلس، فقد أيد علي بن حمّود الذي ينتسب للأشراف الأدارسة، وحرضه على الخروج على سليمان، كما حرض عليه زعماء جنوبي الأندلس. وقد جاز علي بن حمود إلى الأندلس، وأستطاع بتأبيد خيران ودعمه من الحاق هزيمة منكرة بسليمان، وأسره ثم قتله[2].

وما إن عاد خيران العامري إلى المرية حتى بدأ يدبر المكائد لابن حمود بعد أن نقل إليه أنه يسعى إلى قتله، فبايع أحد أعقاب بني أمية، وهو عبدالرحمن بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر بالخلافة، وتلقب عبدالرحمن المذكور بالمرتضي. وقد أستطاع خيران بدهائه أخذ البيعة له من أهالي سرقسطة وشاطبة وبلنسية وطرطوشة والبونت[3].

وقد تمكن المرتضي بمساعدة خيران من تأليف جيش خرج على رأسه نحو غرناطة لمواجهة زاوي بن زيري الصنهاجي حليف علي بن حمود، وفي الوقت نفسه كان ابن حمود يتأهب علاقات جيش الأندلسيين إلا أن ثلاثة من الفتيان الصقالبة قتلوه في غره ذي القعدة سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م في حمّامه[4].

---

(١) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ٢٨٤/٧.

(٢) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ : ٢٨٤/٧-٢٨٥ ؛ المقري ، نفح الطيب : ٤٣١/١-٤٣٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ : ٢٨٥/٧ ؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ١٣٠؛ المقري، نفح الطيب : ٤٣٢/١.

(٤) المقري، نفح الطيب : ٤٣٢/١.

وظل خيران العامري صاحب المرية يحرك الأحداث ويوجهها حتى وفاته في جمادى الآخرة سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م[(١)]. وكان خيران قد رشح لخلافته صاحبه زهير العامري، وقد تمت ولايته على المرية وما يليها سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م، وامتد نفوذه إلى شاطبة ومرسية وبياسة، وإلى قرطبة نفسها، فقد دخلها في ٢٥ شعبان سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٣م، وبسط سلطانه عليها نحو خمسة عشر شهراً ونصف الشهر[(٢)].

ومن أهم أعمال زهير في المرية أنه " بنى وزاد في جامع المرية من غربيه وشرقيه وجوفيه بلاطاً من كل ناحية، وعظم المسجد، وحبس عليه الفنادق والحوانيت التي في قبلي الجامع وفي شرقه وفي كثير من جوفيه. وبنى السقاية، وجلب الساقية إليها من النبطية، وكثر الماء بالمرية. وبنى السور الذي في ساحل ربضي المصلى"[(٣)].

وقتل زهير العامري يوم الجمعة في آخر شوال سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م[(٤)]، دون أن يعرف قاتله، وإن كان المرجح أنه قتل بسيوف البربر الذين تغلبوا على جيشه في شعاب غرناطة، وأبادوا قسماً كبيراً منه[(٥)].

وبعد مقتل زهير العامري أسند أهل المرية أمرهم إلى شيخهم أبي بكر الرميمي، فقام بشؤون المرية، وضبطها، إلى أن كاتبوا المنصور عبدالعزيز بن عبدالرحمن شنجول بن محمد ابن ابي عامر ببلنسية، فدخلها المنصور في آخر ذي القعدة من سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م، وملك

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ٨٣؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢١٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٦٩/٣؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢١٦؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٨٣.

(٣) العذري، نصوص عن الاندلس: ٨٣.

(٤) المصدر نفسه: ٨٣.

(٥) انظر: عبد الله الزيري، المذكرات: ٣٥ حيث يذكر أن زهيراً خفي عن المعسكر فلم يوجد حياً ولا ميتاً. بينما يذكر العذري بعد تحديد سنة مقتله أنه اختلف فيمن قتله، ولم يوقف له على حقيقة ذلك (نصوص عن الاندلس: ٨٣)؛ وانظر: ابن سعيد، المغرب: ١٠٧/٢، ١٩٥.

جميع أحوازها[1] " ووجد بيت مالها أوفر ما كان ذهباً مضروباً، ودراهم وجواهر وغير ذلك، فنقل ذلك كله منها إلى مدينة بلنسية"؛ وولى عليها صهره ووزيره ابا الأحوص معن بن صمادح التجيبي[2] ، الذي انتزى على المرية، واستخلصها لنفسه سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م[3] . وقد "انتهى بالمرية في دولته الربع منتهاه، وأوثر بلده على بلد سواه، للسيرة الجميلة والخصال المحمودة. وحمل الناس على العدل والإنصاف"[4] .

وتوفي معن بن صمادح سنة ٤٤٣هـ/١٠٤١م، فخلفه على المرية ابنه أبو يحيى محمد بن معن بن صمادح، وتلقب بالمعتصم با لله، الواثق بفضل ا لله، كما تلقب بالرشيد[5] .

وفي عهد المعتصم بن صمادح ازدهرت المرية، وتألقت فيها العلوم والفنون، وبلغت حضارتها ذروة التقدم والسمو "وله في بناء قصبة المرية آثار عظيمة جميلة في منعتها، وسمو سورها، وإتقان بناء قصورها... وبنى بخارج مدينة المرية بستاناً وقصوراً متقنة البنيان، غريبة الصناعة، وجلب إليها من جميع الثمار الغريبة وغيرها، ففيها من كل شيء غريب مثل: الموز الكثير، وقصب السكر، وأنواع سائر الثمرات مما لا يقدر على صفته، وفي وسطه بحيرة عظيمة عليها مجالس مفتحة مفروشة بالرخام الأبيض. ويسمى ذلك البستان بالصمادحية. وهو قريب من المدينة جداً، وقد اتصل به بساتين كثيرة .. فيها متنزهات لا يعلم مثلها[6] .

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٦٧/٣، ١٩١؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٨٤.

(2) العذري، نصوص عن الاندلس: ٨٤.

(3) المصدر نفسه: ٨٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٠٢/٣.

(4) العذري، نصوص عن الاندلس: ٨٤.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٧٤/٣؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٩٠.

(6) العذري، نصوص عن الاندلس: ٨٤-٨٥.

وعندما قدمت جيوش المرابطين بقيادة يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م لنجدة ملوك الطوائف ضد ألفونسو السادس ملك قشتالة، ساهم المعتصم بقواته في المعركة، حيث أرسلها مع ابنه وولي عهده معز الدولة، معتذراً عن عدم القدوم بنفسه بكبر سنه، وانشغاله بمقارعة النصارى[١].

وبعد موقعة الزلاقة التي حقق فيها المرابطون نصراً حاسماً على النصارى بقيادة ألفونسو السادس سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[٢]، قرر يوسف بن تاشفين خلع ملوك الطوائف، وتوحيد الأندلس تحت راية المرابطين. فقد جاز إلى الأندلس بهذه النية سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، وعهد إلى قائده أبي زكريا بن واسنو بفتح المرية[٣].

وأصبحت المرية في عهد المرابطين "مدينة الاسلام، ونهاية كل الصناعات كل غريبة، وكان بها من طرز الحرير ثمانمائة طراز، وتعمل بها الحلل والديباج .. والستور المكللة .. وصنوف أنواع الحرير، وكانت فيما تقدم تصنع بها من صنوف آلات النحاس والحديد ما لا يحد.."[٤].

وقد ولي المرية في عهد المرابطين الأمير تاشفين بن علي قبل أن يبايع بإمارة المسلمين، وضمت إليه ولاية غرناطة وقرطبة إلى جانب المرية[٥]. ثم وليها بعده الأمير عمر بن ذمام

(١) مجهول، الحلل الموشية: ٣٤؛ عبد الله الزيري، مذكرات: ١٠٤؛ النويري، نهاية الأردب: ٢٣/٤٥٥؛ ابن عداري، البيان المغرب: ٤/١٣٤؛ المراكشي، المعجب: ١٩٦.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٣-٩٤؛ ابن أبي ررع، روض القرطاس: ١٤٦-١٤٩؛ الناصري، الاستقصا: ٢/٤٤-٤٦؛ مجهول، الحلل الموشية: ٥٩-٦٢.

(٣) مجهول، الحلل الموشية: ٥١؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٠٧ حيث يذكر أن ابن تاشفين عهد بفتح المرية إلى محمد بن عائشة.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ٥٣٨.

(٥) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٤٥٣-٤٥٤.

بن المعتز الصنهاجي[١] . واهتم ولاتها أيام المرابطين بالنواحي الاقتصادية، فأنشأوا دور الطراز، ودور الصناعة، والفنادق، والاسواق، وما إلى ذلك.

وكان بالمرية عدد كبير من سفن الاسطول المرابطي بقيادة أمير البحر أبي عبدا لله محمد بن ميمون[٢] ، كما كانت من المراسي المهمة في عهدهم[٣] . ولكنها تعرضت في أواخر هذا العهد للفتن والاضطرابات، وذلك بعد وفاة الأمير المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م، حيث ثار زعماء الأندلس على المرابطين، واستعانوا عليهم بجيوش النصارى[٤] .

وثار أهل المرية ـ كغيرهم ـ على المرابطين، وأعلنوا طاعتهم للموحدين الذي ولّوا عليها يوسف ابن مخلوف غير أن أهل المرية ثاروا عليه وقتلوه، وعرضوا رئاستهم على قائد البحر محمد بن ميمون، فرفضها، فقدموا عليهم أبا يحيى بن الرميمي، فضبطها[٥] . ولكن النصارى هاجموها بقيادة ألفونسو السابع (السليطين)، ملك قشتالة، واستولوا عليها في ٢٠ جمادى الأولى سنة ٥٤٢هـ/تشرين الأول ١١٤٧م ودخلوها عنوة[٦] .

---

(١) ابن بشكوال، الصلة: ٢٦٩.

(٢) مجهول، الحلل الموشية: ٩٩.

(٣) المصدر نفسه: ٧٥.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٧٥ـ١٧٦؛ وانظر: المراكشي، المعجب: ٢٠٨؛ وابن الخطيب، الإحاطة: ١/٢٦٤ـ٢٦٥.

(٥) كان أهل المرية في بداية عهد الموحدين في الاندلس غير راضين عن هذا العهد، ولذلك ثاروا على ابن مخلوف الذي عينه الموحدون، وعرضوا رئاستهم على قائد البحر ابن ميمون الذي كان متمسكاً بدعوة المرابطين، إلا أنه رفض رئاستهم قائلاً: "إنما أنا رجل منكم، ووظيفتي البحر، وبه عرفت، فكل عدو جاءكم من جهة البحر فأنا لكم به، فقدموا على أنفسكم من شئتم غيري. انظر: المراكشي، المعجب: ٢١٠؛ المقري، نفح الطيب: ٦/٢٠٦؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٥٦.

(٦) عنان، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين: ٢٥؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٩/١٧.

وبعد تغلّب الموحدين على جنوبي الأندلس سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م أمر عبد المؤمن بن علي ابنه أبا سعيد عثمان بمحاصرة المرية براً وبحراً. فتقدم إليها أبو سعيد سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، وكان النصارى قد انتشروا ظاهرها على الروابي والبطاح، إلا انهم عندما رأوا جيوش الموحدين فروا إلى داخل المدينة، وتحصنوا فيها، فضرب أبو سعيد عليهم الحصار، ونزل بمرآه على الجبل المشرف عليها، وبنى سوراً على الجبل إلى البحر، وحفر حوله خندقاً " فصارت المدينة والحصن الذي فيه الفرنج محصوراً بهذا السور والخندق ، ولا يمكن من ينجدها من أن يصل إليهما"[(١)] . واستمر حصار المرية من قبل الموحدين نحو ثلاثة اشهر " فضاقت الميرة وقلت الاقوات على الفرنج"[(٢)] ، وظل الموحدون يقاتلون النصارى دون أن يظفرا بالمدينة، مما اضطر أبا سعيد إلى طلب المدد من الخليفة عبد المؤمن فوجه إليه قائده أبا جعفر بن عطية بصحبة ابنه الامير أبي يعقوب يوسف بن عبدالمؤمن، وكان حينئذٍ بأشبيلية، فازدادت بهما قوة الموحدين المحاصرين لمدينة المرية، ولما رآهم ألفونسو السابع ولّى الأدبار على رأس جيشه الذي كان يضم أثني عشر ألف مقاتل، وترك النصارى في المدينة يواجهون مصيرهم، فطلبوا الأمان، وسلّموا المدينة للموحدين. وهكذا تحررت مدينة المرية من ربقة النصارى، بعد أن دانت لحكمهم نحو عشر سنين[(٣)].

وكان النصارى أثناء احتلالهم للمرية " قد غيروا محاسنها، وسبوا أهلها، وخربوا ديارها، وهدموا مشيد بنيانها، ولم يبقوا على شيء منها"[(٤)] . فقام الموحدون بترميم قصبتها

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٩/٥٥-٥٦؛ والناصري، الاستقصا: ٢/١٢٢؛ وابن الخطيب، الإحاطة: ١/٢٦٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٩/٥٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٩/٥٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٢٧١؛ المقري، نفح الطيب: ٦/٢٠٧؛ الناصري، الاستقصا: ٢/١٢٢؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٦٥؛ النويري، نهاية الأرب: ٢٤/٣٠٩.

(٤) الإدريسي، صفة المغرب: ١٩٨.

وأسوارها، إلا أنها لم تسترجع في عهدهم ازدهارها القديم الذي بلغ أوجه في عهد ملوك الطوائف[1] .

ويبدو ان المرية لم تعد تحتل في عهد الموحدين المكانة التي كانت تحتلها سابقاً، بل لم تعد لها مكانة تذكر بعد هزيمة الخليفة الموحدي محمد الناصر في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م[2] والتياث أمر الموحدين في الاندلس والمغرب منذ ذلك التاريخ.

وقد تغلّب على المرية في أثناء ضعف الموحدين محمد بن يوسف بن هود الجذامي سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م ، وولى عليها أبا عبد الله محمد بن عبد الملك بن أبي يحيى الرميمي ، الذي ما لبث أن انقلب على سيده ابن هود، وقتله، واستبد بالمرية[3] ، وظل يحكمها إلى أن استولى عليها ملك غرناطة الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م[4] .

وأصبحت المرية ثغراً مهماً من ثغور مملكة غرناطة في ظل ملوكها بني نصر. وزادت أهميتها التجارية، وأصبحت ثانية من مدن دولة بني الأحمر بعد غرناطة. وفي سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م هاجمها خايمي الثاني ملك أرغون، ونصب على أسوارها الآلات الضخمة، وبذلك جهداً شاقاً للاستيلاء عليها إلا أن المسلمين ردّوه على أعقابه، وكانوا بقيادة شيخ الغزاة عثمان بن ابي العلاء المريني الذي اضطر خايمي إلى رفع الحصار عن المدينة، واجبره على النكوص عنها بعد ستة أشهر من المحاولات المستميتة للاستيلاء عليها[5] .

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٢٠٦/٦؛ ابن سعيد، المغرب: ٢١٣/٢.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٣٨٣/٤؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٢٣٨ـ٢٤٠؛ مجهول، الحلل الموشية ابن أبي دينار ، المؤنس: ١٤٥ـ١٤٦؛ الناصري، الاستقصا: ٢١٤/٢ـ٢١٦؛ المراكشي، المعجب: النويري، نهاية الأرب: ٣٤٢/٢٤.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٧/٤.

(٤) المصدر نفسه: ٢١٧/٤؛ وانظر أيضاً: ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٨٦.

(٥) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٥٦.

وظلت المرية تابعة لبني نصر ملوك غرناطة حتى أواخر عهدهم، بل أصبحت في الفترة الأخيرة من الوجود الاسلامي في الاندلس المنفذ الوحيد بين المغرب والاندلس، وظلت كذلك حتى سقطت في أيدي الملكيين الكاثوليكيين فردناند وإيزبيلا في ربيع الأول ٨٩٥هـ/شباط ١٤٩٠م[١]. ولا تزال المرية عامرة حتى اليوم، وهي الآن إحدى المدن الأندلسية الثمانية وهي: المرية، وغرناطة، وجيان، وقرطبة، وإشبيلية، ومالقة، وقادش، وولبه.

(١) عنان، نهاية الاندلس: ٢١٢.
للاستزادة عن المرية انظر:
A.P V Dos Lápidas halladas recientemente en Almeria (Al-Andalus, 1933).

أمايه: Amaya:

مدينة، تقع في الإقليم الثالث في شمالي إسبانيا حسب تقسيم قسطنطين[1]، فتحها طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١١م، وذلك بعد فتحه مدينة المائدة، ثم عاد منها إلى طليطلة[2]. إذ يذكر النويري أن طارقاً لما بلغ مدينة المائدة وجدها خالية، وقد لحق من بها بمدينة خلف الجبل يقال لها (مايه)، وسار هو إلى وادي الحجارة، وقطع الجبل من فج فيه فسمي: فج طارق وانتهى إلى مدينة خلف الجبل تسمى مدينة المائدة (قلعة هنارس)، ثم مضى إلى مدينة أمايه، ثم عاد إلى طليلطة سنة ٩٣هـ/٧١٢م[3].

---

(١) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٢.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة: ١٥.

(٣) النويري، نهاية الأرب : ٤٨/٢٤-٤٩.

أم جعفر: Um Y'afar

حصن، ذكره ياقوت، وحدد موقعه بقوله "من أعمال ماردة"[1]. وقال البكري: "ولماردة حصون وأقاليم: من ذلك حصن مدلّين، وحصن مورش، وحصن أم غزالة، وحصن الأرش، وحصن أم جعفر..."[2].

أنداره Ondara:

ذكرها الحميري، ووصفها بأنها "مدينة عظيمة في شرق الأندلس خربت في فتنة البربر"[3]. ويبدو أن أهلها ـ عندما خربت ـ انتقلوا إلى دانية[4].

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١/٢٥٠.

(٢) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ١٢٠.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ٤١؛ وصفة جزيرة الأندلس: ٣١.

(٤) الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار: ١٣٨؛ وانظر: العذري، نصوص عن الأندلس: ١٥-١٦.

أَنْتَقِيــرَة Antequera:

مدينة[١]، وذكر ياقوت أنها حصن[٢]. ولفظ اسمه بفتح التاء فوقها نقطتـان، والقـاف، وياء ساكنة، وراء[٣].

تقع انتقيرة بين مالقة وغرناطة[٤]، على بعد ستين كيلومـتراً إلى الشـمال مـن مالقـة[٥]. وقد وصفها ابن الخطيب بأنها "محلّ الحرث والأنعام، ومبذر الطعام، والمـرآة الـتي يتحلـى بها وجه العام"[٦]، وأشار إلى أنها كثيرة المياه، فالجداول تنساح في جنباتهـا "إلا أنها جرداء الخارج، بل مارد ومارج، وشدّة فرّجها فارج، لا تضبطهـا المسـلحة للاتســاع... قليلــة الفواكـه، عديمــة الملاطـف والمفاكـه"[٧]. وأمــا أهلهــا ف "أولي شــرور وغــرور، وســلاح مشهور..."[٨].

وقد أشار الادريسي إلى أن مدينة انتقيرة، أخلتها فتن الثوار بعد دولـة المنصـور محمـد ابن أبي عامر[٩]، ومن هذه الفتن ما وقع في عهد تميم بن بلقين الذي استقلّ عن أخيـه عبـد الله بحكم مالقة وأعمالها[١٠]. فقد ثار في أنتقيرة حاكمها كباب بن تميت، وعـاث فسـاداً في تلك المنطقة، إلا أن عبد الله تمكن من إخضاعه[١١]. وقد كان ذلـك قبيـل سقوط طليطلـة في صفر سنة ٤٧٨هـ/أيار ١٠٨٥م[١٢].

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٧٠؛ وانظر: ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٣٨٥، ج٦؛ ومعيار الاختيار: ٩٤، ح ٢١٧.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ١/٢٥٩.

(٣) المصدر نفسه: ١/٢٥٩.

(٤) المصدر نفسه: ١/٢٥٩؛ وانظر: ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٩٤، ح ٢١٧.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٦/١٣٥، ج١؛ وانظر الادريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٧٠.

(٦) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٦.

(٧) المصدر نفسه: ٦٦.

(٨) المصدر نفسه: ٦٦.

(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٧٠.

(١٠) انظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/١٤٢-١٤٣.

(١١) عنان، دول الطوائف: ١٤٣.

(١٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١٣٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٨٥-٨٦.

وقد اتخذ المرابطون من مدينة انتقيرة موقعاً تحصنوا فيه، وأخذوا يشنون الغارات على أبي الحكم بن حسون الذي ثار عليهم في مالقة. وتجدر الاشارة إلى أن هذا الثائر استعان بالنصارى ضد أهالي مالقة، فنقموا عليه، وهاجموا قصره، مما دفعه إلى الانتحار سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م تخلصا من نقمتهم(١).

وأصبحت أنتقيرة في عهد مملكة غرناطة إحدى مدن ولاية مالقة التابعة لهذه المملكة(٢)، وقد حاصرها النصارى في عهد ملكها يوسف بن يوسف بن محمد (٨١١-٨٢٠هـ/ ١٤٠٨-١٤١٧م)، واشتبكوا مع حاميتها الاسلامية. وقد نشبت بين الطرفين معركة تكبد النصارى خلالها خسائر فادحة، ولكنهم تمكنوا في نهايتها من هزيمة المسلمين مما اضطر المدينة الى الاستسلام. وقد دخلها النصارى سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م(٣).

الأنجرون (لانجرون) Lanjarón:

بلدة قرب غرناطة، مشهورة بالمياه المعدنية، يقصدها مرضى الكبد للاستشفاء، وهي من قرى البشرات(٤).

---

(١) السامرائي، علاقات المرابطين: ٢٧٧؛ وانظر أيضاً: أبو رميلة، علاقات الموحدين: ٩٩-١٠٠.

(٢) عنان، نهاية الاندلس: ٤٧.

(٣) انظر: ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا: ١/١٢؛ عنان، نهاية الاندلس: ١٤٠.

(٤) مجهول، نبذة العصر: ٣١؛ وانظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٩.

أُنْـدَة: Onda

مدينة، يلفظ اسمها بالضم ثم السكون[١]. وقد أكد أن أنـدة مدينـة: المقـري والحمـيري أيضاً[٢]. بينما ذكر آخرون أن أندة حصن[٣]. وهي مدينة أو بلدة، أو ربما حصن كبـير مـن ولاية بلنسية[٤]. والمسافة بين أندة ومربيطر سـبعة عشـر ميـلاً، وبينهـا وبـين حصـن مـورور خمسة وعشرون ميلاً[٥]. وقد ذكر المقري وابن سعيد حصنـاً يسمى أنـدة غـير هـذه المدينـة، ويقع ذلك الحصن في منطقة مدينة رُندة الواقعة في وسط الاندلس، ويعد من حصونها[٦].

تكثر في مدينة أندة المياه، وينمو في أراضيها الشجر بكثافـة، وخاصـة شـجر التـين[٧]. ويوجد في جبالها معدن الحديد[٨].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢٦٤/١.
(٢) المقري، نفح الطيب: ١٨٢/١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣١.
(٣) العذري، نصوص عن الاندلس: ١١٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٥٠٣/١.
(٤) الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ١٨؛ ابـن الخطيـب، الاحاطـة: ٥٠٣/١، ج٢؛ يـاقوت، معجم البلـدان: ٢٦٤/١؛ المقري، نفح الطيب: ١٨٢/١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣١.
(٥) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٩.
(٦) المقري، نفح الطيب: ١٨٢/١؛ ابن سعيد، المغرب: ٣٣٨/١.
(٧) ياقوت، معجم البلدان: ٢٦٤/١.
(٨) المقري، نفح الطيب: ١٨٢/١.

أَنْدَرَش Andarax:

مدينة[١]، أو بلدة[٢]، أو حصن[٣]، أورد ياقوت وصاحب نبذة العصر اسمها بألف بعد الراء: (أندراش)[٤].

تعتبر أندرش من أعمال المرية[٥] في كورة إلبيرة[٦]. وقد ذكر العبادي في كتاب: مشاهدات لسان الدين بن الخطيب أنها اندثرت[٧]، بينما أكد شبانة في معيار الاختيار أنها موجودة حتى الآن[٨]. وهي قريبة من بلدة برجة إلى الشمال منها[٩].

ذكر الحميري أن أندرش "من أنزه البلدان"[١٠]. ووصفها ابن سعيد أنها "قطعة من جنات النعيم، ذات ثغر بسّام وخد رقيم"[١١]. وذكرها ابن الخطيب "ماؤها سلسل، وهواؤها لا يُلغى معه كسل"[١٢]. ولا غرابة في أن تكون كذلك، فهي على نهر باسمها[١٣] جعلها شهيرة بالكتان الفائق الجودة الذي ينسب إليها[١٤]. وقد أورد ابن سعيد أبياتاً لوالده قالها في النهر[١٥]:

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣١.
(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٢٦٠/١؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١٥٨، ج٤.
(٣) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٩، ٩٣؛ مجهول، نبذة العصر: ٣١.
(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٢٦٠/١؛ مجهول، نبذة العصر: ٣١.
(٥) ابن الخطيب، مشاهدات: ٨٨، ج١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣١؛ ابن سعيد، المغرب: ٢٣٥/٢.
(٦) ياقوت، معجم البلدان: ٢٦٠/١.
(٧) ابن الخطيب، مشاهدات: ٨٨، ج١.
(٨) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٩١، ج ١٦٦.
(٩) ابن الخطيب، الإحاطة: ١٥٨/١، ج٤.
(١٠) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣١.
(١١) ابن سعيد، المغرب: ٢٣٥/٢.
(١٢) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦١.
(١٣) المقري، نفح الطيب: ١٦٦/١.
(١٤) ياقوت، معجم البلدان: ٢٦٠/١.
(١٥) ابن سعيد، المغرب: ٢٣٥/٢.

خلّني في نهر أندرش كيْ أُروّي عنده عطشي
مُدّ منه معصم نضرٌ في بسيطٍ بالرياض وُشي
عندما أبصرتُ بهجتَهُ حِرتُ من فكر ومن دهشِ

وأشار إلى نهرها أبو الحجاج بن عتبة الإشبيلي في قوله[1]:

لله أندرشُ لقد حازت على حُسن تتيهُ به على البلدانِ
النهرُ مُنسابٌ سرت خلجانه في الروضِ بين أزاهر الكتانِ
فكأنما انسابت هناك أراقم قد عُدنَ راجعةً عن الشعبانِ

وكانت أندرش رغم طبيعتها الفتانة وسحر رياضها "ضيقة الأحواز والجهات، كثيرة المعابر والفوهات، عديمة الفرج والمتنزهات، ثقيلة المغارم، مستباحة المحارم"[2]، إذ كان الأعراب يكثرون من الاعتداء على أراضيها "فلا يعدم ذو الزرع عدوانا، ولا يفقد عير الشر نزوانا"[3].

اشتهرت أندرش في الفترة المتأخرة من عهد المسلمين بالأندلس، فقد شهدت بعض الأحداث في عهد ملوك غرناطة من بني الأحمر، إذ كانت ـ كبلدة من أعمال المرية ـ جزءاً من مملكتهم[4]، وأهم تلك الأحداث ما كان في أواخر أيام المملكة، ففي سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م عقد أبو عبد الله محمد بن سعد (الزغل)، ملك غرناطة معاهدة مع ملك قشتالة فرناندو الخامس، قضت بأن يحصل الزغل على بعض الامتيازات، منها أن يمتلك أندرش وما

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣١-٣٢.
(٢) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦١.
(٣) المصدر نفسه: ٦١.
(٤) انظر: المقري، نفح الطيب: ١/٤٤٧؛ ابن خلدون، تاريخ: ٧/٢٥١ وما بعدها؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٣٢ وما بعدها؛ وانظر: عنان، نهاية الأندلس: ٤٧.

إليها، وأن يكون له ألفا تابع من المسلمين، وأن يمنح معاشاً سنوياً كبيراً[1]. غير أن الزغل أبت عليه نفسه تقبل الوضع، فتنازل عن حقوقه، وهاجر إلى المغرب.

وعندما استولى الملكان الكاثوليكيان فرناندو الخامس وايزابيلا على غرناطة في ٢ ربيع الأول ٨٩٧هـ/٢ كانون الثاني ١٤٩٢م[2] أمرا آخر ملوك غرناطة أبو عبد الله محمد بن علي (الصغير) بالتوجه نحو أندرش، فاستقر في نواحيها حيث أقام نحو عامين، ثم عبر البحر إلى المغرب[3].

(١) عنان، نهاية الأندلس: ٢١٣؛ وانظر: حتاملة، محنة مسلمي الاندلس: ٤٤، ٤٦.
(٢) المقري، نفح الطيب: ٥٢٥/٤؛ الناصري، الاستقصا: ج٤، ق٢: ١٠٤؛ حتاملة، محنة مسلمي الأندلس: ٤٤.
(٣) مجهول، نبذة العصر: ٤٣-٤٤؛ ابن الخطيب، الاحاطة: ١٥٨/١، ج٤؛ حتاملة، محنة مسلمي الأندلس: ٦٥ وما بعدها.

الأندلس Andalucia:

تسمية أطلقها العرب المسلمون على شبه الجزيرة الآيبيرية كلها عندما فتحوها[1]، وعنوا بها ما كان منها تحت حكمهم[2]، واقتصرت هذه التسمية في آخر عهدهم على مملكة غرناطة بمقاطعاتها الثلاث: مالقة وغرناطة والمرية[3] حتى سقطت في أيدي النصارى سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م[4]. وما تزال التسمية (أندلوثيا Andalucia) مستخدمة لدى الاسبان حتى اليوم، وتدل عندهم على منطقة تشمل مدن: قرطبة، وإشبيلية، وقادش، وولبة، ومالقة، وغرناطة، وجيان، والمرية[5].

وإيبيريا كان اسمها في القديم "إبارية من وادي إبُره*، ثم سميت بعد ذلك باطقة من وادي بيطي**، وهو نهر قرطبة، ثم سُميت إشبانية من اسم رجل ملكها في القديم كان اسمه إشبان... وسميت بعد ذلك بالاندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها"[6]. وإيبيريا اليوم تشمل اسبانيا والبرتغال.

وتقع شبه الجزيرة الآيبيرية Peninsula Espanica o Ibérica في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من قارة أوروبا، وتفصلها عن فرنسا سلسلة جبال البرت Pirenaica. ويحدها البحر

---

(1) Sandoval, Alfonso Gramir: Fortificaiones de la Costa Saroriental de reino de Grananda, Revista de Historia Militar VI, Madrid, 1962, No 10, Pág 25

(2) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٥٩، هامش ٣.

(3) انظر أيضاً: Sandoval, Pág 25.

(4) الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٣١٤؛ الدولاتي، مسجد قرطبة وقصر الحمراء: ١٠٣؛ ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا: ٣٢/١.

(5) حتاملة، ملامح حضارية في الاندلس: ١٨٢.

* وادي إبره: هو نهر ابرو Ebro.

** وادي بيطي: نهر الوادي الكبير.

(6) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٥٧ـ٥٩.

الأبيض المتوسط من الشرق، والبحر الأبيض المتوسط ومضيق جبل طارق والمحيط الأطلسي من الجنوب، والمحيط الأطلسي من الغرب[(١)].

وتبلغ مساحتها الإجمالية نحو ٥٩٤ ألف كم٢، منها ٥٠٥ آلاف كم٢ مساحة اسبانيا الحالية، و ٨٩ ألف كم٢ مساحة البرتغال. ويقدر أقصى طول لشبه الجزيرة الآيبيرية بـألف كم، بينما يقدر أقصى عرض لها من الشمال إلى الجنوب بـ ٨٥٦كم[(٢)].

وتتألف ايبيريا من هضبة تحيط بها حواف جبلية أهمها جبال الكنتبريك في الشمال، وجبال سيرانيفادا في الجنوب[(٣)]. ويسمى العرب جبال سيرانيفادا جبل شُلير، وهو "متصل بالبحر الأبيض المتوسط، متقطع بجبل ريّة، وينزل فيه الثلج صيفاً وشتاءً، ويُرى من أكثر بلاد الاندلس، كما يُرى من عدوة البحر ببلاد البربر (المغرب)"[(٤)]. وتبدو جميع أراضي أيبيريا على شكل خطوط جبلية تشقها مجاري أنهار متوازية من الشرق إلى الغرب، ثم تنحني في نهاياتها نحو الجنوب[(٥)].

وتوجد في ايبيريا مناطق سهلية منخفضة أهمها: منخفض وادي إيبره، ومنخفض وادي النهر الكبير. وهو سهل زراعي خصيب تحيط به الغابات، وكان يشكل مركز الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، وأشهر مدنه قرطبة وغرناطة. والمنخفض الاطلنطي البرتغالي، ويتكون من الأراضي الواقعة على نهري تاجه وسادو[(٦)].

---

(١) حتاملة، ايبيريا: ١٨-١٩؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٤٦-٥٠.

(٢) الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٥٠؛ حتاملة، ايبيريا: ٢١، ٢٤-٢٦.

(٣) حتاملة، ايبيريا: ٢٧-٢٨.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٢.

(٥) حتاملة، ايبيريا: ٢٨.

(٦) حتاملة، ايبيريا: ٥٢.

وتمتد سواحل شبه الجزيرة لمسافات طويلة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي. وهذه السواحل متنوعة الخواص، مما جعلها غير متجانسة[1].

ويتنوع المناخ في ايبيريا تبعاً لقرب الموقع أو بعده من البحار، ووجود المرتفعات والمنخفضات. وبوجه عام يعتبر القسم الجنوبي منها دافئاً، والشمالي رطباً، والجنوبي الشرقي شبه صحراوي[2].

وأول من أطلق على شبه الجزيرة الآيبيرية اسم (ايبيريا Iberia) هم الإغريق، ثم سماها الرومان: سبانيا Spania، أو إسبانيا Hispania. وأصل هذه التسمية فينيقي، إذ أطلق الفينيقيون اسم: إصفانيم (I-Schephan-im) الذي يعني: (شاطئ الأرانب) على الشاطئ الجنوبي من شبه الجزيرة، ثم دلّ هذا الاسم على شبه الجزيرة كلها أثناء حكم القرطاجيين[3].

وعرفت شبه الجزيرة الآيبيرية باسم (España) منذ القرن الثاني عشر الميلادي في عهد ملك قشتالة وليون: ألفونسو السابع[4]، ولا يزال هذا الاسم شائعاً حتى اليوم[5].

ويتبع ايبيريا مجموعة من الجزر أهمها جزر البليار Islas Baleares، وتعرف بالجزائر الشرقية أو جزائر شرق الاندلس، وهي: ميورقة (Mallorca)، ومنورقة (Menorca)، ويابسة (Ibiza)، وفرمنتيرة (Formentera)، وقبريرة (Cabrera). ولهذه الجزر موقع استراتيجي في البحر الأبيض المتوسط بين سواحل شرق اسبانيا وجنوب فرنسا وغرب ايطاليا وجزر

(1) حتاملة، ايبيريا: ٥٣-٦٢.

(2) المرجع نفسه: ٦٢.

(3) حتاملة، ايبيريا: ١٠٥.

(4) حتاملة، ايبيريا: ١٠٦؛ حتاملة، ملامح حضارية: ١٨١.

(5) حتاملة، ملامح حضارية: ١٨١.

سردينية وكورسيكا وصقلية وسواحل بلاد المغرب الشمالية. وتشكل حلقة اتصال بحري، ومركز صراع دولي، ونقطة التقاء حضاري منذ أقدم العصور[١].

وخضعت شبه الجزيرة الآيبيرية قبل الفتح العربي الاسلامي لشعوب كثيرة، فقد تعاقب على حكمها شعوب مختلفة، فخلال الفترة (١٥٠٠ـ٥٥٠ق.م) حكمها الفينيقيون والإغريق، ثم خضعت لحكم قرطاجنة خلال الفترة (٥٥٠ـ٢١٨ ق.م)، ثم لحكم الرومان من سنة ٢١٨ ق.م ـ ٤٠٩م، وحكمها الوندال Vandalos، والآلان Alanos والسويف Suevos والقوط الغربيون حتى الفتح الاسلامي سنة ٩١هـ/٧١٠م[٢].

وكان السويف والوندال أكثر عدداً من القوط الغربيين. وكان الوندال يسيطرون على شرق ايبيريا ووسطها، ثم ألجأهم القوط الغربيون إلى جنوبيها، ثم اضطروهم إلى العبور إلى افريقية سنة ٤٢٩م[٣].

وبسط القوط الغربيون سلطانهم على شبه الجزيرة كلها، واتخذوا طليطلة المتوسطة الموقع في شبه الجزيرة عاصمة لهم. ولكن سلطانهم لم يستقر بسبب المنازعات الدينية والخلافات الكثيرة بين أمرائهم. وكان القوط الغربيون مسيحيين على المذهب الأريوسي، ولكنهم لم يكونوا يؤمنون بألوهية المسيح، ولا يعترفون للقساوسة بحق الوساطة بين الله والناس، ولا يعتبرون للعذراء مكاناً متميزاً في العقيدة، مما جعل السكان الأصليين ينفرون منهم ومن حكمهم. ولكنهم اعتنقوا الكاثوليكية سنة ٥٨٧م، بل تعصبوا لها، وتأصلت الكاثوليكية في اسبانيا التي أصبحت من أمنع معاقلها[٤].

---

(١) حتاملة، ايبيريا: ٢٦ـ٢٧.

(٢) حتاملة، المرجع نفسه: ١٠٤.

(٣) مؤنس، فجر الاندلس: ٣ـ٤.

(٤) المرجع نفسه: ٤ـ١٠.

وعندما اعتلى غيطشة عرش إسبانيا سنة ٧٠٠م كانت الأمور قد اضطربت في هذه البلاد القوطية بسبب المؤامرات المتوالية التي كان كبار القوط يديرونها، وانشقت اسبانيا على نفسها بين رجال الدين والكبراء أو طبقة النبلاء الطامعين. ولما مات غيطشة في أواخر سنة ٧٠٨م انقضت هذه الأطراف بعضها على بعض. وبعد نحو عام ونصف من هذه الفوضى اجتمع نفر من كبار القوط، واختاروا لذريق خلفاً لغيطشة. وكان لذريق زعيماً قوطياً كبيراً ذا علم بأمور الحرب والسلم، وقد أعلن نفسه ملكاً في ربيع سنة ٧١٠م[1].

وكان يحكم سبتة في عهد لذريق شخص اختلف المؤرخون في نسبه يدعى يُليان، ويبدو أن غيطشة عينه حاكماً عليها. ولذلك ساعد أبناءه الذين فروا من وجه لذريق إلى جنوبي شبه الجزيرة الآيبيرية، وربما عبر بعضهم إلى إفريقية، واتصلوا بالعرب المسلمين لتخليصهم من حكم لذريق، ووقف يُليان إلى جانبهم في ذلك، بل قابل موسى بن نصير، وأقنعه بسهولة فتحها[2]، فوافق موسى الذي كان يفكر في ذلك الوقت في تنفيذ فكرة الفتح، لنشر الاسلام في تلك البقعة من العالم، وهي فكرة ليست بغريبة، ولا مستهجنة، ولم يكن هدفه شخصياً ولا آنياً، فالاسلام إنما هو رسالة للناس كافة، والعرب المسلمون هم الذين حملو رايتها، وسعوا إلى تبليغها للناس في كل مكان.

وتذكر المصادر العربية قصة تمهد لفتح أيبيريا، وتبرر اتصال يُليان بموسى بن نصير، وتوضح سبب ذلك، وهو رغبة يُليان في الانتقام من لذريق الذي استكره ابنته وافتضها[3].

---

(١) مؤنس، فجر الاندلس: ١٢-١٧؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٠.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٢٨؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٦-١٩؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٦-١٧؛ الاندلس في نفح الطيب للمقري: ١٠٤-١٠٨؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٥٢-٦٦؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٤-٤٥.

(٣) تذكر المصادر العربية الاسلامية أن يُليان أرسل ابنته إلى بلاط الملك لذريق لتتأدب بآداب الملوك، وكانت بارعة الجمال. فلما صارت عند لذريق وقعت عينه عليها فأعجبته، وأحبها حباً شديداً، ولم يملك نفسه حتى استكرهها وافتضها، فأعلمت أباها بذلك سراً، فأقسم أن يزيل ملك لذريق وسلطانه، فكان امتعاضه من فاحشة ابنته هو السبب الذي دفعه إلى الاتصال بموسى بن نصير، ودعوته لفتح الاندلس، ومساعدته في ذلك. انظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٧-٨؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ١٠٥-١٠٦؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٤٣-٤٤.

وأياً كان الأمر فقد عزم موسى بن نصير على فتح ايبيريا التي سماها العرب المسلمون: الأندلس، آخذين هذه التسمية من قبائل الوندال Vándalos التي تعود إلى أصل جرماني، إذ كانت قد حكمت شبه الجزيرة الآيبيرية خلال القرون الثالث والرابع والخامس الميلادية، وسموها باسمهم: فاندلسيا Vandalusia، أي: بلاد الوندال[1].

وكان العرب المسلمون الفاتحون قد أخذوا هذه التسمية عن طريق إخوانهم في الاسلام، سكان الشمال الإفريقي، وخاصة أهالي طنجة، الذين كانوا يطلقون اسم (وندلش) على الوندال. وقد حرفوا (الوندال) إلى (وندلس) مستخدمين الواو للتعريف كما هو متبع في لهجتهم، واستبدل العرب بالواو ألفاً، وسموها أندلس[2].

ولتوضيح المقصود بالاندلس هنا نذكر أنها الرقعة الممتدة جنوب خط وهمي يصل بين مصب نهر دويره (Duero) في الغرب، ويسير معه، ثم ينتهي في برشلونة في الشرق مع ارتفاع إلى الأعلى في الوسط. إذ يفصل هذا الخط بين اسبانيا النصرانية في الشمال، وبين الاندلس في الجنوب[3].

وتتألف الأندلس من ثلاثة ثغور*: الأعلى (أو الأقصى) وعاصمته سرقسطة (Zaragoza)، ويواجه مملكة نبرة النصرانية. والثغر الأوسط، وعاصمته مدينة سالم (Medinaceli) ثم طليطلة (Toledo)، ويواجه مملكتي قشتالة (Castella) وليون (León)

---

(1) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٧.

(2) حتاملة، ملامح حضارية: ١٨٢؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٣٧-٤١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٢٨.

(3) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٧؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٥٩-٦٩.

* الثغر: كل موضع قريب من أرض العدو، كأنه مأخوذ من الثغرة، وهي الفرجة في الحائط. انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٧٩/٢؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٤، الحاشية (٤).

النصرانيتين. والثغر الأدنى، ويقع بين نهري دُويُره وتاجُه (Tajo) وكانت عاصمته طليطلة[1].

وقد بدأ فتح الاندلس في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م)، فقد كتب موسى إلى الوليد بما دعاه إليه يليان، واستأذنه فأذن له بتردد[2]. وعندئذ أرسل موسى في رمضان سنة ٩١هـ/٧١٠م سرية استطلاعية بقيادة طريف ابن مالك المعافري الملقب بأبي زُرعة. وما لبثت تلك السرية أن عادت بغنائم كثيرة، وأخبار مشجعة على الفتح. فدعا موسى مولاه طارق بن زياد، وسيره إلى الاندلس في رجب، وقيل في شعبان من سنة ٩٢هـ/٧١١م[3].

وكان الجيش الذي أرسله موسى بربرياً صرفاً أو يكاد، إذ لم يكن معه من العرب سوى عدد قليل من كبار الجند العرب، وموالي الأمويين، مثل: عبد الملك بن أبي عامر المعافري، ومغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك، وعلقمة اللخمي[4]. وقد تجمع هذا الجيش في الطرف المقابل على جبل صخري عرف فيما بعد باسم جبل طارق. وبعد أن استكمل استعداداته هاجم لذريق، وانتصر عليه، ثم توجه إلى طليطلة فافتتحها صلحاً، وأرسل مغيث الرومي إلى قرطبة فأفتتحها[5]. واستأنف طارق فتوحاته، ثم عبر موسى بن

---

(١) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٨.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٨؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ١٠٦؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٦٦؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٥.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٨-٩؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٤٥؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٥-٤٦.

(٤) مؤنس، فجر الاندلس: ٦٨؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٦-٤٧.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٤٨؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٥١-٥٤؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٨٣-٨٤؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ١٠٩-١١٠.

نصير نفسه إلى الاندلس فاتحاً، واتخذ طريقاً مغايراً للطريق التي سلكها ابـن زيـاد، وافتتـح عدداً من المدن، وكذلك فعل ابنه عبد العزيز بن موسى[1].

ثم التقى موسى وطارق في بداية ذي القعدة سنة ٩٤هـ/آب ٧١٣م، في طليطلة، وتوجها في جمادي الثانية سنة ٩٥هـ/آذار ٧١٤م إلى الشمال، مفتتحاً أجـزاء كبـيرة مـن شمـالي شبه الجزيرة الآيبيرية، ثـم عـادا إلى طليطلـة، ومنهـا إلى قرطبـة، ثـم قفـلا عـائدين إلى دمشـق، ووصلاها بعد وفاة الوليد بـن عبـد الملـك، وذلـك في عهـد سـليمان أخيـه، الخليفـة الأمـوي الجديد[2].

عهد موسى بن نصير بولاية الأندلس إلى ابنه عبد العزيـز (ذو الحجـة ٩٥هـ/٧١٤م ــ رجب ٩٧هـ/٧١٦م، فابتدأ به عصر الولاة الذين تتابعوا حتـى سـنة ١٣٨هــ/٧٥٥م، وكـانوا يعينـون تـارة مـن قبـل الخليفـة، وتـارة مـن قبـل والي إفريقيـة. وقـد أثخـن هـؤلاء في بـلاد النصارى، وافتتحوا مناطق جديـدة في الشـرق والشـمال، فـانقرضت أمـم القـوط، بينمـا لجـأ النصارى الجلالقة وغيرهم إلى جبال قشتالة وأربونة، وتحصنوا بها. وحاول الولاة المتعـاقبون ترسيخ مقومات الحكم الاسلامي في الاندلس، ولكن التنافس والخلافات بين العرب والـبربر، وبين القيسية واليمنية صاحبت هذا الحكـم حتـى نهايتـه[3]. وقـد أدت هـذه الخلافـات إلى استقواء النصارى، وتغلبهم على أطراف الاندلس الشمالية. وكان عبد العزيز بن موسـى أول ضحايا هذه الخلافات والمنازعات، إذ قتله نفر من قادة جنده سنة ٩٧هـ/٧١٦م[4].

---

(١) مؤنس، فجر الاندلس: ٧٨ـ١٠٧؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٦٦ـ٨٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٤٩ـ٥٠.

(٢) مؤنس، فجر الاندلس: ١٠٧ـ١٢٨؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ١١٣ــ١١٩؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٥٠؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ١٢٦ـ١٢٧.

(٣) الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٢٧ـ٢٢٨؛ مؤنس، فجر الاندلس: ١٤٢ وما بعدها.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٤/٢؛ ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها: ٢١٣؛ مؤنس، فجر الاندلس: ١٢٩ـ١٣٠.

وتعاقب على الاندلس بعد عبد العزيز بن موسى بن نصير من الولاة[1]:

١- أيوب بن حبيب اللخمي، ابن أخت موسى بن نصير، وكانت ولايته ستة أشهر (رجب ٩٧هـ - ذو الحجة ٩٧هـ/آب ٧١٦م).

٢- الحر بن عبد الرحمن الثقفي (ذو الحجة ٩٧هـ - رمضان ١٠٠هـ/آب ٧١٦- آذار ٧١٩م).

٣- السمح بن مالك الخولاني (رمضان ١٠٠ - ذو الحجة ١٠٢هـ/آذار ٧١٩- حزيران ٧٢١م).

٤- عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي، تولى مرتين، الأولى: (ذو الحجة ١٠٢ - صفر ١٠٣هـ/ حزيران ٧٢١- آب ٧٢١م).

٥- عنبسة بن سحيم الكلبي (صفر ١٠٣- شعبان ١٠٧هـ/ آب ٧٢١- كانون الثاني ٧٢٦م).

٦- عذرة بن عبد الله الفهري (شعبان ١٠٧هـ - شوال ١٠٧هـ/كانون الثاني ٧٢٦- شباط ٧٢٦م).

٧- يحيى بن سلمة الكلبي (شوال ١٠٧هـ - ربيع الأول ١١٠هـ/شباط ٧٢٦ - حزيران ٧٢٨م).

٨- حذيفة بن الأحوص القيسي الأشجعي (ربيع الأول ١١٠هـ - شعبان ١١٠هـ/حزيران ٧٢٨ - كانون الأول ٧٢٨م).

٩- عثمان بن أبي نسعة الخثعمي (شعبان ١١٠ - المحرم ١١١هـ/كانون الأول ٧٢٨ - نيسان ٧٢٩م).

١٠- الهيثم بن عبيد الكلابي (المحرم ١١١ - ذو القعدة ١١١هـ/نيسان ٧٢٩- كانون الثاني ٧٣٠م).

١١- محمد بن عبد الله الأشجعي (ذو القعدة ١١١- صفر ١١٢هـ/كانون الثاني ٧٣٠- آذار ٧٣٠م).

---

(١) مؤنس، فجر الاندلس: ٦١٢-٦١٤؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٠٧-٢١٠؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٢٨-٢٣٤.

١٢- عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (ولايته الثانية) (صفر ١١٢هـ - رمضان ١١٤هـ/ آذار ٧٣٠ - تشرين الأول ٧٣٢م).

١٣- عبد الملك بن قطن الفهري (ولايته الأولى) (رمضان ١١٤ - شوال ١١٦هـ - تشرين الأول ٧٣٢ - تشرين الثاني ٧٣٤م).

١٤- عقبة بن الحجاج السلولي (شوال ١١٦ - صفر ١٢٣هـ/تشرين الثاني ٧٣٤ - كانون الثاني ٧٤١م).

١٥- عبد الملك بن قطن الفهري (ولايته الثانية) (صفر ١٢٣هـ - ذو القعدة ١٢٣هـ/ كانون الثاني ٧٤١ - أيلول ٧٤١م).

١٦- بلج بن بشر القشيري (ذو القعدة ١٢٣ - شوال ١٢٤هـ/أيلول ٧٤١ - آب ٧٤٢م).

١٧- ثعلبة بن سلامة العاملي (شوال ١٢٤ - رجب ١٢٥هـ/آب ٧٤٢ - أيار ٧٤٣م).

١٨- أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي (رجب ١٢٥ - رجب ١٢٧هـ/أيار ٧٤٣ - نيسان ٧٤٥م).

١٩- ثوابة بن سلامة الجذامي (رجب ١٢٧ - المحرم ١٢٩هـ/نيسان ٧٤٥ - أيلول ٧٤٦م).

٢٠- يوسف بن عبد الرحمن الفهري (ربيع الثاني ١٢٩هـ - ذو الحجة ١٣٨هـ/كانون الثاني ٧٤٧ - ١٤ أيار ٧٥٦م). وقد شاركه في هذه الولاية الصميل بن حاتم.

ويلاحظ أن هناك فترة مقطوعة بين ولاية ثوابة الجذامي ويوسف الفهري مدتها نحو أربعة أشهر، وقد قام بالأمر خلالها عبد الرحمن بن كثير اللخمي دون ولاية، إذ نصبه أهل الاندلس للأحكام الخاصة[1].

وتغلب على الاندلس في ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري والصميل بن حاتم الأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان (عبد الرحمن الداخل)، وملكها،

---

(١) مؤنس، فجر الاندلس: ٦١٤؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢١٠.

وجدد فيها الدولة الأموية التي انقرضت في المشرق الاسلامي على يد العباسيين في جمادى الآخرة سنة ١٣٢هـ/كانون الثاني ٧٥٠م[١].

تمكن عبد الرحمن الداخل من تطويع زعامات الاندلس المتناحرة، وتوحيد البلاد جغرافياً وسياسياً[٢]. ثم ولي بعده أمراء وخلفاء، كان بعضهم قوياً قادراً على ضبط الأمور في الداخل، والتفرغ للجهاد ضد النصارى. وكان بعضهم الآخر ضعيفاً، وزاد من ضعفه كثرة الثائرين ضده، وتكالبهم عليه، مما أطمع النصارى في البلاد، فأخذوا ـ وقد لاحت فرصتهم ـ يغيرون على أطرافها.

وكانت إمارة عبد الرحمن الداخل ثلاثاً وثلاثين سنة وبضعة أشهر (١٣٨ـ١٧٢هـ/ ٧٥٥ـ٧٨٨م)، وتولى إمارة الاندلس بعده ابنه هشام الأول (المُرتضى) (١٧٢ـ١٨٠هـ/ ٧٨٨ـ٧٩٦م). وكان أميرا عادلا، يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز، وقد جاهد في الله ضد النصارى، وخاصة نصارى جليقية، حق الجهاد. وكان من أهل الخير والصلاح. وولي بعده بعهد منه ابنه الحكم الأول (الربضي) (١٨٠ـ٢٠٦هـ/٧٩٦ـ٨٢٢م). وقد بدأ عهده بالانهماك في الملذات، ووقعت في أيامه حروب وفتن كثيرة، وعبث النصارى بالثغور الاسلامية وهو منشغل عنها بالخارجين عليه، إلا أنه ـ بعد أن تغلب على خصومه ـ تصدى لهم، وألحق بهم هزائم كثيرة[٣].

---

(١) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢١٥؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٣٧ وما بعدها؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٦٧٤ وما بعدها؛ سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس: ١٢ـ١٣.

(٢) مؤنس، فجر الاندلس: ٦٩٠؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٤٣ـ٢٤٤؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٥٦ـ١٥٧؛ سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس ١٢ـ١٣.

(٣) الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٤٥ـ٢٥٢؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٩٢.

وتولى الإمارة بعد الحكم بن هشام ابنه عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م)، وكان عاقلاً فطناً حسن الخلق، كما كان وافر الخبرة. حارب النصارى، ودحرهم بعيداً عن ثغور الاندلس بعد أن أكثر فيهم القتل والسبي(١).

ولما مات عبد الرحمن الثاني ترك إمارة زاهرة، تنعم بالاستقرار والهدوء، ولكنه هدوء كان يخفي كثيراً من التيارات الخفية التي كادت تعصف بالاندلس في عهد الأمير محمد الأول بن عبد الرحمن الثاني (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م). ففي عهده ثار أهل طليطلة، وما إن تمكن من إخماد ثورتهم حتى دهم الاندلس خطر النصارى، ولم يكد يخمد ثائرتهم في الشمال حتى ثار عليه زعماء المولدين في أواسط الاندلس، كما عاد النصارى إلى تهديد الثغر الأعلى، وما لبثت الثورات والفتن أن عمت أنحاء الأندلس. وأمضى محمد الأول سني إمارته في التصدي لها إلى أن توفي سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م(٢).

وتولى الحكم بعد محمد الأول ابنه المنذر (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م) ثم ابنه عبد الله (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م). وكان عهدهما مليئاً بالثورات والفتن؛ ففي عهد المنذر تفاقمت ثورة ابن حفصون التي بدأت في عهد والده، وعمت ثورته أنحاء البلاد، وحاول المنذر القضاء عليه، فحاصره في ببشتر، إلا أنه مرض أثناء ذلك، وتوفي(٣).

وفي عهد عبد الله استفحلت الثورة، واندلع لهيبها في كل ناحية، فحاول اكثر من مرة الإيقاع بابن حفصون. وزاد الأمر سوءاً اتساع نطاق الثورة بين القبائل العربية، واعتناق عمر بن حفصون النصرانية، وتحالفه مع النصارى ضد عبد الله. وظل عبد الله يقارع الفتن،

---

(١) الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٥٣-٢٥٦؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٩٢.

(٢) عنان، دولة الاسلام في الاندلس (عهد الفتنة الكبرى): ٩-٢٢؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٩٣؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٥٧-٢٥٨.

(٣) عنان، دولة الاسلام في الاندلس (عهد الفتنة الكبرى): ٢٥-٢٩.

ويواجه الاضطرابات المتلاحقة، ويتصدى للخارجين عليه حتى توفي في مستهل ربيع الأول سنة ٣٠٠هـ/ تشرين الأول سنة ٩١٢م[1].

وتولى الأمر في الاندلس بعد عبد الله حفيده عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) بن محمد (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م). وهو أول من تلقب بالخلافة من الأمويين في الاندلس. وقد تمكن من توحيد البلاد بعد انقسامها، وقضى على الثوار والمتمردين. وهابه ملوك النصارى، وبلغت الاندلس في عهده ذروة التقدم والرقي[2].

وتولى الخلافة بعده ابنه الحكم الثاني (المستنصر بالله) (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م). وكان حسن السيرة قوياً، خطب وده بعض ملوك النصارى وهادنوه، وجاهد من طمع ببلاده منهم مثل الجلالقة، وانتصر عليهم، وفتح قلمرية من بلاد البشكنش، وعمرها، واعتنى بها[3].

توفي الحكم الثاني (المستنصر بالله) سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م، فخلفه ابنه هشام الثاني (المؤيد بالله) (٣٦٦-٤٠٣هـ/٩٧٦-١٠١٣م). وكان صبياً صغيراً، فاستبد بأمور الدولة حاجبه محمد بن أبي عامر الذي تلقب بالمنصور. وبعد وفاة المنصور قام بالأمر أخوه عبد الرحمن، وتلقب بالناصر لدين الله، وحاول الاستبداد بأمور الخلافة كلها، بل طمع بالخلافة نفسها، فنقم عليه المسلمون، وخلعوه وهو غائب في غزاة من صوائفه في جليقية. كما أن أهل الدولة

---

(١) الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٦٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٩٣؛ ولمزيد من التفاصيل حول ثورات المولدين والعرب والبربر في عهد الأمير عبد الله بن محمد الأول، راجع: عنان، دولة الاسلام في الاندلس (عهد الفتنة الكبرى): ٤١-٥١.

(٢) سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس: ٤١٤؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٩٣؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٦١-٢٧٠؛ وعنان، دولة الاسلام في الاندلس (عهد الفتنة الكبرى): ٧١-٩٠.

(٣) الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٧١-٢٨٣.

الناقمين على الناصر خلعوا هشاماً المؤيد، وبايعوا أمويا من أعقاب الخليفة الناصر، ولقبوه (المهدي با لله)، إلا أن الأمور اضطربت في عهده اضطراباً شديداً، وعمت الفوضى أنحاء الاندلس كلها، وانقسمت البلاد، وتفككت وحدتها. واشتد الصراع بين البربر والعرب والصقالبة، واستعان كل منهم على منافسية بنصارى الشمال[1].

وتولى الحكم بعد خلع الخليفة الأموي هشام الثاني عدد كبير من الخلفاء الأمويين الضعاف خلال فترة وجيزة (٣٩٩-٤٢٢هـ/١٠٠٨-١٠٣٠م)، وكان هؤلاء يمثلون مرحلة انهيار الدولة الأموية في الاندلس، وبانهيارها استقل كل زعيم أو متنفذ، أو عامل بما تحت يده من بلاد. وبدأ بذلك عصر الطوائف[2].

وزاد عدد الممالك والدويلات التي أقامها ملوك الطوائف في الاندلس عقب انهيار الخلافة الأموية فيها على اثنتين وعشرين، أهمها[3] :

١- مملكة سرقسطة في الثغر الأعلى : (بنو هود).
٢- مملكة طليطلة في الثغر الأوسط : (بنو ذي النون).
٣- مملكة بطليوس في الثغر الأدنى: (بنو الأفطس).
٤- مملكة إشبيلية في غربي الاندلس: (بنو عباد).
٥- مملكة بلنسية في شرقي الاندلس: (بعض بني عامر ثم بعض بني ذي النون).
٦- مملكة غرناطة في جنوبي الاندلس: (بنو زيري).
٧- إمارة قرطبة في وسط الاندلس: (بنو جهور).

---

(١) الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٩١-٢٩٢؛ سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ حضارة الاسلام في الاندلس: ١٦-١٧.

(٢) سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ حضارة الاسلام في الاندلس: ١٧٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٢٣؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٢٩٢-٢٩٣؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٧.

(٣) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٥٥ وما بعدها؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٣٠٠.

وهكذا فقد "انقطع اسم الخلافة من الجزيرة (الاندلس)، ودارت الدوائر المبيرة، وقد حال الرائس والمرؤوس، وارتفع كل خامل وخسيس، وثار الثوار، واشتعلت بكل مكان النار، وظهر العدو غاية الظهور، لا سيما على الأطراف والثغور"[١].

ولما وصلت الاندلس إلى هذه الحال من التفكك والاضطراب الذي عرضها لأطماع أعدائها النصارى، ارتفعت بعض الأصوات الداعية لجمع الشمل، كان أقواها صوت العلامة القاضي الفقيه أبي الوليد الباجي، وساعده في ذلك حاكم بطليوس عمر المتوكل بن المظفر بن الأفطس. كما دعا إلى ذلك الأديب المحدث أبو حفص عمر بن حسن الهوزي من أهل إشبيلية، وأبو عبد الله محمد بن حسين بن محمد بن عُريب الأنصاري من أهل طرطوشة، إلا أن ملوك الطوائف لم يلتفتوا إلى هذه الدعوات، وظلو في غيهم سادرين، على الرغم من تساقط كثير من المدن والمواقع الأندلسية في أيدي النصارى[٢]. وربما كان المعتمد بن عباد، أمير إشبيلية، هو الوحيد الذي أثرت فيه دعوة الباجي وابن الأفطس، فقد حاول ابن عباد - في أعقاب سقوط طليطلة في أيدي النصارى في المحرم سنة ٤٨٧هـ/١٠٨٥م - أن يعقد مؤتمر قمة لملوك الطوائف، وعُقد المؤتمر فعلاً في قرطبة بحضور الزعماء والفقهاء وكثير من الناس، وتدارسوا أوضاعهم، وقرروا طلب النجدة من المسلمين في خارج الاندلس، لتخليصهم من خطر النصارى المحدق بهم، وصلف ملك قشتالة ألفونسو السادس الذي أصبح على وشك الانقضاض على بقية ممالك الاندلس بعد تمكنه من احتلال طليطلة[٣].

وتوجهت أنظار ملوك الطوائف إلى شمالي إفريقية، حيث بلغت دولة المرابطين في المغرب أوج ازدهارها، وأقصى ما يمكن أن تصل إليه دولة من التمكن والقدرة، وخاصة أن تلك الدولة قامت على أسس اسلامية، وكان الجهاد على رأس أولوياتها. واستنجد ملوك

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٨.

(٢) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٣٦-٣٥٢.

(٣) المرجع نفسه: ٣٥٢ وما بعدها.

الطوائف برأس دولة المرابطين يوسف بن تاشفين، فأنجدهم، إذ أرسل جيشاً مرابطياً إلى الاندلس، واشتبك مع النصارى في موقعة الزلاقة في رجب سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، وحقق نصراً مؤزراً عليهم، اهتزت له النفوس في الاندلس وفي انحاء العالم الاسلامي[١].

وبعد عودة يوسف بن تاشفين إلى المغرب عاد الفونسو السادس إلى غطرسته، وأخذ يحشد قواته للإغارة على أراضي المسلمين، بل أغار فعلاً على بعض المناطق في شرقي الاندلس، فاستغاث المعتمد بن عباد بالمرابطين مرة أخرى، فجاز يوسف بن تاشفين إلى الاندلس ثانية في سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م، ثم جاز إليها في أوائل سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م بعد أن ساءت أحوال الطوائف، وعادوا إلى خلافاتهم، فخلعهم ابن تاشفين واحداً واحداً، وبسط سلطان المرابطين على الأندلس، وبذلك أصبحت جزءاً لا يتجزأ من دولتهم[٢].

وقام بأمر الدولة المرابطية بعد وفاة يوسف بن تاشفين ابنه علي (٥٠٠-٥٣٣هـ/١١٠٦-١١٣٨م)، "فجرى على سنن أبيه في الجهاد ومدافعة النصارى وحماية البلاد. وكان ورعاً زاهداً، حاط نفسه بالفقهاء ورجال الدين، فعظم شأنهم في عهده..."[٣]، وأقبل على الدين، وأهمل الدولة وشؤونها، فضعفت، واضطربت أحوالها، وانقض عليها الموحدون، فقضموا أطرافها أولاً، ثم توغلوا فيها، وأنهوها كدولة.

وعندما اضطربت أحوال المرابطين اضطروا إلى سحب جيوشهم من الاندلس، فعادت إلى حالها في عهد ملوك الطوائف، وجدد النصارى هجماتهم على المدن الاسلامية[٤].

---

(١) الحجي، التاريخ الأندلسي: ٤٢١-٤٢٢.

(٢) سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس: ١٩-٢٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٢٢ وما بعدها.

(٣) سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس: ٢٠.

(٤) المرجع نفسه: ٢٠-٢١.

ورث الموحدون المرابطين، وأصبحوا في عهد أميرهم عبد المؤمن بن علي الكومي (٥٢٤ـ٥٥٨هـ/١١٢٩ـ١١٦٢م) قوة يحسب حسابها. وقد أقبلت عليهم وفود أهل الاندلس تستغيث بهم، وكان أول الوافدين القاضي أبو بكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد الإشبيلي على رأس وفد كبير لمبايعة الموحدين، وذلك سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م. واستنصروا عبد المؤمن فوعدهم، وعبر إلى الاندلس في ذي القعدة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، ونظم شؤونها، وترك فيها حامية قوية وعاد. وفي سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م أرسل أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذي آلت إليه إمارة الموحدين بعد أبيه حملة إلى الاندلس وجهها ضد النصارى، وانتصر عليهم... ثم توالى إرسال القوات الموحدية إلى الاندلس. وفي الوقت الذي اشتد فيه تكالب النصارى، وازداد ضغطهم على المدن الاندلسية، ازداد ضعف الموحدين، ثم انهارت دولتهم[1].

لقد بدأ انهيار الدولة الموحدية بانتصار النصارى الاسبان على الموحدين في موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، وتفككت بانهيار دولتهم الاندلس، وعصفت بها الخلافات والفتن، وتناوب الزعماء والمتغلبون القواعد والثغور، وأخذ ملوك النصارى ينزلون بالاندلس ضربات قوية متوالية، ويستولون على قواعدها تباعاً[2].

ومن أهم القواعد الاندلسية التي سقطت في تلك الفترة: قرطبة (٦٣٣هـ/١٢٣٦م)، وبلنسية (٦٣٦هـ/١٢٣٨م)، ومرسية (٦٤١هـ/١٢٤٣م)، وإشبيلية (٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، وغيرها[3]. ولم يبق من القواعد الرئيسية بيد المسلمين سوى غرناطة، وبضعة مدن أخرى في جنوبي الاندلس[4].

(1) عنان، نهاية الاندلس: ١٥؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٥٧ـ٤٦٢.
(2) عنان، نهاية الاندلس: ١٤.
(3) عنان، نهاية الاندلس: ١٦؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٧٢ وما بعدها.
(4) عنان، نهاية الاندلس: ١٦.

وقامت خلال تلك الفترة في شمالي إفريقية ثلاث دول اسلامية فتية: دولة بني مرين في المغرب الأقصى، ودولة بني زيان في المغرب الأوسط (الجزائر)، ودولة بني حفص في المغرب الأدنى (تونس)[١].

واستنجد الاندلسيون بهذه الدول، وخاصة بالمرينيين وبالحفصيين، وكان قد ظهر في الاندلس عقب الموحدين شخصيتان، الأولى: ابن هود أبو عبد الله محمد بن يوسف الجذامي، الذي تلقب بأمير المسلمين سيف الدولة المتوكل على الله، وقد بدأ نشاطه سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م، ودخلت في طاعته مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية، ومواقع أخرى، إلا أنه خسر معظم هذه القواعد، حيث سقطت في أيدي ملوك قشتالة وليون. أما الشخصية الثانية فهي: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، الملقب بالغالب بالله. وقد توفي ابن هود في أوائل سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م. وظل ابن الأحمر وحيداً في الاندلس، واستطاع أن يحتفظ ببعض مناطقها الجنوبية، حيث أسس مملكة غرناطة التي استطاعت أن تصمد وحدها أمام ضغوط النصارى نحو قرنين من الزمان[٢].

لقد واجهت مملكة غرناطة أطماع النصارى المحدقين بها، وثبتت أمام زحفهم، وساعدها في ذلك بنو مرين، فقبيل وفاة ابن الأحمر سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م هاجم الفونسو العاشر أراضيه، فطلب نجدة السلطان المريني أبي يوسف يعقوب الملقب بالمنصور، فأرسل جيشاً في ذي الحجة سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٥م انتصر على النصارى. وعبر السلطان المريني إلى الاندلس ثانيةً سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م، وتوغل بجيشه في أراضي قشتالة ثم عاد إلى المغرب. وتوالى عبور المرينيين إلى الاندلس لنجدة المسلمين هناك، وتوفي فيها سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٥م. ثم ضعف بنو مرين، وظل بنو الأحمر وحدهم يقارعون النصارى، ويخسرون أمامهم المواقع واحداً بعد الآخر، إلى أن تقلصت المملكة، واقتصرت على غرناطة المدينة. واستنجدوا أثناء

---

(١) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٦٨.

(٢) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٥١٥؛ عنان، نهاية الاندلس: ١٦.

صراعهم مع النصارى بالمماليك في مصر، وبالدولة العثمانية، ولكن أحداً لم يسعفهم بنجدة ذات بال، أو قوة، فاضطروا إلى تسليم المدينة في ٢١ محرم ٨٩٧هـ/٢٥ تشرين الثاني ١٤٩١م[١]. وبعد توقيع المعاهدة في هذا التاريخ بفترة وجيزة، دخل ملكا قشتالة الكاثوليكيان: فرديناند وإيزابيلا قصر الحمراء في غرناطة وذلك في ٢ ربيع الأول سنة ٨٩٧هـ/٢ كانون الثاني ١٤٩٢م[٢].

عمر المسلمون الاندلس ثمانية قرون (٩٢-٨٩٧هـ/٧١١-١٤٩٢م). وأقاموا فيها حضارة مزدهرة شكلت ركناً أساسياً في البناء الحضاري الانساني كله، وكانت الجسر المتين الذي اجتاز عبره الأوروبيون من عصورهم الوسطى المظلمة، إلى عصرهم الحديث، عصر النهضة الغني بالابتكارات والاختراعات وعناصر التقدم.

لقد وصف الرحالة ابراهيم بن يعقوب الاسرائيلي الطرطوشي الذي عاش في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي بعض الأوروبيين بأنهم كانوا "لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين بالماء البارد. ولا يغير لون ثيابهم إلى أن تنقطع عليهم، ويزعمون أن الوسخ الذي يعلوها من عرقهم تنعم به أجسامهم، وتصح أبدانهم"[٣]. ووصفهم غيره بأنهم كانوا "يحرقون أنفسهم بالنار إذا مات رئيسهم، ويُحرقون دوابّهم... وهم يطربون ويفرحون عند حرق الميت، ويزعمون أن سرورهم... لرحمة ربه إياه. ونساء الميت يقطعن أيديهن ووجوههن بالسكاكين. وإذا زعمت واحدة منهن أنها محبة له علقت حبلاً وارتقت إليه على كرسي، فتشد به في عنقها ثم يُجذب الكرسي من تحتها، فتبقى معلقة تضطرب حتى

---

(١) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٥٣٦-٥٥٢؛ عنان، نهاية الاندلس: ٢٣٠؛ لسان الدين ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان: ٢٥-٢٨؛ الاندلس من نفح الطيب للمقري: ٣١٤؛ الدولاتي، مسجد قرطبة وقصر الحمراء: ١٠٣؛ ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا: ٣٢/١.

(٢) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٥٥٤.

(٣) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٨١.

تموت ثم تُحرق وتلحق بزوجها"[١]. وأكد ثالث أنهم "ليس لهم حمامات، وإنما يتخذون بيوتاً من خشب، ويسد خصاصه بشيء يتكون على أشجارهم يشبه الطحلب"[٢].

ولما دخل المسلمون الاندلس وجدوها "شامية في طيبها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها"[٣]، فاستغلوا خصبها ومعادنها وثراءها وشطآنها أحسن استغلال، وأدخلوا معهم حضارة الاسلام، واستنبطوا من ذلك كله حضارة متعددة الجوانب، قوية التأثير. فالفتح الاسلامي لشبه الجزيرة الآيبيرية (الأندلس) لم يكن فتحاً للأرض وحسب، وإنما كان فتحاً للعقول الأوروبية المغلقة.

لقد أخذ الفاتحون منذ دخولهم مع القائدين طارق بن زياد وموسى بن نصير على رأس جيشيهما يتفاعلون مع السكان، وانصهر الشعبان: الفاتح والأصيل في بوتقة واحدة[٤].

وقام المسلمون بدور مهم في مختلف مجالات الحياة، ففي مجال الزراعة بنوا السدود، وشقوا القنوات، وأقاموا على الأنهار الجسور والقناطر، واستخدموا الري بالتنقيط، وبرعوا في تنسيق الحدائق، ونقلوا خبراتهم الزراعية إلى البلاد الأوروبية[٥].

وازدهرت في الاندلس الصناعات النسيجية، وأتقنوا فنون الأصباغ، وتفننوا في تزجيج الفخار وتذهيبه. وأبدعوا ما لا يحيط به وصف أو حصر في مجالات الصناعات العسكرية، سواء ما تعلق منها بالقوات البرية أم البحرية[٦].

---

(١) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ١٨٦-١٨٧.
(٢) المصدر نفسه: ١٨٩.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣.
(٤) حتاملة، ملامح حضارية: ١٨٣-١٨٤.
(٥) حتاملة، ملامح حضارية: ١٨٤-١٨٥.
(٦) المرجع نفسه: ١٩٦-١٩٧.

وأنبت الفاتحون المسلمون في الأندلس بذور الفن الاسلامي، وبرعوا في الموسيقى والغناء، كما برعوا في العمارة، وفي هذا المجال الأخير تركوا شواهد كثيرة دالة عليه، ما تزال تتحدى الزمن رغم تغيير بعض معالمها، منها: مسجد قرطبة الذي حوله النصارى إلى كنيسة سموها (سانتا ماريا الكبرى)[1]، وقصر الحمراء في غرناطة[2].

وبنى المسلمون عشرات الآلاف من الحمامات في المدن الأندلسية، كما بنوا الفنادق، وأنشأوا الأسوار والقلاع والحصون[3]. وأقاموا التماثيل، فشدوا الأنظار إليها، وخلبوا الألباب بدقة صنعها. وتفننوا في صناعة الثريات البرونزية، والسيوف المذهبة، والخناجر المفضضة، فجاءت تحفاً تسر الناظرين[4].

ونبغ منهم العشرات في مجالات العلم المختلفة، وكان لهم في الطب شأن وأي شأن. وقد نقلت كتبهم إلى اللاتينية واليونانية، فأفاد الأوروبيون منها، وكانت أساس نهضتهم[5].

وبرعوا في الآداب شعرها، ونثرها. وأثروا علوم اللغة، إذ تركوا آثاراً في النحو والصرف ما تزال النبع الثر الذي ما يزال ينهلُ منه الناهلون. وابتكروا فن الموشحات، فترنم على أوزانها الشرق، وتلقفوا التروبادور ونسقها، ليطوروا أغنياتهم وأناشيدهم[6].

---

(1) سالم، السيد عبد العزيز، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس: ١٤٥ـ١٦٥.

(2) المرجع نفسه: ٢٠٤.

(3) المرجع نفسه: ٢٠٨ وما بعدها.

(4) المرجع نفسه: ٢٦٨ وما بعدها.

(5) المرجع نفسه: ٢٨٦ـ٢٨٧.

(6) دندش، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين: ٤٢٥ وما بعدها.

ويمكن القول باختصار: إن الاندلسيين نبغوا في كل علم وفن، ولم تُلههم كثرة الحروب والفتن والصراعات المتلاحقة عن الإبداع والانتاج الحضاري المتعدد الجوانب، الذي أخرج أوروبا من ظلمتها، وعرّف الانسان الأوروبي مكانته، وطهر بصيرته، وأعلى قدره[1].

والمسلمون الأندلسيون الذين اخترقت آدابهم وعلومهم الجدار الصليبي، فصوبت الكثير من المفاهيم السائدة في العصور الأوروبية الوسطى، لم يكن حظهم في النهاية سوى القتل والتشريد، وتدمير مدنهم وممتلكاتهم، وإحراق بعض مساجدهم، وتحويل بعضها الآخر إلى كنائس. وقد فعل النصارى ذلك ـ أيام ضعف المسلمين ـ غدراً وخيانة، ناكثين عهودهم ومعاهداتهم التي كانوا يعطونها للمسلمين أو يعقدونها معهم. وهو ما لم يكن يفعله المسلمون إبان قوتهم، إذ كانوا عندما يفتحون مدينة نصرانية صلحاً يؤمنون أهلها، ويحافظون على روابطهم الأسرية، ويتركون لهم حريتهم الدينية، ولا يهدمون لهم معبداً. ويكفي هنا إيراد مثال واحد على هذه الصورة الحضارية للاسلام ورسالته، هو ما ورد في وثيقة الصلح بين عبد العزيز بن موسى بن نصير وتُدمير، حاكم كورة تدمير النصراني، فقد تعهد فيها عبد العزيز لتدمير "ألا يقدم له وألا يؤخر لأحد من أصحابه بسوء، وأن لا يُسبون، ولا يفرق بينهم وبين نسائهم وأولادهم، ولا يقتلون، ولا تحرق كنائسهم، ولا يكرهون على دينهم..."[2].

والنصارى الذين وقع بينهم وبين المسلمين احتكاك مباشر عبر القرون الثمانية، يتمثلون بعدد كبير من القادة والأمراء والملوك الذين تعاقبوا على حكم المناطق النصرانية، ولكي يكتمل الإطار التاريخي للأندلس لا بد من ذكر أشهرهم.

لقد كان لذريق (Rodrigo)، الذي استولى على السلطة في اسبانيا، هو آخر حاكم قوطي للبلاد غداة الفتح الاسلامي، وجاء بعده تُدمير (أو تيودمير) الذي وصفته بعض المصادر بأنه

---

(1) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٥٧٥ـ٥٧٧.

(2) العذري، نصوص عن الاندلس: ٤ـ٥.

كان "علجاً داهية"[1]. وبرزت في عهد الدولة الأموية في الاندلس جماعة سمتهم المصادر (المجوس)، الذين هاجموا سواحل الاندلس الغربية، وهم النورمان، أو النورمانيون[2].

أما الدويلات النصرانية التي نشأت شمال الاندلس، ثم أصبحت ممالك قوية فتعود جذورها إلى أوائل القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وأشهرها مملكة ليون التي يعتبر الفونسو الأول، الملقب بالكاثوليكي، أول مؤسسيها. وقد اشتهر من ملوكها: الفونسو الثاني (١٧٥-٢٢٧هـ/٧٩١-٨٤٢م)، وردمير الأول (٢٢٧-٢٣٦هـ/٨٤٢-٨٥٠م)، وشانجة الأول (٣٤٥-٣٥٥هـ/٩٥٦-٩٦٦م)، وبرموده الثاني (٣٧٢-٣٨٩هـ/٩٨٢-٩٩٩م)، والفونسو الخامس (٣٨٩-٤١٨هـ/٩٩٩-١٠٢٧م)[3].

ووجدت إلى جانب مملكة ليون مملكتان أخريان، هما: قشتالة ونبارة (نافار). وكانت هذه الممالك تقوم منفردة أو متجمعة بتحرشات ضد الاندلس، وتغير على ثغورها، وخاصة الثغر الأعلى[4]. ومن أشهر ملوك قشتالة خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين: فرّان غنصاليص، غرسيه فراندس، وشانجة. وتزامن مع هؤلاء من ملوك نبارة (نافار): غرسيه بن شانجة (الأول)، وشانجة غرسيه (الثاني)، وغرسيه شانجة (الثاني)، وشانجة غرسيه (الثالث)[5].

وفي عهد ملوك الطوائف تولى حكم قشتالة فرناندو الأول (٤٢٦-٤٥٨هـ/١٠٣٥-١٠٦٥م)، ثم تولى الفونسو السادس (٤٦٥-٥٠٢هـ/١٠٧٢-١١٠٩م) حكم أشتوريس

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٣٢؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٠؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ١/٢٦٤.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٢٧ وما بعدها.

(٣) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٦٦-٢٧٣.

(٤) المرجع نفسه: ٢٧٣-٢٧٤.

(٥) المرجع نفسه: ٢٧٦.

وليون. ومن أشهر من جاء بعدهما: ألفونسو السابع الملقب بالسليطين الذي حكم قشتالة وليون وغيرهما[1].

وتزامن مع وجود المرابطين والموحدين في الاندلس وجود ثلاث ممالك نصرانية قوية، هي: مملكة قشتالة التي ازدادت قوة تحت حكم ملوكها: شانجة الثالث (٥٥٣هـ/١١٥٨م)، والفونسو الثامن (٦١١هـ/١٢١٤م) وألفونسو التاسع (٦٢٨هـ/١٢٣٠م) الذي حكم ليون أيضاً، وفرانده الثالث (٦٥٠هـ/١٢٥٢م) الذي حكم ليون كذلك. ومملكة البرتغال التي كان من أشهر حكامها في تلك الفترة: ألفونسو (ابن الرنك) (٥٨١هـ/١١٨٥م)، وشانجة الأول (٦٠٨هـ/١٢١١م)، وألفونسو الثاني (٦٢٠هـ/١٢٢٣م). ومملكة أرغون التي حكمها شانجة ابن رُدمير (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، وألفونسو الأول (المحارب) (٥٢٨هـ/١١٣٤م)، وخايمي الأول (الغازي) (٦٧٥هـ/١٢٧٦م)[2].

وعاصر مملكة غرناطة من ملوك قشتالة بعد ألفونسو العاشر عشرة ملوك، أشهرهم: شانجة الرابع (الباسل) (٦٩٥هـ/١٢٩٥م)، وفرانده الرابع (٧١٢هـ/١٣١٢م)، وألفونسو الحادي عشر (٧٥١هـ/١٣٥٠م)، وبطرُه الأول (القاسي) (٧٦٩هـ/١٣٦٩م). كما عاصرها من ملوك أرغون بعد خايمي الأول عشرة ملوك أيضاً كان آخرهم الملكان الكاثوليكيان فرديناند وإيزابيلا اللذان سقطت غرناطة في أيديهما سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م[3].

---

(١) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٢٩.

(٢) المرجع نفسه: ٤٦٦-٤٦٧.

(٣) المرجع نفسه: ٥٢٦-٥٢٧.

أندوخر (أندوجر) Andujar:

حصن، ذكره ياقوت باسم (أندوشر)، وضبطه: بالضم ثم السكون، والشين معجمة[1]. يقع قرب قرطبة إلى الشمال الشرقي منها على نهر الوادي الكبير[2]. ويبدو من وصف ابن الخطيب لهذا الحصن أنه كان شديد المنعة، كثير الأبراج، إذ قال في وصف غزوة لسلطان بني مرين "وحلّوا بظاهر حصن أندوجر،وقد أصبح مسألف أذمار غير أوشاب، ووكر طيور نشاب، فلما بلونا مراسه صعبا، وأبراجه ملئت حرساً شديداً وشهبا، ضننا بالنفوس أن تفيض دون افتتاحه"[3]. وفي معرض حديثه عن السلطان اسماعيل بن يوسف بن اسماعيل النصري ذكر ابن الخطيب أن هذا السلطان وجه كتاباً بخطه إلى أهل أندوخر[4]. وذكر أيضاً أن ابن حمدين التجأ إلى أندوخر بعد هزيمته على يد ابن غانية، فتحرك ابن غانية إليه وحاصره نحو شهر، ثم اضطر إلى تركه عندما استنجد ابن حمدين بالنصارى[5].

وكان أندوخر أول حصن نازله الموحدون بقيادة أبي يعقوب وأبي حفص لقربه من قرطبة، ففتحوه، ولما انتهى ذلك إلى أهل الحصون المجاورة دخلوا في طاعة الموحدين[6].

زار المكناسي حصن أندوخر في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، ووصفه بأنه مدينة صغيرة، أسست في بسيط من الأرض على حافة الوادي الكبير المار بقرطبة وإشبيلية، تحيط بها أشجار الزيتون، ولها قنطرة على الوادي الكبير في غاية

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ٢٦٤/١.

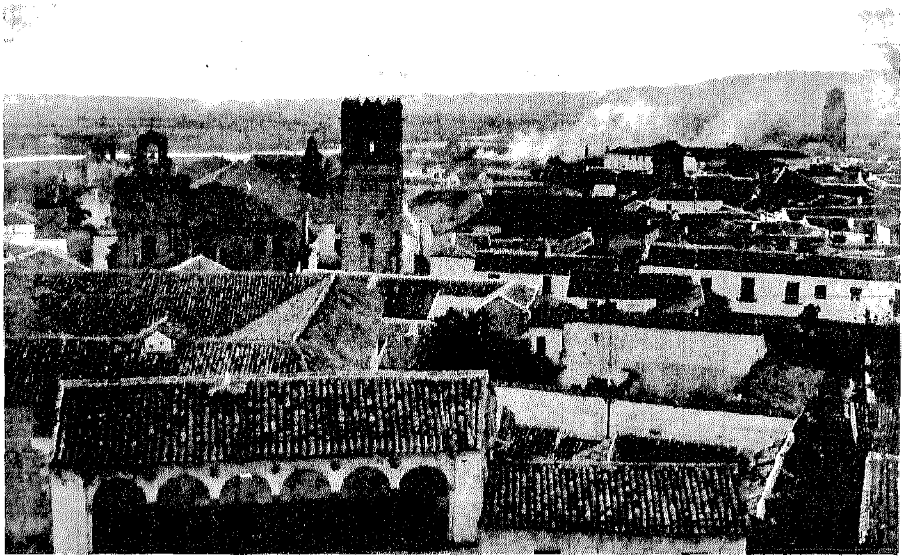
(2) المصدر نفسه: ٢٦٤/١؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ٥١١/١.

(3) المقري، نفح الطيب: ٥١١/١.

(4) ابن الخطيب، الإحاطة: ٤١٤/١.

(5) ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ٢٥٣.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب (قسم الموحدين): ٨٩.



Andujar.— Vista parcial *(Foto Hauser y Menet)*

مدينة أندوخر (منظر جزئي)

الإتقان، وبوسطها برج، ولها خمسة عشر قوساً في غاية الضخامة، وذكر أن القنطرة من عمل المسلمين[1].

وينسب إلى أندوخر (أندوشر): أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن سليمان اليحصبي الأندوشري، ذكر ياقوت ـ عن السلفي ــ أنه "كان من أهل الأدب والنحو، أقام بمكة، شرفها الله، مدة مديدة، وقدم علينا الإسكندرية سنة ٥٤٨هـ (١١٥٣م)، ومدحني وسافر في ركب إلى الشام متوجهاً إلى العراق، وذكر لي أنه قرأ النحو بجيان على أبي الرّكب النحوي المشهور بالأندلس وعلى غيره، وكان ظاهر الصلاح"[2].

---

(١) المكناسي، الإكسير: ٦٨-٦٩.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٢٦٤/١.

أنيشة (أنيجة) Aniza (Aniŷa) :

موضع، ذكر الحميري أن أسمه يلفظ بالشين والجيم معاً[(١)]، يقع على مقربة من بلنسية أو بظاهر بلنسية، وبالقرب من بنْشكلة. وفي هذا الموضع عقبة جبلية معترضة يصعب سلوكها، سماها الحميري: عقبة أنيشة، ووصفها بقوله: "جبل معترض عالي على البحر، والطريق عليه، ولا بد من السلوك على رأسه، وهو صعب جداً"[(٢)]. وتقع هذه العقبة مقابل ما يسمى El Puig على بعد عشرين كيلومتراً شمال بلنسية.

كانت في أنيشة الواقعة على أبي جميل زيان أبي الحملات بن الحجاج يوسف بن سعد بن مردنيش بعد أن خرج من مقره بلنسية، ودخل أُبذة سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م ودعا للخليفة العباسي، فقد هزمه النصارى في تلك الواقعة بعد أن تخلى عنه أهل الأندلس، ولم ينفعه الاستنجاد بأمير تونس أبي زكريا الحفصي. وقد انتهى الأمر بسقوط بلنسية[(٣)].

وفي أنيشة أيضاً وقعت معركة بين المسلمين والإسبان سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م[(٤)]، واستشهد في هذه المعركة الأديب المحدث العلامة أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الكلاعي "ولم يزل ـ رحمه الله ـ متقدماً أمام الصفوف زحفاً إلى الكفار، مقبلاً على العدو، ينادي بالمنهزمين: أمن الجنة تفرون؟ حتى قُتل صابراً محتسباً"[(٥)].

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣٢؛ والروض المعطار: ٤١.
(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣٢.
(٣) ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ٢٧٢.
(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣٢؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٤٧٣.
(٥) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٧٣.

وأبو الربيع الكلاعي هو مصنف كتاب (الاكتفا في سير النبي صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفا)[١] وعشرات من الكتب والرسائل غيره أشار المقري إلى بعضها[٢]. وكان خطيباً راوية ناظماً ناثراً، ومن شعره[٣]:

تولّت ليالٍ للغواية جُــــونُ ووافى صباح للرشاد مُبيــنُ

ركابُ شبابٍ أزمعت عنك رحلةً وجيش مشيبٍ جهّزته منونُ

وقد رثاه أبو عبد الله بن الآبار القضاعي بقصيدة مطلعها[٤]:

ألمّا بأشلاء العُلى والمكـــارم تُقدُّ بأطراف القنا والصّوارم

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣٢.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٧٥.

(٣) المصدر نفسه: ٤/٤٧٤.

(٤) المصدر نفسه: ٤/٤٧٣، وانظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣٢.

أوربة Orba :

ذكرها ياقوت، وضبط اسمها بالفتح ثم السكون، وفتح الراء والباء موحدة، وهاء: وهي قصبة كورة جيّان، فيها عيون وينابيع[١] .

ونقل ياقوت عن أبي طاهر الأصبهاني أن أوربة قرية من قرى دانية، منها: أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن غالب الحضرمي الأوْرَبي، حجّ وسمع بمكة، وعاد إلى الإسكندرية، وحدث بها[٢] .

أوريط Oreto:

مدينة قديمة[٣] ، يلفظ اسمها بالضم ثم السكون، وكسر الراء، وياء، وطاء مهملة[٤] . جعلها قسطنطين من مدن الإقليم الرابع وقاعدته طليطلة[٥] ، وقد آلت إلى الخراب بعد إنشاء قلعة رباح وكركي[٦] . وذكر ياقوت أنها تقع بين شرق الأندلس وجوفه[٧] . وقد أشار إلى أوريط مؤرخ قديم هو هروشيش، إذ جعل حدّ الأندلس الأدنى من ناحية الشرق ماضياً مع جبال (البرت) ثم إلى البشكنش والأوريطيين وهم غربه. والأندلس الأقصى حده من ناحية الشرق بلد البشكنش والشلطريين والأوريطيين، وفي الجوف والغرب منه البحر المحيط الغربي[٨] .

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢٧٨/١.
(٢) المصدر نفسه: ٢٧٨/١.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣٣.
(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٢٧٩/١.
(٥) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٢.
(٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣٣.
(٧) ياقوت، معجم البلدان: ٢٧٩/١.
(٨) مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين: ٤٨-٤٩.

أورِيُولَة Orihuela:

مدينة، يُلفظ اسمها بالضم ثم السكون، وكسر الراء، وياء مضمومة، ولام، وهاء[١]. ومعناه: الذهبية[٢]. وتسمى أيضاً: تُدمير باسم صاحبها: تدمير بن عبدوش Teodomiro B. Ergobado الذي كان يحكمها أيام الفتح الاسلامي[٣]. وقد أُطلق اسمه أيضاً على كورة تدمير كلها، وكانت أوريولة عاصمة تلك الكورة[٤].

ومدينة أوريولة قديمة[٥]، "ولها قصبة في نهاية الامتناع على قنة جبل"[٦]. وتقع على ضفة نهر شقورة Rio Segura (النهر الأبيض)، "وسورها من الناحية الغربية على جرية النهر، ولها قنطرة"[٧]. وقد ذكر ابن سعيد أن أوريولة "في موضع كأنه اقتطع من جنة الخلود: نهر سائل ودواليب نعّارة، وطيور شادية، وأشجار متعانقة"[٨]. وبساتينها وجناتها فيها فواكه كثيرة، "وفيها رخاء شامل وأسواق وضياع"[٩]، وتتصل بساتينها ببساتين مرسية التي تبعد عنها اثني عشر ميلاً[١٠]. بينما تبعد عن قرطاجنة التي تعتبر ميناءها على البحر الأبيض المتوسط خمسة وأربعين ميلاً[١١].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١/٢٨٠؛ وانظر: البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٦٢.

(٢) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٠؛ الحميري، الروض المعطار: ٦٧.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة: ٢٢؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٤؛ الحميري الروض المعطار: ٦٧؛ وانظر أيضاً: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم: ١١٠؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس (عصر الإمارة): ٤٤؛ مؤنس، فجر الاندلس: ١١٢-١١٣.

(٤) المقري، نفح الطيب: ١/٢٦٤.

(٥) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٠؛ الحميري، الروض المعطار: ٦٧؛ ياقوت، معجم البلدان: ١/٢٨٠.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٥٨.

(٧) الادريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٥٧-٥٥٨؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٧، ١٤٢ الحاشية ١.

(٨) ابن سعيد، المغرب: ٢/٢٨٦.

(٩) الحميري، الروض المعطار: ٦٧.

(١٠) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٥٨؛ ياقوت، معجم البلدان: ١/٢٨٠.

(١١) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٥٨؛ الحميري، الروض المعطار: ٦٧؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٧ الحاشية ٤.

قام بفتح أوريولة عبد العزيز بن موسى بن نصير، وهو ما تكاد المصادر تجمع عليه[(١)]، باستثناء المقري الذي ذكر أن فاتحها هو عبد الأعلى بن موسى[(٢)]، وابن عذاري الذي جعل فاتحها طارق بن زياد[(٣)]. ويبدو أن طارقاً حاول فتح المدينة فعلاً إلا أنه لم يتمكن من ذلك ربما لشدة حصانتها. ولما دخل موسى ابن نصير الاندلس وجه إليها ابنه عبد العزيز ففتحها.

وقد تم فتح أوريولة عام ٩٤هـ/٧١٣م، وتتلخص قصة فتحها في أن عبد العزيز بن موسى بن نصير هاجم تدمير بن عبدوس، الذي سميت تدمير باسمه، قرب قرطاجنة الحلفاء، وحاصره، وقاتله قتالاً شديداً، وهزمه. فلجأ تدمير، وكان داهية بصيراً بأبواب الحرب، لجأ في من بقي من أصحابه إلى حصن أوريولة، وكان عدد رجالة قليلاً إذ قتل المسلمون معظم جيشه، ولما رأى قلة أصحابه، وأنهم لا يغنون شيئاً "أمر النساء بنشر الشعور وحمل القصب، والظهور على السّور في زي القتال متشبهات بالرجال، وتصدر قدّامهن في بقية أصحابه يُغالط المسلمين في قوته على الدفاع عن نفسه، فكره المسلمون مِراسَهُ لكثرة من عاينوه على السور، وعرضوا عليه الصلح، فأظهر الميل إليه، ونكّر زيه، فنزل إليهم بأمان على أنه رسول، فصالحهم على أهل بلده، ثم على نفسه، وتوثق منهم. فلما تم له من ذلك ما أراد عرّفهم بنفسه، واعتذر إليهم بالإبقاء على قومه، وأخذهم بالوفاء بعهده، وأدخلهم المدينة"[(٤)].

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس: ٤؛ الحميري، الروض المعطار: ١٣١، ٤٦٢.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٢٦٤/١؛ وانظر: ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠١/١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٢/٢؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم: ١١٠؛ مؤنس، فجر الاندلس: ١١٢.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٢٦٤/١؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ١١/٢؛ الحميري، الروض المعطار: ١٣١؛ ولمزيد من التفاصيل راجع: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٧٩؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم: ١١٠ـ١١١؛ مؤنس، فجر الاندلس: ١١٣ حيث يرى أن هذه القصة موضوعة، وأن تُدمير كان صديقاً للمسلمين لأنه كان من أنصار غيطشة الذي استولى لذريق على عرشه، وقد ساعد أبناء غيطشة المسلمين في فتح الاندلس.

وانعقد الصلح بين عبد العزيز بن موسى بن نصير وبين تدمير، وتم توقيع الوثيقة التي تضمنته في رجب من سنة ٩٤هـ/٧١٣م[1]. وبموجب هذا الصلح أُعطي الأمان لأهل أوريولة ولتدمير، والتزم بذلك المسلمون على الرغم من أن تدمير خدعهم، حيث أوهمهم أن المدينة تغص بالرجال المدافعين عنها، ثم تبين غير ذلك "فلم يجدوا فيها إلا العيال والذرية، فندموا على الذي أعطوه من الأمان... ومضوا على الوفاء له، وكان الوفاء عادتهم"[2].

وقد أورد نص وثيقة الصلح بين عبد العزيز بن موسى وتدمير كثير من المصادر، ونظراً لأهمية هذه الوثيقة التي لم يصلنا سوى القليل من أمثالها نوردها فيما يلي[3]:

"بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبد العزيز بن موسى لتدمير بن غندريس إذ نزل على الصلح أن له عهد الله وميثاقه، وما بعث به أنبياءه ورسلهُ، وأن له ذمّة الله عز وجل، وذمة محمد صلى الله عليه وسلّم ألاّ يقدم له وألا يؤخر لأحد من أصحابه بسوء، وأن لا يُسبون ولا يفرق بينهم وبين نسائهم وأولادهم، ولا يقتلون، ولا تحرق كنائسهم، ولا يكرهون على دينهم، وأن صلحهم على سبع مدائن: أوريولة، ومولة، ولورقة، وبلتلة، ولقنت، وإيه، وإلش، وأنه لا يدع حفظ العهد، ولا يحل ما انعقد، ويصحح الذي فرضناه عليه وألزمناه أمره، ولا يكتمنا خبراً علمه. وأن عليه وعلى أصحابه غُرم الجزية، من ذلك على كل حر: دينار، وأربعة أمداء من قمح، وأربعة أمداء من شعير، وأربعة أقساط خلّ، وقسطا عسل، وقسط زيت. وعلى كل عبد نصف هذا".

(1) الحميري، الروض المعطار: ٤٦٢.

(2) المقري، نفح الطيب: ١/٢٦٤؛ وانظر: العذري، نصوص عن الاندلس: ١٤ والحميري، الروض المعطار: ٤٦٢.

(3) انظر نص الوثيقة لدى العذري، نصوص عن الاندلس: ٤-١٥؛ الحميري، الروض المعطار: ١٣٢. وانظر أيضاً: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٨٠-١٨١؛ مؤنس، فجر الاندلس: ١١٤-١١٥؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم: ١١١؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس (عصر الإمارة): ٥٠.

"شهد على ذلك: عثمن بن عبيدة القرشي، وحبيب بن أبي عبيدة القرشي، وسعدان بن عبد الله الربعي، وسليمان بن قيس التجيبي، ويحيى بن يعمر السهمي، وبشر بن قيس اللخمي، ويعيش بن عبد الله الأزدي، وأبو عاصم الهذلي. وكُتب في رجب سنة أربعٍ وتسعين".

وأصبحت كورة تدمير في عهد والي الاندلس أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي (رجب ١٢٥- شعبان ١٢٨هـ/٧٤٣-٧٤٦م) منزلاً لأهل مصر[١]، ولذلك سميت مصر لكثرة شبهها بها، إذ إن نهر شقورة الذي تقع على ضفته يسيح في وقت مخصوص من السنة فتزرع أرضها كما تزرع أرض مصر عندما يفيض النيل[٢]. وقد نزل في أوريولة بنو هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر[٣].

وظلت أوريولة مدينة تُدمير وقاعدتها إلى أن أمر الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) ببناء مدينة مرسية على بعد اثني عشر كيلو متراً من أوريولة وذلك سنة ٢١٦هـ/٨٢٥م[٤]. فقد أصبحت مرسية هي قاعدة الكورة، وسميت الكورة باسمها أيضاً[٥].

وتعرضت أوريولة في عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) لغزو المجوس (النورمان). ففي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م تقدمت مراكبهم، وحلت

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٦١/٤.

(٢) المقري، نفح الطيب: ١٦٤/١.

(٣) المصدر نفسه: ٢٩١/١؛ وانظر: ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠٣/١؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: مؤنس، فجر الاندلس: ٥١٢ حيث يشير إلى أن أتاناجيلدو Atanagildo الذي خلف أباه تدمير احتج على تصرف أبي الخطار، وهو إنزال الشاميين بكورة تدمير، واعتبر ذلك مخالفاً لنص وثيقة الصلح على أوريولة.

(٤) العذري، نصوص عن الاندلس: ٤؛ الحميري، الروض المعطار: ٥٣٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٧ الحاشية ٤. وانظر مادة: مرسية في هذه الموسوعة.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٧ الحاشية ٤.

بالجزيرة الخضراء، وأحرقوا مسجدها الجامع، ثم جازوا إلى المغرب وعاثوا في سواحله الشمالية، ورجعوا بعد ذلك "إلى ريف الاندلس، وتوافوا بساحل تُدمير، ثم انتهوا إلى حصن أوريولة..."[١].

وتغلب البربر على كورة تدمير عندما عصفت الفتنة بالاندلس، وضعفت الخلافة الأموية فيها[٢]، "ثم قام خيران الصقلبي فغلب على الشرق من الأندلس، وأخرج البربر من مدينة أُريولة، وبلاد تدمير، وصار البلد في طاعته، وذلك سنة ثلاث وأربع مائة"[٣].

وكان خيران الصقلبي أقوى الفتيان العامريين عزماً، وأشدهم شكيمة، وأنشطهم إلى خوض غمار الحوادث. وقد ظلت أوريولة وبلاد تدمير في طاعته إلى أن توفي سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م، فخلفه عليها أخوه زهير العامري[٤]، "فخالفت عليه تدمير، ثم إنه غلب عليها، وطاعت له كلها إلى سنة تسع وعشرين وأربعمائة"[٥]. ثم صارت بلاد تدمير بعضها للمنصور أبي الحسن عبد العزيز بن أبي عامر، وبعضها إلى مجاهد صاحب دانية، وكانت أوريولة وما والاها مما آل إلى مجاهد[٦]. ثم تغلّب على أوريولة أبو جعفر أحمد المقتدر با لله بن هود (٤٣٨-٤٧٤هـ/١٠٤٦-١٠٨١م)[٧].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٩٦-٩٧؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٣٧.

(٢) انظر: المقري، نفح الطيب: ١/٤٣٧-٤٣٨؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/١٩٢ وما بعدها.

(٣)

(٤) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٦؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، دول الطوائف ١٥٦ وما بعدها.

(٥) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٦.

(٦) المصدر نفسه: ١٦؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢١٠ وما بعدها.

(٧) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢١١.

وتعرضت أوريولة بعد عام ٤٤٠هـ/١٠٤٨م لزلازل مدمرة ظلت تضربها كل يوم لمدة عام كامل، فتهدمت دورها، وجامعها "وانشقت الأرض في كل ناحية...، وغارت أعين كثيرة، وحدث في بعضها ما له رائحة منتنة"[١].

واستولى المرابطون على أوريولة حوالي سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١[٢]، ثم آلت إلى الموحدين، وبعد أن ضعف أمرهم في الاندلس عقد والي مرسية محمد بن علي بن هود صلحاً مع ملك قشتالة، وسلّمه أوريولة، وذلك سنة ٦٤٠هـ/١٢٤٢م[٣].

أولية السهلة Uliat al Sahleh، Rambla

ذكرها الحميري، وقال: "بالأندلس قريبة من قرطبة، تعرف بالرملة Rambla، وهي أم الأقاليم، كثيرة الأهل، واسعة الخطة، مثمرة الأرضين، بها ديار للعجم متقنة البنيان، في إحداها أربع سوار للعجم مجزّعة من نفيس الرخام...عليها الناقوس"[٤].

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس: ٨.

(٢) عنان، دول الطوائف: ٢٧٩.

(٣) عنان، نهاية الاندلس: ١٦، ٣٤.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣٤؛ ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا: ١/٢٨٧.

أوْنَبَه Juelva:

مدينة[١]، وذكر ياقوت أنها قرية[٢]، ويلفظ اسمها بالفتح ثم السكون، وفتح النون، وباء موحدة، وهاء[٣].

وهي مدينة برية بحرية، تقع في الجنوب الغربي من الأندلس[٤]. "بينها وبين البحر نحو ميل، وبينها وبين لبلة ستة فراسخ"[٥]. وتعدّ من أرض شلب[٦]. وقد حدد ياقوت موقعها بأنه على خليج البحر المحيط[٧]، في مقاطعة تسمى باسمها[٨]. وأكد ابن سعيد أنها "غرب من مدينة لبلة إلى جهة البحر، وهي قاعدة عملها"[٩].

وأونبة مدينة قديمة، يدل على ذلك ما فيها من آثار، ويوجد في شرقيها كنيسة كبيرة "معظمه عندهم، يزعمون أن أحد الحواريين قد دفن فيها"[١٠]. وتعد من المدن الحصينة، إذ تقع بين جبال ضيقة المسالك[١١].

يجلب الماء إلى أونبة بوساطة أقبية واسعة تخترق الجبال فيسقي بعض بساتينها، بعد أن يتزود أهلها منه بحاجتهم[١٢].

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٥؛ ابن سعيد، المغرب: ٣٤٧/١.
(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٢٨٣/١.
(٣) المصدر نفسه: ٢٨٣/١.
(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٥؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٨٣/١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٥، ج١.
(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٥.
(٦) المقري، نفح الطيب: ٢٣٨/٣.
(٧) ياقوت، معجم البلدان: ٢٨٣/١.
(٨) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٥، ج١.
(٩) ابن سعيد، المغرب: ٣٤٧/١.
(١٠) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٥.
(١١) المصدر نفسه: ٣٥.
(١٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٥.

سكن أونبة بعد الفتح بعض بني قيس بن ثعلبة بن بكر بن وائل[١]، كما سكنها غير هؤلاء من العرب الذي كثروا في نواحيها[٢]. إلا أن البكريين كانوا أصحاب السيادة في أونبة[٣]. وقد أنشأوا لهم إمارة فيها على يد أبي زيد عبد العزيز البكري، وذلك منذ أوائل عهد ملوك الطوائف، وهو والد أبي عبيد البكري، صاحب كتاب المسالك والممالك، وغيره من التصانيف الشهيرة[٤]، الذي وصفه ابن سعيد بأنه "عالم الأوان ومصنفه، ومقرط البيان ومشنفه، بتواليف كأنها الخرائد، وتصانيف أبهى من القلائد"[٥].

وقد بويع أبو زيد عبد العزيز البكري في أونبة سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م[٦] "فدامت دولته، واتصلت مدنه، وفشا أمره، وعظم شأنه. وكان محسناً فاضلاً خيراً، وكانت أيامه أعياداً من رخاء السعر وأمن السبيل"[٧].

وظلت أونبة تنعم بالاستقرار والرخاء في ظل البكري إلى أن قويت شوكة المعتضد بن عباد، صاحب إشبيلية المجاورة، فعندئذ أخذ المعتضد يكشف عن أطماعه في إمارة البكري، وضيق الخناق عليها، وأرهقها بالغارات[٨]. وعندئذ "فسدت البلاد، وكثر الفساد"[٩]. ولما وجد البكري أنه عاجز عن دفع المعتضد عن إمارته فاوضه في عقد الصلح معه، وتنازل له عن أونبة، ثم اضطر إلى التنازل له عن الإمارة كلها التي كانت تضم أيضاً جزيرة شلطيش،

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٣٢١.
(٢) مؤنس، فجر الاندلس: ٣٧١، ٣٧٥.
(٣) المقري، نفح الطيب: ٢٩٢/١؛ ابن سعيد، المغرب: ٣٤٧/١؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٩/٣.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٩/٣؛ المقري، نفح الطيب: ٢٩٢/١.
(٥) ابن سعيد، المغرب: ٣٤٨/١.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٩/٣؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٢٣.
(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٩/٣.
(٨) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٩/٣.
(٩) المصدر نفسه: ٢٩٩/٣.

"وخلع له نفسه وذلك سنة ثلاث واربعين وأربعمائة (١٠٥١م)[١]" مقابل عشرة آلاف مثقال من الذهب[٢].

"ثم إن المعتضد بن عباد صيّرهُ إلى إشبيلية، وأجرى عليه الأرزاق، إلى أن مات بهـا في حدود خمسين وأربعمائة"[٣].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٩/٣؛ وانظر: العذري، نصوص عن الاندلس: ١٠٧.

(٢) عنان، دول الطوائف: ٤٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٩/٣.

البـــــاء

بَاجَةُ Beja:

مدينة، تسمى أيضاً: باجة الأندلس[1] تمييزاً لها عن المدن التي تسمى بهذه الاسم، وهي: باجة أو باجة القمح في إفريقية[2]، وباجة أو باجة الزيت في إفريقية أيضاً[3]، وباجة الصين[4]. ومعنى باجة: السّلم[5] أو: الصلح[6].

وباجة من أقدم مدن الاندلس[7]، فقد كانت مبنية في عهد الامبراطور الروماني تيطس الذي خرب القدس سنة ٧٠م. وسبى اليهود، ونقل رخام القدس إلى بعض المدن الأندلسية، ومنها: باجة؛ يقول العذري[8] أن "أشبان بن طيطش" بعد أن ملك الاندلس "خرج في السفن من إشبيلية إلى إيلياء (القدس)، فغنمها وهدمها وقتل بها مائة ألف من اليهود، واستبى مائة ألف، وفرّق في آفاق الأرض مائة ألف. وانتقل رخامها إلى إشبيلية وماردة وباجة". وذكر ابن سعيد أنها ابتنيت أيام القياصرة[9]، وقال الحميري إن الذي سماها باجة هو يوليش (يوليوس) قيصر[10].

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ٧٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٦؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣١٤/١-٣١٦.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٧٥؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣١٤/١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٦.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٣١٦/١.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ٧٥، ٧٦.

(٥) الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ٢٥.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٦.

(٧) ابن سعيد، المغرب: ٤٠٣/١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٦؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٦.

(٨) انظر: العذري، نصوص عن الاندلس: ٩٧.

(٩) ابن سعيد، المغرب: ٤٠٣/١.

(١٠) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٦؛ وانظر أيضاً: الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ٢٥-٢٧.

وكانت باجة في العهد الروماني قضاءً من أقضية البرتغال الثلاثة، وهي: ماردة وباجة وشنترين. وقد عُرفت باجة في ذلك العهد باسم: Pax Augusta، ثم سيطر عليها القوط سنة ٥٨٥م[١].

تقع باجة غرب قرطبة[٢]، وتبعد نحو مائة وأربعين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من لشبونة[٣]. وهي في منتصف الطريق بين يابُره Evora والفارو Faro[٤]. وأما المسافة بينها وبين قرطبة فمائة فرسخ[٥]. وكانت باجة كورة من كور غرب الاندلس تتصل بكورة ماردة[٦]، فحوز باجة وخطتها واسعة، وتتبعها مدن ومعاقل وحصون[٧].

وباجة مدينة مسوّرة ذات شوارع عريضة، وقد كثرت فيها ـ أثناء عهدها الاسلامي ـ الحمامات والأسواق والمساجد. ويبدو من آثارها الاسلامية عقدان لبابين في بقايا سور المدينة، يعرف أولهما بالباب الاسلامي Porta Moura، وهو في شمال المدينة. ويسمى العقد الثاني: عقد يابرة Arco de Evora[٨].

وأرض باجة "أرض زَرع وضَرع، ونُوّارها يحسنُ للنحل، ويكثر عنه العسل"[٩]، "وفيها معدن فضة"[١٠]. وقد اشتهرت المدينة بدباغة الجلود، وصناعة الكتان[١١].

---

(١) حتاملة، أيبيريا: ١٧٧، ٢٣٨.

(٢) الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ٢٥ـ٢٦؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٦.

(٣) المقري، نفح الطيب: ١/١٥٩ الحاشية ٣.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٦ الحاشية ١.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٦.

(٦) المقري، نفح الطيب: ١/١٥٩.

(٧) انظر: سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ١/١٩٩.

(٨) سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ١/١٩٩ـ٢٠٠.

(٩) ابن سعيد، المغرب: ١/٤٠٣؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٦.

(١٠) المقري، نفح الطيب: ١/١٥٩.

(١١) ابن سعيد، المغرب: ١/٤٠٣؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٥٩.

فتح باجة موسى بن نصير سنة ٩٣هـ/٧١٢م[١]، وربما كان فتحها على يد ابنه عبد العزيز[٢]. وعندما تولى أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي الاندلس (١٢٥-١٢٨هـ/ ٧٤٣-٧٤٦م)، وفرق أهل الشام على الكور أنزل بباجة أهل مصر، وأنزل بعضهم في تدمير[٣]. ويذكر ابن القوطية أن الرياسة بباجة كانت لعمرو بن طالوت، وكلثم بن يحصب، وهما من القبائل اليمنية[٤].

وكان بنو يحصب من اليمنيين من أوائل الذين حملوا لواء الثورة ضدّ قيام دولة أموية في الاندلس، وكان ذلك في باجة، فقد ثار فيها العلاء ابن مغيث اليحصبي سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م ضد الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م)، ودعا إلى طاعة الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وكان حوله في البداية عدد قليل، ثم انتشرت دعوته في باجة، فاستجاب له خلق كثير، وأصبح يشكل خطراً على الإمارة الأموية الناشئة في الاندلس. وعندئذ خرج إليه عبد الرحمن الداخل، وحاصره وهزمه، ثم "جئ به وبأعلام أصحابه، فقطع يديه ورجلية، ثم ضرب عنقه وأعناقهم، وأمر فقرطت الصكاك في آذانهم بأسمائهم، وأودعت جوالقاً محصناً، ومنها اللواء الأسود (لواء العباسيين)، وأنفذ بالجوالق تاجراً من ثقاته، وأمر أن يضعه بمكة أيام الموسم (موسم الحج)، ففعل. ووافق أبا جعفر المنصور قد حج، فوضعه على باب سرادقة، فلما كشفه ونظر إليه سُقط في يده، واستدعى عبد الرحمن وقال: عّرضنا هذا البائس - يعني العلاء - للحتف، ما في هذا الشيطان مطمع، فالحمد لله الذي صيّر هذا البحر بيننا وبينه"[٥].

---

(١) ابن الكرديوس، تاريخ الاندلس: ١٤٥، ١٤٦.

(٢) انظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ١٥/٢؛ المقري، نفح الطيب: ٢٧١/١؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٨٢، ٨٣؛ ومؤنس، فجر الاندلس: ٩٦.

(٣) ابن عذاري،البيان المغرب:٣٣/٢؛ ابن الخطيب،الإحاطة:١٠٣/١؛ ابن القوطية،تاريخ افتتاح الاندلس:٤٥.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٥٥؛ وانظر: مؤنس، فجر الاندلس: ٣٧٣.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٣٦/٣؛ وانظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٥١/٢؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٥٧-٥٨؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٠١-١٠٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٥٧/٤؛ ويذكر ابن خلدون أن ثورة العلاء كانت في سنة ١٤٩هـ/٧٦٦م. وانظر عن ثورة العلاء أيضاً: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٩٧؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ١٦٢-١٦٣.

وتعرضت باجة في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م) لهجوم المجوس (النورمان)، ففي أوائل شهر ذي الحجة ٢٢٩هـ/ آب ٨٤٤م) ظهروا فجأة أمام مدينة لشبونة في نحو ثمانين مركباً. وانحدروا منها إلى إشبيلية بعد أن هاجموا مدن: لبلة وقادس وشذونة، ثم غادروا إشبيلية لمهاجمة قرطبة براً على الخيل، "ثم هبطت للإمام عبد الرحمن بن الحكم خمسة عشر مركب بالمقاتلة والعدة فنزلوا إشبيلية. فلما أحس المجوس بها لحقوا بلبلة... ثم مضوا إلى باجة، فنزلوا بموضع يقال له سعس؛ ثم نزلوا المعدن. وتنقلوا إلى مدينة الأشبونة، وتحركوا منها، وانقطع خبرهم"[(١)].

وليس من شك في أن النورمان ارتكبوا في باجة وغيرها من المدن التي تعرضت لهجومهم الكثير من الفظائع من قتل ونهب وتدمير[(٢)].

وقد ظهرت مراكب النورمان في باجة مرة أخرى في عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)، ففي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م "خرج المجوس أيضاً... في اثنين وستين مركباً، فوجدوا البحر محروساً، ومراكب المسلمين مُعدّة... فتقدم مركبان من مراكب المجوس، فتلاقت بهم المراكب المعدّة، فوافوا هذين المركبين في بعض كور باجة، فأخذوهما بما كان فيهما من الذهب والفضة والسبي والعدة"[(٣)].

ويذكر العذري أن المجوس (النورمان) أسروا في ناحية باجة: عبد الله وعبد الملك ابني محمد بن مسلمة "فأطلقوا عبد الله، ومضوا بعبد الملك أخيه"[(٤)].

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٠٠؛ وانظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٨٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٨٧-٨٨.

(٢) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٢٨-٢٢٩؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ٢٥٠-٢٥١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٩٦؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٣٦ وما بعدها.

(٤) العذري، نصوص عن الاندلس: ١١٩.

وتغلب على باجة في عهد الأمير الأموي عبد الله بن محمد (٢٧٥ـ٣٠٠هـ/٨٨٨ـ٩١٢م) عبد الملك بن أبي الجواد. واستقل بالمدينة بعد أن ملكها "وتحصّن بحصن مارتلة، وكان معاقداً لابن مروان (الجليقي) صاحب بطليوس"[1]. وقد أشار ابن عذاري إلى هذه الثورة في أحداث سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م[2].

وثار في باجة في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ـ٣٥٠هـ/٩١٢ - ٩٦١م) سعيد بن مالك، وأخرج العرب منها، وقام بدعوة المولدين[3]. وبعد وفاته ملكها ابنه عبد الرحمن بن سعيد بن مالك الذي تحالف مع ابن مروان الجليقي ضد الخليفة الأموي، وظلا شوكة في حلقه مدة طويلة، انشغل عنهما خلالها بثورات كانت أكثر خطورة مثل ثورة عمر بن حفصون التي تمكن من إخمادها نهائياً عام ٣١٦هـ/٩٢٨م[4]. وبعد قضائه على ثورة ابن حفصون سار إلى كور الغرب في يوم السبت لإحدى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة ٣١٧هـ/٢٤ أيار ٩٢٩م، وقضى على ثورة عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن مروان (الجليقي) في بطليوس[5] ثم توجه إلى باجة "فنزلها يوم الأحد مستهل جمادى الآخرة، واضطربت عساكره عليها، وتقدم بالإعذار إلى عبد الرحمن بن سعيد بن مالك الذي كان بها، ودعاه إلى الطاعة، فلاذ والتوى، فنصبت المجانيق عليه، وحورب أشد محاربة، وقتل من رجاله عدد كثير، وانحطت بعض أبراج المدينة بمن كان عليها، فضربت رقابهم"[6].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٥/٢؛ وانظر: سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٥٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٤/٢، ١٣٥.

(٣) انظر: سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢٠٠/١؛ وانظر أيضاً: ابن حيان، المقتبس: ١١٦/٥ـ١١٧.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٩٥/٢ وما بعدها؛ ابن حيان: المقتبس: ٢١٥/٥ وما بعدها.

(٥) ابن حيان، المقتبس: ٢٤٥/٥ـ٢٤٧.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٠٠/٢؛ ابن حيان، المقتبس: ٢٤٧/٥ـ٢٤٨؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٨٤.

واستمر عبد الرحمن الناصر في حصاره لباجة، وتضييقه عليها حتى شارف أهلها على الهلاك ظمأً وتعباً، وعندئذ اضطر عبد الرحمن بن سعيد إلى طلب الأمان من الخليفة الأموي، فأجابه إلى ذلك، ودخل المدينة في منتصف جمادى الآخرة من سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م[١].

دفع أهل باجة ثمناً باهظاً لمؤازرتهم العلاء بن مغيث اليحصبي، فقد أفقدهم خروجهم على الخليفة الأموي نحو سبعة آلاف، قتلوا في فترة الحصار التي امتدت نحو خمسة عشر يوماً على يد القوات الأموية[٢]. وقد ألزمهم ذلك الطاعة، فلم يعودوا إلى الثورة طوال عهد الناصر، ومن بعده الحكم المستنصر ثم المنصور محمد بن أبي عامر. ولما دالت دولة بني أمية في الاندلس، وأصبحت نهباً للثوار انتزى بشلب وباجة: المظفر أبو الأصبغ عيسى بن القاضي أبي بكر محمد بن سعد بن مُزين، وذلك سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م[٣]. وأقام بها دولة ظل مسيطراً عليها حتى وفاته سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م[٤]. وتولى بعده ابنه: محمد بن عيسى الملقب (عميد الدولة) الذي اضطر إلى التخلي عن مدينة باجة للمعتضد بن عباد، صاحب إشبيلية، واكتفى بحكم مدينة شلب[٥].

وتعرضت أحواز باجة في عهد بني عباد للتخريب على أيدي القوات النصرانية، فقد عاثت فيها عساكر ملك قشتالة سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م في عهد المعتمد بن عباد[٦].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٢٤٨/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٠٠/٢؛ وانظر: سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢٠٠/١ـ٢٠١.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٥٧/٤؛ ابن حيان، المقتبس: ٢٤٧/٥ـ٢٤٨؛ المقري، نفح الطيب: ٣٣٢/١.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٢/٤؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٤٣ـ٤٤.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٩٢/٣؛ عنان، دول الطوائف: ٤٤.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٩٢/٣ـ١٩٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٢/٤؛ عنان، دول الطوائف: ٤٤.

(٦) انظر: عنان، دول الطوائف: ٧٣.

واستأنف ألفونسو السابع (السليطين) قيادة العدوان النصراني على باجة، فقد قام بمعاونة سيف الدولة بن هود بشن الغارات على عدد من مدن غربي الاندلس، منها باجة، وذلك في أوائل سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م في عهد المرابطين(١). فقد قدم ملك قشتالة على رأس جيش من عدة آلاف "من زعمائهم ومشهوري أبطالهم، وقصدوا ناحية بطليوس وباجة ويابرة، وما بذلك الصقع من بلاد الاسلام فشنوا الغارة عليها، واستحوذوا جميع ما ألفوا فيها، وانتهوا إلى مواضع كانت لا تروّع بعدو... فجاسوا خلالها، ودوّخوا أرضها، واخترقوا طولها وعرضها"(٢).

ولم يذهب هجوم النصارى على باجة وغيرها دون عقاب، فقد اشتبك الأمير المرابطي تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين الذي أصبح أميراً على غربي الاندلس منذ عام ٥٢٦هـ/١١٣١م مع النصارى في معركة عنيفة قرب بطليوس، وانتصر عليهم، واستنقذ أسرى المسلمين، واستعاد ما كان غنمه النصارى منهم، وذلك في جمادى الأولى من عام ٥٢٨هـ/١١٣٤م(٣). إلا أن النصارى لم يلبثوا أن حققوا نصراً على المرابطين عام ٥٣٣هـ/١١٣٩م، وكانوا ـ أي النصارى ـ هذه المرة ـ بقيادة ملك البرتغال: *ابن الرنك*(٤).

وثار على المرابطين ـ لما التاث أمرهم ـ أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي في غربي الاندلس، وهو رومي الأصل، من بادية شلب، كان يعتنق مذاهب الصوفية، والتف حوله عدد كبير ممن عُرفوا بالمريدين(٥). وقد حث أعيان غربي الاندلس على الثورة، فاستجاب

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/١٨٨؛ وانظر: السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٢٢ـ٢٢٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٨٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٨٨ـ٨٩؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٣٨؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٢٣ـ٢٢٤.

(٤) انظر: عنان، عصر المرابطين والموحدين: ٥٢٦ـ٥٢٧؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٣٤ـ٢٣٥.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، نشر ليفي بروفنسال: ق٢/٢٤٨ـ٢٤٩؛ ابن الأبار، الحلة السيراء: ٢/١٩٧.

له: سيد راي بن وزير في يابرة، ومحمد بن عمر بن منذر في شلب[1] الذي طرد القوات المرابطية من باجة، واستولى عليها[2]. ثم أعلن ابن وزير وابن منذر طاعتهما لابن قسي، وكافأهما بأن عين كلاً منهما على المدينة التي استولى عليها[3]. ولكن الخلاف ما لبث أن نشب بين ابن قسي وابن وزير، فأرسل ابن وزير قائده ابن المنذر لقتال ابن وزير إلا أن الأخير هزمه، واعتقله في باجة، ثم سمل عينيه[4].

وفي سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م خلع ابن وزير ـ صاحب باجة ـ طاعة ابن قسي، واستبد بباجة إلى أن خلعه الموحدون سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م[5].

وتعرضت باجة سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م لاعتداءات قام بها مغامر برتغالي تطلق عليه المصادر الاسلامية اسم: جَرانْدُه الجليقي، فقد هاجم المدينة، واحتلها نحو أربعة أشهر وثمانية أيام، ثم أمر قواته فهدمت أسوارها، ونهبت ما فيها، وتركتها مقفرة[6].

وفي سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م استولى النصارى بقيادة ملك البرتغال شانجة الأول على بعض المدن في غربي الاندلس، ومنها باجة. ولكن الأمير الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور هاجم النصارى ـ كما يذكر الناصري ـ في السنة التالية (٥٨٧هـ/١١٩١م) أعاد فتح مدينة باجة، وحقق نصراً كبيراً على النصارى حيث عاد إلى قرطبة "فدخلها بخمسة عشر ألفاً من السبي وثلاثة آلاف أسير... وذلك في شوال سنة سبع وثمانين وخمسمائة"[7].

---

(١) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/١٩٨-١٩٩؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية: ٧١-٧٣.

(٢) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/٢٠٣.

(٣) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/٢٠٣؛ أشباخ، تاريخ الاندلس: ١/٢١٦-٢١٧.

(٤) انظر: أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية: ٧٤.

(٥) الناصري، الاستقصا: ٢/١١٧؛ وانظر: أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية: ٩٨.

(٦) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٢/٢٨٩؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٦١.

(٧) الناصري، الاستقصا: ٢/١٨٤؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٦٣ حيث يذكر أن المنصور استعاد في هذه الحملة مدينة شلب، ولم يشر إلى أنه استعاد باجة.

وهذه الرواية التي أوردها الناصري تدحض ما ذكره عنان من أن مدينة باجة سقطت في أيدي النصارى سنة ٥٥٦هـ/١١٩٠م، وأن المنصور الموحدي لم يسترجعها مثلما فعل فيما يتعلق بمدينة شلب[١].

باروشّة Baruša :

مدينة، تقع إلى الغرب من سرقسطة شرقي قرطبة "بقرب من أرض الفرنج، ولها بسيط وحصون"[٢].

(١) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٦٣ وما بعدها.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ١/٣٢٠.

بَاغُــه Priego:

مدينة صغيرة[١]، لم يحدد ياقوت حجمها وإنما اكتفى بالقول: "مدينة بالاندلس من كورة إلبيرة"[٢]. وذكر ابن حيان أنها كورة[٣]، وذكر في موضع آخر أنها مدينة[٤]. وقال العذري: (قرية)[٥]. وهي "من أعمال غرناطة الكبار، والعامّة يقولون: (بيغُه)، وإذا نسبوا إليها قالوا بيغي"[٦]. واعتبرها كورة أيضاً ابن عذاري[٧].

وباغُه ـ كما توحي الروايات المختلفة ـ بلدة متوسطة تقع في كورة إلبيرة[٨]، إلى الشمال من لوشة في ولاية جيان[٩]. وهي في قبلي قرطبة على بعد خمسين ميلاً منها[١٠]. وقد نالت شهرة واسعة بسبب كرم بقعتها[١١]، فهي "طيبة الزرع، كثيرة الثمار، غزيرة المياه، منبجسة بالعيون"[١٢]. "والماء يشق بلدها وعليه الأرحاء داخل المدينة، ولها من الكروم والأشجار ما لا مزيد عليه، وهي في نهاية الخصب والرخاء"[١٣].

ومن أكثر ما تشتهر به الأعناب وصناعة الخمور[١٤]. وفيها مقاطع للرخام "موشّاة في حمرة وصفرة"[١٥]. "ويجود فيها الزعفران، ويحمل منها إلى البلدان"[١٦].

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٧١/٥.
(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٣٢٦/١.
(٣) ابن حيان، المقتبس: ١٧٣/٥.
(٤) المصدر نفسه: ٢٨٤/٥.
(٥) العذري، نصوص عن الأندلس: ٩٣.
(٦) المقري، نفح الطيب: ١٤٩/١.
(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٦/٢.
(٨) العذري، نصوص عن الأندلس: ٩٣؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣٢٦/١.
(٩) ابن الخطيب، الإحاطة: ٥٠٩/١، ج٤؛ المقري، نفح الطيب: ١٤٩/١، ج٢.
(١٠) ياقوت، معجم البلدان: ٣٢٦/١.
(١١) ابن الخطيب، الإحاطة: ٥٠٩/١.
(١٢) ابن سعيد، المغرب: ١٥٤/٢.
(١٣) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٧١/٥.
(١٤) ابن سعيد، المغرب: ١٥٤/٢.
(١٥) المقري، نفح الطيب: ٢٠١/١.
(١٦) ياقوت، معجم البلدان: ٣٢٦/١؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ١٤٩/١.

ويذكر ابن سعيد وياقوت أن لمائها خاصية عجيبة "فإنه ينعقد حجراً في حافات جداوله"[1].

فتح كورة إلبيرة التي تعتبر باغة من مدنها: طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١١م، إذ وجه إليها جيشاً من إستجة[2]. وأصبحت الكورة في عهد والي الأندلس أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي (١٢٥ـ١٢٨هـ/٧٤٣ـ٧٤٦م) منزلاً لجند دمشق[3].

تعرضت باغُه في أول ولاية الأمير الأموي المنذر بن محمد الأول (٢٧٣ـ٢٧٥هـ/٨٨٦ ـ ٨٨٨م) لاعتداءات الثائر عمر بن حفصون، ففي سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م هاجم باغُه "فأخذ من الأموال ما لا يوصف"[4]. وفي سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م خلع بنو مطروح ومنهم: "حرب، وعون، وطالوت" فهاجمهم المنذر، وقبض على اثنين وعشرين رجلاً منهم، "وأمر بقتلهم وصلبهم... فُصلبوا جميعاً"[5].

وثار في كورة باغة سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م: سعيد بن مستنة " واقتعر حصونها، فاستفحل شره، وعم أذاه، واصطفى من حصونها التي ظهر عليها أربعة لا مثيل لها في الحصانة والمنعة"[6]. وقد استمرت ثورة بني مستنة في باغُه حتى عهد الخليفة الأموي الناصر، وقد هاجمهم في سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م، وأخضعهم[7].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٢٦/١؛ ابن سعيد، المغرب: ١٥٤/٢.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٢٦٣/١؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠١/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١١/٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٦١/٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠٣/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٣/٢.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١١٤/٢.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ١١٦/٢ـ١١٨.

(٦) المصدر نفسه: ١٣٦/٢.

(٧) ابن حيان، المقتبس: ١٧٣/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٨١/٢.

وثار في باغة في عهد ملوك الطوائف: أيوب بن مطروح على ملكها عبد الله بن بلقين، وقد استمر في العصيان إلى أن دخل يوسف بن تاشفين، أمير المرابطين الاندلس، سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م، حيث قبض على أيوب، وأنهى ثورته في سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م[١].

وقد ظلت باغه في أيدي المسلمين حتى سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م حيث استولى عليها ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر بعد انتصاره على المسلمين في وقعة طريف سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م[٢].

باكّــة Bacca:

حصن، يلفظ اسمه بتشديد الكاف، وهو من نواحي بَرْبُشتر[٣].

---

(١) ابن سعيد، المغرب: ٢/١٥٤.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة: ٤/٣٣٢؛ اللمحة البدرية: ١٠٦؛ الناصري، الاستقصا: ٣/١٣٧.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: ١/٣٢٨.

بالس Palos :

وقعة، ذكرها ابن الأثير، وقال في سببها أن الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) كان قد بلغه عن عامل اسمه ربيع أنه ظلم أبناء أهل الذمة، فقبض عليه وصلبه قبل وفاته. فلما توفي الحكم وولي ابنه عبد الرحمن (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) سمع الناس بصلب ربيع، فأقبلوا إلى قرطبة من النواحي يطلبون الأموال التي كان ظلمهم بها ظناً منهم أنها ترد إليهم، وكان أهل إلبيرة أكثرهم إلحاحاً، فخرج إليهم الجند وأصحاب عبد الرحمن فقاتلوهم، فانهزم جند إلبيرة ومن معهم، فُقتلوا قتلاً ذريعاً، ونجا الباقون منهزمين، وذلك سنة ٢٠٧هـ/٨٢٣م[(١)] .

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥/٢٠٥.

بُبَشْتَر Bobastro:

حصين منيع، يلفظ اسمه بالضم ثم الفتح، وسكون الشين المعجمة، وفتح التاء فوقها نقطتان، وراء[١]. ويلفظه بعضهم بألف بعد الباء الثانية: بُباشتر[٢]. ويرد في بعض المصادر براء بعد الباء الأولى: بربشتر[٣]، وهو غير بربشتر الواقعة في الشمال، في الثغر الأعلى، القريبة من سرقسطة[٤]، ويرد اسمه عند ابن خلدون بلفظ: (يشتر) بالياء[٥]، ويشير حيناً إلى أنه : جبل، وحيناً آخر إلى أنه حصن[٦].

وببشتر حصن على قمة جبل من سلسلة الجبال الواقعة بين رُندة ومالقه، "وهو حصن تزلّ عنه الأبصار فكيف الأقدام، على صخرة صمّاء منقطعة لها بابان، وطريقه عند الطلوع والهبوط على النهر، وأعلى الصخرة سهلة مربعة ذات مياه كثيرة، يقطع الحجر فينبعث الماء العذب، وتنبط فيها الآبار بأيسر عمل وكد"[٧]. وهو من أعمال ريّة[٨]، بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً، ويقع قرب مالقة في جنوبي الاندلس[٩].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٣٣/١؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ١٤٢.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٣٣٣/١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٥/٢.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٤٤٩/٤؛ الحميري، الروض المعطار: ٩٠؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣٧٠/١؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٦٨، ٩٢-٩٥.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧١/٤-١٧٧.

(٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤.

(٧) الحميري، الروض المعطار: ٧٩؛ وانظر أيضاً: عنان، دول الاسلام في الاندلس، العصر الأول، القسم الثاني: ٢٠.

(٨) ياقوت، معجم البلدان: ٣٣٣/١.

(٩) المصدر نفسه: ٣٣٣/١؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٠١.

ويذكر الحميري أن حصن ببشتر "كان قاعدة العجم، كثير الديارات والكنائس والدواميس. ولهذا الحصن قرى كثيرة وحصون خطيرة، وما حوله كثير المياه والأشجار والثمار والكروم وشجر التين وأصناف الفواكه والزيتون"[١].

ويرجح أن فاتح ببشتر هو طارق بن زياد سنة ٩٣هـ/٧١١م، إذ يذكر ابن عذاري أن طارقاً وجه إلى مالقة جيشاً من إستجّة، "وقوّد عليه قائداً، وجعل معه دليلاً من رجال يُليان؛ فاستفتحها وجميع أعمال ريّه"[٢]. وقد يكون فاتحها هو موسى بن نصير على يد ابنه عبد الأعلى سنة ٩٥هـ/٧١٣م، ذلك أن طارقاً بعد فتح أعمال رية "لجأ علوجها إلى جبال رية"[٣]، وربما امتنع بعضهم في حصن ببشتر، وظلوا فيه حتى قدم موسى وافتتح الحصن[٤].

وقد نال حصن ببشتر شهرة واسعة في التاريخ الاسلامي في الاندلس، ذلك أنه كان معقلاً لبعض الثوار ضد الأمويين، بل معقلاً لأعظم ثوار الاندلس وأشهرهم، وهو عمر بن حفصون[٥]، الذي أتت فتنته على ما حول الحصن من أشجار وثمار وكروم[٦].

وعمر بن حفصون ليس عربياً، وإنما هو سليل أسرة من المولدين ترجع إلى أصل نصراني قوطي، وهذا الأصل يتضح من نسبه، فهو: عمر بن حفص، المعروف بحفصون بن

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ٧٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ١١/٢؛ وانظر: ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٥؛ ارسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ١١/٢.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٢٧٥/١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٥٠/٤-١٥١؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٦؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٣؛ وانظر: سالم، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس: ١٢٨.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ٧٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٢/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٤٠/٢، ١٤٣-١٤٤.

(٦) الحميري، الروض المعطار: ٧٩.

عمر بن جعفر بن شيتم بن ذبيان (أو دميان)* بن فرغلوش بن أذفونش (ألفونسو) القس[1].
وكان جده عند الفتح الاسلامي للاندلس هو ألفونسو القس، وجده الرابع هو جعفر، وهو أول من اعتنق الاسلام من أسرته[2]. ولجعفر من الأولاد: عمر وعبد الرحمن، وعمر هو جد الثائر ابن حفصون الذي اتخذ من حصن ببشتر قاعدة للفتنة، ثم أخذ يستولي على المدن والحصون المجاورة، حتى امتد ملكه من رُندة إلى إلبيرة[3].

ولد عمر بن حفصون حوالي سنة ٢٥٠هـ/٨٦٤م، ونشأ فاسداً سيء السيرة، عنيفاً يعتدي على النفس والمال، هجر أسرته، وأطلق العنان لأهوائه وغيه، والتفت حوله جماعة من أهل الفساد والبغي، فألف منهم عصابة، ونزل بحصن ببشتر سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م، وأصبح إمام الخارجين على بني أمية وقدوتهم، وأعلاهم ذكراً في الباطل، وأضخمهم بصيرة في الخلاف، وأشدهم سلطاناً، وأعظمهم كيداً، وأكثرهم قوة[4].

ويتلخص سبب ثورة ابن حفصون في أن عامل كورة رية للأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) ضربه بالسياط "في فساد أخذه فيه"[5]. ففر إلى تيهرت عاصمة الرستميين، واشتغل عند خياط نحو أربعين يوماً، وجاء شيخ - ربما ليخيط ثوباً -، ولما رأى ابن حفصون سأله - وهو لا يعرفه - عن موطنه الأصلي، فأخبره بأنه من ببشتر،

* ورد الاسم: (ذبيان) عند ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٦/٢، و (دميان) عند ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٢/٤.

(1) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٦/٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٢/٤.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٦/٢؛ وانظر أيضاً: عنان، دولة الاسلام في الاندلس، العصر الأول، القسم الثاني: ٢٠.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٦/٢.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤؛ ابن سعيد، المغرب: ٥٣/١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ١٠٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٤/٢؛ وانظر أيضاً: الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس: ١٢٢؛ وعنان، دولة الاسلام في الاندلس، العصر الأول، القسم الثاني: ٢٠.

(5) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ١٠٩.

وعندئذ قال له الشيخ: هل تعرف فيما يجاور حصن ببشتر رجلاً يقال له عمر بن حفصون؟" فذعر من قوله، وأخذ الشيخ ينظر إليه، وكان ابن حفصون أفض الثنية (مفرّق الاسنان)، فقال له: يا منحوس تحارب الفقر بالإبرة! إرجع إلى بلدك، فأنت صاحب بني أمية، وسيلقون منك غياً..."[1]. فعاد ابن حفصون إلى الاندلس، وأخبر عمّه بما حدثه به الشيخ، فجمع له نحو أربعين رجلاً، ودخل جبل ببشتر، وبدأ ثورته[2].

ويذكر ابن القوطية أن ابن حفصون تلقّى الدعم من ثوار آخرين في المناطق المجاورة، إذ يقول: "وثار في جبل الجزيرة بثورته رجل يُقال له لب بن منذريل، وآخر يقال له ابن أبي الشعرا"[3] .

وشن ابن حفصون على الأمويين حرب عصابات، وصار أشبه بقطاع الطرق. وقد هزم عامل الأمير محمد على كورة ريُّه، واستمر على هذا النحو ثلاث سنوات. ولما استفحل شره توجه إليه أعظم وزراء الأمير محمد، وهو هاشم بن عبد العزيز، وتمكن من القضاء على الثوار "واستنزل ابن حفصون، وقدم بجميعهم قرطبة، وألحقهم في الحشم"[4]. وكان ذلك سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م[5].

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ١١٠؛ ولمزيد من التفاصيل أنظر: الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس: ١٢٢.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ١١٠؛ وانظر: الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس: ١٢٣.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ١١٠.

(٤) المصدر نفسه: ١١٠؛ وانظر: ابن سعيد، المغرب: ١/٥٢-١٥٣؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٢٣-١٢٤.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/١٧٣.

ويبدو أن ابن حفصون لم يلق معاملة حسنة في قرطبة، إذ فرّ في العام التالي إلى ببشتر واستولى على المنطقة من عاملها: العريف التجوبي، وسبى جارية للعريف تعرف بالتجوبية، وتزوجها. ووسع منطقة نفوذه حتى شملت ما بين الجزيرة الخضراء وتدمير(١).

واتسع نطاق غارات ابن حفصون في السنة الأولى من ولاية الأمير الأموي المنذر بن محمد (٢٧٣ـ٢٧٥هـ/٨٨٦ـ٨٨٨م). وكان المنذر قد قتل وزير أبيه هاشم بن عبد العزيز، حيث "أتى به إلى دار عظيمة كان قد شيدها، وقصر عليها جميع أمانيه، وضرب عنقه فيها، وفتك في أولاده ومخلّفيه أشد الفتك، وشفى غيظه الكامن"(٢).

فلما بلغ ابن حفصون موت الأمير محمد "نهض من فوره، فراسل الحصون التي بينه وبين الساحل كلّها، فأجابته وطاعت له"(٣). فغزاه المنذر سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م، وحاصره في ببشتر، وضيقّ عليه، وأفسد ما حول الحصن من زروع وثمار، وقاتله أشد قتال "فأظهر (ابن حفصون) الإنابة إلى الطاعة... على أن يكون عند الأمير من خاصة جنده، ويسكن قرطبة بأهله وولده"(٤). وقد استجاب المنذر لمطالبه، وكتب له بها عقد أمان. ولكنّ ابن حفصون نكث العهد، وامتنع في حصن ببشتر، فعاد الأمير المنذر إلى حصاره، إلا أنه ما لبث أن توفي في أثناء ذلك، في منتصف صفر من سنة ٢٧٥هـ/حزيران ٨٨٨م(٥).

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ١١٢؛ وانظر: الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٢٤.

(٢) ابن سعيد، المغرب: ٥٣/١؛ وانظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٦/٢؛ وانظر أيضاً: الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٢٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ١١٤/٢.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١١٧/٢؛ وانظر: ابن سعيد، المغرب: ٥٣/١ـ٥٤؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤؛ الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٢٥.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ١١٨/٢ـ١١٩؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤.

وكان مع الأمير المنذر في أثناء حصاره لببشتر أخوه عبد الله الذي تولى الإمارة (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) الذي حاول إرضاء ابن حفصون وتهدئته، فولاه كورة رية، فأظهر القبول، واستمسك بالطاعة بضعة أشهر ثم انتقض، واستأنف الغارات، وقطع الطرق، ووصلت شروره حتى أبواب قرطبة، فخرج الأمير عبد الله في سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م لقتاله، وهاجم ببشتر وغيره من الحصون، وانتسف معايشها ثم رجع، فخرج ابن حفصون في أثره، "وتألّف إليه المفسدون، فأتوا إلى إستجّة، فاحتلوها، ثم إلى حصن إستبّة فأخذوه، فأخرج إليهم الأمير جيشاً؛ فنزل ابن حفصون، واعترف بذنبه، فعقد له الأمير أماناً"[1]. ولكن لم يلبث أن غدر، وعاد إلى سيرته. ثم استولى على عدة حصون منها حصن بلاي (Poley) المنيع المطل على قرطبة، وامتنع فيه[2]. وأقبلت إليه جموع المفسدين من سائر انحاء الاندلس، وأخذ يستعد، ربما للاستيلاء على الاندلس كلها، وإقامة ملك له ولأولاده من بعده فيها[3].

وفي مستهل صفر من سنة ٢٧٨هـ/أيار ٨٩١م خرج الأمير عبد الله لقتال عمر بن حفصون الذي بلغت قواته من الثائرين نحو ثلاثين ألفاً، في حين كانت قوات الأمير نحو ثمانية عشر ألفاً. ونشبت معركة شديدة بين الطرفين قرب حصن بلاي انتصر فيها الأمير، وقتل كثيرون من أصحاب ابن حفصون، وتمكن جيش الأمير من احتلال الحصن، مما أصاب ابن حفصون بضربة أليمة أضعفته، فرّ على أثرها إلى شعب الجبال الجنوبية، وامتنع في حصن ببشتر[4].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٢٢/٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤؛ وانظر: الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٢٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٢٣/٢؛ وانظر: الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٢٦-١٢٧.

(٣) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٦٠؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس: ٣٢-٣٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٢٣/٢-١٢٤؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس: ٣٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٦٠-٢٦١؛ الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٢٨-١٢٩.

وتعقب الأمير عبد الله ابن حفصون إلى ببشتر، وعاث في تلك المنطقة إلا أن ابن حفصون لم يخرج للقائه، ولكن عندما عاد الأمير بجيشه هاجم ابن حفصون مؤخرة الجيش، إلا أنه لم يحقق نصراً، وعاد إلى الحصن[(١)].

وظل عمر بن حفصون يشكل شوكة في حلق الأمويين، وينتقض عليهم بعد أن يعطوه الأمان، ويحشد الثائرين ضدهم، ويهاجم المدن والقرى والأراضي كلما سنحت له الفرصة[(٢)]. وفي سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م ارتد ابن حفصون عن الإسلام، حيث أعلن اعتناقه للنصرانية هو وافراد أسرته، واستبدل باسمه اسماً نصرانياً هو صمويل[(٣)]. "ونفر عن أهل الاسلام ونابذهم، فتبرّأ منه خلق كثير... واتصلت عليه المغازي من ذلك الوقت، ورأى جميع المسلمين أن حربه جهاد، فتتابعت عليه الغزوات بالصوائف والشواتي، ولا يني القوّاد عنه في الحلّ والترحال"[(٤)].

وحاول عمر بن حفصون أن يقوي مركزه بالتحالف مع النصارى، ففاوض ألفونسو الثالث ملك ليون، كما تحالف مع ابراهيم بن حجاج المتنفذ في إشبيلية وقرمونة، وشكل معه قوة يحسب حسابها، وذلك سنة ٢٨٧هـ/٩٠٠م[(٥)]. ولما قويت شوكة ابن حفصون عرض عليه الأمير الأموي عبد الله شروطاً للصلح، فقبلها، وبعث إلى قرطبة أربع رهائن من أصحابه، إلا أنّ خلافاً حدث بين الفريقين حول بعض شروط الصلح، وعاد ابن حفصون إلى الخلاف،

---

(١) عنان، دولة الاسلام في الاندلس: ٣٣-٣٤.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٢٤/٢؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس: ٤٢-٤٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٩/٢؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٤٣؛ الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٣٢ وما بعدها.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٩/٢؛ وانظر: عنان، دولة الاسلام في الاندلس: ٤٤٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٦٢.

(٥) عنان، دولة الاسلام في الاندلس: ٤٤٣؛ الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٣٣-١٣٤.

واستأنف ثورته، فغزاه الأمير في ناحية ببشتر، وأفسد الزروع، وأحرق الكنائس القريبة منها[1].

وفي سنة ٢٩١هـ/٩٠٤م وجه الأمير عبد الله عدة حملات لمحاربة ابن حفصون، وقد ألحقت به هزائم متتالية. وفي العام التالي (٢٩٢هـ/٩٠٥م) تمكنت قوات الأمير من إلحاق هزيمة شديدة بقوات ابن حفصون، وقتلت كثيرين من جنده، وفعلت قوات الأمير الشيء نفسه في الأعوام التالية وعهد الأمير عبد الله بن محمد[2].

واستأنف الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) تصديه لعمر ابن حفصون. وقد هزم في السنة الأولى من عهده ابن حفصون قرب إلبيرة، وأسر أحد أحفاده[3]. وهاجمه في السنة التالية، وأوقع به "ومن انحشد إليه من النصرانية في حصن طُرُّش وقيعة عظيمة ذهب فيها كثير منهم. وبعث برؤوسهم إلى قرطبة"[4].

واشتد ضغط الناصر على ابن حفصون، فطلب الأخير الصلح، فصالحه الناصر، وبموجب الشروط التي اتفق عليها الطرفان، احتفظ ابن حفصون بحصن ببشتر ونحو مائة واثنين وستين حصناً آخر، وتمتع باستقلال داخلي. وقد اغتبط ابن حفصون بهذا الصلح، وتمسّك به[5]. وتبادل مع الناصر الهدايا[6]. ولكنه لم يهنأ طويلاً بما وصل إليه أمره، فقد

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٩/٢؛ الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٣٤؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس: ٤٣-٤٤.

(٢) انظر التفاصيل في: ابن عذاري، البيان المغرب: ١٤٠/٢-١٤٩؛ وعنان، دولة الاسلام في الاندلس: ٤٤-٤٥؛ الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٣٤-١٣٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٦٠/٢-١٦١؛ المقري، نفح الطيب: ٣٥٣/١؛ ابن حيان، المقتبس: ٦٠/٥-٦١؛ الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٣٦-١٣٧.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٦٥/٢؛ الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٣٧.

(٥) ابن حيان، المقتبس: ١١٢/٥-١١٣.

(٦) المصدر نفسه: ١١٥/٥-١١٦.

توفي سنة ٣٠٥هـ/٩١٨م "وكان من أول قيامه بالفتنة، وصدعه عصا الجماعة، وامتناعه بقلعة ببشتر منبر المعصية ثلاثون سنة"[1].

وترك ابن حفصون أربعة من البنين هم: سليمان وعبد الرحمن وجعفر وحفص، وقد استبد ببشتر وما حولها ابنه جعفر خلفاً لأبيه، فأقره الناصر. ولكن جعفر ما لبث أن قتل بتدبير من أخيه سليمان الذي قام مكانه في ببشتر، وذلك سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م[2].

ونكث سليمان عهد الطاعة للناصر، فوجه إليه الحملات الواحدة تلو الأخرى، وخرب المناطق التي يسيطر عليها، وأخضع معظم حصونها، وظل سليمان بن عمر بن حفصون معتصماً ببشتر حتى أواخر سنة ٣١٤هـ/٩٢٧م، ففي غرة ذي الحجة من تلك السنة خرج سليمان في قواته للقاء فرقة من جيش الناصر، إلا أنه هُزم، وكبا به جواده فقبض عليه، وقُتل "وقطعت يداه ورجلاه، وذلك يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة من سنة ٣١٤هـ"[3].

واستولى على ببشتر حفص بن عمر بن حفصون خلفاً لأخيه، ولكن الناصر حاصره، وضيّق عليه بدءاً من يوم الثلاثاء لسبع بقين من ربيع الأول من سنة ٣١٥هـ/٩٢٨م[4].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ١٣٨/٥؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ١٧١؛ الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٣٩؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٨٢.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٨٠/٢؛ وانظر: الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٤٠.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٩٢/٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١١٤/٤؛ ابن حيان، المقتبس: ٢٠٤/٥-٢٠٥؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٨٣؛ الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٤١.

(٤) ابن حيان، المقتبس: ٢١٠/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٩٥/٢؛ الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والأندلس: ١٤١؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٨٣.

وعمل الناصر على عزل حفص، وتحقيقاً لذلك أمر ببناء عدة حصون حول حصن ببشتر "وتضاعف عزمه في نظم البنيان عليها، والجد في محاصرتها، فانتهى من ذلك مراده، فرتب عليها من جلّة قواده من يلازمها في طوائف من رجاله"[1].

"ولما اشتدت المحاصرة على حفص بن عمر بن حفصون بمدينة ببشتر، وأحيط بالبنيان عليه من كل جانب...كتب إلى الخليفة الناصر لدين الله يسأله تأمينه والصفح عنه، على أن يخرج من الجبل مستسلماً لأمره، راضياً بحكمه"[2].

ووافق الناصر، ووفى له بأمانه "وأوسعه ومن معه صفحاً، ووسّع نُزْله، وصيره في أعلى منازل حشمه وجنده"[3]. ودخل رجال الأمير ببشتر في ٢٣ ذي القعدة ٣١٥هـ/١٤ كانون الثاني ٩٢٨م[4]. وبعد شهرين من هذا التاريخ دخل الناصر ببشتر، وضبط قصبتها العليا فقط لنفسه، وأحكم تحصينها، وأمر بهدم المسجد الجامع فيها الذي كان عمر بن حفصون قد أسسه على غير تقوى الله، كما دمّر الحصون المجاورة، وفرق أهلها في البسائط[5].

وكان قضاء عبد الرحمن الناصر على ثورة الحفصونيين الذين دوخوا بني أمية ردحاً طويلاً من الزمن نصراً عظيماً، إذ أراح الاندلس من هذه العصبة التي عاثت في ربوعها. وقد تلقب الناصر على أثر هذا النصر بالخلافة، وذلك سنة ٣١٦هـ/٩٢٩م[6]، ثم أمر بهدم ببشتر، وكتب بذلك إلى عماله بنواحي الاندلس[7].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢١٠؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٩٥.

(٢) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢١٢-٢١٣؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٩٥.

(٣) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢١٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٩٥؛ ابن حيان، المقتبس: ٥/٢١٣-٢١٤؛ وانظر: الطيبي، بحوث ودراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ١٤١-١٤٢.

(٥) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢١٥-٢٢٠؛ وانظر أيضاً: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/١٧٤.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٩٨؛ المقري، نفح الطيب: ١/٣٥٣.

(٧) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٣٢- وما بعدها.

ويذكر سالم أن حصن ببشتر لم يتبق منه شيء يذكر سوى بعض الآثار، منها الكنيسة التي أقامها عمر بن حفصون بعد اعتناقه النصرانية. كما ذكرت أن الحفريات كشفت كميات كبيرة من الخزف الذي يشبه في زخارفه وطينته خزف مدينة الزهراء[1].

بِتْرِير Petrir :

حصن، ضبط ياقوت اسمه: بالكسر ثم السكون، وكسر الراء، وياء ساكنة، وراء أخرى[2]. وهو من أعمال مُرسية[3].

---

(1) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٨٣ـ٢٨٤.

(2) ياقوت، معجم البلدان: ١/٣٣٥.

(3) المصدر نفسه: ١/٣٣٥.

بَجّانة Pechina:

مدينة، يلفظ اسمها بفتح الباء، وبعدها جيم مفتوحة مشددة، بعدها ألف، وبعد الألف نون[1]. بنيت على أطلال مدينة رومانية قديمة عُرفت باسم أورسي (Urci)، كانت تقع على خليج أورجيتانوس (Urgitanus) ولكن على مسافة من البحر، ولها ميناء، ومرسى مجاور للساحل في موضع المرية[2]. وتبعد عن المرية إلى الشمال منها ستة أميال[3].

ومدينة بجانة محدثة البناء، بنيت في عهد بني أمية، في إمارة محمد الأول ابن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)، وهو ما يقوله ابن سعيد والحميري[4]. ولكن الحميري يعود فيحدد تاريخ بنائها بسنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م[5]، أي في عهد الأمير الأموي عبد الله بن محمد الأول (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م). ويرجح ليفي بروفنسال بناء المدينة سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م[6].

وقد بنى أمراء بني أمية مدينة بجانة لأسباب عسكرية، إذ رغبوا في حماية الساحل الجنوبي الشرقي من الأندلس من غارات المجوس (النورمان)، فأنزلوا جماعة من العرب الغسانيين هم بنو سراج القضاعيون في هذه المنطقة، ووكلوا إليهم: "حراسة ما يليهم من البحر، وحفظ الساحل"[7]. وعرفت المنطقة التي سكنها بنو سراج (أرش

(١) الحميري، الروض المعطار: ٧٩؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣٣٩/١.

(٢) سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية: ١٩-٢٠.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٦/٥؛ المقري، نفح الطيب: ١٤٢/١، الحاشية ٤.

(٤) ابن سعيد، المغرب: ١٩٠/٢؛ الحميري، الروض المعطار: ٧٩.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ٧٩.

(٦) الحميري، الروض المعطار: ٧٩ الحاشية ١.

(٧) الحميري، الروض المعطار: ٧٩؛ وانظر عن هجوم النورمان على سواحل الاندلس؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ١١٨-١١٩.

اليمن[1]، وتمتعوا نظير قيامهم بحراسة الساحل وحمايته باستقلال جزئي، واصبح لهم الحق في استغلال وادي بجانة.

وكانت بجانة أو أرش اليمن عبارة عن ضياع صغيرة متفرقة. ولما آلت رئاسة أرش اليمن إلى عمر بن أسود مصّر المنطقة، وأسس له جامعاً يقع بالقرب من بجانة نفسها[2].

وأقام بنو سراج القضاعيون برجاً للحراسة بالقرب من مصب وادي بجانة فوق المرتفع الذي تقوم عليه قصبة المرية، وسموا هذا البرج أو المحرس: (مرية بجانة)، ثم توالى إنشاء المحارس، وأخذ المسلمون يرابطون فيها، وخاصة بعد أن قام النورمان بالإغارة على سواحل الأندلس سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م[3].

ونزلت بمرية بجانة سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م جماعة من البحريين، وهم قوم من أوباش الأندلس اتخذوا مراكب، "وكانوا يأتون بها السواحل الخالية، ويحملون الناس إلى كل جهة... فلما قوي أمرهم، وكثر جمعهم، غزوا أهل مرشانة... ثم نزلوا شرقي وادي أرش اليمن وهو خلاء قعر، فخرجوا هنالك ولا طفوا من بإزائه من العرب، وهادوهم بتحف المشرق وطرائفه، وأوسعوهم براً، فأذنوا لهم في النزول، فانتشروا على وادي أرش اليمن، وافترقوا في قراه... وأظهروا أحسن المعاملة وأداء الطاعة، ثم كثروا، وتلاحق بهم من كان تخلّف عنهم، واشتدت شوكتهم، وعظمت على تلك الناحية مضرتهم، حتى تغلبوا على مدينة بجانة، وطردوا عنها مشاهير عربها... وفرقوهم في البلاد، وابتنوا مدينة بجانة"[4].

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ٧٩.

(٢) ابن سعيد، المغرب: ٢/١٩٠؛ الحميري، الروض المعطار: ٨٠؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٨٦-٨٧.

(٣) سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية: ٢١-٢٢؛ وانظر: العذري، نصوص عن الاندلس: ١١٨-١١٩.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ٨٠.

وبعد ابتناء مدينة بجانة وتعميرها أحاطها البحريون بسور، وازدهرت في عهدهم حتى أصبحت مدينة كبيرة زاهرة[1]، وأصبح الجامع الذي بناه عمر بن أسود الغساني يتوسط المدينة، إذ عمرت بجانة بالأسواق، وزخرت بالمنشآت المعمارية، فكان فيها أحد عشر حماماً، وحوانيت مختلفة[2]. واتسعت اتساعاً كبيراً إلى الشرق والشمال والجنوب، وأصبحت أشبه ما تكون بالدولة الصغيرة. وقد ازدادت بجانة تورماً في عهد الأمير الأموي عبد الله بن محمد الأول (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، حيث سمح لأهلها العرب والبحريين بتوسيع رقعتها بضم القرى المجاورة، وإقامة نطاق من الحصون حول مدينتهم مقابل اعترافهم به[3]. وأقام عليهم الأمير عبد الله رجلاً منهم اسمه عبد الرزاق عيسى الذي عُرف بتشدده مع الأشرار، فساد الأمن في بجانة، وتوافد إليها الناس من الآفاق "فكثر الناس لديه، واغتبطوا به وبجواره، وحسده كثير ممن جاوره على حسن حاله"[4].

وتعرضت بجانة في عهد واليها عبد الرزاق بن عيسى لهجمات قام بها أمير العرب في غرناطة سوار بن حمدون المحازي متعللاً بأن البحريين يستخفون بمن جاورهم من العرب الغسانيين، ويتطاولون عليهم. وكان هدف سوار هو إخراج البحريين من بجانة، والانتصار لقومه الغسانيين، إلا أن أهالي بجانة أقنعوا سوار بالانصراف عن مدينتهم، فعاد إلى غرناطة دون أن يلحق بها مكروهاً[5].

وبعد مقتل سوار بن حمدون المحازي سنة ٢٧٧هـ/٨٩٠م[6] عاد البحريون إلى سيرتهم الأولى من التحرش بالغسانيين، فكاتب هؤلاء زعيم عرب إلبيرة سعيد بن سليمان بن جودي

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ٨٠.

(٢) المصدر نفسه: ٨٠؛ العذري، صفة جزيرة الاندلس: ٨٧.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق ملشور: ٥٣.

(٤) المصدر نفسه: ٨٨.

(٥) انظر حول مقتله وسببه: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٣٣-١٣٤.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق ملشور: ٨٨.

"فخف معهم، وجاء إلى بجانة... فحاربهم فيها أياماً قارشوه فيها، فلم يظفر بهم بطائل"[١]. ثم عاد ابن جودي إلى إلبيرة حيث تآمر عليه بعض العرب هناك وقتلوه[٢]، بينما اكتسب البحريون شهرة كبيرة في القوة وشدة البأس، كفت عنهم طمع جيرانهم[٣]. واستعادت بجانة في هذه الفترة ازدهارها وكثر أهلها الذين كان يعمل معظمهم في التجارة[٤].

وظلت بجانة شبه مستقلة حتى سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م، ففي تلك السنة قام الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) بإعادة أهلها للخضوع الكامل للدولة الأموية[٥]، ولكن هذه المدينة أخذت تفقد أهميتها بالتدريج أمام (مرية بجانة) التي أمر الخليفة الناصر ببنائها سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م. وقد أدى بناء المرية إلى خراب بجانة التي تحولت تدريجياً من مدينة مزدهرة كبيرة إلى مجرد قرية صغيرة تابعة للمرية[٦].

ويذكر العذري أن باقي عمارة بجانة ذهب في سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٦م، ويبدو أن الفتنة البربرية التي عصفت بالاندلس في أعقاب سقوط الخلافة الأموية فيها قد فعلت فعلها في خراب مدينة بجانة التي انتقل سكانها للإقامة في فرضتها الناشئة المرية[٧].

وقد اشتهرت بجانة بحجر يشبه الياقوت الأحمر موجود في فرضتها المرية[٨]، كما اشتهرت بحمة تقع في جبل شامخ يبعد عن بجانة إلى الشرق ثلاثة أميال، فقد وصف

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق منشور: ٨٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٦/٢.

(٣) سالم، تاريخ مدينة المرية الاسلامية: ٣١.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٣٣٩/١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٨٢/٢.

(٦) ياقوت، معجم البلدان: ٣٣٩/١؛ ابن سعيد، المغرب: ١٩٠/٢؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٨٧.

(٧) العذري، نصوص عن الاندلس: ٨٢، ٨٧؛ وانظر: الحميري، الروض المعطار: ٨٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٦/٥.

(٨) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٢٨.

الحميري هذه الحمة بأنها "ليس لها نظير في الاندلس في طيب مائها وعذوبته وصفائه ولدونته ونفعه وعموم بركته، يقصدها أهل الأسقام والعاهات من جميع النواحي فلا يكاد يخطئهم نفعها"[1]. "وبجوفي مدينة بجانة حمة أخرى أغزر من الحمة الأولى إلا أن الأولى أنجع في الأسقام، وأصلح للأبدان"[2].

---

(1) الحميري، الروض المعطار: ٧٩.

(2) المصدر نفسه: ٨٠.

بَرْبُشْتَرُ Barbastro:

مدينة، يلفظ اسمها بضم الباء الثانية، وسكون الشين المعجمة، وفتح التاء المثناة من فوق[1]. وكان رسمها في الأصل أقرب إلى: بوبشتر[2]. وقد وردت لدى البكري والحميري بفتح الباء الثانية وسكون التاء: (بربشتر)[3]، ويبدو أن التاء حركت لتجنب التقاء الساكنين: الشين والتاء. وهي لدى العذري مفتوحة الباء الثانية أيضاً[4]. وكذلك تم ضبطها بفتح الباء الثانية عند ابن عذاري[5].

تقع بربشتر على بعد ستين كيلومتراً شمال سرقسطة[6]، على أحد فروع نهر الابره Ebro بين مدينتي لاردة وسرقسطة[7]. وتعد من أعمال بريطانية[8]. وهي قريبة من مدينة وشقة التي تقع إلى الشمال الغربي منها[9].

وبربشتر من أمهات مدن الثغر الأعلى، وهي فائقة في الحصانة والامتناع[10]. وقد صفها ياقوت بأنها "مدينة عظيمة في شرقي الأندلس"[11]. وذكر البكري أن لها عدة حصون[12].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ١/٣٧٠.

(2) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٥٤.

(3) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٢؛ الحميري، الروض المعطار: ٩٠.

(4) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٣٩.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٠٥.

(6) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٧٢ الحاشية ٦.

(7) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٢؛ الحميري، الروض المعطار: ٩٠.

(8) ياقوت، معجم البلدان: ١/٣٧٠؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٢.

(9) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٣ الحاشية ١.

(10) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٢؛ الحميري، الروض المعطار: ٩٠؛ وابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٧٢ الحاشية ٦.

(11) ياقوت، معجم البلدان: ١/٣٧٠.

(12) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٥؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٥٩.

ولم تذكر المصادر التاريخية - باستثناء ابن الأثير - تاريخاً محدداً لفتح مدينة بربشتر، أو فاتحها، ولكن تلك المصادر تكاد تجمع على أن فاتح الثغر الأعلى بما في ذلك سرقسطة ووشقة ولاردة وطركونة وبرشلونة هو موسى بن نصير، وذلك عام ٩٥هـ/٧١٣م[١]. ولما كانت بربشتر إحدى مدن هذا الثغر، ولا تبعد عن سرقسطة أكثر من ستين كيلومتراً، فإن من المؤكد أن موسى هو الذي فتحها خلال العام المذكور. أما ابن الأثير فيؤكد أيضاً أن موسى هو الذي فتح بربشتر، ولكنه جعل ذلك عام ٩٤/٧١٤م[٢].

وكانت بربشتر في عهد الإمارة الأموية في الاندلس موطناً للثائرين ضد بني أمية، فقد ثار فيها أيام الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) إسماعيل بن موسى وبنوه، فقد تغلب على "بربشتر والقصر وبريطانية كلها"[٣]، وقد بدأ ثورته سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م[٤]. وشاركه في هذه الثورة أخوه لُبّ الذي ورث هذه الثورة لأبنائه[٥]. ومن أجل القضاء على هذه الثورات وجه الأمير محمد عدة حملات للقضاء عليها، قاد بعضها ابنه المنذر، وقاد بعضها الآخر هاشم بن عبد العزيز[٦]. ولم يتمكن الأمراء الأمويون من القضاء التام على هذه الثورات. وفي عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) لحق ببربشتر عمروس بن محمد، وذلك في رمضان ٣٠٦هـ/٩١٨م، وابتنى بها سوراً بالصخر "وشاد أبرجتها، وخاطب أمير المؤمنين عبد الرحمن التسجيل له على بربشتر ولاردة فسجل له عليهما"[٧]. إلا أن عمروس ما لبث أن غدر بالأمويين، فوجه إليه الخليفة

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٢٣٣/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٦/٢-١٧؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ١٣٥؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٩-١٠؛ مؤنس، فجر الاندلس: ١٠٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم: ١٠١؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٩١-٩٢.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٣٧٠/١.

(٣) العذري، نصوص عن الاندلس: ٣٢-٣٣؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠١-١٠٢.

(٤) العذري، نصوص عن الاندلس: ٣٢.

(٥) المصدر نفسه: ٣٢-٣٤.

(٦) المصدر نفسه: ٣٤-٣٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠١-١٠٢.

(٧) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٦٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٧٣-١٧٤.

الناصر عدة حملات، ثم "هلك عمروس ليلة السبت مستهل رجب سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة"[1].

وآلت بربشتر في عهد الخليفة الناصر إلى موسى بن محمد بن عبد الملك حيث عينه والياً عليها سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م، وظل والياً عليها حتى وفاته سنة ٣٤٣هـ/٩٥٤م، ثم وليها بعده ابنه عبد الملك، ثم يحيى بن محمد بن عبد الملك، ومن بعده لب بن محمد بن عبد الملك، ثم ابنه يحيى بن لب بن محمد الذي انفرد "بعمالة بربشتر يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وتلثمائة"[٢]. وينتمي هؤلاء الولاة إلى أسرة بني تجيب العربية، وقد ظلوا يتوارثون الحكم في بربشتر حتى وقعت الفتنة التي أدت إلى قيام دول الطوائف، وذلك في أوائل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي[٣]، حيث انتقل حكمها إلى أسرة بني هود، وأولها أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي الملقب بالمستعين با لله (٤٣١-٤٣٨هـ/١٠٣١-١٠٤٦م)[٤] الذي أنشأ في سرقسطة مملكة كانت بربشتر إحدى مدنها.

وقبل وفاة المستعين سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م[٥] قسم المملكة بين أبنائه، وهم أبو جعفر أحمد المقتدر با لله (٤٣٨-٤٧٤هـ/١٠٤٦-١٠٨١م)[٦]، ويوسف المظفر، ومحمد ، ولب، والمنذر. "واستبد هؤلاء الأخوة بأعمالهم بعد أبيهم، ودعا كل واحد منهم إلى حوزته"[٧]. وكان المقتدر قد ولي مدينة سرقسطة، ويوسف مدينة لاردة، ومحمد قلعة أيوب، ولب مدينة وشقة،

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس: ٦٨؛ وانظر: ابن حيان، المقتبس: ١٤٧/٥.

(٢) العذري، نصوص عن الاندلس: ٧٣.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٠/٤ و ٢٠٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٢١/٣-٢٢٢.

(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٩/٤؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٥٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٢٠/٣.

(٦) المصدر نفسه: ٢٢٢/٣؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٢٦٢.

(٧) ابن عداري، البيان المغرب: ٢٢٢/٣.

والمنذر مدينة تطيلة. وكانت بربشتر من أعمال مدينة لاردة التي وليها يوسف. وقد احتال أحمد المقتدر على إخوته "حتى أخرج بعضهم من مواضعهم، واحتال عليهم وسجنهم، وكحل بالنار بعضهم، غير أن الوالي على مدينة لاردة يوسف كان أكبرهم، وهو المسمى بحسام الدولة حمى حوزته منه"[١].

وفي عهد يوسف المظفر وقعت مأساة بربشتر التي اهتزت لها الأندلس، بل العالم الاسلامي بأسره. وقبل تناول هذه المأساة لا بد من تناول الظروف التي أدت إليها؛ فقد وقعت الحرب بين المقتدر والمظفر ابني سليمان بن هود، وكان أهل مملكة سرقسطة عندما رأوا ما صنعه المقتدر بإخوته قد سخطوا عليه، ونادوا بخلعه، وخرجت معظم المدن عن طاعته وانضمت إلى أخيه يوسف المظفر. ولكن المقتدر ما لبث أن استعاد ما فقده باستخدام الحيلة والقوة، وبالاستعانة بالنصارى. وتوطد سلطانه، واشتد بأسه، وهابه الناس[٢].

وكانت بربشتر من أعمال يوسف المظفر عندما هاجمها النورمان سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، فحلت بمسلمي الاندلس محنة عظيمة تقشعر لها الأبدان[٣].

وتتلخص أحداث هذه المحنة في أن قوة من النورمان يقدر عددها بعشرة آلاف فارس قدمت من فرنسا، وانضمت إليها جموع كبيرة من الفرسان الفرنسيين، وباركها وأيدها البابا إسكندر الثاني هاجمت المدينة في أوائل سنة ٤٥٦هـ/ربيع سنة ١٠٦٤م، وكانت بقيادة الكونت : بلدوين دي فلاندس El Conde Balduino de Flandes كقائد عام، وهو الذي ورد في

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٢٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٢٣ـ٢٢٤؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٩ الحاشية ١؛ ولمزيد من التفاصيل انظر : عنان، دول الطوائف: ٢٦٢ـ٢٦٣؛ خليل السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالاندلس وبالدول الاسلامية: ٥٦ـ١٥٧؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٥٩.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٢٥؛ ياقوت، معجم البلدان: ١/٣٧٠؛ الحميري، الروض المعطار: ٩٠.

المصادر التاريخية الاسلامية باسم: البيطين[1] أو البيطبين[2] أو البيطش[3]. أما قادة الفرق الذين تجمعوا للمشاركة في هذه الحملة الصليبية فهم: جيوم دي مونتروي، حامل شعار البابوية، الذي أرسله البابا على رأس فرقة من الفرسان الايطاليين، وسانشو راميرو ملك أرغون، والكونت أورخيل، قائد جيوش قطلونية، والبارون روبرت كرسبين، قائد جيوش جنوبي فرنسا، وجي جيوفروا، قائد جيوش بواتيه وبوردو[4]. وازدادت قوات الحملة بتجمع هؤلاء القادة، فبلغ تعدادها ـ كما تذكر بعض المصادر ـ أربعين ألفاً[5].

وتوجهت هذه الحملة إلى مدينة وشقة لاحتلالها، وقد حاصرتها أياماً إلا أنها لم تتمكن من اقتحامها، فتركتها وتوجهت إلى مدينة بربشتر[6]، "ونازلها وحاصرها، وقصر يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها، ووكل أهلها إلى نفوسهم"[7]. واستمر الحصار أربعين يوماً، والمسلمون صامدون داخل مدينتهم الحصينة، وقد جاهدوا الأعداء، ووقعت الحرب سجالاً بين الطرفين، وتخاذل المقتدر بن هود عن نجدة المسلمين فيها، ومع ذلك تمكن أهلها من قتل خمسمائة من المهاجمين[8].

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٩.

(٢) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٢٥/٣.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ٩٠.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٩-٧٠ الحاشية ٢؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ١٥٩؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٣ الحاشية ١؛ عنان، دول الطوائف: ٢٦٤-٢٦٥؛ والحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٦٠.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ٩٠؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٤.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٢٤/٣-٢٢٥؛ انظر: عنان، دول الطوائف: ٢٦٥؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٦٠.

(٧) المقري، نفح الطيب: ٤٤٩/٤.

(٨) المقري، نفح الطيب: ٤٤٩/٤؛ وانظر: السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٦٠؛ عنان، دول الطوائف: ٢٦٥.

وبعد أن طال الحصار، اضطربت أحوال بربشتر "ووقع فيما بين أهلها تنازع في القوت لقلته، واتصل ذلك بالعدو، فشدد القتال عليها، والحصر لها حتى دخل المدينة الأولى في خمسة آلاف مدرع. فدهش الناس، وتحصنوا بالمدينة الداخلة، وجرت بينهم حروب شديدة... ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر إلى المدينة تحت الأرض في سرب موزون انهارت وفسدت، ووقعت فيها صخرة عظيمة سدت السرب بأسره، فانقطع الماء عن المدينة، ويئس من بها من الحياة، فلاذوا بطلب الأمان على أنفسهم خاصة دون مال وعيال، فأعطاهم العدو الأمان، فلما خرجوا نكث بهم وغدر"[1].

ويذكر ابن عذاري أن رجلاً خرج من قصبة المدينة إلى المهاجمين، ودلهم على مجرى الماء "فساروا إليه وهدموه، وحالوا بينه وبين الاتصال بفم السرب، فعدم أهلها الماء، ولم يكن لهم صبر على العطش"[2]. وهكذا كان قطع الماء عن المدينة سبباً مباشراً لرضوخها، ومن ثم تعرض أهلها لما تعرضوا إليه من بلاء على يد النصارى[3].

وقد أسهبت المصادر الاسلامية في تصوير الفظائع التي ارتكبت في بربشتر، وفي الرزايا التي حلت بأهلها، فقد ذكر البكري أن الأعداء دخلوها "فقتلوا عامة رجالها، وسبوا فيها من ذراري المسلمين ونسائهم ما لا يحصى كثرة. ويُذكر أنهم اختاروا من أبكار المسلمين وأهل الحسن منهن خمسة آلاف جارية، وأهدوهن إلى صاحب القسطنطينية، وأصابوا فيها من الأموال والأمتعة ما يُعجزُ عن وصفه"[4].

---

(1) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٤٩.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٢٥.

(3) انظر: السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ١٦١؛ عنان، دول الطوائف: ٢٦٥-٢٦٦.

(4) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٤.

وذكر ابن عذاري أن المهاجيمن "سبوا الحريم والذرية، وحصلوا منها على أموال جليلة... وحصل بأيدي الروم من نساء أهل بربشتر وذريتهم قرب المائة ألف"[1]. كما ذكر أن حصة البيطين من النساء كانت أربعة آلاف "اختارهم أبكاراً من الثمانية أعوام إلى العشرة، فأهدى منهم لملكه ما شاء"[2].

أما المقري فينقل عن شاهد عيان هو ابن حيان الذي آلمته الأعمال الوحشية التي ارتكبها النورمان، فوصفها بتوجع قائلاً[3]: "ومن نوادر ما جرى على هذه المدينة ـ لما فسدت القناة وانقطعت المياه أن المرأة كانت تقف على السور، وتنادي من يقرب منها أن يعطيها جرعة ماء لنفسها أو لولدها فيقول لها: أعطيني ما معك، فتعطيه ما معها من كسوة وحلي وغيره".

"...ثم نادى الملك بتأمين من بقي، وأمر أن يخرجوا فازدحموا في الباب إلى أن مات منهم خلق عظيم، ونزلوا من الأسوار في الحبال للخشية من الازدحام في الأبواب ومبادرة إلى شرب الماء، وكان قد تحيز في وسط المدينة قدر سبعمائة نفس من الوجوه، وحاروا في نفوسهم، وانتظروا ما ينزل بهم، فلما خلت ممن أُسر وقُتل، وأخرج من الأبواب والأسوار، وهلك في الزحمة نودي في تلك البقية بأن يبادر كل منهم إلى داره بأهله، وله الأمان، وأرهقوا وأزعجوا، فلما حصل كل واحد بمن معه من أهله في منزله اقتسمهم الأفرنج لعنهم الله تعالى بأمر الملك، وأخذ كل واحدٍ داراً بمن فيها من أهلها...".

"وكان من أهل المدينة جماعة قد عاذوا برؤوس الجبال، وتحصنوا بمواضع منيعة، وكادوا يهلكون من العطش، فأمنهم الملك على نفوسهم، وبرزوا في صور الهلكى من العطش،

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٢٥.

(2) المصدر نفسه: ٣/٢٢٥.

(3) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٥٠.

فأطلق سبيلهم، فبينما هم في الطريق إذ لقيتهم خيل الكفر ممن لم يشهد الحادثة، فقتلوهم إلا القليل ممن نجا بأجله".

ومن أشنع ما نزل بالمسلمين في بربشتر تلك الفظائع التي لا يرتكبها إلا أخس المحاربين وأنذلهم، فقد كان النصارى بعد أن استولوا على المدينة "يفتضون البكر بحضرة أبيها، والثيب بعين زوجها وأهلها، وجرى من هذه الأحوال ما لم يشهد المسلمون مثله قط فيما مضى من الزمان، ومن لم يرض منهم أن يفعل ذلك في خادم أو ذات مهنة أو وخش أعطاهن خوله وغلمانه يعيثون فيهن عيثة، وبلغ الكرة منهم يومئذ ما لا تلحقه الصفة على الحقيقة"[1].

ويصور ابن عذاري فظائع النصارى في هذا المجال، فيذكر أنهم كانوا "يهتكون حريم أسراهم وبناتهم بحضرتهم إبلاغاً في نكايتهم، ويعبثون في الثيب، ويفتضون البكر، وزوج تلك وأبو هذه موثق في الحديد..."[2].

وهكذا حاقت بأهل بربشتر مأساة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً[3]، وقد شجع النصارى على ارتكابهم الفظائع فيها تفرق المسلمين وتشتتهم، فكانت عبرة، وكانت جرحاً دامياً سيظل ينزف إلى أن تتوحد الكلمة، وينغسل العار.

---

(1) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٥٠.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٢٦.

(3) لمزيد من التفاصيل عن مأساة بربشتر، انظر: المقري، نفح الطيب: ٤/٢٤٩ـ٤٥٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٢٥ـ٢٢٦؛ الحميري، الروض المعطار: ٩٠؛ ياقوت، معجم البلدان: ١/٣٧٠؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٢ـ٩٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٩ـ٧٥؛ وانظر أيضاً: عنان، دول الطوائف: ٢٦٤ـ٢٦٩؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٥٩ـ٣٦١؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٥٨ـ٦٢.

وقد وصف الفقيه الزاهد ابن العسال مأساة بربشتر في قصيدة منها[1]:

ولقد رمانا المشركون بأسهم ... لم تخط لكن شأنها الإصماءُ
هتكوا بخيلهمُ قصور حريمها ... لم يبق لا جبل ولا بطحاءُ
جاسوا خلال ديارهم فلهم بها ... في كل يوم غارة شعواءُ
ماتت قلوب المسلمين برعبهم ... فحُماتنا في حربهم جُبناءُ
كم موضع غنموه لم يُرحم به ... طفل ولا شيخ ولا عذراء
ولكم رضيع فرقوا عن أمه ... فله إليها ضجةٌ وبغاءُ
ولرب مولود أبوه مجدلٌ ... فوق التراب وفرشه البيداء
وحصونة في خدرها محجوبة ... قد أبرزوها مالها استحفاءُ
وعزيز قوم صار في أيديهم ... فعليه بعد العزة استحذاء

وبعد أن فعل النصارى فعلتهم في بربشتر انسحبوا منها تاركين فيها حامية من ألف فارس وأربعة آلاف راجل[2]. وأخذوا معهم "من بنات المسلمين الجواري الايكار والثيبات ذوات الجمال، ومن صبيانهم الحسان ألوفاً عدة..."[3].

وبنات المسلمين اللواتي أخذهن النصارى معهم لتقديمهن (هدية) لصاحب القسطنطينية - تجاوز عددهن الخمسة آلاف، كما تشير بعض الروايات، إذ يذكر ياقوت أنهن سبعة آلاف "بكر منتخبة"[4]، هذا إضافة إلى "ألف وخمسمائة جارية أبكاراً"[5] كن من نصيب

(١) الحميري، الروض المعطار: ٩٠-٩١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٢٦-٢٢٧؛ وانظر المقري، نفح الطيب: ٤/٤٥١ حيث يذكر أن الحامية التي بقيت فيها مؤلفة من ألف وخمسمائة فارس وألفي رجل.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٥١؛ وانظر: البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٤.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ١/٣٧٠.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٤٩.

قائد خيل رومه. أما الغنائم الأخرى فكانت مقاديرها هائلة، يدل على ذلك العدد الكبير من الجمال التي حُملت عليها تلك الغنائم، فقد بلغ خمسمائة جمل[1].

ولما وصلت أنباء هذا الخطب الجلل الذي حلّ ببربشتر إلى قرطبة، وتناهت إلى الأسماع تلك الأعمال الوحشية التي ارتكبها النصارى، اهتزت الاندلس من أقصاها إلى أقصاها، وخاصة أن بربشتر كانت منذ عهد الفتح الإسلامي قد "رسخ فيها الإيمان، وتدُورس القرآن"[2].

وكان أول من هبّ لنجدة بربشتر هو المقتدر بن هود الذي شهد مأساتها عن كثب، ولحقه من جرائها الوزر الأكبر، وتعرض بسببها للنقد واللوم الشديدين لأنه لم يحرك ساكناً عندما كانت في امس الحاجة لمن يذب الكفار عنها[3]. وقد نادى ابن هود "بالنفر للجهاد في سائر بلاد المسلمين"[4]، وكان أول من استجاب لندائه المعتضد بن عباد، ملك إشبيلية[5]. وتأهب ابن هود لقصد بربشتر في جموع من المسلمين الذين وفدوا من سائر بلاد الاندلس. وقد ذكر ابن عذاري أن هذه الجموع بلغت "ستة آلاف من الرماة العقارة"[6].

وكانت الحامية النصرانية التي بقيت في بربشتر بعد رحيل الغزاة بقيادة الكونت أورخل (El Conde Urgel) ابن أخي ملك أراغون سانشو راميرو[7].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٤٩ـ٤٥٠.

(٢) المصدر نفسه: ٤/٤٥٣.

(٣) المصدر نفسه: ٤/٤٥٤؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٧٣ الحاشية ٦.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٢٧.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٥٤.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٢٧؛ وانظر: الحميري، الروض المعطار: ٩١؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٤٥٤.

(٧) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٧٣ الحاشية ٦؛ وانظر أيضاً: السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٦٢.

وقد ضرب المقتدر بن هود الحصار حول بربشتر في جمادى الأولى سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م، واستبسل المجاهدون في استرجاع مدينتهم، "فلما عاين الكفار قوة المسلمين، وكثرة حماتهم ورماتهم أغلقوا أبوابهم... فأمر ابن هود المقتدر با لله بالنقب لسورها، وأمر الرماة أن يتعفوا السور لئلا يمنع الكفرة النقابة من النقب"[١]. وبعد أن تمكن المسلمون من نقب السور اقتحموا المدينة، والتحموا مع النصارى في معركة حامية الوطيس، وقتلوا منهم "نحو ألف فارس وخمسة آلاف راجل، ولم يُصب من جماعة المسلمين إلا نحو الخمسين"[٢].

وتمكن المسلمون من استرجاع بربشتر في جمادى الأولى ٤٥٧هـ/١٠٦٥م بعد مقتل جميع حاميتها وعلى رأسهم الكونت أورخل[٣]. وبذلك "غسلوها من رجس الشرك، وجلوها من صدأ الإفك"[٤]. وتلقب ابن هود منذ ذلك التاريخ بلقبه: المقتدر با لله[٥]، وشاع له "صنيع في بلاد المسلمين لهذا الفتح الذي اتفق على يديه"[٦].

وقد غنم المسلمون من بربشتر "نحو ألف فرس وألف درع وأموال كثيرة، وثياب جليلة، وعدة، وسلاح"[٧]. وكان بإمكان المسلمين وقد دخلوا بربشتر منتصرين أن يفعلوا بالنصارى ما فعلوه بالمسلمين فيها عندما احتلوها، ولكن خلق الاسلام كدين محبة وتسامح منعهم من ذلك، إذ لم تشر المصادر التي أوردت تفاصيل استرجاع بربشتر إلا إلى أن المسلمين

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٢٧/٣؛ وانظر أيضاً: عنان، دول الطوائف: ٢٦٩؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٦٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٢٧/٣؛ المقري، نفح الطيب: ٤٥٤/٤؛ الحميري، الروض المعطار: ٩١.

(٣) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٢٧/٣؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٧٣؛ الحميري، الروض المعطار: ٩١.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٤٥٤/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٢٧/٣.

(٥) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٥.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٢٧/٣-٢٢٨.

(٧) الحميري، الروض المعطار: ٩١؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٢٧/٣.

فتحوها، وقتلوا المحاربين من النصارى، وغنموا خيلهم وأسلحتهم، وذلك باستثناء إشارات عامة أوردها بعضهم مثل الحميري الذي قال وهو يتحدث عن ابن هود بعد استرجاعه المدينة "وسبى النساء والذرية، ودخل منها سرقسطة نحو خمسة آلاف سبية مختارة"[1].

وحكم الثغر الأعلى بعد أبي جعفر أحمد المقتدر بالله ابنه أبو عامر يوسف المؤتمن (٤٧٤-٤٧٨هـ/١٠٨١-١٠٨٥م)، ثم انتقل الملك بعده إلى أبي جعفر أحمد، المستعين بالله (٤٧٨-٥٠٣هـ/١٠٨٥-١١٠٩م)، وفي عهده أخضع المرابطون ممالك الطوائف واحدة بعد الأخرى باستثناء مملكته سرقسطة، فقد هادى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، وكاتبه قائلاً: "نحن بينكم وبين العدوسدّ، لا يصل إليكم منه ضرر ومناعين تطرف، وقد قنعنا بمسالمتكم، فاقنعوا منا بها إلى ما نعينكم به من نفيس الذخائر"[2].

وكانت بربشتر إحدى المدن التي يتألف منها الثغر الأعلى، أما أهم مدنه الأخرى فهي: سرقسطة وتطيلة وقلعة أيوب ودروقة ووشقة ولاردة وإفراغة، وقد استشهد أبو جعفر أحمد المستعين بالله بن هود في معركة قرب تطيلة سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م فآل حكم الثغر إلى ابنه أبي مروان عبد الملك الذي انتقل إلى رُوطة سنة ٥٠٣هـ/١١٠٩م. وتحالف مع ألفونسو الأول، ملك أرغون ضد المرابطين، فخلعوه، ودخلوا سرقسطة في السنة المذكورة[3].

وتعرضت سرقسطة في عهد المرابطين للغزو النصراني، وسقطت في يد ألفونسو الأول (المحارب) ملك أرغون سنة ٥١٢هـ/١١١٨م[4]، ثم تهاوت مدن الثغر الأخرى بما فيها بربشتر.

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ٩١.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/١٤٤-١٤٥؛ وانظر أيضاً: سعدون نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والاندلس: ١٤٣-١٤٤؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ١٩٧-١٩٨.

(٣) السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ١٩٩-٢٠٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٢٣.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٧-١١٩.



Barbastro.—Paseo del Coso (Foto Gallifa)

بُرْجَة Berja، Virgi

مدينة متوسطة، ضبطت بعض المصادر اسمها بفتح الباء[١]،وبعضها الآخر بضمها[٢]. وقد كانت قديماً تسمى (Virgi)[٣].

تقع برجة في إقليم المرية بشرق الاندلس[٤]. وهي إلى الغرب من ألمرية على مقربة من ساحل البحر المتوسط[٥]. وتقع إلى الشمال الغربي على مقربة منها مدينة دلاية (Dalia). وقد اعتبرها ياقوت من أعمال إلبيرة[٦]، وعدها ابن الخطيب حصناً من حصون مملكة غرناطة[٧]، وليس في ذلك تعارض، فكلاهما يتحدث عن منطقة واحدة.

وتجدر الاشارة إلى أن العذري ذكر مدينة باسم بُرجة[٨] (Borja)، ووضح الأهواني أنها مركز في سرقسطة[٩]. ويبدو أنها مدينة أخرى - غير برجة المرية ــ اندثرت، إذ لم يذكرها غير العذري.

وتبعد برجة المرية عن مدينة ألمرية مرحلة[١٠]، أو نحو خمسين ميلاً. وهي على واد مبهج يعرف بوادي عذراء[١١]، و "بها أسواق وصناعات وحروث ومزارع"[١٢]. وتكثر فيها

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٧٤/١؛ ابن سعيد، المغرب: ٢٢٨/٢.
(٢) ابن حيان، المقتبس: ٤٨٩/٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١٥٨/١؛ معيار الاختيار: ٥٥.
(٣) ابن الخطيب، مشاهدات: ٨١، ج٢.
(٤) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٨٩، ج ١٠٧؛ ومشاهدات: ٨١، ج٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٣/٥.
(٥) المقري، نفح الطيب: ١٥٠/١، ج٥؛ حتاملة، محنة مسلمي الاندلس: ٦٣.
(٦) ياقوت، معجم البلدان: ٣٧٤/١.
(٧) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٩.
(٨) العذري، نصوص عن الاندلس: ٣٣.
(٩) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٥٥.
(١٠) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٣/٥.
(١١) ابن سعيد، المغرب: ٢٢٨/٢؛ المقري، نفح الطيب: ١٥٠/١.
(١٢) الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٣/٥.

الأشجار والأزهار، وتتميز بمناظرها الخلابة. وقد وصفها ابن الخطيب فقال: "ما هي إلا بهجة ناظر، وشرك خاطر، ونسيجة عارض ماطر"[1]. وبسبب حسن مناظرها تسمى: بهجة، وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيرواني[2]:

حُطَّ الرحال ببرجة	وارتد لنفسك بهجهْ
في قلعة كسلاحٍ	ودوحة مثل لُجهْ
فحصنها لك أمن	وروضها لك فُرجه
كل البلادِ سواها	كعمُرة وهي حجّهْ

وإضافة إلى الفواكه الجليلة، والأزهار الجميلة، يوجد في برجة معدن الرصاص[3]. وأكثر ما يعمل أهلها بانتاج الحرير الذي يعد غلتهم الرئيسية[4].

ولم تكن برجة بالمدينة المهمة على المستوى الاستراتيجي، ولذلك لم تورد المصادر إشارات واضحة إلى فتحها أو سقوطها، غير أن هناك ما يشير إلى أنها ظلت في أيدي المسلمين حتى سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م حيث كانت تابعة لملكة أبي عبد الله الصغير في غرناطة، ويبدو أنها سقطت في ذلك العام، ثم منحت بعض أراضيها للصغير وفقاً لشروط تسليم غرناطة سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢م[5].

---

(١) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٥.

(٢) المقري، نفح الطيب: ١/١٥١.

(٣) ابن سعيد، المغرب: ٢/٢٢٨؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٥١.

(٤) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٦.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٤/٥٢٣؛ حتاملة، محنة مسلمي الاندلس: ٦٣؛ عنان، نهاية الاندلس: ٢٣٦.

برذال Bardal :

مدينة من إقليم برغش، كاملة شاملة بضروب النعم، كثيرة الفواكه، بينها وبين البحر اثنا عشر ميلاً[1].

---

(1) الحميري، الروض المعطار: ٨٦؛ وصفة جزيرة الأندلس: ٤١.

برذيل Beaurdeaux:

مدينة في بلاد جليقية تقع على نهر جرونة[1] ، وذكر المقري أنها من مدن الركن الثاني من أركان الأندلس، و "هو بشرقي الأندلس بين مدينة فربونة ومدينة بُرذيل مما بأيدي الفرنجة اليوم بإزاء جزيرتي ميورقة ومنورقة"[2]. وسميت المدينة باسم إقليم بُرذيل، وهو من أشرف أقاليم تلك الناحية، كثير الكروم والفاكهة والحبوب. وهي مدينة كبيرة مبنية بالكلس والرمل. ونهر جرونة الذي تقع عليه نهر عجّاج "وربما عطبت مراكب المجوس (النورمان) فيه عند الأهوال لاتساعه وانخراقه"[3]. وتبعد مدينة برذيل عن مصب نهرها في البحر مائة وخمسين ميلاً. وأهلها في أخلاقهم ولباسهم على أخلاق الجليقيين، وفي داخلها بنيان منيف على سوارٍ عالية جليلة هو قصر طيطش. وفي سواحل هذه المدينة يوجد العنبر[4]. ويقابل مدينة بُرذيل نربونة الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي[5] آخر بلاد الأندلس من جهة الشمال والمشرق، وذكر أنها تصنع سيوفاً مشهورة بالجودة، عرفت بالسيوف البرذلية[6] .

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١/١٢٨؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤١.

(٢) المقري، نفح الطيب : ١/١٣٠.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤١.

(٤) المصدر نفسه: ٤١-٤٢.

(٥) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٧.

(٦) المقري، نفح الطيب: ١/٢٠٢.

بَرْشَانَـــة Purchena:

ذكر ياقوت برشانة مـن قـرى إشـبيلية، وقـال في لفـظ اسمهـا: بـالفتح، وبعـد الألـف نون[١]. ووردت لدى الحميري بضم الباء: بُرشانة، وقال: "حصن على مجتمع نهرين، وهـو من أمنع الحصون مكاناً، وأوثقها بنياناً، وأكثر عصارة"[٢]. وذكر ابـن سـعيد بُرشـانة بـالضم أيضاً، وقال: "من حصون بسطة، على نهر المنصورة المشهور بالحسن، لما عليه من الضيـاع، والحصون، والجنان"[٣]. وتدل هذه الاشارات على أن هناك أكثر من موقـع يسـمى برشـانة، فهناك برشانة الواقعة في ولاية جيان[٤]، وهناك برشانة أخـرى تقـع إلى الشـمال مـن مدينـة المرية على طريق وادي آش[٥]، وهي المعنية هُنا. وتقـع علـى نهـر المنصـورة إلى الغـرب مـن مدينة المنصورة[٦]، وتعد حصناً من حصون المرية[٧]، وصفه ابن الخطيب بأنه "حصن مـانع، وجناب يافع، أهلها أولو عداوة لأخلاق البداوة، وعلى وجوههم نضرة وفي أيديهم نداوة"[٨].

ويذكر ابن الخطيب أن أهل برشانة كانوا "يداوون بالسـلافة علـل الجلافـة، ويؤثـرون علل التخلف على لذة الخلافة"[٩]، وقد أدى ذلك إلى انتشار الفسق والمجون بينهم[١٠]. أمـا نساء برشانة فكن يتمتعن بالحسن والجمال، وذلاقة اللسان. "إلا أن جفنها ليس بـذي سـور بقية مما يتقيه، ووغدها يتكلم بملء فيه، وحليمهـا يشـقى بالسـفيه، ومحيّاهـا تكمـن حيّـة الجور فيه"[١١].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٨٤/١.
(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٤٢.
(٣) ابن سعيد، المغرب: ٨١/٢.
(٤) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٩٠، ج ١٤٤.
(٥) ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠٩/١، ج٥.
(٦) المصدر نفسه: ١٤٢/٢، ج٣.
(٧) انظر: المصدر نفسه: ٤٨٢/٢.
(٨) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٩.
(٩) المصدر نفسه: ٥٩.
(١٠) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٩.
(١١) المصدر نفسه: ٥٩.

بَرْشَلُونَة Barcelona:

مدينة، يلفظ اسمها بفتح الباء وسكون الراء وفتح الشين وضم اللام، وبعضهم ينطقه: برشنونة، وبرجلونة (بالجمع بين الشين والجيم)[١] . تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى الشمال الشرقي من طرّكُونة، وبينهما خمسون ميلاً[٢]. وبين برشلونة وجزر البليار (الجزائر الشرقية) مائة وستون كيلومتراً[٣]. "ويليها على ساحل البحر من المشرق مدينة أربونة"[٤].

وبرشلونة مدينة قديمة، ربما بناها الفنيقيون[٥]. وأصبحت سنة ٤١٥م مدينة قوطية[٦]، وظلت كذلك إلى أن فتحها المسلمون.

وكانت برشلونة مدينة متوسطة "لا بالصغيرة ولا بالكبيرة"[٧]، وعليها سور منيع وبها ربض[٨]. وقد ذكر المقري عن ابن سعيد أنها غير داخلة في أرض الاندلس[٩]. "والدخول إليها والخروج عنها إلى الاندلس على باب الجبل المسمى بهيكل الزهرة"[١٠]. ولمدينة برشلونة ميناء وصفه الحميري بأنه (تَرِشٌ) لا تدخله المراكب إلا عن معرفة[١١].

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٣، ١٦٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٠٦/١.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٤٢؛ المقري، نفح الطيب: ١٢٨/١ الحاشية ٣؛ وانظر: البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٦؛ الزهري، الجعرافية: ٧٧.

(٣) سيسالم، جزر الاندلس المنسية: ١٥.

(٤) الزهري، الجعرافية: ٧٧.

(٥) حتاملة، أيبيريا: ١٢٨.

(٦) المرجع نفسه: ٢٠٩.

(٧) الزهري، الجعرافية: ٧٧.

(٨) الحميري، صفة جزيرة الاندلس؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٦.

(٩) المقري، نفح الطيب: ١٢٨/١.

(١٠) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٤٢.

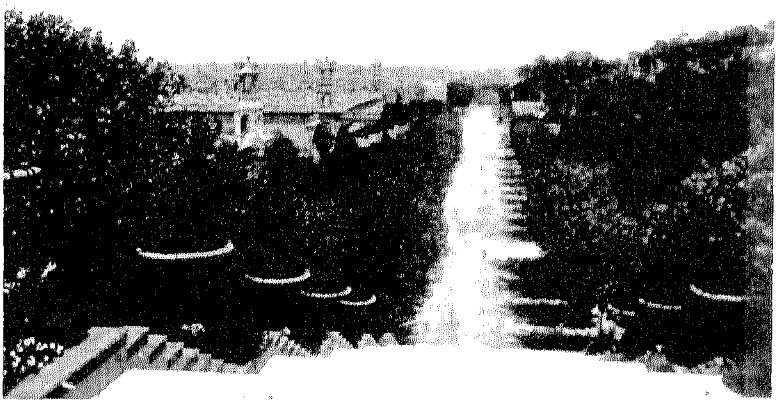
(١١) المصدر نفسه: ٤٢.

برشلونة



Barcelona —Plaza de Urquinaona

برشلونة (حديقة)



Barcelona.- Jardines y paseo de la Exposicion en Montjuich

يوجد في ناحية برشلونة اللؤلؤ إلا أنه جامد اللون[١]. وهي "كثيرة الحنطة والحبوب والعسل"[٢].

اختلفت المصادر في فاتحها وتاريخ فتحها، ولكنها اتفقت على أنها "مما استفتح المسلمون في أول فتح الأندلس"[٣]. فقد ذكر المقري أن موسى بن نصير بعد لقائه مع طارق "أتم موسى الفتح، وتوغل في الاندلس إلى برشلونة في جهة الشرق... ودوّخ أقطارها، وجمع غنائمها"[٤]. ثم يذكر أن بعوث طارق وسراياه ملكت مدينة برشلونة[٥]. ويؤكد آخرون أن فاتحها هو موسى بن نصير سنة ٩٣هـ/٧١٢م[٦]. والأرجح أنها فتحت على يد موسى بن نصير سنة ٩٥هـ/٧١٤م[٧]، وذلك قبل عودته إلى القيروان في السنة نفسها، حيث أمضى بقية السنة هناك "وارتحل إلى المشرق سنة ست بعدها بما كان معه من الغنائم والذخائر والأموال"[٨].

واستقر في برشلونة بعد فتحها قبائل عربية ترجع في نسبها إلى: تجيب من كندة[٩]. وقد أصبحت منذ فتحها قاعدة أمامية، ومركزاً حصيناً تنطلق منه الجيوش الاسلامية لاستكمال الفتح في الشمال، يدل على ذلك ما قام به عنبسة بن سحيم الكلبي، والي الاندلس (١٠٣-١٠٧هـ/٧٢١-٧٢٥م)[١٠]، فقد انطلق من برشلونة سنة ١٠٥هـ/٧٢٣م فاتحاً،

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١٤٢/١؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٢٩.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٤٢.

(٣) الزهري، الجعرافية: ٧٧.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٢٣٣/١.

(٥) المصدر نفسه: ٢٧٣/١.

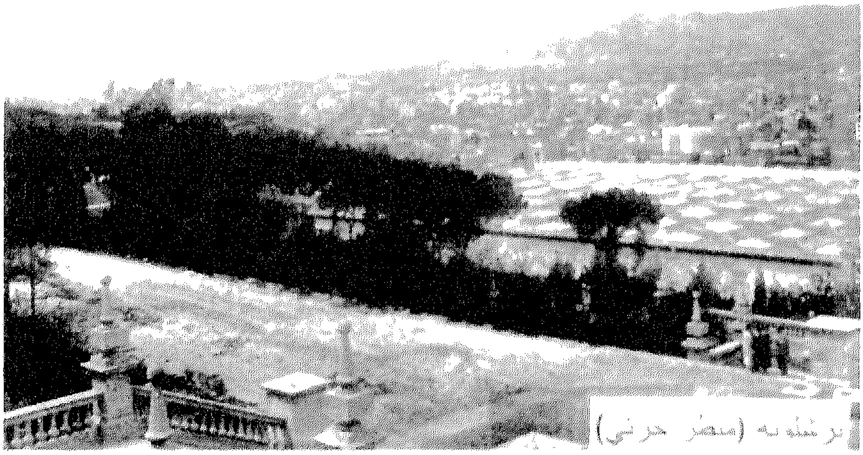
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٢/٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٥٠/٤.

(٧) انظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٠٤، ١١١؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس: ٤٧؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ١١٩.

(٨) المقري، نفح الطيب: ٢٣٤/١.

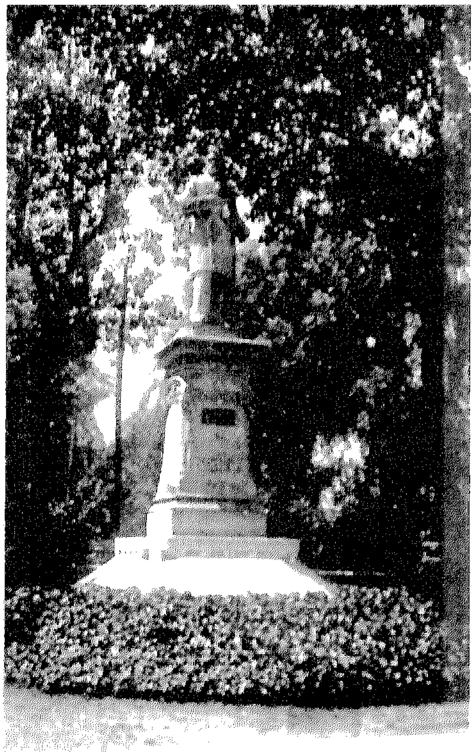
(٩) انظر: مؤنس، فجر الاندلس: ٣٧١، ٣٧٤.

(١٠) مجهول، أخبار مجموعة: ٢٤؛ المقري، نفح الطيب: ١٦/٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٧/٢.



برشلونه (منظر جزئي)

Barcelona - Vista parcial



برشلونة (تمثال)

Barcelona - Monumento a Arriau

واستولى على مدينتي قرقشونة ونيمة، وأخذ من أهلهما رهائن نقلهم إلى برشلونة[1].

وكان من ولاة برشلونة في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل (١٣٢-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م): سليمان بن يقظان الأعرابي، كما كان والياً على سرقسطة: الحسين بن يحيى الانصاري[2]. وقد تواطأ الواليان مع ملك الفرنجة (شارلمان بن بيبان) الذي تدعوه المصادر الاسلامية: قارلة، ضد الأمير الأموي. ففي سنة ١٥٧هـ/٧٧٤م "أخرج سليمان بن يقظان الكلبي قارلة ملك الإفرنج إلى بلاد المسلمين من الأندلس، ولقيه بالطريق وسار معه إلى سرقسطة، فسبقه إليها الحسين بن يحيى الانصاري من ولد سعد بن عبادة وامتنع بها، فاتهم قارله ملك الإفرنج سليمان، فقبض عليه، وأخذه معه إلى بلاده، فلما أبعد من بلاد المسلمين واطمأن هجم عليه: مطروح وعيشون ابنا سليمان في أصحابهما، فاستنقذوا أباهما، ورجعا به إلى سرقسطة، ودخلوا مع الحسين، ووافقوا على خلاف عبد الرحمن"[3].

وتشير بعض الروايات إلى أن عبد الرحمن الداخل عندما علم بتواطؤ والي برشلونة ووالي سرقسطة، وزحفهما مع شارلمان نحو سرقسطة أرسل حملة بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي، فلم يظفر بهم، بل أسروا ثعلبة، لكنهم باؤوا بالفشل، وتفرق شملهم، وعاد شارلمان بحملته بالخيبة[4].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٧/٢؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٣٨؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٢٤٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٨/٢؛ المقري، نفح الطيب: ٤٨/٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٠١؛ والحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٢٢.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ١٤/٦.

(٤) لمزيد من التفاصيل حول حملة شارلمان واشتراك والي برشلونة في المؤامرة انظر: العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٥-٢٦؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١١٢-١١٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٦/٢-٥٧؛ المقري، نفح الطيب: ٣٩/٣؛ وانظر أيضاً: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢١٨-٢٢٦؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٠٢.

ولم تلبث برشلونة إلا قليلاً حتى سقطت في أيدي الملك النصراني شارلمان، ففي سنة ١٨٥هـ/٨٠١م سيّر جيشا كبيرا للاستيلاء على برشلونة بقيادة ابنه لويس. وأنقسم هذا الجيش إلى فرقتين إحداهما بقيادة حاكم جيرونة توجه لمحاصرة برشلونة، والثاني بقيادة جيوم كونت دي تولوز للمرابطة إلى الجنوب الغربي من المدينة، للحيلولة دون وصول أي مدد لها. وكان والي برشلونة حينئذ: سعدون الرعيني، وكانت الاندلس تحت حكم الأمير الأموي الحكم بن هشام (الربضي) (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) الذي كان مشغولاً ـ وقت محاصرة برشلونة ـ بمطاردة الثائرين عليه وفي مقدمتهم عبد الله البلنسي[(١)].

وصمدت برشلونة، وصمم واليها سعدون الرعيني على مقاومة شارلمان، وظل ينتظر المدد حتى نفدت الأقوات. ووصلت في الوقت نفسه قوات نصرانية جديدة، وتم تشديد الحصار على برشلونة. وعندئذ غامر والي المدينة، فخرج بنفسه محاولاً الوصول إلى قرطبة لطلب العون، ولكن النصارى أسروه. وكانت برشلونة قد اشتدت معاناتها، وقتل كثير من أهلها، وفتح النصارى عدة ثغرات في أسوارها، ودخلوها فاضطرت إلى التسليم وذلك سنة ١٨٥هـ/٨٠١م[(٢)]، وأصبحت عاصمة لإمارة قطلونية النصرانية، التي أصبحت فيما بعد مملكة أرغون[(٣)].

وأصبحت برشلونة منذ أن احتلها النصارى منطلقاً للاعتداء على ثغور الاندلس الشمالية، واستمرت محاولات المسلمين لاستعادتها طويلاً، ونشبت فيها أو بسببها معارك وحروب، ومن ذلك ما وقع سنة ١٩٧هـ/٨١٣م حسبما يذكر ابن سعيد[(٤)]، أو سنة ١٩٩هـ/

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٦٨/٢ حيث يذكر أن ثورة البلنسي وعم الحكم استمرت حتى سنة ١٨٧هـ، وفيها انعقد أمانه بإجراء الأرزاق عليه وذلك ألف دينار كل شهر؛ وانظر: عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ٢٢٦.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٣٣٩/١؛ وانظر التفاصيل لدى: عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ٢٢٦-٢٢٧؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٢١؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٤٨.

(٣) عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ٢٢٧.

(٤) ابن سعيد، المغرب: ٤١/١.



Barcelona. Vista del edificio Bamedo (Casa Puig), donde veranea una colonia de niñas.



Barcelona. Montjuich

٨١٥م حسبما يذكر ابن عذاري[١] فقد وجه الأمير الأموي الحكم بن هشام عمه عبد الله البلنسي (بعد أن اصطلح معه) على رأس حملة إلى برشلونة "وكان يوم الخميس؛ فأراد من معه مناشبة الحرب، وتشوفوا للقتال. فمنعهم حتى إذا كان في اليوم الثاني، وهو يوم الجمعة وقت الزوال. أمر بتعبئة الكتائب. ونصب الردود، وقام فصلى ركعتين؛ ثم نادى في الناس، وركب هو ومن معه، وناهض أهل الشرك .. فمنحهم الله أكتاف المشركين، وانهزموا، وقتل عامتهم. وفرّق جمعهم. فلما أقلع عن القتال وانجلت الحرب، نصب قناة طويلة، فأثبتت في الأرض. وأمر بالرؤوس فجُمعت وطرحت حواليها حتى غابت القناة فيها، ولم تظهر"[٢]

وغزا عبيد الله بن عبد الله البلنسي برشلونة سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) "وتردد في تدويخها وانتسافها ستين يوما"[٣] ووجه الأمير إليها حملة أخرى سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م عاثت في نواحيها[٤]

وأرسل الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) حملة إلى نواحي برشلونة. فعاثت فيها، وفتحت حصونا من برشلونة، ثم رجعت[٥]. وكذلك فعل الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)، فقد اغزى أحمد بن يعلى ويحيى بن محمد التجيبي إلى برشلونة، "فعاثت العساكر في نواحيها"[٦]

(١) ابن عذاري، البيان المغرب ٢/٧٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب ٢/٧٤؛ وانظر: ابن سعيد، المغرب: ١/٤٤١؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ٢٢٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب ٢/٨٣؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ٢٣٩؛ وانظر. عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٢٤٥.

(٤) المقري، نفح الطيب ١/٣٤٦.

(٥) المقري، نفح الطيب ١/٣٥٠.

(٦) المصدر نفسه، ١/٣٨٣.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ملك برشلونة طلب من الخليفة الأموي الحكم المستنصر تجديد صلح كان عقده مع جده الخليفة الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، وذلك على أثر ما تعرضت له برشلونة على يد التجيبي، وأرسل إليه ملكها هدية ثمينة، فعقد له الصلح[١].

وكانت أقوى حملة إسلامية تعرضت لها برشلونة تلك التي قادها المنصور محمد بن أبي عامر سنة ٣٧٤هـ/٩٨٥م، فقد وصلت حملته إلى المدينة، وخرب أسوارها، وأضرم النار فيها، وقتل حاكم المدينة بريل الثاني Berrell II ـ كما يذكر ابن الكردبوس ـ وسبى أهلها، وخربها، وغنم منها غنائم كثيرة، وعاد إلى قرطبة سالماً غانماً ظافراً[٢].



(١) المقري، نفح الطيب: ١/٣٨٤؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٣١٥-٣١٧.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٢-٦٣ والحاشية (١) حيث يذكر الدكتور أحمد مختار العبادي محقق الكتاب أن حاكم المدينة بريل الثاني لم يقتل في هذه الحملة كما ذكر ابن الكردبوس، وإنما مات سنة ٩٩٢م. وانظر حول حملة ابن أبي عامر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٣٣٢.
وللاستزادة عن برشلونة، انظر المراجع التالية:

- Ainud, Juan, Gudiol, José verrie, F.P. Catálogo monumental de España La cuidad de Barcelona, Madrid, ١٩٤٧.
- Almagro, Martin, Serra, José Colominas, José, Carta arqueolôgica de España, Barcelona, Madrid, ١٩٤٥.
- Carreras Y Candi, Francesch, La ciutat de Barcelona "Geografia General de Catalunya" Barcelona, s.a.).

برشليانه Buršuliana :

بلدة من أقاليم لبلة، ذكرها ياقوت، وقال في ضبط اسمها: "بسكون اللام، وياء، وألف، ونون"[1].

---

[1] ياقوت، معجم البلدان: ٣٨٤/١.

برطانية Barbitania، Sobrabe

وردت في المصادر بلفظين: برطانية[1]، وبربطانية[2]، وضبط ياقوت بربطانية بفتح الباء الثانية، وطاء، وألف، ونون مكسورة، وياء خفيفة، وهاء. ووصفها بقوله: "مدينة كبيرة... يتصل عملها بعمل لاردة، وكانت سداً بين المسلمين والروم، ولها مدن وحصون"[3]، فهي مدينة، وهي كورة أيضاً سُميت فيما بعد Sobrabe، وهذه التسمية تطلق اليوم على مدينة برطانية، وأشهر مدن المنطقة: Jaca و Barbastro و Beltania. ولمدينة بربطانية أسوار حصينة، وسوق واسعة، وحمامات عجيبة[4]. وقد ذكر الحميري أن أحوازها تتصل بأحواز وشقة[5].

وجه المسلمون إلى برطانية عدداً من الحملات في عهد هشام الأول (المرتضى) (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) بقيادة وزيره عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث الرومي، وذلك سنة ١٧٦هـ/٧٩٢م[6].

وفي سنة ٢٢٦هـ/٨٤٠م بعث الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م) "العساكر إلى أرض الفرنجة، وانتهوا إلى أرض بربطانية، وكان على مقدمة المسلمين موسى بن موسى عامل تطيلة، ولقيهم العدو، فصبر حتى هزم الله عدوهم، وكان لموسى في هذه الغزاة مقام محمود"[7].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١/١٣١؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦١، ٦٨.

(٢) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٨؛ ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٥٤؛ ياقوت، معجم البلدان: ١/٣٧١.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: ١/٣٧١.

(٤) مجهول، ذكر بلاد الأندلس: ٧٢.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣٩، ٥٥، ١٩٥.

(٦) المقري، نفح الطيب: ١/٣٣٧.

(٧) المقري، نفح الطيب: ١/٣٤٥.

وثار في سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م في عهد محمد بن عبد الرحمن بن الحكم (٢٣٨-٢٧٣/ ٨٥٢-٨٨٦م) في تطيلة اسماعيل بن موسى من بني قسي، وتقدم من تطيلة إلى سرقسطة حيث دخلها مع أخيه لبّ بن موسى وقبضا على واليها. ثم خرج اسماعيل إلى حصن منت شون. فتقدم مطرف إلى وشقة ودخلها، فارتد اسماعيل إلى لاردة، إلى أن قبض عليه عبد الله بن خلف بن راشد عامل بربطانية في حصن منت شون، ثم أطلق الأمير محمد سراحه، فاحتل بعد ذلك حتى صاهر عبد الله بن خلف بن راشد ثم غدر به، وحبسه هو وأولاده. وعندما علم اسماعيل بقدوم الأمير محمد على رأس حملة دخل وشقة، وقتل عبد الله بن خلف وأولاده، وتغلب على بربشتر والقصر وبربطانية[١] .

ويفهم مما ترويه المصادر أمران: أولهما أن تبعية بربطانية ترددت بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية[٢]، وثانيهما أنها كانت معقلاً للثوار وخاصة من بني قسي[٣]. وعندما ثار بنو سلمة التجيبيون في وشقة قال لهم بعض الناس أن ملكهم زائل، وأن زواله سيكون من جهة بربطانية، فوقع في ظنهم أن ذلك سيتم على يد مرزوق بن أسكري الذي تحصن في حصن قصر مونش من حوز بربطانية، وهو حصن منيع، فأراد بنو سلمة إنزاله من هذا الحصن. لكنهم اكتفوا بأخذ رهائن من جملتهم بهلول بن مرزوق، وكان أجمل اخوته الثلاثين. فضمه والي شقة إليه، لكنه تمكن من الهرب بمساعدة جارية ابن سلمه، وفرّا معاً إلى برشلونة، ثم قصد قرية شلقوه من بسيط بربطانية، وهي من عمل بربشتر، وكان له فيها أخت وصهر. ثم رماه الله بخلف بن راشد فقتله[٤]. وعندما أسر لب بن محمد صاحب وشقة محمد بن عبد الملك سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م افتدى الأخير نفسه بالتنازل عن بربطانية وإقليم وشقة، وسلّم له المدينة[٥] .

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ٣٢-٣٣.
(٢) ابن حيان، المقتبس : ٢/٣٣٢، ٦١٢.
(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ٥٧ - ٦٠.
(٤) المصدر نفسه: ٥٧-٦٠.
(٥) المصدر نفسه: ٦٥.

وكانت بربطانية في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر أندلسية، يدل على ذلـك توارد الولاة والعمال عليها من قبله[1].

---

(1) ابن حيان، المقتبس: ٥/٣٩٢، ٤٦٣.

بُرْغُش Burgos:

مدينة، ضبطها أبو الفداء بالباء الموحدة والراء المهملة والغين المعجمة ثم شين معجمة في الآخر[1]، وهي إحدى مدن الحدود الشمالية[2]، وقد ذكر الحميري أنها في بلاد الروم بالقرب من مدينة ليون[3]، وعدها البكري من مدن القسم الرابع من قشتيلية الدنيا التي من حصونها: غرنون والقصير وبرغش وأماية[4].

وبرغش "مدينة كبيرة يفصلها نهر، ولكل جزء منها سور، والأغلب على الجزء الواحد منها اليهود، وهي حصينة منيعة، ذات أسواق وتجار، وعُددٍ وأموال، وهي رصيف للقاصد والمتجول، وهي كثيرة الكروم، ولها رساتيق وأقاليم معمورة"[5].

قاد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م غزوة إلى برغش وقصبتها العادية المنيفة وهدمها"[6]، وكانت بعدها غزوة الخندق المشهورة سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م. وفي هذه الفترة فتح الناصر ثلاثين حصناً من حصون النصارى الشمالية[7]. وغزا الحاجب محمد بن أبي عامر المنصور الممالك النصرانية في الشمال سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م، حيث توغل في أرض قشتالة، ثم خرج إلى سرقسطة وبرغش وبنبلونة.

وذكر ابن الخطيب أن صاحب قشتالة القمص غنزالس Gomez Gonzales عندما فسد ما بينه وبين صاحب ليون قبض عليه وأسره سنة ٩٧١م، ثم دبرت زوجته بنت ملك نبرة

---

(١) أبو الفداء، معجم البلدان، ذكر جزيرة الأندلس: ١٨٥.

(٢) المقري، نفح الطيب: ١/٣٦٤.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٤.

(٤) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٧٣.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٤ والروض المعطار: ٨٨.

(٦) ابن حيان، المقتبس: ٥/٣٤٢.

(٧) المقري، نفح الطيب: ١/٣٦٤.



Burgos.—Diputación provincial.



Burgos.—Calle de Santander.

الحيلة في خلاصه، فسارت من برغش في خمسمائة فارس تطوي المراحل ليلاً إلى أن اقتربت من ليون، حيث تركت الفرسان، وأقبلت في زي راهبة تقصد الحج لشنت ياقوب، فأكرم صاحب ليون وفادتها، وتبرك بها، فطلبت منه أن تزور القمص الأسير، فأذن لها، فأخرجت الأسير في زيها وبقيت هي مكانه بينما وصل هو إلى الفرسان، وقد غضب ملك ليون لذلك لكنه أطلق سراح الزوجة[1]. ثم شن القمص حرباً شرسة ضد صاحب ليون انتهت بعقد الصلح بينهما[2].

دُفن في برغش السيد القمبيطور الذي كان قد هلك سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م ببلنسية، وظل جثمانه في برغش إلى أن انسحب عنها أتباعه قبيل سقوط بلنسية في يد المرابطين سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م حاملين معهم رفاة القمبيطور، حيث دفنوه في قشتالة في ديو سان بيدرو دي كارينا على مقربة من برغش، ثم نقل بعد ذلك إلى مدينة برغش نفسها[3].

بُرْقُولِش Burcoles:

حصن من أعمال سرقسطة، ضبط ياقوت اسمه بضم أوله والقاف، والواو ساكنة، واللام مكسورة، والشين معجمة[4].

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ٢٢٧.
(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ٣٢٧.
(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١٠٩ الهامش.
(٤) ياقوت، معجم البلدان: ١/٣٨٨.

بُرِيَّانَـــة Puriana :

مدينـة، يلفـظ اسمهـا بـالضم ثـم الكسر، ويـاء مشـدّة، ونـون[١]. تقـع بـالقرب مـــن بلنسية[٢]، وتعد من أعمالها[٣]. وتبعد عن البحر نحو ثلاثة أميال[٤]، وهـــي إلى الشـرق مـن قرطبة[٥]، وبينها وبين مربيطر نحو عشرين ميلاً[٦].

وبريانة "مدينة جليلة عامرة، كثيرة الخصب والأشــجار والكـروم، وهـي في مسـتوٍ مـن الأرض"[٧].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٤٠٦/١.

(٢) الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ٣١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٤٤.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٤٠٦/١.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٤٤؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٦/٥.

(٥) ياقوت، معجم البلدان: ٤٠٦/١.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨١.

(٧) المصدر نفسه: ٤٤؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٥/٥.

بِزِلْيَانَه Bisiliana :

قرية، يلفظ اسمها بكسرتين، وسكون اللام، وياء، وألف، ونـون[1]، وهـي قريبـة مـن مالقة[2]. وقد ذكر الحميري أن هذه القرية تشبه المدينة "في مستوٍ من الأرض، وأرضها رمل، وبها الحمّام والفنادق، ويُصاد بها الحوت الكثير، وتحمل منها إلى الجهات المجـاورة لهـا، وبينها وبين مالقة ثمانية أميال"[3].

يُنسب إلى بزليانة أحمد بن محمد بن عبد الرحمـن بـن الحسـن بـن مسـعود الجُذامـي البزلياني. يكنى أبا عمر، كان قاضياً بالبيرة وبُجانة، وهو من أهل العلم والفضل، وقد تـوفي في مستهل جمادى الأولى من سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م[4].

بَزْنَر Baznar :

قرية من قُرى غرناطة، ضبطهـا يـاقوت: بـالفتح ثـم السـكون، ونـون مفتوحـة، وراء. يُنسب إليها أبـو الحسـن هـانئ بـن عبـد الرحمـن بـن هـانئ الغرنـاطي، وكـان مـن كبـار الأندلس[5].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١/٤١٠.
(٢) المصدر نفسه: ١/٤١٠؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٤.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٤.
(٤) ياقوت، معجم البلدان: ١/٤١٠.
(٥) المصدر نفسه: ١/٤١٠.

بَسَطَةُ Baza:

مدينة، يلفظ اسمها بالفتح[1] ، وهي مدينة Basti القديمة[2]. تقع شمال شـرق غرناطـة بنحو مائة واثنين وثلاثين كيلومتراً[3]، وتعد من أعمال وادي آش[4]، وتبعد عنها نحو ثمانية وأربعين كيلومتراً[5].

ويحتضن بسطة واد خصيب متسع الأرجاء "طوله ثماني مراحل، وعرضه ثلاث يسمى الهوتة"[6]. وتربة بسطة وافرة الخصب، كثيرة المياه[7]، يجـود فيهـا: التـوت، والزيتـون، والزعفران، ولذلك تعد بلد تجارات وصناعات. وقد اشتهرت بالمنسوجات الحريرية، "وبهـا كانت طرز الوطاء البسطي من الديباج الذي لا يُعلم له نظير"[8]

ولبسطة أسوار حصينة، وسوق نظيفة، وديار حسنة البناء، رائعة المغنى، فهـي مبنيـة في السهل، لكنها محصنة من أحد طرفيها بوعر الجبل، وبقلعـة متينـة، أمـا طرفهـا الآخـر فمحصن بسور متين عليه أبراج شاهقة، "ولها ربض إلى جهة السـهل فيـه حصـون وأبـراج، وفي مقدمة هذا الربض غوطة أشجار مسافتها مرحلة، مشتبكة السـرح، فينانـة الـدوح كأنهـا

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ٤٢٢/١.

(2) العباد، مشاهدات: ٣١ الحاشية ٩.

(3) ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠٩/١ الحاشية ٧؛ العبادي، مشاهدات: ٣١ الحاشية ٩.

(4) الحميري، الروض المعطار: ١١٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٨/٥.

(5) سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ١١٢/٢.

(6) أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٢٧؛ الحميري، الروض المعطار: ١١٣.

(7) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٠؛ الحميري، الروض المعطار: ١١٣.

(8) الحميري، الروض المعطـار: ١١٣؛ أرسـلان، خلاصـة تـاريخ الاندلس: ٢٢٧؛ الادريسـي، نزهـة المشـتاق: ٥٦٨/٥.

أجمة واحدة تدور عليها المياه بأقنية متشعبة تسقي جميع غياضها. وفيها مئات من الأبراج متفرقة في البساتين"[١].

ألهمت بسطة بجمال طبيعتها، وبهاء رونقها الأدباء والشعراء، فقد ذكرها الأديب أبو الحسن علي بن محمد بن شفيع البسطي فقال: "لو طبعت على الزهد لحملني حسن بلدي على المجون والعشق والراحات"[٢]. وقال فيها شعبان الغزي[٣]:

سقى الله صوب الغيث أكناف بسطة ففيها انبساط النفس والعين والقلب وفي بسطة جبل يسمى جبل الكحل "لا يزال يُنشر منه كحل أسود"[٤].

وعلى الرغم من صلاحية أراضي بسطة للزراعة إلا أن البناء فيها صعب، إذ يبدو ـ كما يرى ابن الخطيب ـ أن تربتها رخوة "تفضح البناء، وإن صحبه الاعتناء"[٥].

فتح طارق بن زياد مدينة بسطة سنة ٩٢هـ/٧١١م، فهي من كورة جيان التي فتحها في تلك السنة[٦]. وتبعت بسطة أثناء عصر الطوائف الذي بدأ بانهيار الخلافة الأموية في الأندلس في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي لباديس بن حبوس الصنهاجي، وقد كانت بينه وبين المأمون بن ذي النون معارك وحروب[٧]، كما كانت العلاقات تنفرج بينهما أحياناً، ويسودها الوئام الخدر. وقد استنصر باديس بالمأمون، صاحب طليطلة، ضد ابن صمادح الذي استولى على وادي آش من باديس، وذلك سنة

---

(١) أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٢٥ـ٢٢٦.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ١١٣.

(٣) ابن سعيد، المغرب: ٧٧/٢.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ١١٣؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٢٧.

(٥) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٠.

(٦) انظر: الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٨١/٥؛ أبو الفداء، تقويم البلدان: ١٧٧؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٥.

(٧) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٦/٤.

٤٥٩هـ/١٠٦٦م، فاستنصر بالمأمون الذي اقتطع من باديس بسطة ثمناً لمؤازرته[١]. ثم أصبحت بسطة من مدن مملكة غرناطة التي أسسها النصريون (بنو الأحمر)، وقد تعرضت في عهد أحد سلاطينهم، وهو أبو عبد الله محمد الأيسر (٨٢٠-٨٥٨هـ/١٤١٧-١٤٥٤م) لغارات النصارى القشتاليين[٢]، إلا أنها ظلت صامدة بسبب حصونها المنيعة، وأسوارها المتينة، واستبسال المسلمين في الدفاع عنها[٣]. ولكن هذا الصمود أخذ يتضعضع أمام إصرار النصارى على احتلالها. وقد بلغ هذا الإصرار أوجه لدى الملكين الكاثوليكيين فرديناند الخامس وإيزابيلا اللذين مهدا لاحتلالها باحتلال عدد من الحصون الدفاعية القريبة منها[٤].

لقد حشد فرديناند الخامس جيوشه في جيان في ربيع سنة ٨٩٤هـ/١٤٨٩م، وبلغت ثلاثة عشر ألف فارس وأربعين ألف راجل، وزحف بها قاصداً بسطة[٥]، ونـزل قريباً منها "فوجد بلداً مقيماً بالخيل والرجال والعدة والطعام، فكلما قرب من البلد، وأراد قتال المسلمين، رجع خائباً"[٦].

ولم يتمكن النصارى من ضرب حصار محكم على مدينة بسطة إلا بعد ثلاثة أشهر من المحاولات ظل المسلمون خلالها قائمين ببلدهم، غالبين لعدوهم "فكلما أراد الدنو من البلد قمعوه وردوه على عقبه خائباً خاسراً، ولم يقدر على نصب نفط، ولا عدة من آلة الحرب"[٧].

---

(١) عنان، دول الطوائف: ١٣٥-١٣٦.

(٢) عنان، نهاية الاندلس: ١٤٨.

(٣) البستاني، نبذة العصر: ٢٦؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٢٨؛ ولمزيد من التفاصيل أنظر: عنان، نهاية الاندلس: ٢١١.

(٤) البستاني، نبذة العصر: ٢٦.

(٥) أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٢٧.

(٦) البستاني، نبذة العصر: ٢٦.

(٧) البستاني، نبذة العصر: ٢٦؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، نهاية الاندلس: ٢١١.

ويبدو أن أهالي بسطة كانوا مستعدين لحصار طويل، حيث ادخروا من المؤن والأقوات ما يكفيهم خمسين شهراً[1]. كما أن معنوياتهم كانت عالية، حتى أنهم ـ بعد أن تمكن فرديناند من إحكام الحصار حول المدينة ـ كانوا ينقضون على الجنود النصارى، ويكثرون القتل فيهم[2]، ويتسابقون معهم إلى احتلال الأبراج القائمة في السهل بين الأشجار الكثيفة[3]. ثم فكر فرديناند بالرحيل عن المدينة، والاستعاضة عن فتحها بإفساد زرعها، وتخريب المدن والقرى المجاورة إلى أن تواتيه فرصة أخرى[4].

ثم استشار فرديناند زوجه الملكة ايزابيلا، وكانت حينئذ في جيان، فتركت الأمر له، ولكنها أمدته بقوات جديدة، وقد مكنه ذلك من تضييق الخناق على بسطة، وتشديد الحصار عليها، وقطع المدد عنها[5].

ولم يعبأ المسلمون بكل ما فعله فرديناند وعساكره "بل كانوا يخرجون من النقب، ويهبطون من على الأسوار، ويقتلونهم في محلتهم وفي كل مسلك يسلكونه حتى قتلوا منهم خلقاً كثيراً"[6].

وبعد حصار طويل قلت الأقوات في بسطة، وفتك الجوع بأهلها، كما انتشرت بينهم الأمراض. ولما أدرك أعيانها ذلك، اضطروا إلى مفاوضة فرديناند على تسليمه المدينة[7].

ودخل النصارى مدينة بسطة يوم الجمعة ١٠ محرم ٨٩٥هـ/١٤٨٩م، وخرج أهلها مؤمنين بخيلهم وأسلحتهم وأمتعتهم إلى وادي آش[8].

---

(١) أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٢٨.
(٢) المرجع نفسه: ٢٢٩.
(٣) المرجع نفسه: ٢٢٩.
(٤) المرجع نفسه: ٢٣٠-٢٣١.
(٥) المرجع نفسه: ٢٣١-٢٣٢؛ وانظر: البستاني، نبذة العصر: ٢٦.
(٦) البستاني، نبذة العصر: ٢٦.
(٧) المرجع نفسه: ٢٦؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، نهاية الاندلس: ٢١١.
(٨) البستاني، نبذة العصر: ٢٦-٢٧؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٤٣-٢٤٤؛ وعنان، نهاية الاندلس: ٢١١-٢١٢.

من أجل الاستزادة عن مدينة بسطة انظر المراجع الاسبانية التالية:

- Lévi-Provencal, La Péninsule Ibérique un moyen-âge d'après le kitab ar Rawd al-Mi'tar, leiden, 1938, P. 45 del texto árabe Y 57 de La trad francesco.
- Simonet, Francisco Javier, Descripción del Reino de Granada bajo La Dominición de Los Naseritas Madrid, 1860. p. 62.
- Mosén Diego de Valera, Cronica de Los Reyes Católicos edic Y est. por Juan de Mata Carriazo, Madrid, 1927, p. 281.
- Péres, Henri, La poesie andalouse en arabe classique au Xie siécle, Paris, 1953 pp. 158-159
- Max Meyerhof, Esquisse d'histoire de La pharmacologie et botanique chez Les musulmans d'Espagne (Al-Andalus III, 1935).

البسيط Albacete:

مدينة محدثة بنيت في عصر الموحدين في القرن السادس الهجري، وسميت كذلك لوقوعها في سهل منبسط، وهي عامرة حتى اليوم، ولا تزال عاصمة لإحدى محافظات إقليم لامنشا متاخمة لمحافظتي مرسية وبلنسية[1] . وذكر الدكتور حسين مؤنس أنها تقع في طرف فحص البلوط الواقع في شمال قرطبة[2] وهي أيضاً مقاطعة تقع في الجانب الشرقي من طليطلة ومدريد، وفيها المدينة القديمة والمدينة الجديدة، ويمر بها حالياً الخط الحديدي الذي يربط بين مجريط ولقنت على الساحل الشرقي من البحر الأبيض المتوسط. وقد ذكرها ابن صاحب الصلاة في كتابه المن بالإمامة في معرض حديثه عن إخضاع الموحدين للبلاد التي كانت في حوزة ابن مردنيش، "إنه قام خلال هذه الأحداث بالمرية محمد بن مردنيش المعروف بابن صاحب البسيط ابن عم محمد بن مردنيش المذكور وصاهره، قام بدعوة الموحدين بمساعدة محمد بن هلال، وقبضا على الوالي من قبل ابن مردنيش وخاطبوا بذلك أبا حفص فوجه إليهم عسكراً من الموحدين ونفذ الأمر بقتل مقدام (والي البسيط). فلما علم ابن مردنيش بذلك أمر بقتل اخت منافسه زوج محمد ابن عمه المعروف بابن صاحب البسيط المذكور كما قتل بنيه منها[3] .

وقد ذكر محقق كتاب الإكسير في فكاك الأسير أنها لم تكن ذات أهمية أيام المسلمين وإن كان اسمها عربياً. كما ذكر صاحب الإكسير أنها كانت عامرة في عهده في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي. وهي في عصرنا الحاضر بلاد عامرة ومدينة كبيرة[4] .

---

(١) مكي، د. محمود علي، مدخل لدراسة الأعلام الجغرافية ذات الأصول العربية في اسبانيا، مدريد، ١٩٦٦، ص ١٧.

(٢) مؤنس، د. حسين، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس، ط٢، مدريد، ١٩٨٦، ص ٢٦٠.

(٣) ابن صاحب الصلاة، عبد الملك، المنّ بالإمامة، تحقيق د. عبد الهادي النادي، ط٣، بيروت، ١٩٨٧، ص ٣٢٠، والهامش.

(٤) المكناسي، محمد بن عثمان، الإكسير في فكاك الأسير، تحقيق محمد الفاسي، الرباط، ص ١٥٤.

بِشْبراط Bišbirat :

حصن من أعمال شنتبرية في غربي الأندلس، ضبطه يـاقوت: بالكسـر، والبـاء موحـدة بعد الشين[١].

البشرات: Alpujarras

سلسلة جبال تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة غرناطة[٢]، وتلفظ أيضـاً البُشَـارَّات، وهي تحريف لكلمة Sierras الإسبانية، أي سلسلة الجبال[٣].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١/٤٢٤.

(٢) ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا: ١/١٨٦ الهامش؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين: ٥٦٠.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/١١١ الهامش؛ ابن السماك، الزهرات المنثورة: ٩٤.

بطرنه Paterna:

قرية من قرى بلنسية، تقع في ساحل إلبيرة، ويكثر فيها معدن التوتيا الطيبة التي تعد أزكى توتيا وأقواها في صبغ النحاس[(١)]. وقد كانت فيها وقعة للنصارى على المسلمين سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٣م سماها المقري (وقعة بطرنة)، وذكر تفاصيلها، وهي "أن الفرنج - خذلهم الله تعالى - انتدبت منهم قطعة كثيفة، ونزلت على بلنسية في السنة المذكورة، وأهلها جاهلون بالحرب، مغترون بأمر الطعن والضرب، مقبلون على اللذات من الأكل والشرب، وأظهر الفرنج الندم على منازلتها، والضعف عن مقاومة من فيها، وخدعوهم بذلك فانخدعوا، وأطمعوهم فطمعوا، وكمّنوا في عدة أماكن جماعة من الفرسان، وخرج أهل البلد بثياب زينتهم، وخرج معهم أميرهم عبد العزيز بن أبي عامر، فاستدرجهم العدو ـ لعنهم الله تعالى - ثم عطفوا عليهم فاستأصلوهم بالقتل والأسر، وما نجا منهم إلا من حصّنه أجله، وخلص الأمير نفسه، ومما حُفظ عنه أنه أنشد لما أعياه الأمر:

خليليّ ليس الرأي في صدر واحدٍ　　　أشيرا علي اليوم ما تريان[(٢)]

وفي وقعة بطرنة قال أبو اسحق بن مُعلّى الطرسوني واصفاً استعداد النصارى للحرب بينما كان المسلمون لاهين[(٣)]:

لبسوا الحديد إلى الوغى ولبستُمُ　　　حُلل الحرير عليكم ألوانـا
ما كان أقبحهم وأحسنكم بهـا　　　لو لم يكن ببطرنةٍ ما كانـا

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١/١٤٣.
(٢) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٤٨.
(٣) المصدر نفسه: ١/١٨١.

بُطرُوح Butruh :

حصن من أعمال فُحص البلوط، ذكره ياقوت، وضبطه فقال: بضم أوله والرّاء[1].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ٤٤٧/١.

بِطْرَوْش Pedroches:

حصن، يلفظ اسمه بالكسر ثم السكون، وفتح الراء، وسكون الـواو، وشـين معجمـة[1]. قال ياقوت: بلدة بالأندلس، وهي مدينة فحص البلوط[2]. واعتبره مـن عمـل فحـص البلـوط أيضاً: المقري، ولكنه اعتبره قرية، سماهـا: بطـروج[3]. وذكـر الحصـن باسـم (بطـروج) ابـن صاحب الصلاة[4].

يقع حصن بطروش إلى الشمال من قرطبة في الطريق إليها[5]. وهو حصن كثير العمارة، شامخُ الحصانة، لأهله جلادة وحزم على مكافحة أعدائهم"[6]. ويحيـط بـالحصن في الجبـال والسهول شجر البلوط الذي يتميز بجودة ثمره وحسن مذاقه، مما شجع أهـل بطـروش علـى الاهتمام بهذا الشجر ورعايته، وحفظ إنتاجه من البلوط إلى سنيّ المجاعـة والقحـط[7]. وبـه سمي الفحص فحص البلوط.

ويجاور فحص البلوط قرطبة[8] بينهما مرحلتان أو ثلاث[9]. وقد عرّف ياقوت الفحـص فقال: "بفتح أوله، وسكون ثانيه، وآخره صاد مهملة...كل موضع يُسكن سهلاً كان أو جبلاً بشرط أن يزرع"[10].

(1) ياقوت، معجم البلدان: ٤٤٧/١.
(2) المصدر نفسه: ٤٤٧/١.
(3) المقري، نفح الطيب: ١٦٢/٣؛ وانظر أيضاً: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٧٩، ج٢.
(4) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٤٣٠.
(5) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٥؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٤٣٠، ج١.
(6) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٨٠/٥.
(7) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٨٠/٥.
(8) المقري، نفح الطيب: ١٦٢/١.
(9) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٥.
(10) ياقوت، معجم البلدان: ٢٣٦/٤.

وفحص البلوط "سهله منتظم بجبال، منها جبل البرانس"[1]، وفي هذا الجبل معدن الزئبق، ويصدر من هناك إلى أماكن مختلفة[2]. ويزرع في هذا الجبل أيضاً الزيتون "المتناهى في الجودة"[3].

وتوجد في فحص البلوط بلاد وأسواق وقرى كثيرة[4]. وهو اليوم منطقة تسمى البطروج (Pedroche) باسم حصن: بطروش أو بطروج[5].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ١/١٤٩٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١٤٢.

(2) المصدر نفسه: ١/١٤٩٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١٤٢.

(3) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١٤٢.

(4) المصدر نفسه: ١٤٣.

(5) انظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٧٩، ج٢.

بُطْرُوش * Butruš :

بلد من أعمال دانية، يلفظ اسمه بضم الباء والراء. ينسب إليها أبو مروان عبد الملك بن محمد بن أمية بن سعيد الداني البُطروشي، وُلّي قضاء دانية، وكان من أهل العلم والفهم[1].

غير حصن بِطْروش الواقع على طريق قرطبة، وهو المذكور سابقاً.

(1) ياقوت، معجم البلدان: ١/٤٤٧.

بَطَلْيُوس Badajoz:

مدينة، يلفظ أسمها بفتحتين، وسكون اللام، وياء مضمومة، وسين مهملة[١]. وهذا الاسم يتكون من مقطعين: بادا، وجوز. وهما مقطعان يقتربان من حيث نطقهما من اسم الباب الأوسط من أبواب السور الغربي لمدينة قرطبة: باب الجوز[٢]، الذي يسمى أيضاً: باب بطليوس؛ ولذلك يبدو أن أصل كلمة بطليوس مشتق من (باب الجون)، ومنها جاءت الكلمة Badajoz. وربما جاءت كلمة (باب الجون) محرفة من (بلد الجون) أو (وادي الجون)، وخاصة أن أشجار الجوز كانت تنمو وتجود في مناخ بطليوس، فكثرت هناك[٣].

وربما اشتق اسم بطليوس من التعبير العربي: بلد الضرس، أي الأرض المرتفعة، أو الربوة[٤]. وهناك من يرى أن بطليوس اشتقت اسمها من الكلمة Bada luz التي كانت تطلق على الشعوب الغالبة المسماة: باديوس Badios، والتي نزحت إلى بطليوس[٥]. وربما اشتق اسم بطليوس من أصل يوناني هو Bazzahos الذي انتقل إلى اللغة العربية في صورة (بطليوس)[٦]. وهناك من يرجع اسم بطليوس إلى أصل بشكنشي، وخاصة أن الأسماء البشكنشية تنتهي عادة بـ : ez أو oz. وربما يرجع إلى أصل عربي، وهو المرجح[٧].

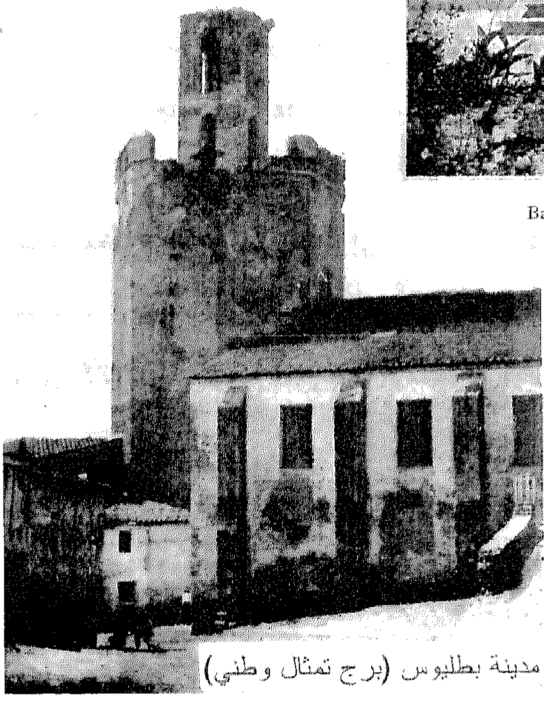
تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن بطليوس قديمة البناء، وكانت عامرة، ثم خلت من سكانها، وخربت[٨] ودثرت وأمست غير مأهولة بالسكان، إلى أن عمرت في عهد المسلمين في الأندلس. ويرجع المؤرخون الإسبان المعاصرون مدينة بطليوس إلى أصول رومانية،

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٤٤٧/١.
(٢) المقري، نفح الطيب: ٤١٣/٢؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ٣٠٢-٣٠٣.
(٣) سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ١٥١/١.
(٤) المرجع نفسه: ١٥١/١.
(٥) المرجع نفسه: ١٥٧/١.
(٦) المرجع نفسه: ١٥٩/١.
(٧) المرجع نفسه: ١٦٠/١.
(٨) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٢٢؛ ابن خلدون، ق١ م٤: ٢٨٤.



Badajoz.—Memoria de Menacho.



Badajoz.—Torre de Espantaperros, monumento nacional

وينسب بعضهم بناءها إلى أغسطس قيصر، ويرى أنها كانت في العصر الروماني قاعدة رئيسية لإقليم استرامادورة[1] ويرى بعضهم الآخر أنها موغلة في القدم ترجع إلى العصر الحجري القديم[2].

ويدل على أن بطليوس كانت موجودة ومعروفة منذ بداية الفتح الاسلامي قول ابن القوطية في معرض حديثه عن عبد الرحمن ابن مروان الجليقي : "ثم ظهر عبد الرحمن ابن مروان ظهوراً صار بذلك ريّسُ المولدين في الغرب... وخرج... في جيش عظيم فبلغ إلى كورة إشبيلية وتوسط أعمالها، وغنم حصن طليطلة... فلما طال غُم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط به وجه إليه أميناً فقال له: يا هذا قد طال غمنا بك وغمك بنا... فقال لهم: مذهبي أن يباح لي البشرنل ابتنيها وأمدنها وأعمرها... والبشرنل هذه تقابل بطليوس وبينهما النهر"[3].

تقع بطليوس على الضفة اليمنى لنهر وادي يانة[4]، في غرب الأندلس[5] غربي قرطبة[6]. ومن مدينة بطليوس إلى مدينة قرطبة ست مراحل، ومنها إلى مدينة ماردة على نهر يانة شرقاً ثلاثون ميلاً، وبينهما حصن على يمين المار إلى ماردة[7]. وبطليوس اليوم على مقربة من الحدود البرتغالية في البقعة المثلثة التي يحتضنها النهر عند التقائه برافده المسمى: وادي سو[8]. ونهر يانة الذي تقع عليه مدينة بطليوس "يندفع من الغور ويغيب في موضع، ويجري في آخر متصلاً إلى مدينة قلعة رباح. ثم يهبط حتى ينتهي إلى مدينة

---

(1) سالم، سحر، تاريخ بطليوس الاسلامية: ١/١٤١-١٤٤.
(2) المرجع نفسه: ١/١٤٥-١٤٨.
(3) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٨٩-٩٠.
(4) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٤٥؛ ابن سعيد، المغرب: ١/٣٦٣؛ الحميري، الروض المعطار: ٩٣؛ ياقوت، معجم البلدان: ١/٤٤٧.
(5) ياقوت، معجم البلدان، ١/٤٤٧.
(6) المصدر نفسه: ١/٤٤٧.
(7) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٤٥.
(8) عنان، الآثار الاندلسية: ٣٧٣.

بطليوس، ثم ينتهي إلى حصن مَربَل على مقربة من البحر الأعظم (المحيط الأطلسي) فيقع فيه"[1]. وهي تبعد عن مصب النهر نحو ستين كيلو متراً[2].

وتكاد المصادر التاريخية تجمع على أن عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي هو الذي بنى بطليوس وعمرها وحصنها بإذن من أمير الأندلس الأموي محمد الأول بن عبد الرحمن الأوسط سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م[3]. وقد ذكر الحميري في هذا الشأن أن بطليوس "حديثة بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بإذن الأمير عبد الله له في ذلك، فأنفذ له جملة من البناة، وقطعة من المال، فشرع في بناء الجامع باللبن والطابية، وبنى صومعته خاصة بالحجر، واتخذ مقصورة، وبنى مسجداً خاصاً بداخل الحصن، وابتنى الحمام الذي على باب المدينة، وأقام البناة عنده حتى ابتنوا له عدة مساجد. وكان سور بطليوس مبنياً بالتراب، وهو اليوم مبني بالكلس والجندل "الصخر"[4].

ووصف الحميري والإدريسي مدينة بطليوس بأنها "مدينة جليلة في بسيط من الأرض"[5]، وقال الحميري: "ولها ربض كبير أكبر من المدينة في شرقها، خلا بالفتن"[5].

وهكذا فإن بناء بطليوس الجديدة إنما يرجع الفضل فيه إلى الثائر المولد عبد الرحمن ابن مروان الجليقي الذي ثار على الحكم الأموي في الأندلس، إذ يبدو أنه وغيره من المولدين لم يشعروا بأنهم ينعمون رغم إسلامهم وتفوقهم العددي وتراثهم الحضاري ـ بما كان ينعم به

---

(١) الزهري، الجعرافية: ٨٩؛ وانظر: الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٤٥.

(٢) سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ١/١٣٧.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٧٦ الحاشية؛ الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ٣٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٠٢؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٢٢؛ الحميري، الروض المعطار: ٩٣؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٨٩-٩٠.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ٩٣.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٤٥؛ الحميري، الروض المعطار: ٩٣.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ٩٣.

الفاتحون من العرب والبربر، وخاصة في عهد الأمويين، فثاروا ضدهم. وقد قاد ابن مروان الجليقي إحدى هذه الثورات سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م في ماردة ونواحيها ضد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الذي قضى على هذه الثورة، ثم ثار ضده مرة ثانية سنة ٢٦١هـ/٨٧٥م فاضطره إلى طلب الأمان[١]. وثار أيضاً سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م وتمكن من الاستيلاء على بعض المدن، وأغار على المناطق المحيطة ببطليوس[٢].

ونظراً لتكرر ثورات ابن الجليقي قرر الأمير محمد بن عبد الرحمن وضع حد لعبثه، فأنفذ وزيره هاشم بن عبد العزيز على رأس قوة لتأديبه، وشاركه قيادتها المنذر ابن الأمير محمد، وعندما وصلا إلى حصن بطليوس وجداه خالياً حيث فر عبد الرحمن إلى الشمال، فطارداه إلى حصن كركر الذي امتنع فيه، وحاصراه هنالك... وقد انتهت مطاردتهما له بوقوع الوزير هاشم بن عبد العزيز في الأسر بين يدي الجليقي[٣].

وأخذ عبد الرحمن بن مروان الجليقي اعتباراً من بداية عام ٢٦٣هـ/٨٧٦م يغير على الأراضي الاندلسية وينهب ويخرب. إلا أن أصحابه ما لبثوا أن ملّوا هذه الحياة، فتخلوا عنه، مما اضطره إلى اللجوء إلى ملك جلّيقية ألفونسو الثالث[٤]. ولم يلبث ــ بعد أن استرد نشاطه ــ أن عاد إلى مهاجمة الأراضي الاسلامية[٥]، وقد تمكن في أواخر عام ٢٦٣هـ/٨٧٨م من الإيقاع بنحو سبعمائة فارس من المسلمين، وأبادهم عن آخرهم[٦].

---

(١) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٨٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٢/٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٨٨/٧؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢١.

(٢) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٨٢؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٤٧.

(٣) ابن الأثير، الكامل: ٣٠٦/٧؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي: ٣٦١ـ٣٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٣/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٢١؛ المقري، نفح الطيب: ٣٢٩/١.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي: ٣٧٩.

(٥) المصدر نفسه: ٣٤٤.

(٦) المصدر نفسه: ٦٦٥؛ وابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٨٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٣/٢.

ثم وقعت جفوة بين ابن مروان الجليقي والملك النصراني ألفونسو الثالث، ففض الحلف القائم بينهما، ورجع إلى بطليوس حيث نقل نشاطه إليها، واستأنفه بعد أن عمر ما تخرب من حصنها[1].

وصمم الأمير محمد بن عبد الرحمن على تأديب ابن الجليقي، والحد من نشاطه في غرب الاندلس، فوجه جيشاً إليه. ولما علم ابن الجليقي بذلك فر من بطليوس، ولما وصل الجيش وجدها خالية، فقام بحرقها وتدميرها[2].

"ثم ظهر ابن مروان (الجليقي) ظهوراً صار بذلك رئيس المولدين في الغرب، وخرج... في جيش عظيم، فبلغ إلى كورة إشبيلية وتوسط أعمالها، وغنم حصن طلياطة بمن فيه، ثم تقدم فشق كورة لبلة، ثم دخل أكشونبة"[3]. ويبدو أن الأمير محمد بعد أن عجز عن وضع حدّ لأعمال الجليقي هادنه، وسمح له بأن يستقر في بطليوس، وأن يعمرها[4].

وتألقت بطليوس بعد استقرار ابن مروان الجليقي فيها، وأصبحت مدينة مزدهرة، فقد حظيت بعنايته واهتمامه، حيث أقام فيها كثيراً من المنشآت المدنية والعسكرية، واتخذها مقراً له[5]، ثم أخذ يسعى جاهداً إلى تأسيس إمارة مستقلة خاصة به يجعل بطليوس عاصمة لها، ولذلك ضم إليها عدداً من الأقاليم والحصون والمدن، وأهمها مدينة ماردة[6]. ثم ما لبث أن جاهر بعصيان بني أمية في الاندلس، وظل ثائراً ضدهم حتى وفاته سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م[7].

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٨٥.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ٧/٤١٦؛ وابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٠٥.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٩٠.

(٤) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٩٠؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٢٢؛ ومؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس: ٣٠٣.

(٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ٧/٢٨٩.

(٦) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٢٣.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي: ٦٣٠، الحاشية ٥٧٧.

وحكم بطليوس بعده ابنه مروان، إلا أنه توفي بعد شهرين من توليه حكمها[1]. ثم وليها بعده عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن مروان الجليقي، وفي عهده خرج الداعي ابن القط القرشي لقتال النصارى في مملكة ليون. وكان أهالي بطليوس يساعدونه في ذلك[2]. وقد توغل في الأراضي النصرانية، وظل يجاهد في الله حق جهاده إلى أن استشهد في معركة قرب سمورة في ٢٠ رجب ٢٨٨هـ/١٠ تموز ٩٠١م[3].

وقد قتل الجليقي عبد الله سنة ٣١١هـ/٩٢٣م على يد جماعة من أنصاره، وذلك في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر[4]، وخلفه على إمارة بطليوس وما يتبعها من حصون وقرى ابنه عبد الرحمن بن عبد الله[5]. وفي عهده تمكن الخليفة الناصر من استرجاع بطليوس، وبسط سيطرته عليها، وذلك سنة ٣١٨هـ/٩٣٠م. فقد نزلت جيوش قرطبة بقيادة الخليفة الناصر في ساحة بطليوس في ٢٣ ربيع الثاني ٣١٧هـ/٩٢٩م، فبرز له صاحبها عبد الرحمن الجليقي فأفحش في القول، وأساء التصرف، وتحدى الخليفة[6]، وأخرج عدداً من فرسانه لمحاربة عسكر قرطبة، ولكنه ما لبث أن انهزم، والتجأ مع فرسانه إلى المدينة، وتحصن فيها، فشدد الناصر الحصار عليهم، ووكل بهم قائده أحمد بن اسحق القرشي الذي بالغ في مضايقة أهل بطليوس، وضربهم بقذائف المجانيق، وتمكن أخيراً من أسر سبعين من فرسانها بعث بهم إلى قرطبة حيث ضربت أعناقهم[7]. واستمر حصار بطليوس حتى أوائل عام ٣١٨هـ/٩٣٠م، ففي بداية ذلك العام اشتد بأهالي بطليوس الضيق، وفقدوا الأقوات، فاضطر أميرهم عبد الرحمن إلى الاستكانة لقدره، وأذعن بطاعة الخليفة، فأرسل يطلب

---

(1) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٩٠.

(2) ابن الابار، الحلة السيراء: ٢/٣٦٨.

(3) ابن حيان، المقتبس، تحقيق انطونية: ١٣٨-١٣٩.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٨٥.

(5) المصدر نفسه: ٢/١٩٩.

(6) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا: ٥/٢٤٦.

(7) المصدر نفسه: ٥/٢٤٨-٢٤٩؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٠٠؛ والمقري، نفح الطيب: ٢/٢٠.

الأمان، فأجابه الناصر وأمنه هو وأهله ورجاله. وبذلك عادت بطليوس إلى الجماعة، وسقطت دولة بني مروان الجليقي فيها[1].

وأصبحت بطليوس في عهد الخلافة الأموية في الأندلس منطقة ثغرية مهمة، ومنطلقاً للجهاد ضد النصارى بعد أن كانت تؤلبهم ضد المسلمين. وظلت كذلك حتى أواخر هذا العهد، واشتهر فيها عدد من الشعراء مثل أبي الوليد يحيى بن عبد لوس، وسليمان ابن بطال البطليوسي. كما اشتهر فيها بعض رجال العلم، ومنهم سابور الفارسي الذي تألق في أيام المنصور محمد بن أبي عامر، ووثق علاقته به[2].

وكان المنصور محمد بن أبي عامر قد تسلم زمام الأمور في أواخر الدولة الأموية في الأندلس، حيث أصبح الحاكم الفعلي في عهد الخليفة هشام بن الحكم الذي تولى الخلافة وهو صبي صغير، مما جعل المنصور يحجر عليه، وينفرد بالسلطة[3]. وبعد وفاة المنصور عام ٣٩٢هـ/١٠٠٢م[4] تصدعت أركان الدولة، وثار حفيد الخليفة الناصر محمد بن عبد الجبار الذي تلقب بالمهدي على هشام بن الحكم (المؤيد)، وخلعه، وقتله[5]. ثم تتابعت الفتن والثورات، واقتحم البربر مدينة الزهراء في ضواحي قرطبة في ٢٣ ربيع الأول ٤٠١هـ/٤ تشرين الثاني ١٠١٠م، وفتكوا بأهلها. وبمقتل سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر الذي ولاه البربر عليهم[6]، وتلقب بالمستعين با لله، وذلك ٢٣ محرم ٤٠٧هـ/١٠١٦م سقطت الخلافة الأموية في الأندلس[7]، وعمت الفوضى والاضطرابات في ربوعها، وقامت دول الطوائف.

---

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق شالميتا: ٢٧٢/٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المعرب: ٢٣٦/٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٦٣/٣.

(٤) المصدر نفسه: ٣٠١/٢.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٠٥.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٩٤/٣.

(٧) سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة: ٩٢/١-١١٦.

وقد استغل سابور الذي عُرف بالعامري بعد أن توثقت العلاقة بينه وبين المنصور محمد بن أبي عامر اشتغال الناس بالفتنة، وانهيار سلطة الخلافة، وانتزى على ما كان بيده من مدن غربي الاندلس بما فيها بطليوس، واستوزر أبا محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة الذي كان معروفاً بالسياسة والدهاء[1]. وهو بربري من مكناسة انتسب إلى قبيلة تجيب العربية لنيل مزيد من الشرف[2]، وعرف فيما بعد بابن الأفطس.

وتوسعت إمارة بطليوس في عهد سابور العامري ووزيره أبي محمد التجيبي، فشملت بالاضافة إلى بطليوس: شنترين والاشبونة ويابره وعدداً من القلاع والحصون التابعة لهذه المدن، بالاضافة إلى جزء كبير من البرتغال حتى وادي دويرة. كما امتدت شمالاً إلى نواحي شلمنقة[3].

وتوفي سابور سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م فسيطر ابن الأفطس على الامارة[4]، واستقام أمره في بطليوس، حيث أسس دولة بني الأفطس، وتلقب بالملك المنصور[5].

ولم يلبث أن نشب صراع مرير بين المنصور، وبين أبي القاسم محمد بن عباد مؤسس دولة بني عباد الطائفية في إشبيلية[6]. وكان محور هذا الصراع هو مدينة باجة Beja التي استولى عليها المنصور لقربها من مملكته بطليوس. فقد أرسل المنصور قوة من جيشه بقيادة ابنه محمد واستولى على باجة، فوجه ابن عباد جيشاً بقيادة ابنه اسماعيل وحاصرها،

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٣٦/٣؛ ابن الأبار، الحلة السيراء: ١٩٦/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٨٢.

(2) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٨٢.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٨/٣.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٣٧/٣؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، دول الطوائف: ٨٢.

(5) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٥/٤.

(6) ابن الأبار، الحلة السيراء: ٣٤/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٩٣/٣؛ عنان، دول الطوائف: ٣٢؛ ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م١٣/٢-١٤.

وتغلب عليها، وأسر محمد بن عبد الله بن الأفطس في ربيع الأول من سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م[١]. ولكنه أطلق سراحه بعد عام، فعاد إلى بطليوس[٢].

وتفرغ المنصور بن الأفطس لتنظيم مملكة بطليوس، واهتم بإعداد جيش قوي، وحصن العاصمة بطليوس لتكون بمأمن من هجمات بني عباد وغيرهم. وخاصة أن إشبيلية أصبحت بعد وفاة أبي القاسم محمد بن عباد في عهدة ولده أبي عمرو عباد بن محمد بن اسماعيل الملقب المعتضد (٤٣٣-٤٦١هـ/١٠٤١-١٠٦٨م)، وكان قاسياً عنيفاً[٣]. وأظهر طمعاً مبكراً بضم مملكة بطليوس إلى مملكته بعد أن ضم لبلة Niebla وولبة وشلطيش وغيرها[٤].

وتوفي المنصور بن الأفطس في ١٩ جمادي الآخرة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م[٥]، وخلفه ابنه محمد بن عبد الله بن الأفطس الذي تلقب بالمظفر. وفي عهده ازدهرت بطليوس، واستقام أمرها، وخاصة أنه كان فارساً شجاعاً، وشاعراً عالماً أديباً[٦]. وأصبحت بطليوس عاصمة لإحدى ممالك الطوائف وهي مملكة بني الأفطس.

واستؤنفت في عهد المظفر الحروب بين بطليوس وإشبيلية، فعندما أغار المعتضد ابن عباد على لبلبة سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م استنجد صاحبها ابن يحيى اليحصبي بالمظفر، فحشد جيشاً كبيراً وتوجه إلى لبله ليدفع ابن عباد عنها[٧]، وقد تمكن من ذلك بالفعل. ولكن ابن عباد استغل خروج المظفر بن بطليوس، فأرسل جماعات من فرسانه لمهاجمتها، إلا أن ابن

---

(١) ابن الآبار، الحلة السيراء ٢/٥٠ الحاشية؛ ابن بسام، الذخيرة: ق ٢ م١/٢٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٠٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٠٣؛ عنان، دول الطوائف: ٣٦.

(٣) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/٤٩-٤٠؛ ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٢/٢٤.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٩٩؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢١٠؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/١٨٤؛ عنان، دول الطوائف: ٤٣.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٣٥.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٣٥-٢٣٧؛ المقري، نفح الطيب: ٦/٢٠٩.

(٧) ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م١/٣٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢١٠.

الأفطس لم يتزحزح عن لبلة، فتوجه إليه ابن عباد بنفسه، واشتبك الفريقان في معركة تبادلا فيها النصر والهزيمة، ثم انتهت بتحقيق المظفر نصراً هزيلاً على خصمه، وتفرق العسكران[1].

وبعد فترة وجيزة اتفق المظفر مع باديس بن حبوس وهاجما إشبيلية، وأوقعا بها خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات[2] "وكثر القتل والهرج والسلب، وأمسى الناس في مثل عصر الجاهلية"[3].

وتطورت الأحداث بعد ذلك في غير صالح المظفر، إذ قام ابن يحيى صاحب لبله بمهادنة ابن عباد، وموادعته، مما عده المظفر خيانة له. ولذلك أغار المظفر على لبله فاستغاث ابن يحيى بالمعتضد، ونشبت الحرب الضروس بين الطرفين، وكانت نتيجتها هزيمة المظفر، ومقتل كثيرين من خيرة فرسانه[4].

وظل المعتضد عباد يغير على بطليوس طوال شهور سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م، في حين اعتصم المظفر في المدينة بعد أن افنت هذه الحروب حماته، واستنفدت طاقاته وإمكاناته[5]. وبعد أن تخلى عنه حلفاؤه إذ لم يبق إلى جانبه منهم سوى اسحق بن عبد الله البرزالي صاحب قرمونة[6].

---

(١) ابن بسام، الذخيرة: ق٢، م١: ٣٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢١١.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٣٠.
(٣) ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م١/٣٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢١١.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢١١؛ ابن بسام، الذخيرة: ق١ م١/٣٨٧-٣٨٨.
(٥) ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م١/٣٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢١١.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٣٥.

وحاول محمد بن جهور صاحب قرطبة التوسط بين إشبيلية وبطليوس، وقد تمكن من إبرام الصلح بينهما سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م[١]، وعندئذ عكف المظفر على إصلاح ما أفسدته الحرب في بطليوس[٢].

وكان المظفر قد تعرض أثناء صراعه مع المعتضد بن عباد لمضايقات المأمون بن ذي النون، صاحب طليطلة الذي لم يتردد في الاعتداء على أراضيه[٣].

ونشبت بين الطرفين صراعات واشتباكات كثيرة، ولكنها ــ على ما يبدو ــ كانت محدودة. غير أن هذه الاشتباكات ما إن هدأت حتى تعرض المظفر لاعتداءات النصارى المتوالية، وذلك في أعقاب اتحاد مملكتي قشتالة وليون، وخاصة في عهد الفونسو الثالث وفرناندو الأول الذي حكم قشتالة خلال الفترة (٤٢٦ـ٤٥٨هـ/١٠٣٥ـ١٠٦٥م)[٤]، فقد هاجم هذا الأخير مدينة شنترين إحدى القواعد المهمة في مملكة بطليوس الذي اضطر المظفر إلى دفع جزية له مقدارها خمسة آلاف دينار سنوياً[٥]. وعلى الرغم من عقد هدنة بينهما إلا أن فرناندو استولى على كثير من الحصون الشمالية لمملكة بطليوس، كما سقطت في يده مدينة قلمرية بسبب خيانة واليها من قبل المظفر، واسمه رانده، إذ اتفق سراً مع فرناندو الأول على تسليمه المدينة. ولذلك أمر المظفر عندما ظفر به بقطع عنقه[٦].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٤٢/٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢٤٢/٣.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٧٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٧٦/٣؛ عنان، دول الطوائف: ٩٧.

(٤) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٢٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٣٨/٣.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٣٨/٣ـ٢٣٩؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢١٣.

وتوفي المظفر بن الأفطس سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م[١] وخلفه ابنه عمر الذي تلقب بالمتوكل بعد صراع مع أخيه يحيى الذي انفرد بحكم بطليوس[٢]. وفي عهد المتوكل كان يتولى الملك في قشتالة وليون ألفونسو السادس بن فرناندو الأول (٤٦٥-٥٠٢هـ/١٠٧٢-١١٠٩م) الذي طمع في الاستيلاء على الاندلس جميعها من أيدي المسلمين[٣].

وفي عهد المتوكل سقطت طليطلة في يد ألفونسو السادس سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م[٤]، وكان سقوطها ناقوس خطر، ونذير شؤم على ملوك الطوائف الذين أحسوا بضعفهم، وأيقنوا بنهايتهم الوشيكة مما دفعهم إلى الاستغاثة بالمرابطين. وكان في مقدمة المستغيثين بهم المعتمد ابن عباد ملك إشبيلية، والمتوكل بن الأفطس ملك بطليوس[٥]. واستجابة لهذه الاستغاثة جاز يوسف بن تاشفين إلى الاندلس في منتصف ربيع الأول سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، أي بعد سقوط طليطلة بنحو عام. وقد توجهت القوات المرابطية إلى بطليوس، واستقبلها هناك أميرها المتوكل بن الأفطس، وضم قواته إليها. وفي سهل الزلاقة قرب بطليوس اشتبكت الجيوش الاسلامية المرابطية والأندلسية مع قوات النصارى بقيادة ألفونسو السادس، وحققت عليها انتصاراً حاسماً، وذلك يوم الجمة ١٢ رجب ٤٧٩هـ/٢٣ تشرين الأول ١٠٨٦م[٦].

وعاد يوسف بن تاشفين بعد انتصاره على النصارى في معركة الزلاقة إلى بلاده، بينما اضطربت أحوال ملوك الطوائف بالاندلس إثر عودته اضطراباً شديداً، واشتد ضغط النصارى عليهم، وخاصة في مناطق شرق الأندلس، فاستنجد أهلها بالمرابطين. فجاز إليها وقاد

---

(١) ابن الابار، الحلة السيراء: ٩٧/٢.

(٢) ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٦٥٠/٢؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٨٤.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٨-٨٩.

(٤) المقري، نفح الطيب: ١٨٤/٦؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٣٤٨/٤.

(٥) ابن بسام، الذخيرة: ق٢ م٦٥٣/٢.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٩٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٩/٤؛ مجهول، الحلل الموشية: ٥٧؛ المراكشي، المعجب: ١٩٧؛ وانظر أيضاً: ابن الآبار، الحلة السيراء: ١٠٠/٢-١٠١؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٤-٩٧؛ والحميري، الروض المعطار: ٢٨٧-٢٩٢.

النصارى، وحاول الاستيلاء على حصن لبيط الذي امتنع فيها النصارى إلا أنه لم يستطع[1]. ثم رجع إلى المغرب، وبيت النية على الجواز للاندلس مجدداً لترتيب أوضاعها، وتوحيدها تحت قيادته[2].

وقد قام ابن تاشفين بالجواز الى الاندلس في أوائل عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، مصمماً على خلع ملوك الطوائف. وكان المتوكل بن الأفطس قبل جواز الأمير المرابطي قد تحالف مع ألفونسو السادس، وتخلى له عن شنترين وأشبونة وغيرها مقابل تقديم المساعدة له ضد المرابطين. وفي الوقت نفسه أخذ يتودد للمرابطين ممثلين بالقائد المرابطي سير بن أبي بكر الذي أرسل أحد أعوانه إلى بطليوس، وهو ابن الأحسن السجلماسي. وقد أخذ ابن الأحسن يتدخل في الأمور الداخلية لمملكة بطليوس، مما دفع المتوكل إلى اللجوء إلى ألفونسو السادس لدفع غائلة المرابطين عنه[3].

وقد دفع فعل المتوكل أهالي بطليوس إلى الثورة ضده، واستغل المرابطون ذلك فتقدموا نحو المدينة وحاصروها، وقبضوا على ابن الأفطس وولديه وقتلوهم في أواخر سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م[4]. وقد رثاه ابن عبدون بقصيدته الشهيرة[5]:

الدهر يفجع بعد العين بالأثر　　فما البكاء على الأشباح والصور
أنهاك أنهاك لا آلوك موعظة　　عن نومة بين ناب الليث والظفر

---

(١) مجهول، الحلل الموشية: ٦٨؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٩؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٤٧.

(٢) مجهول، الحلل الموشية: ٧١.

(٣) الأمير عبد الله الزيري، مذكرات: ١٧٢؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٣٧٢.

(٤) أشباخ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين: ١٠١؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٨٦؛ ابن خاقان، قلائد العقيان: ٣٨.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٠٥؛ ابن خاقان، قلائد العقيان: ٣٩-٤٠.

وأصبحت بطليوس في عهد المرابطين قاعدة حربية لقواتهم بحكم موقعها، ولذلك حرصوا على شحنها بقواتهم لمواجهة الاعداء النصارى[1]، وخاصة في عهد علي بن يوسف الذي خلف أباه سنة ٥٠٠هـ/١١٠٦م[2]. والذي جاز إلى الاندلس في منتصف تلك السنة أخذ البيعة من زعمائها وقضاتها وفقهائها وغيرهم[3]. كما قام ببعض الترتيبات الادارية فيها قبل أن يرجع إلى المغرب[4].

وجاز علي بن يوسف إلى الاندلس للمرة الثانية عام ٥٠٣هـ/١١٠٩م مجاهداً، وحاصر طليطلة إلا أنه لم يتمكن من استعادتها من النصارى[5]، وقبل عودته إلى المغرب وجه قائده سير بن أبي بكر إلى غربي الاندلس سنة ٥٠٤هـ/١١١٠م. وقد تمكن هذا القائد من استعادة شنترين التي كان المتوكل بن الأفطس قد تنازل عنها لألفونسو السادس، كما سيطر على بطليوس[6].

وخاض الأمير علي بن يوسف وابنه تاشفين بن علي عدة معارك ضد النصارى الذين استمروا في مهاجمة الأراضي الاسلامية، فقد هاجمت مجموعة من قادة شلمنقة Salamanca بطليوس سنة ٥٢٨هـ/١١٣٣م فتصدى لهم تاشفين، واشتبك الطرفان في معركة ضاربة تمزقت خلالها قوات النصارى[7].

---

(١) عنان، دول الطوائف: ٣٧٢.

(٢) مجهول، الحلل الموشية: ٧٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٤٤٣/٣ وانظر أيضاً: المراكشي، المعجب: ١٧٠.

(٣) مجهول، الحلل الموشية: ٨٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤٩/٤-٥٠.

(٥) مجهول، الحلل الموشية: ٨٥.

(٦) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ١٠٥.

(٧) ابن القطان، نظم الجمان: ١٩٨-١٩٩؛ الحاشيتان ١، ٢؛ وانظر لمزيد من التفاصيل: ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٨/٤؛ مجهول، الحلل الموشية: ١٢٢.

وبعد وفاة الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م، ووفاة ابنه تاشفين بعده بنحو عامين (٥٣٩هـ/١١٤٤م) ضعف أمر المرابطين، واضطربت أمور الاندلس، وعادت إلى ما كانت عليه أيام دول الطوائف من الفوضى والتشرذم. وثار في غربي الاندلس أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي، وأصبحت بطليوس تابعة له[(١)]. ولكنها لم تلبث في يده طويلاً إذ انتزعها منه أبو محمد سيدراي بن وزير في أواخر عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م[(٢)]. وفي تلك الاثناء كان يحكم قرطبة القاضي حمدين بن محمد بن علي بن حمدين الذي انتزى بها عندما ضعف المرابطون، وقد تسمى بأمير المسلمين، وناصر الدين[(٣)]. وكان قد ساعده في ثورته عبد الله بن الصميل والي بطليوس. ولكن قرطبة ثارت على ابن حمدين بقيادة سيف الدولة المستنصر بالله أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن هود، وأجبرت ابن حمدين على مغادرتها فلجأ إلى حصن يقع إلى الشمال الغربي من قرطبة. وفي تلك الأثناء ثار أهل قرطبة على ابن هود فهرب منها. وعندئذ عاد إليها ابن حمدين وحكمها نحو أحد عشر شهراً، حيث تمكن محمد بن غانية من التغلب عليه في معركة جرت في أراضي بطليوس، وعندئذ فر ابن حمدين إلى بطليوس[(٤)].

وجاز ابن حمدين إلى المغرب عام ٥٤١هـ/١١٤٦م ليطلب نصرة عبد المؤمن بن علي أول الأمراء الموحدين (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م) لأهل الاندلس، فاستجاب عبد المؤمن، وارسل الجيوش تباعاً إلى الاندلس[(٥)]، ودخل أحدها بطليوس سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م وكان

---

(١) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢٧٢/٢ الحاشية ١، وابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢٠٧/٢.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٥٣.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٥٣.

(٥) انظر لمزيد من التفاصيل: ابن أبي زرع، روض القرطاس: ١٢٢؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢٠٠/٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٣٣/٦.

بقيادة القائد الموحدي عمر بن صالح الصنهاجي[1]. وفي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م ثار على الموحدين في بطليوس محمد بن علي بن الحجام وحكمها[2]، إلا أنه لم يلبث أن هادن الموحدين ودخل في طاعتهم.

وكانت مناطق غربي الاندلس تتعرض منذ دخول الموحدين إليها لتهديدات الممالك النصرانية، وخاصة مملكة البرتغال التي هددت بطليوس بعد استشهاد صاحبها الحجام أثناء قتاله مع قوات الثائر ابن مردنيش[3]. فقد هاجمها ملك البرتغال ألفونسو (ابن الرنك) Al Fonso Enviquez سنة ٥٥٦هـ/٣٠ أيار ١١٦١م واحتلها، إلا أن الموحدين تمكنوا من استعادتها في السنة نفسها[4].

ولما علم الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف (٥٥٨-٥٨٠هـ/١١٦٢-١١٨٤م) بما يجري في غربي الاندلس من أحداث وأخطار نصرانية، جهز جيشاً كبيراً أرسله إلى الاندلس في شهر رجب سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م، وكان بقيادة أبي حفص[5]. ويشار في هذا المجال إلى أن ملك ليون فرناندو الثاني كان متحالفاً مع الموحدين، ومستعداً لمعاونتهم ضد ملك البرتغال الذي كان على خلاف معه[6]. وقد ساعدهم بالفعل، فما كادت قوات الفونسو (ابن الرنك) تحكم حصارها على بطليوس حتى خرجت قوات فرناندو لاستنقاذها. وقد تمكن من ذلك بالفعل، إذ هاجمت القوات الليونية والموحدين جيوش ابن الرنك، وهزمته في شعبان سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م[7]. غير أن البرتغاليين لم تنته مطامعهم في بطليوس عند هذا الحد، فقد ظل

---

(1) ابن الابار، الحلة السيراء: ٢/٢٠٧.

(2) عنان، عصر المرابطين: ٣٢٩.

(3) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة: ١٩١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣٨.

(4) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ١٣١.

(5) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٧٩؛ ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة: ٣٧٤.

(6) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة: ٣٧٠.

(7) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٨٠؛ ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة: ٣٨١.

أحد قادتهم وهو المعروف بجرانده الجليقي ينتهز الفرص للإغارة عليها. وقد شعر أن الفرصة مواتية في عهد واليها الموحدي أبي يحيى بن أبي حفص الذي حصن أسوارها، وجر إليها المياه من بئر حفرها تنفيذاً لأوامر الخليفة أبي يعقوب يوسف[1]. فقد هاجم جرانده أحواز بطليوس المحيطة بالمدينة، ثم أعد حملة عسكرية كبيرة، ونصب الكمائن لعساكر الموحدين، وتمكن من تحقيق النصر عليهم، ثم انصرف عن بطليوس[2].

وتعرضت بطليوس في أوائل عام ٥٦٥هـ/١١٦٩م للجدب، فافتقرت المدينة إلى القوت، مما أضعفها[3]، وكان جراندة يتربص بها، ويستولي على ما يأتي إليها من إمدادات المؤن[4]. وعندئذ أمر الخليفة أبو يعقوب يوسف القائد الموحدي أبا سعيد ابن الخليفة أبي يعقوب بالتوجه إلى بطليوس، لوضع حد لهجمات المغامر البرتغالي جرانده[5]. وفي تلك الأثناء كانت بطليوس تتعرض لخطر جديد لم يكن متوقعاً، إذ إن فرناندو الثاني (البيوج) الذي كان قد ساعد على تخليص بطليوس من أيدي البرتغاليين طمع في الاستيلاء على المدينة[6]. فقد خرج في أوائل سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م على مقدمة قواته لينتزعها من أيدي المسلمين. ولما علم أبو سعيد بتحركاته فاوضه لمعرفة حقيقة نيته، فأدعى أنه إنما أراد حماية بطليوس من الغزو البرتغالي، ثم انصرف البيوج إلى بلاده[7]. ويبدو أنه خشي مواجهة القوات الموحدية.

---

(١) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة: ٣٩٢.
(٢) المصدر نفسه: ٣٩٣؛ وابن عذاري، البيان المغرب: ٨٣/٣.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٤/٣.
(٤) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة: ٣٩٨-٣٩٩.
(٥) المصدر نفسه: ٤٠٠.
(٦) المصدر نفسه: ٤٠١.
(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٦/٣؛ ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة: ٤٠١.

وفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م توجه الخليفة أبو يعقوب يوسف إلى غربي الاندلس لتثبيت نفوذ الموحدين هناك، وأمن المدينة بالأقوات والآلات، ثم عاد إلى إشبيلية[١]. بينما قام الموحدون بعد تعزيز بطليوس بتطهير نواحيها من القوات البرتغالية[٢].

وبعودة الخليفة أبي يعقوب يوسف إلى المغرب في شعبان سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م عاد النصارى إلى التعدي على الأراضي الاسلامية[٣]. ثم ما لبث الخليفة أن توفي في الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ٥٨٠هـ/٢٩ تموز ١١٨٤م على أثر جرح أصابة وهو يحاصر شنترين لاستعادتها من أيدي النصارى[٤]. وولي الأمر بعده ابنه أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ـ٥٩٥هـ/١١٨٤ـ١١٩٨م)[٥].

وقد سعى المنصور إلى تأمين غرب الاندلس، وخاصة بطليوس، عن طريق استرجاع حصونها من أيدي البرتغاليين، ووضع حد لأطماع قشتالة وليون في المدينة، وقد تمكن بالفعل من استعادة بعض الحصون[٦]، كما استعاد مدينة شلب[٧]. وأخذ النصارى يرحلون من قراهم خوفاً من الموحدين[٨].

ورجع المنصور إلى المغرب في غرة جمادى الثانية من سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م، وتوفي فيها ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٥٩٥هـ/٢٢ كانون الثاني ١١٩٩م، وخلفه ابنه

(١) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة: ٤٦٢.
(٢) المصدر نفسه: ٤٦٣.
(٣) انظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٠٧ـ١١٣.
(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ١٤٠ـ١٤١؛ الحميري، الروض المعطار: ٣٤٦.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٤١؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: ١٤٣؛ المراكشي، المعجب: ٢٦١.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٨٤و ١٨٦؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨٦.
(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٨٦؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨٦.
(٨) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ١٥١.

أبو عبد الله محمد الناصر[1] الذي بادر في عام ٦٠٠هـ/١٢٠٣م إلى تغيير بعض ولاة الاندلس، ومنهم والي بطليوس، حيث ولى عليها أبا يحيى بن أبي سنان، وأمره بتحصينها[2].

وفي عهد الناصر وقعت معركة العقاب التي انهزم فيها الموحدون أمام الجيوش النصرانية، مما أدى إلى تخلخل الأوضاع في الأندلس، وانهيار الحكم الموحدي فيها وفي المغرب أيضاً. وقد وقعت تلك المعركة في صفر ٦٠٩هـ/تموز ١٢١٢م بين النصارى بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشتالة والقوات الموحدية[3]، وكانت نتيجتها وبالاً على المسلمين في الأندلس، وخاصة بعد وفاة الناصر سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م الذي تولى الخلافة بعده ابنه يوسف المستنصر (٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٣م)، وكان شاباً لاهياً يميل إلى الاستمتاع بالملذات، مما عجل بانهيار دولة الموحدين في عهده، وتفكك أملاكها في الأندلس، وسقوط كثير من مدنها وحصونها في أيدي النصارى[4].

وتوفي يوسف المستنصر في مراكش سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، وبوفاته ازدادت أحوال الموحدين اضطراباً. وأخذت الاندلس تموج بالفتن، وساء وضع بطليوس وخاصة بعد أن سقطت حصونها، وكثير من المدن التابعة لها في أيدي النصارى[5]، وعدمت بطليوس كل الوسائل لإقامة خطوط د، عية أمامية تحميها. وفي سنة ٦٢٧هـ/١٢٢٩م هاجمها الفونسو التاسع ملك قشتالة واسـ:لى عليها[6] . وهي عامرة حتى اليوم وتشكل إحدى المراكز الرئيسية في غرب اسبانيا ، ‹، الحدود البرتغالية في المنطقة المعروفة باسم اكسترامادورا.

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب ٢٠٤/٣؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس: ١٥٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب. ٢١٨/٣.

(٣) ابن الآبار، الحلة الد راء: ٢٧٣/٢؛ المقري، نفح الطيب: ٣٨٣/٤؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٤٩؛ الناصري، الاستقصا ٢٢٠/٢.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ١٦١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٤٧/٣؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٢٨-١٢٩.

(٥) انظر: ابن أبي زرع، ر ن القرطاس: ١٨٢؛ المقري، نفح الطيب: ٥٨٢/٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٧٠/٣.

(٦) عنان، نهاية الاندلس: ١٦ ٢٧؛ سالم، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس: ١٠٤.
للاستزادة عن بطليوس أنظ :
Torres Balbas, Leopoldo, La Alcazaba almohade de Badajoz (Al A dalus, VI, 1941).

بقيرَة Bucaira :

مدينة، لفظ ياقوت اسمها بالفتح ثم الكسر[1] ، وذكر أنها معدودة في أعمال تُطيلة بينهما أحد عشر فرسخاً[2] . وضبط العذري اسمها بضم الباء وفتح القاف (بُقِيرة)، وذكر أن لُبّ بن موسى بن موسى عندما ثار بأرنيط، وتغلب على الثغر سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م وملك سرقسطة وتطيلة وغيرهما، قدّم فرتون بن موسى أخاه على تطيلة، ومطرفاً على وشقة، وقتل عرب سرقسطة من قبائل شتى، حيث أخرجهم إلى بُقيرَة، فقتلهم بها بمرج يعرف بمرج العرب، وذلك في سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م[3] .

ويشير العذري إلى أن لب بن موسى هو الذي بنى حصن بقيرة "فلما بلغ إخوته ذلك (وهم: اسماعيل ومطرف وفرتون) عسكروا إليه، فخرج إليهم عند تنشّبهم في خنادق بقيرة فهزمهم، وأخذ من الخيل والرجل ما أحب، ثم دخل حصن بقيرة، وهبط ما يجاوره من الحصون"[4] . ويذكر العذري أيضاً أن لب بن موسى توفي في بقيرة[5] . وآلت بقيرة بعده إلى ابنه محمد بعد أن سجل له الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) على أرنيط وطرسونة وجريش وما يتبعها من حصون كان بقيرة أحدها[6] .

ويذكر ابن حيان أن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر في أثناء غزوه لبلاد النصارى سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م، ألحق بهم الهزائم ثم انتقل إلى حصن بقيرة، وزوّد أهله بكميات كبيرة من المؤن تقوية لهم على مدافعة الأعداء[7] .

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٤٧٣/١.
(٢) المصدر نفسه: ٤٧٣/١.
(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ٣١.
(٤) المصدر نفسه: ٣١-٣٢.
(٥) المصدر نفسه: ٣٢.
(٦) المصدر نفسه: ٣٦.
(٧) ابن حيان، المقتبس: ١٦٧/٥.

وكان الوالي على بقيرة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر هو محمد بن عبد الله بن محمد بن لُب، وقد نهض لمساعدة الخليفة أثناء غزوه للممالك النصرانية، غير أن النصارى تكاثروا على المسلمين، إذ انحشدوا من بنبلونة وألبة والقلاع وجليقية، فانهزم المسلمون ودخلوا حصن بقيرة "ولم يكن فيه ذخائر، فحاصرهم العدو حتى نزلوا على أمان، فغدر بهم شانجة بن غرسية، وأسرهم، وأراد قتلهم، وذلك يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم سنة عشر وثلثمائة (٩٢٢م)، ثم إن شانجة أخرج محمد بن عبد الله إلى بعض حصونه بخيل، ودسّ عليه من رجاله، فخرجوا إليه وقتلوه سنة إحدى عشرة وثلثمائة (٩٢٣م)"[١] . ويذكر ابن حيان تفاصيل وقيعة بقيرة فيشير إلى أن شانجة أسر في الحصن عدداً من زعماء بني ذي النون، ووجوه رجالهم، ثم حملهم إلى حصن بنبلونة، وصيّرهم في سجنه[٢] .

وبسبب وقيعة بقيرة، وفداحة خسائر المسلمين، وجه الخليفة الناصر حملة إلى الثغر الأعلى بقيادة مولاه عبد الحميد بن بسيل، فمضى حتى دخل الثغر، ودخل مدينة تطيلة، وقاتل شانجة بن غرسيه "وبث بأرضه الغارة، حتى كسَّر حده، وفلّ غربه، ووسعهُ عاديةً... فارتدع بذلك المشركون، وانبسط المسلمون"[٣] .

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ٣٩.

(٢) ابن حيان، المقتبس: ٥/١٨٦-١٨٧.

(٣) المصدر نفسه: ٥/١٨٧-١٨٨.

بكيران Bucairan :

حصن منيع عامر كالمدينة، وله سوق مشهورة، وحوله عمارات متصلة، وتصنع به ثياب بيض تباع بالأثمان الغالية، ويبعد حصن بكيران عن دانية أربعين ميلاً، وعن ألش أربعين ميلاً أيضاً[1] .

---

(1) الادريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٥٧.

بَلَاطُ الشُّهَدَاء (معركة) Poitiers Batalla de

معركة، أخذت المصادر الإسلامية اسمها من طبيعة ميدانها، وأخذته المصادر الأوروبية من مكان وقوعها؛ فاسمها عند المقري: وقعة البلاط (نقلاً عن ابن حيان)[1]، وغزوة البلاط (نقلاً عن ابن بشكوال)[2]، وبلاط الشهداء (نقلاً عن ابن خلدون)[3]. وهذا الاسم الأخير هو الأكثر شيوعاً، فهي: بلاط الشهداء أيضاً عند ابن عذاري، وصاحب أخبار مجموعة، والناصري، وعند المؤرخين المعاصرين[4].

واسمها في المصادر الأوروبية: بواتييه (Poitiers) أو تور (Tours) لوقوع ميدانها بين المدينتين. واسمها الأول في تلك المصادر أشهر، لأن ميدان المعركة كان أقرب إلى: بواتييه[5] كما سيأتي.

واختلف المؤرخون في سبب تسميتها بالبلاط، فذكر بعضهم أن السبب وقوعها قرب طريق روماني مبلّط أو حوله[6]. وذكر آخرون أنها سميت كذلك لأن ميدانها كان قريباً من قصر أو حصن كبير ـ ربما ـ كانت له علاقة بأحداث المعركة، فهؤلاء يرون أن البلاط تعني قصراً أو حصناً حوله حدائق تابعة له، وهذا ما يقصده الأندلسيون بقولهم: بلاط مغيث،

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١٥/٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٦/٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣٦/١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٥١/١؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٢٤ـ٢٥؛ الناصري، الاستقصا: ١٠٥/١؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ١٩٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٤٥؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٢٧١؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ٨٦؛ دول الطوائف: ٣١٩؛ نهاية الاندلس: ١٧.

(٥) الحجي، التاريخ الاندلسي: ١٩٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٤٤؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٢٧٠.

(٦) الحجي، التاريخ الاندلسي: ١٩٤ـ١٩٥.

وبلاط يوسف، وبلاط الحر، وعلى هذا فبلاط الشهداء تعني: قصر الشهداء[١]. وذكر غيرهم أن المعنى الذي ينطبق على بلاط الشهداء هو: الطريق المرصوفة أو الأرض المستوية أو الساحة الفسيحة المرصوفة، وليس من الضروري أن تكون الموقعة قد حدثت قرب حصن أو قصر[٢]. وقد أضيفت (الشهداء) إلى (بلاط) لكثرة من استشهد في هذه المعركة من المسلمين[٣].

مهدت لمعركة بلاط الشهداء أسباب ربما بدأ المباشر منها بالظهور سنة ١٠٢هـ/٧٢١م. وترتبط بها شخصيات إسلامية ونصرانية، والإسلامية هي: السمح بن مالك الخولاني، والي الاندلس (١٠٠-١٠٢هـ/٧١٩-٧٢١م) وعنبسة بن سحيم الكلبي، والي الاندلس (١٠٣-١٠٧هـ/ ٧٢١-٧٢٥م)، وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي، والي الاندلس (شعبان ١١٠هـ/المحرم ١١١هـ/ ٧٢٩م)، وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (ولايته الثانية للأندلس) (١١٢-١١٤هـ/٧٣٠- ٧٣٢م)، وأبرز من ارتبط بالمعركة من هؤلاء هو الأخير، فهو قائد المعركة ــ من الجانب الاسلامي ـ وشهيدها. يضاف إليه قائد مسلم آخر ـ كما تذكر بعض المصادر ــ وهو مونوسة من البربر. وأما الشخصيات النصرانية فأبرزها: أودو (Eudes) دوق أكيتانيا (Aquitaine)، وشارل مارتيل (Charles Martel) أي: قارلة، أو شارل المطرقة[٤]، وهو: شارل بن ببين ديرستال (Pepin d'heristal) الذي يعتبره سالم: حاجب ملوك الدولة الميروفنجية[٥]. ويعتبره عنان: محافظ قصر ملك الفرنج تيودوريك الرابع، ويذكر أنه كان يستأثر بالسلطات الحقيقية[٦].

---

(١) مؤنس، فجر الاندلس: ٢٧١ الحاشية ١.

(٢) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٤٦ الحاشية ١.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢١٤/٤-٢١٥؛ المقري، نفح الطيب: ١٦/٣؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٢٤-٢٥؛ وانظر أيضاً: عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عهد الإمارة: ٩٥ وما بعدها؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٤٥-١٤٦؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٢٧٤.

(٤) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٠٢.

(٥) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٣٩.

(٦) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٩٢/٩٣. وانظر أيضاً: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٠٢.

لقد اجتاز السمح بن مالك الخولاني في فتوحاته جبال البرت Pirenaica التي تفصل بين اسبانيا (الأندلس) وجنوبي فرنسا (بلاد غالة أو الأرض الكبيرة)، واستشهد في معركة بين المسلمين ودوق أكيتانيا وذلك سنة ١٠٢هـ/٧٢١م[١].

وتولى الاندلس بعد السمح: عبد الرحمن الغافقي (ولايته الأولى) لفترة مؤقتة ريثما يعين وال جديد، وكان هذا الوالي هو عنبسة بن سحيم الكلبي الذي استأنف نشاطات السمح الجهادية، واستمر في تقدمه نحو الشمال والشمال الشرقي في فرنسا، وتوغّل في تلك المناطق حتى مدينة سانس Sens[٢]. وألحّ عنبسة "على الروم في القتال والحصار، حتى صالحوه. وتوفي عنبسة في شعبان سنة سبع ومئة"[٣].

وتولى الأندلس بعد عنبسة: عذرة بن عبد الله الفهري (شهران)، ويحيى بن سلمة الكلبي (سنتان وستة أشهر)، وحذيفة بن الأحوص القيسي الأشجعي (ستة أشهر تقريباً)، وعثمان بن أبي نسعة الخثعمي (خمسة أشهر)، والهيثم بن عدي الكلابي (نحو خمسة أشهر)، ومحمد بن عبد الله الأشجعي (شهران). ثم وليها عبد الرحمن الغافقي للمرة الثانية (صفر ١١٢- رمضان ١١٤هـ/٧٣٠-٧٣٢م)[٤].

وهذا التتابع السريع للولاة كان سبباً في اضطراب المسلمين في الاندلس، وتفاقم الخلافات بين الزعماء والقبائل من عرب وبربر[٥]. كما شجع النصارى على شن الغارات ضد

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٢٣٥/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٦/٢؛ وانظر لمزيد من التفاصيل: الحجي، التاريخ الاندلسي: ١٨٥-١٨٦؛ حتاملة، أيبيريا: ١٩.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٢٣٥/١؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ١٨٩-١٩٠.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٧/٢.

(٤) المقري، نفح الطيب: ١٥/٣-١٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٧/٢؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٩ وما بعدها، مجهول، أخبار مجموعة: ٢٤-٢٥؛ وانظر جدول الولاة في: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٠٧-٢١٠.

(٥) عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ٧٨.

المواقع والثغور الشمالية للأندلس. وقد انشغل أولئك الولاة، وخاصة الهيثم بن عدي، بإطفاء الفتن، ومطاردة المشاغبين، واضطهد زعماءهم، وزج مخالفيه في السجون، وكان كثيرون منهم من اليمنية. ثم سار إلى الشمال، ووصل إلى ماسون (Macon)، تلك المدينة التي تذكر المصادر الأوروبية أنها اسم زعيم من البربر يدعى: مونز Munez أو: منوزا Munuzal*. وتذكر أن الهيثم إنما سار إلى الشمال لسحق منوزا الذي أصهر إلى أودو، دوق أكيتانيا، وتحالفا معاً[1].

وأياً كان الأمر فقد زوج دوق أكيتانيا ابنته لهذا الزعيم الذي تذكر بعض المصادر الأوروبية أن اسمه منوسة، أو منوزا، وكان اسمها لامبيجية Lampegie أو مينين Minine، فانصرف المسلمون عن أراضيه، بعد أن أصبح حليفهم[2].

وهكذا توثقت عرى التحالف بين الزعيم المسلم المدعو منوسة وبين دوق أكيتانيا، وكان هذا الأخير يواجه خطرين: خطر المسلمين، وخطر شارل مارتل الذي كان يطمع في الاستيلاء على دوقيته، وينقم عليه نفوذه واستقلاله في الجنوب. وكان المدعو منوسة يحاول بدوره الخروج على حكومة الأندلس، والاستقلال بحكم الولايات الشمالية[3].

ويبدو أن أطماع منوسة بلغت أوجها، وأن نواياه بدأت تتكشف عندما تولى عبد الرحمن الغافقي الأندلس في صفر ١١٢هـ/٧٣٠م، وكان عبد الرحمن الغافقي من أعظم قواد

---

* ماسون مدينة فرنسية تقع إلى الشمال من مدينة ليون Lyon على نهر الرون Rhone، وربما كانت هي التي أشار إليها ابن عذاري باسم: منوسة؛ (البيان المغرب: ٢٨/٢). بينما تعتبر المصادر الأوروبية: منوسة أحد القادة المسلمين من البربر (الحجي، التاريخ الاندلسي: ١٩٢) وانظر أيضاً: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٨٠.

(١) انظر التفاصيل: عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٨٠-٨١؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ١٩٢-١٩٣.

(٢) انظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٣٩-١٤٠؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٨١-٨٢؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: مؤنس، فجر الاندلس: ٢٥٠-٢٥٣.

(٣) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٨٢.

المسلمين في الأندلس. وكان في حملة السمح بن مالك الخولاني الذي استشهد في موقعة مع النصارى في الشمال، واستشهد معه كثير من المسلمين، وترك ذلك أثراً كبيراً في نفسه، وتصميماً على سحق النصارى انتقاماً لمقتل قائده السمح[1]. ولكنه قبل أن يقدم على ذلك أطفأ الفتن، ورفع المظالم عن الناس ليهيء الأرضية الصلبة المناسبة لانطلاقه نحو نصارى الشمال[2].

وأعلن منوسة الثورة فعلاً في شرطانية (Cerdana) محاولاً الاستقلال[3]، فبادر الغافقي إلى تأديبه، إذ أرسل إليه حملة ألجأته إلى الجبال، فتحصن فيها، إلا أن الحملة وصلت إليه، وحاصرته، وقتلته سنة ١١٣هـ/٧٣١م[4].

ويذكر عنان أن المسلمين أسروا زوجة الثائر المدعو منوسة، وأرسلتها إلى دمشق حيث استقبلها الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، وزوجها من أحد الأمراء[5].

وغضب أودو دوق أكيتانيا لمقتل صهره، وأسر ابنته، وتعطل مشاريعه. بل أدرك أنه لن يكون بمنأى عن المسلمين، وأدرك أيضاً أنه لا قبل له بهم وحده، فاستصرخ شارل مارتل متناسياً خلافاته معه، وتحالف القائدان النصرانيان ضد المسلمين[6]. وبدأ كل منهما بالتحرك ضد المواقع الاسلامية، وجمعا حولهما الجيوش النصرانية من أنحاء فرنسا، وطلب

(١) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤٠.

(٢) المرجع نفسه: ١٤١.

(٣) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٨٢؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤١.

(٤) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٨٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤١.

(٥) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٨٣.

(٦) عنان، المرجع نفسه: ٨٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤١-١٤٢.

نجدات إضافية من حدود الراين فوفد إليهما الجنود من كل مكان في أوروبا، وبذلك جرّدا حملة صليبية كبيرة قادها شارل مارتل[1].

وعندما علم عبد الرحمن الغافقي بهذه الحشود الكبيرة توجه إلى الشمال قبل أن يكمل الاستعداد، وكان همه درء الخطر عن الثغور الإسلامية المتقدمة، فسار أوائل سنة ١١٤هـ/ ٧٣٢م[2] إلى الشمال، واخترق ولاية أرغون ونافار، وعبر جبال البرت من طريق بنبلونة، ودخل فرنسا[3].

كان الهدف الرئيسي لحملة عبد الرحمن الغافقي هو دوقية أكيتانيا، ومملكة الفرنجة. ولذلك زحف أولاً على مدينة آرل Arles التي كان المسلمون قد أخضعوها، ولكن أهلها امتنعوا عن دفع الجزية، فاستولى عليها، وأعادها إلى الطاعة[4]. ثم اخترق دوقية أكيتانيا إلى عاصمتها: بوردو Bordeau[5]. وحاول دوق أكيتانيا صد الهجوم، ولكنه مني بهزيمة ساحقة، وتقهقر بقواته نحو الشمال تاركاً عاصمته، فاستولى عليها المسلمون، وغنموا ما فيها من أموال وكنوز، وقتلوا عدداً كبيراً من أعدائهم[6].

وتوجه عبد الرحمن الغافقي بعد فتحه مدينة بوردو إلى مدينة تور الواقعة على نهر اللوار، وهي ثاني أكبر مدينة في دوقية أكيتانيا، فافتحها بعساكره، وخرب كنيستها: سان مارتان التي كانت مشهورة آنئذ بما تحويه من نفائس وكنوز.

---

(١) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ١/٥١، ٢/٢٨؛ عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٨٤.

(٣) عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ٨٤؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٢٦٥.

(٤) مؤنس، فجر الاندلس: ٢٦٥؛ وانظر: عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٨٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤٢.

(٥) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٨٥؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤٢.

(٦) مؤنس، فجر الأندلس: ٢٦٦؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤٢؛ عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٨٥.

ولم يكن أودو حتى ذلك الوقت قد تحالف مع شارل مارتل على النحو الذي أشرنا إليه، إذ كان ذلك التحالف بعد أن لحقت به الهزيمة، وفقد دوقيته. فقد استنجد بشارل مارتل، وتجمعت قوى النصرانية التي ذكرناها ضد المسلمين[١]. وقبل أن تبدأ المعركة الرئيسية استولى الجيش الاسلامي على مدن أخرى، أهمها: ليون وبيزانسون، واقترب من باريس، إذ لم يعد يفصله عنها سوى مائة ميل[٢]. ويبدو أنه فكر في فتحها، ولكنه عمل ـ قبل ذلك ـ على تأمين خطوطه الخلفية، فتوجه غرباً إلى ضفاف اللوار لفتح المنطقة، وافتتح نصف فرنسا الجنوبي بأكمله[٣].

وأسفرت هذه الفتوح عن غنائم كثيرة جمعها المسلمون، وحملوها معهم فأثقلتهم. وأصبحت سبباً للهزيمة كما سنرى، وكانت هناك أسباب أخرى: أهمها توغل الغافقي في بلاد بعيدة عن قواعد المدد، وانقسام المسلمين على أنفسهم بسبب العصبيات القبلية، وكثرة البربر في الجيش الاسلامي، وكانوا قد حقدوا على العرب، وخاصة بعد قتل زعيمهم منوسة، مما شكل خطراً على وحدة الصف الاسلامي[٤].

لم يهب شارل مارتل حتى ذلك الوقت لنجدة أودو رغم تحالفه معه، ربما أملاً في التخلص منه على أيدي المسلمين[٥]، بينما وصل المسلمون إلى مدينة بواتييه (Poitiers) ودخلوها، وأحرقوا كنائسها[٦]. ثم واصلوا زحفهم نحو الشمال إلى مدينة تور Tours، ولكنهم

---

(١) مؤنس، فجر الأندلس: ٢٦٧؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤٢.
(٢) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٨٥.
(٣) المرجع نفسه: ٨٥.
(٤) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٤٣ـ١٤٤.
(٥) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٩٣.
(٦) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٤٤.

لم يكملوا الزحف، فقد علم عبد الرحمن الغافقي بوصول الحشود النصرانية الهائلة بقيادة شارل مارتل، وأخذ يستعد لمواجهته[١].

لم تحدد المصادر الاسلامية عدد الجيش الاسلامي تحديداً قاطعاً، بل أشارت إلى المعركة على استحياء، إذ لم تزودنا بتفاصيل تشفي الغليل، وتشبع منهم الباحثين، ويكاد كل منها يكتفي بالاشارة إلى المعركة في سطر أو سطرين يتضمنان: اسم المعركة وقائدها وسنة وقوعها، وقد تختلف حتى في ذلك[٢]. أما المصادر الأوروبية فقد أسهبت في ذكر التفاصيل، وتحدثت عن بطولات القادة النصارى، وبالغت في ذكر الأعداد. وما يمكن استنتاجه من هذه المصادر وتلك أن عدد الجيش الاسلامي لم يتجاوز مائة الف مقاتل[٣] معظمهم من البربر[٤].

أما الجيش الذي حشده شارل مارتل فقد كان ضخماً، يفوق المسلمين عدداً وعدة، وكان بين جنوده كثيرون من العشائر الجرمانية المتوحشة، وغيرهم من المرتزقة، والجند غير النظاميين الذين كانوا يتشحون بجلود الذئاب[٥].

والتقى الجيشان في المنطقة الواقعة بين مدينتي: تور وبواتييه على طريق روماني مبلط يصل شاتلرو Chatellerault ببواتيه على بعد نحو عشرين كيلومتراً من هذه المدينة الأخيرة،

---

(١) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤٤.

(٢) انظر على سبيل المثال: المقري، نفح الطيب: ١٦/٣؛ البيان المغرب: ٥١/١، ٢٨/٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢١٤/٤-٢١٥؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٩؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٢٥.

(٣) انظر: عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٩٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٤٣؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٢٦٣.

(٤) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤٣.

(٥) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٩٣.

في موضع يسمى اليوم: Moussais la Bataille[1] وهذا الموقع وجُـدت فيـه حديثـاً ـ نتيجـة لحفريات هناك ـ بعض السيوف العربية[2].

وبدأت معركة بلاط الشهداء في أواخر شعبان ١١٤هـ/ الثاني عشر أو الثالث عشـر مـن تشرين الأول ٧٣٢م[3]. وقد حدثـت مناوشـات بسيطة في اليومـين الأول والثـاني. ويبـدو أن سبب ذلك هو توجس كل من الجيشين، وإحساسه بخطـورة الموقـف[4]. ثـم اشـتد القتـال، وحاول النصارى اختراق صفوف المسلمين دون جدوى. وشن فرسانهم على القوات الاسـلامية هجوماً عنيفـاً بـالحراب غـير أنهـم ثبتـوا، بـل أخـذ تفوقهـم يظهـر علـى أعدائهـم. وبعـد محاولات عديدة تمكنت فرقة من فرسان النصارى من فتح ثغرة إلى الخطـوط الخلفيـة حيـث ترك المسلمون غنائمهم[5]. ويرى سالم أن أودو دوق أكيتانيا هـو الـذي فطـن إلى أن المسـلمين يتركون الغنائم في مؤخرة الجيش فالتف مع فرقة من جيشه لإربـاك جيـش المسـلمين الذيـن ترك كثيرون منهم جبهة القتال، لاستخلاص غنائمهم من أيدي النصارى. وبينمـا كـان عبـد الرحمن الغافقي يحاول تنظيم الصفوف أصابـه سـهم فـأرداه قتيـلاً، ممـا أدى إلى اضطـراب وارتباك شديدين. واستغل النصارى الموقف، وانقضوا على المسلمين فحصدوهم حصـداً. وظـل من بقي منهم على قيد الحياة صابراً مناضلاً في مدافعة المهاجمين. ولما حـلّ الليـل، اجتمـع كبار رجال الجيش واتفقوا على الانسحاب تحت جنح الظلام، وفعلوا ذلك. وتسلّلوا في أوائل رمضان ١١٤هـ/٢٠ تشرين الأول ٧٣٢م تاركين خيامهم وغنائمهم[6].

---

(١) انظر حـول موقـع المعركـة: الحجـي، التـاريخ الاندلسـي: ١٩٤؛ مؤنـس، فجـر الاندلـس: ٢٧٠؛ عنـان، دولـة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٩٤.

(٢) الحجي، التاريخ الاندلسي: ١٩٤-١٩٥.

(٣) المقري، نفح الطيب: ١/٢٣٦، ٣/١٦.

(٤) مؤنس، فجر الاندلس: ٢٧٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤٤.

(٥) عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ٩٥؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٢٧٤.

(٦) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٤٥؛ وانظر: مؤنس، فجر الأندلس: ٢٧٤؛ عنان، دولة الاسـلام في الأندلس، عصر الإمارة: ٩٦.

وعندما أصبح النصارى في اليوم التالي نهضوا لمواصلة القتال، ولكنهم لم يجدوا أحداً، واقتربوا من معسكر المسلمين فوجدوه خاوياً، وظنوا أن في الأمر خدعة، ولما اطمأنوا هاجموا المعسكر، وانتهبوا ما فيه من غنائم. ولم يحاولوا ملاحقة المسلمين، ربما توجساً من شرك ربما نصبوه لهم[1].

وانتهت معركة بلاط الشهداء هذه النهاية المفجعة بسبب الغنائم، التي خسر المسلمون بسببها معركة أُحُد من قبل[2]. ولكنه لم يكن السبب الوحيد أو الرئيسي. فالسبب الرئيسي لارتباك المسلمين هو استشهاد قائدهم[3].

بلاطه Balata :

سهل (فحص) يقع بين لشبونة وشنترين، قيل إن الحنطة تزرع فيه، فتقيم في الأرض أربعين يوماً، فتحصد، وأن الكيل الواحد منها يعطي مائة كيل، وربما زاد أو نقص[4].

---

(١) مؤنس، فجر الاندلس: ٢٧٤ـ٢٧٥؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٤٥.

(٢) الحجي، التاريخ الاندلسي: ١٩٧ حيث يستبعد دور الغنائم في هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء، ويعتبر قصة الغنائم أسطورة لا أصل لها.

(٣) عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ١٠٥.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٦؛ والروض المعطار: ١٠٣.

بَلْتِيرَة Valtierra:

حصن، ذكره ابن حيـان[(١)]، والعـذري[(٢)]. وورد عنـد العـذري في مواضـع أخـرى بلفـظ (بلبيرة)[(٣)]. وبلتيرة ـ كما يبدو ـ حصن أشبه بالبلدة، وهـي تقـع علـى ضفـاف نهـر الإيـبره شمال تُطيلة وشمال غرب سرقسطة. وهي ـ في الوقت الحاضر ـ مركز قضائي لمدينة تطيلة[(٤)].

خضعت بلتيرة وغيرها من حصون ومدن الثغر الأعلـى لإسمـاعيل بـن موسـى في العقـد السادس من القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وكانت بينه وبـين محمـد بـن لـب بـن موسى حروب ومعارك، وقد تغلب محمد بن لب على اسمـاعيل في جمـادى الأولى مـن سـنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م، وأسره، واضطره إلى أن يسلم إليه سرقسطة وتطيلة وبلتيرة[(٥)].

وتعرض حصن بلتيرة في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لهجـوم النصـارى، ففي سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م حشد ملك جليقية أردون بن الفونسو، وقومـس بنبلونـة شـانجة بـن غرسيه، حشدا النصرانية، وخرجا معاً في جموعهـم وهاجمـا مـدن الثغـر الأعلـى وحصونـه. وعبر شانجة نهر ايبره "فقاتل حصن بلتيرة، وقهر أهل ربضه، وأحرق المسجد الجامع فيه، وانقلب الكفرة، لعنهم ا لله، إلى بلادهم أعزة، فكان فعلهم هذا مما أحفظ الناصر لديـن ا لله، وحركه لمجاهدة أعداء ا لله، ورغّبه في الانتصار منهم بمن ا لله تعالى"[(٦)].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ١٤٣/٥.

(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ٣٤، ٣٨.

(٣) المصدر نفسه: ٣٨.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١١٧.

(٥) العذري، نصوص عن الأندلس: ٣٤.

(٦) ابن حيان، المقتبس: ١٤٣/٥.

وقد قاد الناصر حملة عسكرية في سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م لمحاربة النصارى الذين اعتدوا على الثغر الأعلى، وصال بينهم وجال، وحقق عليهم انتصارات مشهودة[١] وتنقل بعد ذلك بين حصون الثغر مطارداً جيوش شانجة، وهزمهم أقبح هزيمة، "ثم انتقل إلى حصن بلتيرة، آخر حصون المسلمين الواغل في بلاد الكفرة، فتعهد بادخار الأطعمة عندهم، وتفريق الأموال عليهم تقوية لهم على الثبات..."[٢] .

وفي عهد ملوك الفتنة (الطوائف) هاجم النصارى بقيادة أمير البرتغال أنريكي دي بورجونيا Enrique de Borgoña، والفونس المحارب ابن سانشو راميرو، هاجموا المستعين بن هود في جيوش لا تحصى كثرةً، ودارت بينه وبينهم معركة دامية انتهت بهزيمة المسلمين، واستشهاد المستعين بن هود سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م. وقد دارت هذه المعركة في مكان دعاه ابن الكردبوس قامرة[٣]، وهو موضع من نواحي بلتيرة[٤].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٥/١٨٩-١٩٤.

(٢) المصدر نفسه: ٥/١٩٤-١٩٥.

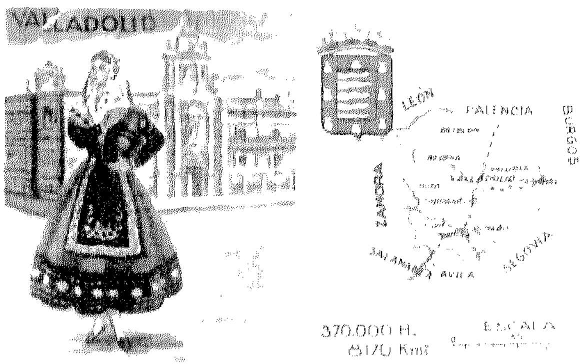
(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١١٧.

(٤) المصدر نفسه: ١١٧-١١٨ والهامش

بلد الوليد Valladolid:

مدينة ، لفظ أبو الفداء اسمها بفتح الواو وكسر اللام وسكون المثناة من تحت ثم دال مهملة[١] . وهي تقع على بعد ثلاثة أيام من مدريد جنوب جليقية ، وقد فتحت على يد طارق بن زياد.

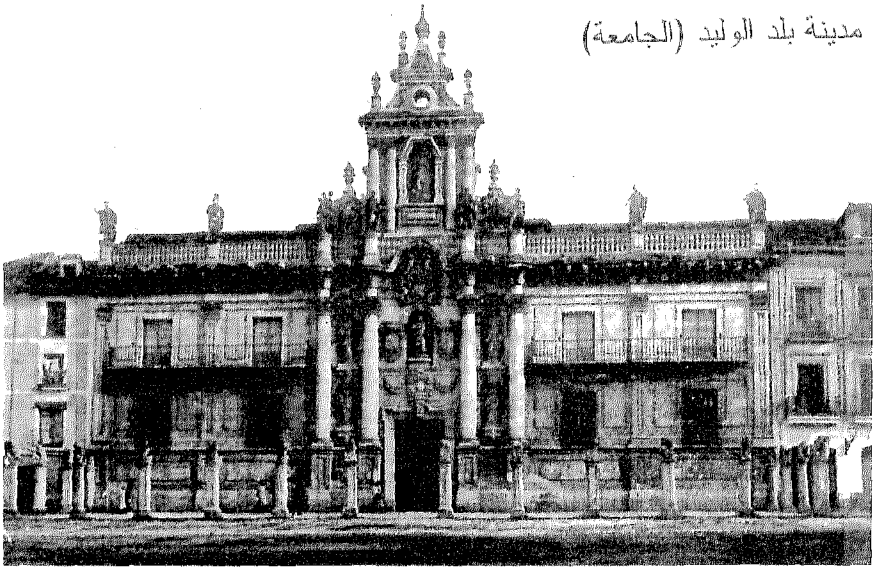
كانت بلد الوليد عاصمة إسبانيا ، وظلت كذلك حتى نقل فيليب طرسير الثالث العاصمة إلى مدريد[٢] . وبلد الوليد من أحسن المدن ، ويذكر أبو الفدا أن الفنش ملك الإفرنج يحل بها في أكثر أوقاته ، ولها أكثر من ثلاثة أنهر ، وحدد موقعها بأنه جنوب جبل الشارة[٣] غرب طليطلة ، بينما المعروف أن مدينة بلد الوليد لا تزال قائمة ومعمورة حتى اليوم ، وتقع في جنوب جليقية إلى الشمال الشرقي من سمورة (Zamora).



(١) أبو الفدا، معجم البلدان، ذكر جزيرة الأندلس: ١٧٤.

(٢) المكناسي، الإكسير : ٩٢.

(٣) أبو الفدا، معجم البلدان: ١٧٥.



Valladolid.—La Universidad. (Foto Hauser y Menet.)



Valladolid.—Avenida de Alfonso XIII.

بَلْدَة Balda :

مدينة، ذكرها ياقوت، وقال "مدينة بالأندلس من أعمال ريّه، وقيل من أعمال قبرة، منها أبو عثمان سعيد بن محمد بن سيد أبيه بن يعقوب الأموي البلْدي، كان من الصالحين متقشفاً يلبس الصوف، رحل إلى المشرق في سنة ٣٥٠هـ ودخل مكة في سنة ٣٥١هـ. ولقي أبا بكر محمد بن الحسين الآجرّي وقرأ عليه جملة من تأليفه"[١]. وذكر الرشاطي وابن الخراط الإشبيلي أن بلدة من عمل قبرة[٢]، بينما ذكرها ابن حيان، وعدّها من كورة ريّة[٣].

غزا الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر مدينة بلدة سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م لاستنزال جعفر بن عمر بن حفصون الذي نكث وخلع طاعة الأمويين في الأندلس، وحاصره فيها، وأمر حاجبه بدر بن أحمد "بمنازلتها والإحاطة بها، واستدار الحاجب بها، ورتب العساكر عليها، وجدّ في حرب أهلها، فاختلفت كلمتهم عندما أحاط بهم من بأس ما رعبهم، وتداعى من كان فيهم من المسلمين للنزول إلى السلطان على تأمينهم على الأنفس والأهلين والذرية، فأجابهم الناصر لدين الله إلى ذلك، وأنفذ أمانهم، فنزلوا إليه، وصاروا في معسكره"[٤]. أما من كان في بلدة من الكفرة فقد أصروا على القتال، فاقتحم المسلمون عليهم حصنهم "فجاسوا ساحته، وجاؤوا أهله من فوقهم ومن أسفل منهم فقتلوهم"[٥]. وأدت هذه الغزوة إلى إضعاف جعفر بن حفصون الذي بدا عليه الإنكسار، وخامره الوهن. وقد شحن الخليفة الناصر بلدة برجاله "وأحكم النظر في مصالحه (حصن بلدة) ومصالح جهته"[٦].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٤٨٣/١؛ وانظر: الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار: ٣٦.
(٢) الرشاطي، الأندلس في اقتباس الأنوار: ٣٦، ١١٥.
(٣) ابن حيان، المقتبس: ١٤٧/٥.
(٤) المصدر نفسه: ١٤٩/٥.
(٥) المصدر نفسه: ١٤٩/٥.
(٦) المصدر نفسه: ١٥٠/٥.

بَلْطَش Baltaš :

إقليم، ونهر، وقال ياقوت: بلد. وضبط اسمه بفتح الطاء، والشين معجمة[١]. يعد إقليم بلطش من أقاليم سرقسطة[٢]. وفي هذا الأقليم نهر بلطش، وهو ينبع من فج يعرف بفج بدره[٣]. ويسقي هذا النهر الأراضي الممتدة بين قرية موالة* ومدينة سرقسطة بطول عشرين ميلاً[٤].

تشير المصادر إلى أن قرب بلطش "عين يابسة العام كله، فإذا كان أول ليلة من شهر أغشت (آب) انبعثت بالماء تلك الليلة ومن الغد إلى حدّ الزوال، ثم يبدو في العين النقصان للمتأمل إلى الليل، فإذا غربت الشمس جف فلا يجري منها ماء أصلاً إلى تلك الليلة من العام المقبل"[٥].

كانت للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) أثناء غزوه لسرقسطة سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م محلة بمولة على نهر بلطش، حيث أقام فترة، وامتار عسكره "من أعمال بني رزين وبني غزون وسائر جهات أهل الطاعة" استعداداً لمناجزة محمد بن هاشم التجيبي المنتزي بها، "آخر من بقي من أهل الخلاف بأرض الأندلس"[٦]. وكان الناصر يخرج عساكره من محلته تلك لقتال التجيبي، وتضييق الخناق على أتباعه، وكان

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٤٨٤/١.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٧؛ والروض المعطار ١٠٤؛ العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٤؛ وانظر أيضاً : ابن حيان، المقتبس: ٣٥٩.

(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٤.

* ذكرها ابن حيان: (مولة). انظر: المقتبس: ٣٦٢/٥.

(٤) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٧.

(٥) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٤؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٤٧.

(٦) ابن حيان، المقتبس: ٣٥٧/٥-٣٥٩.

ممن أخرجهم لقتاله القائد محمد بن سعيد بن المنذر القرشي، الذي قاتل أصحاب التجيبي "حتى نزلوا على حكمه، فقدم بهم إلى الناصر لدين الله... فأعتقهم.[١]

بَلْكُونَه (Porcuna) Balcuna:

قرية من أعمال قرطبة، وهي مركز كورة باسمها[٢]. وقد سُجن فيها الأمير أبو عبد الله الصغير بعد أن وقع أسيراً. حيث حُمل إلى قرطبة، ثم نقل إلى بلكونة سنة ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م[٣].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٣٦٠.

(٢) المقري، نفح الطيب: ١/١٦٥.

(٣) حتاملة، محنة مسلمي الأندلس: ٢٧.

بَلَنْسِيَة Valencia:

مدينة، يلفظ أسمها بسين مهملة مكسورة، وياء خفيفة[١]. وتسمى بلنسية أيضاً: (مدينة التراب)، ربما لخصوبة تربتها[٢]، و (مطيّبُ الأندلس)[٣]، لكثرة رياحينها، و (بستان الاندلس)[٤]، لتنوع أشجارها وكثرتها.

تقع مدينة بلنسية في شرقي الاندلس قرب ساحل البحر الأبيض المتوسط على بعد أربعة كيلومترات منه[٥]، وتحدها طليطلة من الغرب، وطرطوشة من الشمال، ومرسية من الجنوب[٦]. وهي شرقي قرطبة، وشرقي تدمير. وبينها وبين تدمير أربعة أيام، ومنها إلى طرطوشة أربعة أيام أيضاً[٧]. وكان موضعها عند الفتح الاسلامي مرسى صغيراً يسمى فالنثيا Valencia[٨]، وهو الاسم الذي أصبح المسلمون ينطقونه بلنسية.

وتتوسط بلنسية سهلاً زراعياً شديد الخصوبة يمتد بمحاذاة ساحل البحر الأبيض المتوسط[٩]. ويرتوي هذا السهل من شبكة نهرية تتفرع من النهر الأبيض (Guadalaviar). ويعتبر أحد فروعه، وهو نهر توريا Turia المسمى بالنهر الأحمر، نهرها الرئيسي. ويصب هذا النهر في البحر المتوسط شمال بلنسية[١٠].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٤٩٠/١.

(٢) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٧؛ ياقوت، معجم البلدان: ٤٩٠/١؛ ابن سعيد، المغرب: ٢٩٨/٢.

(٣) المراكشي، المعجب: ٣٧٠؛ المقري، نفح الطيب: ٢٢١/٣؛ ابن سعيد، المغرب: ٢٩٧/٢.

(٤) ابن سعيد، كتاب الجغرافيا: ١٦٧.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٤ الحاشية ٢.

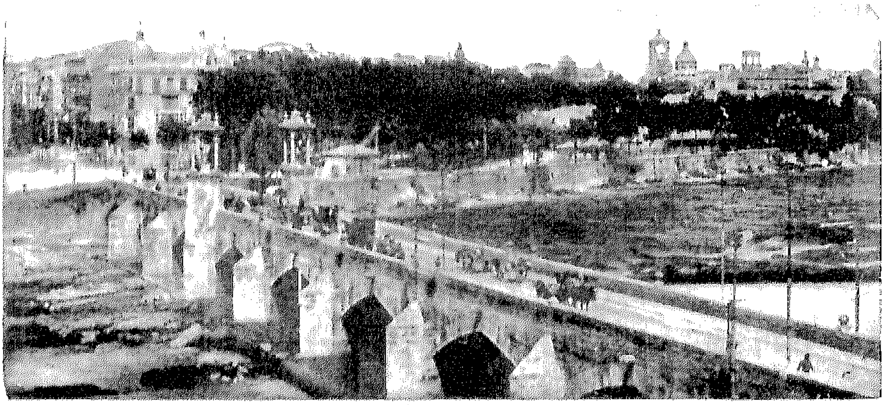
(٦) أبو الفداء، تقويم البلدان: ٤١٤، ٤١٨؛ ياقوت، معجم البلدان: ٤٩٠/١؛ ابن سعيد، المغرب: ٢٩٧/٢-٢٩٨.

(٧) ياقوت، معجم البلدان: ٤٩٠/١.

(٨) دائرة المعارف الاسلامية: ١١٨/٤-١١٩.

(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٦/٥.

(١٠) العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٦/٥؛ الزهري، الجعرافية: ١٠٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٤، الحاشية ٢؛ دائرة المعارف الاسلامية: ١١٨/٤.



Valencia. Puente del Mar y vista de Valencia

بلنسية (جسر البحر)



Valencia. Avenida de Amalio Gimeno

بلنسية (أحد شوارعها)

وتعتبر بلنسية قاعدة من قواعد الاندلس، إذ تتبعها عدة مدن وأقاليم وقرى وحصون[1] وهي مدينة قديمة، أسسها الرومان سنة ١٣٩ قبل الميلاد، واستولى عليها القوط الغربيون سنة ٤١٣م[2].

وبلنسية "خصها الله بأحسن مكان، وحفها بالأنهار والجنان، فلا ترى إلا مياها تتفرع، ولا تسمع إلا أطياراً تسجع،... وجوُّها صقيل أبداً، لا ترى فيه ما يكدر خاطراً ولا بصراً"[3]. وقد استغل أهلها أراضيها الخصبة في الزراعة، حيث زرعوا أنواع الفواكه والمحاصيل والأزهار[4]. ومن أشهر محاصيلها: الأرز، والزيتون، والقراسيا، والزعفران، والتين، والرياحين[5].

واشتهرت بلنسية بصناعة النسيج الكتاني، و "فيها تقصر (تصبغ) الثياب الغالية"[6]. وكان النسيج البلنسي يصدر إلى أقطار المغرب[7]. كما كانت منتجاتها الزراعية تصدر إلى أنحاء العالم الاسلامي عبر مرساها النشط بحركة السفن التجارية[8]. ومن أبرز ما كانت تصدره ـ إضافة إلى الكتان ـ الزعفران والقرمز[9].

وقد أجاد شاعر بلنسية ابن غالب أبو عبد الله الرصافي وصف مدينته إذ قال[10]:

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٧؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٦/٥.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية: ١١٨/٤.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٢٩٧/١.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ٩٧.

(٥) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٧؛ ياقوت، معجم البلدان: ٤٩٠/١؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٢٧.

(٦) الزهري، الجغرافية: ١٠٢.

(٧) المقري، نفح الطيب: ٢٢١/٣.

(٨) الحميري، الروض المعطار: ٩٧؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٥٩٢.

(٩) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٢٧؛ المقري، نفح الطيب: ١٤١/١، ١٧٩.

(١٠) ابن سعيد، المغرب: ٢٩٨/٢ـ٢٩٩.

بلنسيةُ تلك الزبرجـــــدةُ التــــي	تسيل عليها كـلُّ لؤلـؤة نهـــرا
كـــــأن عروساً أبدع الله حُسنها	فصيرّ من شرخ الشباب لها عُمـــرا
تُؤبــــــدُ فيها شعشعانية الضُحـى	إذا ضاحك الشمسُ البحيرة والنهرا
تزاحمُ أنفاسُ الريـــــاح بزهرهـا	نجوماً فلا شيطان يقربُها ذُعـــرا
هي الدرةُ البيضاءُ من حيث جئتها	أضاءت، ومن للدر أن يشبه البدرا

ويدل هذا الوصف على جمال بلنسية وغناها. أما الترف الذي لم تبلغه مدينة مثلها فيدل عليه وصف العذري لأهلها[1]: "لا تكاد ترى فيها أحداً من جميع الطبقات إلا وهو قليل الهم، مليئاً كان أو فقيراً، قد استعمل أكثر تجارها لأنفسهم أسباب الراحات والفرج، ولا تكاد تجد فيها من يستطيع على شيء من دنياه إلا وقد اتخذ عند نفسه مغنية وأكثر من ذلك، وإنما يتفاخر أهلها بكثرة الأغاني. يقولون : عند فلان عودان وثلاثة وأربعة وأكثر من ذلك. وقد أُخبرت أن مغنية بلغت في بلنسية أكثر من ألف مثقال طيبة، وأما دون الألف فكثيرات؛ وهي أطيب البلاد وأحسنها هواء وأجملها بساتين".

ولما كانت بلنسية عند الفتح الاسلامي مجرد مرسى صغير[2]، فإن المؤرخين المسلمين لم يذكروا تاريخاً محدداً لفتحها. ولكن يفهم من الإشارات التاريخية أنها فتحت سنة ٩٤هـ/٧١٤م على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير في عهد أبيه، وربما فتحها أثناء ولايته على الاندلس التي دامت سنتين (٩٥-٩٧هـ/٧١٣-٧١٥م)[3].

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٨.

(٢) دائرة المعارف الاسلامية: ١١٨/٤؛ مؤنس، رحلة الاندلس: ٢٧٥.

(٣) انظر: مجهول، أخبار مجموعة: ١٩، ٢١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٦؛ ابن عذاري: البيان المغرب: ١٤/٢-١٥؛ المقري، نفح الطيب: ٢٧٠/١-٢٧١.

وأصبحت بلنسية في العهد الاسلامي مدينة كبيرة مسورة بسور متين مبني بالحجر والطوابي[١] عليه عدة أبراج دفاعية[٢]، وفيه ثمانية أبواب[٣]، وضمت المدينة مسجداً جامعاً وداراً للإمارة، وعدداً من الأسواق المزدهرة، إضافة إلى الأرباض والأحياء[٤].

وتطورت بلنسية منذ فتحها تطوراً سريعاً، فقد كثر سكانها من العرب والبربر في عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٥م)، إلا أن ملامحها الادارية لم تتضح في ذلك العهد الذي كان عهد فتح وجهاد ضد النصارى. وأما في عهد الامارة الأموية في الاندلس (١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٩م) فقد أصبحت بلنسية مركزاً إدارياً لكورة ضمت العديد من المدن والقرى والحصون[٥]. وممن تولوا أعمالها في هذا العهد عبد الله البلنسي بن عبد الرحمن الداخل[٦]. ويبدو أن البلنسي اتخذ هو وأسرته من بلنسية موطناً فنُسب إليها[٧]. وقد خرج على أخيه هشام الذي تولى إمارة الاندلس بعهد من أبيه، تضامناً مع أخيهما الأكبر سليمان، وحاول أن يتولى أمر الاندلس، إلا أنه فشل، ثم توفي سنة ٢٠٨هـ/٨٥٣م[٨].

ولما تولى إمارة الاندلس عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) عين ابن ميمون عاملاً على بلنسية سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م[٩]. ثم أصبح عاملاً عليها في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦٢م) عبد الله بن محمد بن عقيل، ثم تعاقب عليها

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٨؛ سالم، المساجد والقصور بالاندلس: ١٣٠ وما بعدها.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٩٧.

(٣) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٨؛ بروفنسال، الاسلام في المغرب والاندلس: ٨٥.

(٤) المقري، نفح الطيب: ١٣٩/٣؛ سالم، المساجد والقصور بالاندلس: ١٧٦؛ الحميري، الروض المعطار: ٩٧.

(٥) انظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٧١؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين: ٦٦؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٠؛ الحميري، الروض المعطار: ٩٧.

(٦) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٣٦٣/٢-٣٦٤؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٩٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٨٧/٦.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ٦١/٢-٦٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٥٦-١٥٨.

(٨) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٣٦٣/٢؛ ابن عذاري: البيان المغرب: ٦١/٢-٦٢.

(٩) ابن حيان، المقتبس، تحقيق مكي: ١٤٤.

عدد من العمال، وكان من أشهر قضاتها في هذه الفترة جحاف بن يُمن بن سعيد المعافري الذي استشهد في غزوة الخندق سنة ٣٢٧هـ/٩٣٩م[١]. ثم تولى قضاءها عدد من ذريته، منهم عبد الرحمن بن جحاف[٢].

وعندما انفرط عقد الخلافة الأموية في الاندلس في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، انفرط عقد الاندلس نفسها، حيث انتزى كل والٍ أو عالٍ أو زعيم أو متنفذ على ما تحت يده، واستقل به[٣]. وأصبحت بلنسية ـ شأنها شأن العديد من مدن الاندلس ـ مملكة مستقلة على يد مجاهد العامري سنة (٤٠١هـ/١٠١٠م). وفي سنة ٤١١هـ/١٠٢١م ملكها عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن أبي عامر، وتلقب بالمنصور[٤]. ولما توفي المنصور خلفه عليها ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر (نظام الدولة) (٤٥٢-٤٥٧هـ/١٠٦١-١٠٦٥م)[٥]. وقد تزوج المظفر ابنة المأمون بن ذي النون حاكم طليطلة الذي ضم بلنسية إلى مملكته، وبذلك أصبحت تابعة لطليطلة، وصار يحكمها والٍ من قبله هو أبو بكر محمد ابن عبد العزيز الذي استقل بها عندما توفي المأمون سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م[٦].

وجرت في عهد أبي بكر محاولات قام بها المؤتمن بن هود، صاحب سرقسطة، لضم بلنسية إلى مملكته. وكانت بين الطرفين صلات ومصاهرة، إذ تزوج أحمد المستعين بن المؤتمن من ابنة أبي بكر الذي لم يلبث أن توفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، بعد أن حكم بلنسية

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٠.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٣٥.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/١٩٤.

(٤) المصدر نفسه: ٤/٢٠٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٦٤-١٧٠، ١٩٠-١٩٢؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٩٤-١٩٥.

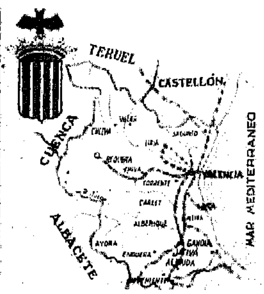
(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٠؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/١٢٩-١٣٠؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٨١، ٤٤٠.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٠-٨١؛ المراكشي، المعجب: ١٢١-١٢٢؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٠١-٢٠٢.

عشرة أعوام. وقد خلفه في حكم بلنسية ابنه أبو عمرو عثمـان بـن أبـي بكـر الـذي لم يحكم بلنسية سوى بضعة أشهر من تلك السنة[١]. ففي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م سقطت طليطلة في يد ملك قشتالة النصراني الفونسو السادس الذي وعد القادر بن ذي النون حاكم طليطلـة ـ بعد إخراجه منها ـ أن يعينه في الاستيلاء على بلنسية. وتنفيذاً لهذا الوعد أمد الفونسو السـادس القادر بن ذي النون بفرقة قوية من الجنود القشتاليين بقيادة البارهانس ابن أخي البرهـانس Alvar Háñez ابن أخي القمبيطور[٢].

وقد وصلت الفرقة النصرانية إلى بلنسية لإخضاعها، وبعد مراسلات مع أهلهـا دخلها القادر بحماية الجنود النصارى في شوال سنة ٤٧٨هـ/شباط ١٠٨٥م[٣]. وكان عهـد القـادر في بلنسية عهد سـيئاً إذ عـانت المدينـة كثيراً مـن الأهـوال والاضطرابـات، إذ كـانت السيادة الحقيقيـة للبرهـانس وجنـوده الذيـن أرهقـوا الأهـالي بكـثرة مـا فرضـوه عليهـم مـن ضرائـب ومطالب[٤]. وقد غادرها كثير من أعيانها لكي لا يَظلوا تحت رحمة عـدو مـتربص، وزعيـم ليس له من هم سوى البقاء في مركزه. وبسبب هـذه الأوضـاع أعلـن البلنسـيون الثـورة علـى القادر وقتلوه بمساعدة المرابطين، وولوا مكانه القاضي أبـو أحمـد بـن عبـد الله بـن جحـاف المعافري، وذلك سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[٥].





(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣٠٤.
(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٦؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣٠٤؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٨٢.
(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٨/١٥٥.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣٠٤-٣٠٥، ٤/٣١، ١٤٧؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٠٣.
(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٣١-٣٢؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٧٩، ١٨٢.

وهكذا أغاثت قوات المرابطين الاندلس بشكل عام، وبلنسية بشكل خاص من طغيان النصارى، إذ سحقهم المرابطون في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[١] .

ولكن بلنسية ما لبثت أن تعرضت لغدر الفارس القشتالي المغامر، وهو السيد القمبيطور el Campeador الذي حاصر بلنسية في آخر رمضان من سنة ٤٨٥هـ/تموز ١٠٩٣م، وظل يضيق الخناق عليهم حتى جمادى الأولى ٤٨٧هـ/١٥ حزيران ١٠٩٤م حيث سقطت في يده، بعد أن أحرق قاضيها ابن جحاف، وألحق بأهلها وبأراضيها الذل والدمار[٢] . ففي أثناء الحصار عاش أهل المدينة أياماً سوداء "فتفشى المرض، فبينما الرجل يمشي يسقط ميتاً، فتناقص أهل بلنسية كثيراً"[٣] .

وحكم السيد القمبيطور بلنسية حتى وفاته سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، ثم حكمتها من بعده زوجته (خيمينا Jimena) حتى سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م حيث استردها المرابطون[٤] .

ولم يكن استرداد المرابطين لبلنسية عملية سهلة، كما أن هذه العملية ألحقت بالمدينة كثيراً من الدمار فقد وصلت الجيوش المرابطية استجابة لاستغاثة أهل بلنسية سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، وحاصرتها، وحاولت دخولها أكثر من مرة. ولكن السيد القمبيطور كان يشن غارات مفاجئة على تلك الجيوش ثم يعود إلى داخل المدينة، ويتحصن فيها[٥] . ثم تعاون مع قوات نصرانية أخرى من أرغون وقشتالة، وتمكن من هزيمة المسلمين سنة

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٣-٩٤؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس: ١٤٦-١٤٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/١٣٧-١٣٨؛ الناصري، الاستقصا: ٢/٤٤-٤٦؛ مجهول، الحلل الموشية: ٥٩-٦٢.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٠٣-٢٠٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/ ٣٠٥؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٤٥٥-٤٥٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٣٩.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٤ الحاشية؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٤٠؛ عنان، دول الطوائف: ٢٤٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٤٠.

٤٩٠هـ/١٠٩٧م[١]. وعندما ترامت أنباء ذلك إلى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين أنفذ جيشاً آخر بقيادة محمد بن الحاج سنة ٤٩٠هـ/١٠٩٧م، وقد سار هذا الجيش نحو طليطلة حيث هزم قوات ألفونسو السادس، وقتل ابن السيد القمبيطور الوحيد دون ديجو Diego، وفي الوقت نفسه سير جيشاً آخر بقيادة محمد بن عائشة نحو جزيرة شقر حيث التقى ببعض جنود القمبيطور وقتلهم شر قتله مما أصابه بالهم والغم اللذين توفي على أثرهما سنة ٤٩٣هـ/١٠٩٩م[٢]. كما توجهت قوات مرابطية لحصار بلنسية بقيادة الأمير أبي محمد مزدلي، ابن عم يوسف بن تاشفين الذي عسكر جنوب بلنسية[٣]. وكانت خيمينا في تلك الأثناء قد استنجدت بملك قشتالة ألفونسو السادس، فهب لنجدتها. ولكنه أدرك أنه لا قبل له بمواجهة الجيش الاسلامي، فآثر الانسحاب من بلنسية. ولكنه قبل أن يغادرها أحرقها، ودمرها تدميراً[٤]. ودخلها المسلمون على تلك الحال في منتصف رجب سنة ٤٩٥هـ/١١٠٢م[٥]. ويصف ابن عذاري حال بلنسية عندما أخلاها ألفونسو السادس بقوله: "وأضرمت النار في الجامع والقصر وبعض الدور"[٦].

وبعد أن استعاد المسلمون بلنسية وليها الأمير مزدلي، واتخذها قاعدة لعمليات الجهاد والفتوح في شرقي الاندلس، وذلك بعد أن حول المرابطون خرائبها وأنقاضها إلى مدينة جديدة حافلة بالخير والعطاء[٧].

---

(١) عنان، دول الطوائف: ٢٤٧.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٠٨-١٠٩؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٤١-٤٢؛ بروفنسال، الاسلام في المغرب والاندلس: ١٩٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٤١.

(٤) المصدر نفسه: ٤/٤٢؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٤٥٥-٤٥٦.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٠٩-١١٠؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٤٥٥-٤٥٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٤٢.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٤٢.

(٧) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٠-١١١؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٢٤٦-٢٤٨.

وظلت أحوال بلنسية مستقرة حتى ضعف المرابطون، ولم يعد لهم في الاندلس حول ولا طول، وعندئذ ثار فيها القاضي مروان بن عبد الله بن مروان بن خصّاب سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م، وملكها[١]. ولكن أهلها خلعوه بعد ثلاثة أشهر. وبايع أهلها بعده للأمير أبي محمد عبد الله بن سعيد بن مردنيش الجذامي الذي أقام مجاهداً حتى استشهد على يد النصارى سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م[٢]. وقد بايع أهلها بعده عبد الله بن عياض، وكان ثائراً بمرسية، إلا أنه توفي سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م، فتولاها محمد بن أحمد بن سعيد بن مردنيش، وظلت في يده حيث بايع الموحدين سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م[٣].

وفي سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م عبر الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن إلى الاندلس مجاهداً، وفتح كثيراً من حصون طليطلة ثم عاد إلى مراكش سنة ٥٧١هـ/١١٧٦م[٤]. ورجع إلى الاندلس على رأس جيش قوي سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، وبعد سنوات من الجهاد أصيب بجراح خطيرة على يد النصارى بينما كان يحاصر لشبونة، وتوفي على أثر ذلك في السنة نفسها (٥٨٠هـ/١١٨٤م)[٥]. وفي عهد خليفته يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن استأنف الموحدون الجهاد ضد النصارى، وتمكنوا من استعادة بعض المدن من أيديهم مثل شلب سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م[٦]. ثم حققوا انتصاراً ساحقاً على النصارى في معركة الأرك في التاسع من شعبان سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م فانكسرت شوكتهم إلى حين[٧].

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢١٢.

(٢) المصدر نفسه: ٤/٢١٢-٢١٣.

(٣) المصدر نفسه: ٤/٢١٣.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٢١١-٢١٢.

(٥) بان الخطيب، أعمال الاعلام: ق٢/٢٦٩؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٢١٣-٢١٥؛ الناصري، الاستقصا: ٢/١٥١؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٦٢.

(٦) النويري، نهاية الأرب: ٢٤/٣٣١؛ مجهول، الحلل الموشية: ١٥٩؛ المراكشي، المعجب: ٤٠٢.

(٧) المقري، نفح الطيب: ٤/٣٨٠-٣٨٢؛ الناصري، الاستقصا: ٢/١٧٨-١٨٥؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٤٤٨؛ مجهول، الحلل الموشية: ١٥٩.

ولما استجمع النصارى قواهم استأنفوا اعتداءاتهم على الأراضي الاسلامية في الأندلس، وتمكنوا بقيادة ملك قشتالة ألفونسو الثامن من إلحاق الهزيمة بالمسلمين في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م[١]. وبعد تلك المعركة التاث أمر الموحدين، وخارت قواهم إن في المغرب أو في الاندلس التي عادت إلى سابق عهدها من التشتت والفرقة، حيث انتزى السادة بنواحي الاندلس كل في عمله[٢].

وقد استغل زيّان بن أبي الحملات، من أعقاب دولة بني مردنيش، ضعف الموحدين، وثار في بلنسية، "وملك زيان بلنسية، واتصلت الفتنة بينه وبين ابن هود... وزحف زيّان للقائه على شريش، فانهزم، وتبعه ابن هود ونازله في بلنسية أياماً، وامتنعت عليه فأقلع"[٣].

وفي عهد زيان بن مردنيش قام خايمي الثاني ملك أرغون سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م بمحاصرة مدينة بلنسية، وضيق عليها الخناق، فساءت أحوالها[٤]. وقد استنجد زيان بأقاربه بني زيان في إفريقية فأمدوه بأسطول صغير حالت الظروف الجوية دون وصوله إلى بلنسية. فاستغاث زيان بأبي زكريا الحفصي في تونس، ووجه إليه وفداً برئاسة ابن الآبار ليشرح له الأحوال، ويحثه على الجهاد وإنقاذ بلنسية[٥].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٣٨٣/٤؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٢٣٨ـ٢٤٠؛ الناصري، الاستقصا: ٢١٤/٢ـ٢١٦؛ المراكشي، المعجب: ٢٥٦ـ٢٥٧.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٤/٤.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٤/٤.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٤٥٦/٤؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين: ق٤٤٤/٢.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٥/٤؛ المقري، نفح الطيب: ٤٥٦/٤ـ٤٥٧.



بلنسية (شارع بنسنت)

Valencia. Calle de San Vicente

وقد وصل ابن الآبار إلى تونس في شعبان سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م، وألقى بين يدي أبي زكريا الحفصي قصيدة مؤثرة جاء فيها[١]:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا ... إن السبيل إلى منجاتها درسا
يا للجزيرة أضحى أهلها جزراً ... للحادثات، وأمسى جدها تعسا
يا للمساجد عادت للعدى تبعاً ... وللنداء يرى أثناءها جرسا
وحال ما حولها من منظر عجب ... يستجلس الركب أو يستركب الجلسا
محا محاسنها طاغ أتيح لها ... ما نام عن هضمها حينا ولا نعسا
ورجّ أرجاءها لما أحاط بها ... فغادر الشم من أعلامها خُنُسا
وفي بلنسية منها وقرطبةٍ ... ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا

وبادر الأمير الفحصي إلى تجهيز أسطول شحنه بالمؤونة والسلاح، وكان يتألف من ثماني عشرة سفينة اتجهت إلى بلنسية[٢]. ولكن هذا الأسطول فشل في إيصال الإمدادات إلى المدينة المنكوبة لشدة الحصار حولها، واضطرت إلى إفراغ حمولتها في دانية، إلى الجنوب من بلنسية[٣].

وظل زيان بن أبي الحملات بن مردنيش المكنى أبا جميل يدافع عن بلنسية، بينما استمر خايمي الثاني ملك أرغون في منازلتها "ورميها بالمجانيق وشدة القتال، وما زال المسلمون تنقص أعدادهم، والنصارى تتوارد أمدادهم إلى أن نفدت الأقوات، واستولى الجوع، وضعفت القوى، وأكلت الجلود والزقوق"[٤].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٥٦-٤٥٧؛ الحميري، الروض المعطار: ٩٧؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٧٦.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢١٥؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٤٥٧؛ المطوي، السلطنة الحفصية: ١٣٦.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٦٠؛ الزركشي، تاريخ الدولتين: ٢٨؛ التازي، التاريخ الدبلوماسي: ٦/١١٦؛ القاضي عياض، ازهار الرياض: ٣/٢٠٥.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢/٢٧٣.

وتجدر الاشارة هنا إلى أن البابا غريغوري التاسع (Gregory IX) قد أصدر مرسوماً بإسباغ الصفة الصليبية على حروب إسقاط بلنسية. وبدأت هذه الحروب سنة ٦٣١هـ/١٢٣٣م[١]، ووقعت خلالها بين المسلمين والنصارى معارك كثيرة، ووقعت إحداها قرب أنيشة (أنيجة) سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م[٢]، حيث احتل ملك أرغون خايمي الثاني هذا الحصن الواقع على بعد سبعة أميال شمال بلنسية... وقد حاول زيان استرجاع هذا الحصن، فوجه إليه قوة عسكرية بقيادة كبير علماء الاندلس ومحدثيها أبي الربيع سليمان ابن سالم الكلاعي الذي لم يزل متقدماً المسلمين، مقبلاً على العدو، حتى استشهد[٣].

وبعد أن شدد خايمي الثاني الحصار على بلنسية، وبلغ أهلها ما ذكرنا من ضنك، اضطرت إلى التسليم يوم الثلاثاء، السابع عشر من صفر سنة ٦٣٦هـ/ أيلول ١٢٣٨م[٤].

وبعد أن دخل الطاغية الأرغوني خايمي الثاني غادرها عشرات الآلاف من أهلها المسلمين، وتم تحويل مساجدها إلى كنائس، ونال من بقي فيها من المسلمين كل أنواع الاضطهاد والأذى الذي تعدى الأحياء إلى الأموات، إذ نُبشت قبورهم وخُربت معالمها[٥].

---

(١) عنان، عصر المرابطين والموحدين: ٢/٤٣٩.

(٢) الحميري، نصوص عن الاندلس: ٣٢؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٤٧٣؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين: ٢/٤٤٢؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: ١/٣٥.

(٣) ابن الآبار، التكملة: ٢/٨٨١؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/١٠٢؛ المقري، نفح الطيب: ١/٦١٦، ٤/٤٧٣.

(٤) ابن الآبار، التكملة: ٢/٦٤٠؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/١٢٧؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٤٧، ٨٢، ٩٦.

(٥) عنان، عصر المرابطين والموحدين: ٢/٤٥٠؛ ابن الآبار، التكملة: ٢/٤٧٨-٤٧٩.

للاستزادة عن بلنسية انظر المراجع الاسبانية التالية:

1- Pisa, Francisco de, Descripción de la almperial ciudad de Toledo (Toledo 1605) F. o q V y 25
2- Don Antonio ponz, Viaje de España, t. X-Madrid 1787, pp. III-IV.
3- Menendez Pidal. Ramón, Primera Crónica General Madrid, 1906 I texto cap. 925 X cap. 930, p. 605
 - Menendez Pidal. Ramón, La España del cid Tomo II, Madrid 1929
 - Menendez Pidal. Ramón, Historia de España II, Madrid, 1935.
4- Llorente, Teodoro, Valencia. España, Sus Monumentos, su arte, su naturaleza e historica.
5- Martinez Aloy, Jose, Geografia General del Reino de Valencia, (Barcelona, s.a.)
6- Ribera Tarrago, Julián, La Xarea de la Valencia musulmana, en Disertaciones x opusculos II (Madrid, 1928).
7- Teixidor, Fr. Josef, Antiguedades de Valencia, (Valencia, 1895)

بَلْيَارِشْ Pallars:

بلد، ذكره البكري مع مدن طركونة وسرقسطة ووشقة وطرطوشة وتطيلة ضمن الأماكن التي يتألف منها الجزء الرابع من الأندلس[1]. وفي حديثهما عن لاردة قال الرشاطي وابن الخراط في (الأندلس في اقتباس الأنوار) أنها "مدينة قديمة ابتُنيت على نهر شقر، ومخرج هذا النهر من أرض الجليقيين آخذ إلى حوز بليارش..."[2].

وبليارش ولاية صغيرة جنوب البرت في الشمال الشرقي من إسبانيا بين قطلونية وأرغون، كانت تابعة لملكة شارلمان، ثم استقلت، ثم ضمت إلى نبّرة[3].

تعرضت بليارش لحملة جهادية قام بها المسلمون، ففي سنة ٢٩٠هـ/٩٠٢م غزا محمد بن عبد الملك المعروف بابن الطويل إلى بليارش، ففتح حصن أوْلاية، وأصاب أكثر من ثلاثمائة سبية، وقتل أكثر رجال النصارى، وغنم غنائم كثيرة، ثم هدم الحصن، وأحرق ربضه. "وبلغ ما بيع من سبيهم ثلاثة عشر ألف دينار، صرفها محمد بن عبد الملك في بنيان مدينة وشقة، وأحكمها وأتقنها"[4].

وهناك إشارات في العذري وابن حيان تفيد أن بليارش كانت في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر من بلد الإفرنجة[5]. وقد ذكر ابن حيان أن حصون بليارش "من نواحي برشلونة، قاعدة الفرنجة"[6].

---

(١) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦١-٦٢.

(٢) الرشاطي وابن الخراط، الأندلس في اقتباس الأنوار: ١٥٤.

(٣) العذري، نصوص عن الأندلس، الهامش ٤٠.

(٤) المصدر نفسه: ٥٦.

(٥) المصدر نفسه: ٤٠، ٤٢؛ ابن حيان، المقتبس: ٥/٣٥٢، ٣٦٣.

(٦) ابن حيان، المقتبس: ٥/٣٦٣.

بَلِيرَة Peliara :

حصن من أعمال شنتبرية، يلفظ بكسر اللام، وراء مهملة[١].

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١/٤٩٣.

بُلّيش مالقة Vélez Malaga:

مدينة، يلفظ اسمها بالفتح وتشديد اللام، والشين المعجمة[١]. وهناك ثلاثة مواقع في الاندلس باسم: بلش، هي: بلش الحسناء Velez Rubio، وبلش البيضاء Velez Blanco وكلتاهما تقع على مقربة من الأخرى في الشمال الشرقي من مدينة بسطة[٢]. وبلش مالقة Velez Malga، وهي من أعمال مالقة، وتقع على مقربة منها إلى الشرق[٣] على بعد أربعة وثلاثين كيلو متراً[٤].

ذكرها ابن الخطيب في معيار الاختيار باسم بُلّيش: بضم الباء وتشديد اللام المفتوحة وياء قبل الشين[٥]. وقد أشار المقري إلى أن فيها من الفواكه ما بمالقة[٦]، وفصل ابن الخطيب القول في ذلك فعدد ما فيها من أنواع الأشجار، وأكثرها اللوز والتين، ثم وصف أهلها بكثرة التشاجر والتناحر، فقلوبهم "أقسى من الحجر، ونفوس أهلها بينة الحسد والضجر، وشأنها غيبة وغيمة"[٧].

وقد تعرضت بلش مالقة لاعتداءات نصارى قشتالة المتكررة في الفترة المتأخرة من الوجود الاسلامي في الاندلس، وقد بدأ أشد تلك الاعتداءات في صفر من سنة ٨٨٨هـ/آذار ١٤٨٣م[٨]، فقد هاجمتها حملة نصرانية من ثمانية آلاف بين فارس وراجل، شارك فيها جمع كبير من زعماء النصارى منهم: صاحب إشبيلية، وصاحب إستجة وصاحب شريش

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٤٨٤/١.

(٢) عنان، نهاية الاندلس: ١٩٤، ج٢.

(٣) المقري، نفح الطيب: ١٦٦/١؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١١٢/١.

(٤) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٨٨، ج٨٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٣٣.

(٥) المصدر نفسه: ٥٣ و ٨٨، ج ٨٠؛ ولمزيد من التفاصيل حول: بلش مالقة وبلش الحسناء وبلش البيضاء وبليش انظر: العذري، نصوص عن الاندلس: ١٣٨.

(٦) المقري، نفح الطيب: ١٦٦/١.

(٧) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٣-٥٤.

(٨) المقري، نفح الطيب: ٥١٤/٤؛ عنان، نهاية الاندلس: ١٨٨.

وغيرهم[١]. غير أن هذه الحملة رُدت على أعقابها مدحورة، حيث اعترضهم المسلمون "في المضايق والأوعار والمخانق"[٢]، وقتلوا منهم أعداداً كبيرة، وهرب من نجا منهم[٣]. ويقدر المقري من قتل من النصارى في هجومهم على بلش مالقة بنحو ثلاثة آلاف، بينما يقدر عدد الأسرى منهم نحو الفين[٤]. وكان منظم الدفاع عن بلش مالقة في هذه الوقعة أبو عبد الله محمد بن سعد (الزغل)[٥].

وشن النصارى بقيادة ملك قشتالة فرناندو الخامس هجوماً جديداً على بلش مالقة في ربيع الثاني سنة ٨٩٢هـ/آذار ١٤٨٧م، وحاصرها من البر والبحر[٦]، وكان عدد القوات التي حشدها هذه المرة سبعين ألفاً منهم عشرون ألف فارس[٧]. ودارت الحرب سجالاً بين هذه القوات وقوات المسلمين، إلى أن تمكن فرناندو من تضييق الخناق عليها، ومن ثم احتلالها في يوم الجمعة ١٠ جمادى الأولى ٨٩٢هـ/نيسان ١٤٨٧م[٨].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٥١٤/٤؛ مجهول، نبذة العصر: ١١.
(٢) مجهول، نبذة العصر: ١١.
(٣) المصدر نفسه: ١١؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ٥١٤/٤.
(٤) المقري، نفح الطيب: ٥١٤/٤.
(٥) عنان، نهاية الاندلس: ١٨٩؛ فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر: ٦٠.
(٦) المقري، نفح الطيب: ٥١٩/٤.
(٧) أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢١٢.
(٨) مجهول، نبذة العصر: ٢٣؛ المقري، نفح الطيب: ٥١٩/٤-٥٢٠؛ عنان، نهاية الاندلس: ١٩٩.
للاستزادة عن بلش مالقة انظر:
- Moreno de Guerra, Juan, Repartımiento de Málaga Y su obispado, Vélez Malága (Estodios Malagueños, folletón del Diario de Málaga, 1932).

بُمارِش Bumareš :

حصن، يلفظ بضم أوله، وكسر الراء، والشين معجمة. ذكر ياقوت أنه حصن منيع من أعمال رية على ثمانية عشر ميلاً من مالقة[١].

بنشكلة Peñiscola:

حصن قريب من طرّكونة في مقاطعة قشتليون دي لابلاتا، تقع على جزيرة صغيرة تتصل بالبر بلسان من الرمل[٢]. ويذكر الحميري أنه على ضفة البحر "وهو عامر آهل، وله قرى وعمارات ومياه كثيرة، وبه عين ثرّة تريق في البحر"[٣]. ومرسى بنشكلة يقابل الجزائر (المدينة) من برّ العدوة[٤].

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٤٩٤/١.
(٢) الحميري، الروض المعطار: ١٠٤.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٥٦؛ والروض المعطار: ١٠٤.
(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٥٦؛ والروض المعطار: ١٠٤ والهامش.

بنبلونه Pamplona:

مدينة، يلفظ اسمها بفتح الباء الموحّدة من تحت، وسكون النون، وضم الباء الموحدة واللام، ثم واو ساكنة، ونون مفتوحة، وهاء[1]. جعلها قسطنطين من مدن الجزء الثالث[2]، وتقع في سهل ريوخة Rioja عند المداخل الغربية من جبال البرت[3]. وتبعد بنبلونة عن سرقسطة مائة وخمسة وعشرين ميلاً، وهي بين جبال شامخة، وشعاب غامضة، قليلة الخيرات، أهلها فقراء جاعة لصوص، وخيلهم أصلب الدواب حافراً لخشونة بلادهم، ويسكنون على البحر المحيط في الجوف[4]. وهي عاصمة مملكة نبره (البشكنش)، ويعبرها نهر أرغه، أحد روافد نهر الإيبره[5].

فتح بنبلونه عقبة بن الحجاج السلولي الذي ولي الأندلس خلال الفترة ١١٦-١٢١هـ/ ٧٣٤ - ٧٣٨م)، فقد ذكر صاحب أخبار مجموعة أنه "افتتح حتى بلغ أربونة، وافتتح جليقية وألبة وبنبلونه"[6]. وذكر ابن عذاري أن عقبة كان يجاهد المشركين كل عام، ويفتتح المدائن "وهو الذي فتح مدينة أربونة، وافتتح جليقية وبنبلونة"[7]. وكانت بنبلونة من أوائل المناطق التي استقلت عن الحكم الإسلامي[8]، ومنذ استقلالها عنه أصبحت ميدان جهاد للمسلمين.

---

(١) أبو الفدا، معجم البلدان، ذكر جزيرة الأندلس: ١٨٠.
(٢) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٢.
(٣) المقري، نفح الطيب: ١/٣٤٥.
(٤) الحميري، الروض المعطار: ١٠٤.
(٥) القلقشندي، صبح الأعشى: ٥/١٨١.
(٦) مجهول، أخبار مجموعة: ٢٧-٢٨.
(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٩.
(٨) المقري، نفح الطيب: ١/٣٤٥ الهامش.

أصبحت بنبلونه بعد أن احتلها النصارى عاصمة نبره (بلاد البشكنش)، وقد بدأ الحملات الجهادية إليها الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل، ومن جاء بعده من الأمويين، ففي سنة ٢٢٩هـ/٨٤٣م أرسل الأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م) حملة بقيادة ابنه محمد، فتقدم إلى بنبلونه "فأوقع بالمشركين عندها، وقتل غرسية صاحبها، وهو من أكبر ملوك النصارى"[1].

وفي سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م قاد الأمير محمد الأول (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) جيوشه إلى بنبلونه، وكان يحكمها حينئذ غرسية بن وَنَقُه، فعاثت الجيوش في نواحي بنبلونة "ورجع وقد دخلها، وفتح كثيراً من حصونها"[2]. وفي سنة ٢٦٣هـ/٨٧٦م أغزى الأمير محمد ابنه المنذر إلى دار الحرب، ثم أغزاه في السنة التالية إلى بلاد بنبلونه "فدوّخها ورجع"[3].

وعندما ولي عبد الرحمن الناصر أمر الأندلس (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)، وأظهر ما أظهر من القوة والحزم ومدافعة النصارى جاءه ملوكهم يخطبون وده، فقد "وصل إلى سدته الملوك من أهل جزيرة الأندلس المتاخمين لبلاد المسلمين... والتمسوا رضاه" وكان بينهم صاحب بنبلونة[4]، شانجة بن غرسيه، غير أن معظم ملوك النصارى ما لبثوا أن نقضوا عهودهم، إذ حشد ملك الجلالقة في سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م، وهو أردون بن أذفونش جيوش النصارى "من حد بنبلونه إلى سيف البحر من أقصى جليقية، واجتمع له نحو ستين ألفاً، وأخذ يتقدم لحصار مدينة ماردة[5]، كما أن صاحب بنبلونه أوقع بأهل مدينة تطيلة من الثغر الأعلى[6]. فاستعد عبد الرحمن الناصر للجهاد في بلادهم، وخرج إليهم سنة

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٣٤٥/١.
(٢) المقري، نفح الطيب: ٣٥١/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٩٧/٢.
(٣) المقري، نفح الطيب: ٣٥١/١.
(٤) المقري، نفح الطيب: ٣٥٤/١.
(٥) ابن حيان، المقتبس: ١٢٠/٥.
(٦) المصدر نفسه: ١٢٤/٥، ١٤٢.

٣٠٨هـ/٩٢٠م. وكان صاحب جليقية وصاحب بنبلونه قد استمدا بمن جاورهما من أهل تلك الأطراف ومن والاهما من أهل الكفر[(١)]. وقد تمكن الناصر لدين الله من رد كيدهم إلى نحورهم[(٢)].

واستأنف شانجة بن غرسيه الحرب ضد المسلمين في سنة ٣١١هـ/٩٢٣م حيث حاصروا بَقَيْره، وتغلبوا على أميرها محمد بن عبد الله بن لُـبّ القسوي، وأسروه وقتلوه[(٣)]، فوجه عبد الرحمن الناصر لدين الله لقتاله مولاه عبد الحميد بن بسيل، فقاتله، وكسر شوكته[(٤)].

وخرج الخليفة عبد الرحمن الناصر بنفسه سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م في غزوته التي يسميها ابن حيان: غزوة بنبلونه[(٥)]، وفي هذه الغزوة "دخل دار الحرب، ودوّخ البسائط، وفتح المعاقل، وخرّب الحصون، وأفسد العمائر، وجال فيها، وتوغل في قاصيتها، والعدو يحاذيه في الجبال والأوعار، ولم يظفر منه بشيء"[(٦)]. وكان الناصر في طريقه إلى بنبلونة في تلك الغزوة قد استنزل كثيرين من الثوار مثل: عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن وضاح، والشيخ الخزاعي الأسلمي، وعامر بن أبي جوشن بن ذي النون الهواري، وغيرهم[(٧)].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ١٦٠/٥.
(٢) انظر التفاصيل: المصدر نفسه: ١٦٥/٥ وما بعدها.
(٣) المصدر نفسه: ١٨٦/٥-١٨٧.
(٤) ابن حيان، المقتبس: ١٨٧/٥-١٨٨.
(٥) المصدر نفسه: ١٨٩/٥.
(٦) المقري، نفح الطيب: ٣٦٣/١؛ وانظر التفاصيل: ابن حيان، المقتبس: ١٨٩/٥ وما بعدها؛ والعذري، نصوص عن الأندلس: ١٢-١٣.
(٧) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٢ وما بعدها.

وبعد وفاة شانجة بن غرسيه قومس بنبلونه قام بأمرها بعده ابنه غرسيه، وكان طفلاً، فكفلته أمه طوطه Teoda التي بادرت إلى عقد معاهدة مع الخليفة عبد الرحمن الناصر، غير أنها نقضتها سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م "فغزا الناصر بلادها، وخرب نواحي بنبلونه"[١].

وقد تمكن ولاة الخليفة الناصر لدين الله على سرقسطة من إلحاق الهزائم المتلاحقة بأهل بنبلونة، ومن ذلك قيام يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي بقتل كثيرين منهم سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م[٢].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١/٣٦٣.

(٢) ابن حيان، المقتبس: ٥/٤٥٢.

البنية Al-Buniyya:

حصن ومدينة صغيرة تقع إلى الشمال من مدينة الجزيرة الخضراء القديمة، ويفصل بينهما نهر العسل[1]. وتسمى الجزيرة الخضراء الجديدة (Algecira La Nueva). وقد اختلف المؤرخون في تاريخ بنائها، فقد ذكر ابن خلدون أنها بنيت في عهد السلطان المريني أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م[2]، بينما يحدد مؤرخون آخرون تاريخ بنائها بسنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م. كما ورد في تاريخ الفونس العاشر أن بناءها كان سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م عندما تخلى الإسبان عن حصار الجزيرة الخضراء، وكان الإسبان أثناء ذلك الحصار قد شرعوا في بناء بعض المباني حول الجزيرة الخضراء، فأكمل المسلمون بناءها، وبذلك أُنشئت الجزيرة الخضراء الجديدة أو البنية للحيلولة دون تعرض المدينة القديمة لحصار جديد[3].

سقطت البنية مع الجزيرة الخضراء القديمة في يد الفونس الحادي عشر سنة ١٣٤٤م، وظلت في يد الإسبان حتى استعادها سلطان غرناطة محمد الخامس (الغني با لله) سنة ٧٧١هـ/١٣٦٩م، وقام بتدميرها للحيلولة دون استخدامها من قبل الإسبان في حصار جديد[4]. وتجدر الإشارة إلى أن الانجليز احتلوا البنية سنة ١٧٠٤م، واستبدلوا بسكانها الهاربين سكاناً من القرى المجاورة.

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ١١٧.

(٢) Ibn Jaldün, Historie de Berberers, tra, Slane, IV, Paris, 1975, p. 81.

(٣) Cronica de don Alfonso X, Biblioteca de Autores Rivadeneyra, LVI, Madrid, 1875, Caps. LXIX, LXXy, LXXII, p. 53, 57.

(٤) Ibn Jaldün, Historie de Berberes, pp. 380-381.

ألبُونْتُ Alpuente:

حصن، ذكره ياقوت في موضعين بلفظين متقاربين، أولهما بلا واو، وقال: "بُنْت بالضم ثم السكون، وتاء مثناة: بلد بالأندلس..."[1]. وثانيهما بواو، وقال: "ألبونت: بالضم، والواو والنون ساكنان، والتاء فوقها نقطتان: حصن بالاندلس"[2]. وذكره بالواو كل من: ابن حزم والحميري وابن سعيد والمقري[3] وابن عذاري[4].

وحصن (أو قرية) ألبونت من أعمال بلنسية[5]، يقع إلى الشمال الغربي منها[6]. وهو يشتهر بحجر يسمى حجر اليهودي الذي يذكر المقري أنه "أنفع شيء للحصاة"[7]. ويعد معقلاً من المعاقل الرفيعة، والشواهق المنيعة[8].

وسكن حصن ألبونت بعد الفتح بنو قاسم، وهم من بني زُواوة من بيوتات البربر بالأندلس، وقد انتموا إلى الفهريين بالحلف[9]. وقد استقلّوا فيها بعد الفتنة، وأولهم أبو محمد عبد الله بن القاسم الفهري الذي التجأ إليه هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر (المعتد بالله)[10]، فقدمه للخلافة، حيث بويع بها في الحصن سنة ٤١٨هـ/

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٤٩٨/١.
(٢) المصدر نفسه: ٥١١/١.
(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٥٠١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٥٦؛ ابن سعيد، المغرب: ٣٩٥/٢؛ المقري، نفح الطيب: ١٤٢/١، ٢٤٣/٢.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٢٧/٣.
(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٥٦؛ ياقوت، معجم البلدان: ٤٩٨/١، ٥١١.
(٦) المقري، نفح الطيب: ١٤٢/١، ج٧.
(٧) المصدر نفسه: ١٤٢/١.
(٨) ابن سعيد، المغرب: ٣٩٥/٢.
(٩) ابن حزم، جمهرة انساب العرب: ٥٠١.
(١٠) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٢٧/٣، ١٤٥.

١٠٢٧م، وظل في ضيافة ابن القاسم الفهري نحو سنتين وسبعة أشهر قبل أن ينتقل إلى قرطبة[(١)].

وظل أبو محمد عبد الله بن القاسم الفهري يحكم ألبونت إلى أن توفي سنة ٤٢١هـ/١٠٣٠م[(٢)] فخلفه ابن محمد، وتلقب (عين الدولة) "فحذا حذو أبيه، ومنع رياسته ممن يليه"[(٣)] إلى أن توفي سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م[(٤)] فخلفه ابنه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الفهري، وهو "رجل زَهت به الرياسة والتدبير"[(٥)]. وقد تلقب (جماح الدولة)، وظل يحكم الحصن إلى أن استولى عليه المرابطون في عهد الأمير يوسف بن تاشفين سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م[(٦)].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٤٥/٣.

(٢) المصدر نفسه: ٢١٥/٣؛ المقري، نفح الطيب: ١٦٠/٣، ج٤؛ وانظر: ابن سعيد، المغرب: ٣٩٥/٢.

(٣) ابن سعيد، المغرب: ٣٩٦/٢.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢١٥/٣.

(٥) ابن سعيد، المغرب: ٣٩٦/٢.

(٦) المصدر نفسه: ٣٩٦/٢.

بَيّارَة Bayyarra :

مدينة، ذكرها الحميري وقال "قريبة من بلكونة، بينهما عشرة أميال، وكان ميناها على النهر الأعظم معقودا بالرصيف، وكانت الحجة العظمى عليها من باب نربونة إلى بابها إلى باب قرطبة، وحنيّة بابها باقية لم تتثلّم، وهي عالية، لا يدرك أعلاها فارس بقناته"[1].

---

[1] الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٥٦.

بَيَّاسَــة Baeza:

مدينة، يلفظ اسمها بياء مشددة[١]. تقع على نهر الـوادي الكبـير Guadalquivir أشـهر أنهار الاندلس[٢]، حيث تطل عليه من فوق "كدية من تـراب"[٣] أقيمـت فوقهـا. وهـو نهـر شديد الانحدار، ولكنه عندما يصل إلى بياسة يقل انحداره، وتجري في منطقة سهلة[٤].

تعتبر بياسة من أعمال جيّان، وتبعد عنها عشرين ميلاً "وكل واحدة منهما تظهـر مـن الأخرى"[٥]. وتبعد عن مدينة أبدة إلى الشمال الشرقي منها سبعة أميال[٦].

وبياسة مدينة طيبة الأرض[٧]، تحيط بها الأسـوار، وتكـثر فيهـا الأسواق والمتـاجر[٨]. وتجود في أراضيها الزروع والأشجار، وخاصة الزعفران الذي يحمل منها إلى أنحـاء الاندلـس وغيرها[٩]، فقد أشار المقري إلى أنه "يسفّر براً وبحراً"[١٠].

فتح بياسة - على الأرجح - طارق بن زياد سـنة ٩٢هــ/٧١١م، فبعـد انتصاره على لذريق ملك القوط في معركة وادي لكُه في شوال من سـنة ٩٢هــ/ تمـوز ٧١١م بعـد ثمانية أيــام مــن القتال[١١]، فـــرق جيوشه مـــــن إستجة لفتح قرطبة ومالقة

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٥١٨/١.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٨/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٥٧؛ حتاملة، ايبيريا: ٨٠-٨١.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٨/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٥٧.

(٤) حتاملة، ايبيريا: ٨١.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٥٧؛ المقري، نفح الطيب: ١٦٥/١؛ وانظر: البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٦٤.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٩/٥؛ المقري، نفح الطيب: ١٤٢/١، ج٩.

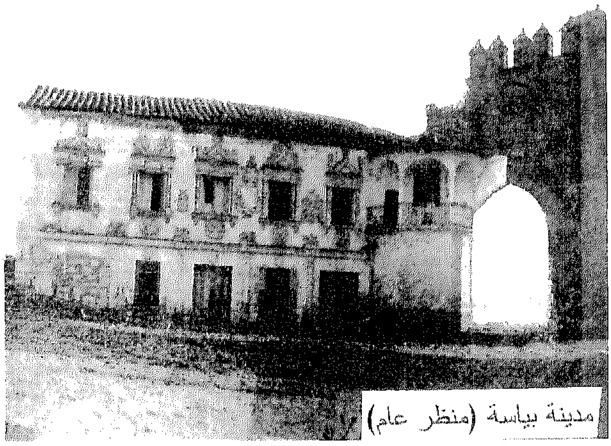
(٧) ابن سعيد، المغرب: ٧١/٢.

(٨) ابن سعيد، المغرب: ٧١/٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٩/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٥٧.

(٩) ابن سعيد، المغرب: ٧١/٢؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٥٧؛ ياقوت، معجم البلدان: ٥١٨/١.

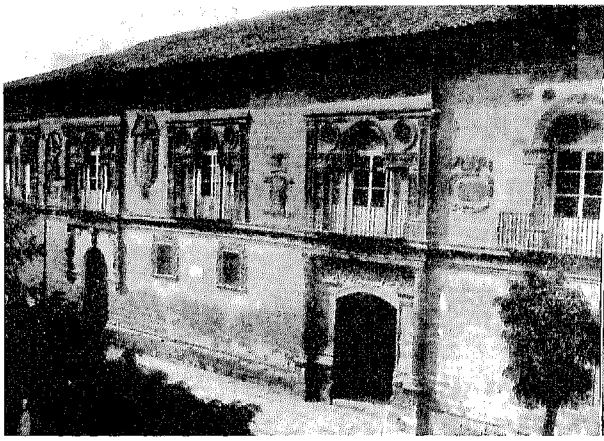
(١٠) المقري، نفح الطيب: ٢١٧/٣.

(١١) ابـن الخطيـب، الإحاطـة: ١٠٠/١؛ الحمـيري، صفـة جزيـرة الاندلـس: ١٩٣؛ المقـري، نفـح الطيـب: ٢٤٩/١-٢٥٠؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٤٧-٤٨.



مدينة بياسة (منظر عام)

Baeza.—Casa del Pópulo: Vista general *(Foto Baras)*



Baeza.—Ayuntamiento *(Foto Baras)*

مدينة بياسة (البلدية)



بياسة (قوس بوبلو)

Baeza.—Detalle del Arco del Pópulo. *(Foto Checa)*

وغرناطة، بينما توجه هو إلى كورة جيان ففتحها[1] ، وبياسة هي إحدى مدن هذه الكورة.

ونزل في كورة جيان، بما فيها بياسة، جند قنّسرين، أنزلهم فيها والي الاندلس أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي (١٢٥-١٢٨هـ/٧٤٣-٧٤٦م)[2] .

ثار في بياسة سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م محمد بن يحيى بن سعيد بن بزيل، فغزاه الأمير الأموي العاصي بن عبد الله بن محمد الأول (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) وأعاده إلى الطاعة[3] .

وعندما دالت دولة بني أمية في قرطبة قامت على أنقاضها في قرطبة دولة بني جهور، وكانت بياسة إحدى مدنها[4] . ثم آلت بياسة إلى حكم زهير العامري الذي استولى هو والفتيان العامريون الآخرون على معظم قواعد شرقي الاندلس. وقد تمكن زهير بعد وفاة خيران العامري صاحب المرية سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م من بسطة شمالاً حتى بياسة وقرطبة[5] . وقد استولى باديس بن حبوس بن ماكسن صاحب غرناطة على مدينة بياسة التي كانت عندئذ من أملاك علي بن مجاهد العامري الملقب (إقبال الدولة)، وظلت تحت حكم باديس إلى أن توفي سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م[6] . وفي سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م استولى المرابطون على بياسة بعد فتحهم قرطبة في ثالث صفر من تلك السنة[7] .

---

(١) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/١٠١؛ المقري، نفح الطيب: ١/٢٦١.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/١٠٣ حيث يذكر أن الذين أنزلهم أبو الخطار في كورة جيان هم جند الأردن؛ المقري، نفح الطيب: ١/٢٣٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٤٥.

(٤) انظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٨٥ وما بعدها؛ عنان، دول الطوائف: ٢١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٦٩.

(٦) المصدر نفسه: ٣/١٥٧؛ عنان، دول الطوائف: ١٣٦-١٣٧.

(٧) الناصري، الاستقصا: ٢/٥٤؛ عنان، دول الطوائف: ٣٣٨؛ السامرائي، علاقات المرابطين: ١٦٦.

وتعرضت بياسة سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م لاعتداء النصارى فبادر إلى مواجهتهم عبد الله ابن مزدلي، صاحب غرناطة، على رأس قوة مرابطية، ولكن النصارى هزموه "واستشهد خلق من المسلمين كرمهم الله بالشهادة"[١]

ويذكر ياقوت أن النصارى احتلوا بياسة سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م وأخرجوا منها سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م[٢]. وظلت بياسة في أيدي الموحدين حتى سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، ففي تلك السنة "قتل الروم بياسة يوم عرفة من ذي حجتها"[٣]. وقد ذهبت بياسة ضحية خلاف بين عبد الله بن محمد بن عمر بن عبد المؤمن وبين عبد الله العادل بن المنصور، فقد أدخل عبد الله المعروف بالبياسي جيوش ملك قشتالة ألفونسو التاسع مستغيثاً به ضد العادل، فدخلت قواته بياسة واحتلتها[٤].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٦١/٤.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٥١٨/١.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٥٧ وانظر: الناصري، الاستقصا: ٢٣١/٢.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٥٧ـ١٥٩؛ وانظر أيضاً: الناصري، الاستقصا: ٢٣١/٢.

بَيَّانَـــة Baena:

مدينة، ذكر ياقوت أنها قصبة كورة قبرة[1]. وقال الحميري إنها مـن مدنهـا[2]. ومـن أعمال قرطبة، وبينهما ثلاثون ميلاً[3]. وتقع على يمين الطريق الذاهـب إلى قرطبـة، وشـرقي قبرة. وبينها وبين قبرة عشرة أميال[4].

وبيانة مدينة كبيرة حصينة تقع على ربوة تكتنفها أشجار وأنهار[5]، وهي "كثيرة المياه السائحة، ولها حصن منيع، وبها جامع بناه الإمام عبد الرحمن ومنبر"[6]. ويذكر الحمـيري أنها "كانت قبل الفتنة من غرر البلدان، وكان بها أسـواق عـامرة، وحمامـات، وهـي كثـيرة البساتين، والكروم والزيتون"[7].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ٥١٨/١؛ وانظر: ابن حيان، المقتبس: ٢٨٥/٥.
(2) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٥٩.
(3) المصدر نفسه: ٥٩؛ ياقوت، معجم البلدان: ٥١٨/١.
(4) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٥٩؛ وابن الخطيب، الاحاطة: ٢٠٣/١، ج ٨.
(5) ياقوت، معجم البلدان: ٥١٨/١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٥٩.
(6) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٥٩.
(7) المصدر نفسه: ٥٩.

بَيْرَان Bayran :

قرية، قال ياقوت "من نظر دانية"[1]. وعدّهـا الحميري حصناً ولم يحدد مكانـه[2]، وأشار إلى أن ابن الآبار مدح السيد أبا زيد عند انقياد أهلها لابنه السيد أبي يحيى أبي بكر سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م بقصيدة ذكر فيها أن في بيران قلعة، إذ قال[3] :

لله قلعـــــة بيران وعزتهـــا   على الأعاصير في ماضي الأعاصير

مدّت إليك أبـــا زيد بطاعتها   يداً مخافة صولٍ منك مشهــورِ

فجدت جودك بالنعمى بما سألت   من الأمان لها طلق الأساريــر

يُنسب إلى بيران أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد الرزاق البيْراني النفزي، قدم الشرق حاجاً ولقي السلفي، وأنشده وقال: رأيت أبا الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني بدانية من مدن الأندلس[4].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١/٥٢٤.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٦٠؛ والروض المعطار: ١٢١.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٦٠؛ والروض المعطار: ١٢١.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ١/٥٢٤.

بَيْـرَة Vera:

بلدة، يلفظ اسمها بفتح الباء[١]، وبفتحها وردت لدى العـذري[٢]، أمـا ابـن الخطيـب فقد أوردها بالكسر في أكثر من مصنف[٣].

تقع بيرة في الشمال الشرقي من ولاية ألمرية على مقربة من البحر[٤]، وتشرف عليه من على ربوة مرتفعة[٥]. وكانت تعتبر أقصى حدود المسـلمين الشـمالية الشـرقية في عهـد مملكـة غرناطة[٦].

وبيرة، بلدة حصينة، وقد اكسبتها حصانتها وموقعها أهميــة حربيــة[٧]، ولهـا مرسـى لرسوّ السفن[٨]. وأراضي هذه البلدة خصبة، وأكثر مزروعاتها الحبـوب، وخاصـة الشـعير[٩]. وقد وصفها ابن الخطيب بأنها "بلدة صافية الجو، رحيبة الدوّ (الفضاء)، يسرح بها البعير، ويجمّ بها الشعير"[١٠]. وأكثر تجارتهـا مـع مدينـة مُرسـية، حيـث كـانت تقصدهـا القوافـل التجارية من تلك المدينة لابتياع البضائع، وخاصة الحبوب[١١].

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٥٢٦/١.
(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ٣، ١٠.
(٣) ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠٩/١، ٥٠٩؛ معيار الاختيار: ٥٨.
(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٥٢٦/١؛ عنان، نهاية الاندلس: ١١٢.
(٥) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٩٠، ج ١٣٥.
(٦) ابن الخطيب، مشاهدات: ٤٠، ج١.
(٧) ابن الخطيب، مشاهدات: ٤٠، ج١؛ معيار الاختيار: ٩٠، ج١٣٥؛ وانظر: عنان، نهاية الاندلس: ١١٢، ج١.
(٨) ياقوت، معجم البلدان: ٥٢٦/١.
(٩) ابن الخطيب، مشاهدات: ٤٠.
(١٠) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٨.
(١١) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٨.

ولبيرة وادٍ "نيليّ الفيوض والمدود، مصري التخوم والحدود، إن بلغ إلى الحد المحدود، فليس رزقه بالمحصور ولا بالمعدود"[1]. وهي مع ذلك قليلة المطر[2].

ويبدو أن أسوار البلدة كانت متهدمة، فقد ذكر ابن الخطيب أنها "مثلومة الأعراض والأسوار، مهطعة لداعي البوار... كثيرة المشاجرة والشرور، بُرها أنذر من برها في المعتمر والبور"[3]. وأشار إلى أن أهلها لم يكونوا حريصين على الصلاة وشعائرها[4]، على الرغم من أن فيها مسجداً جامعاً "لم يُر مسجد أتقن منه على صغره"[5]. وقد ذكر العذري أن هذا المسجد من بناء محمد بن مسلمة الحجري، وقد فرغ من بنائه في جمادى الأولى من سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م[6]. وهذا المسجد "في محرابه سبع سواري من رخام مجزّع لم ير مثلها أصلاً، وفي البابين القبلية أيضاً ست سواري مثلها في الإتقان والجمال. وفي المسجد أربع عشرة سارية أكبر من المذكورة، منها ثلاثة سواري بيض غاية الجمال، والباقية مجزّعة لا يُعرف لها مثال"[7].

كانت بيرة في عهد مملكة غرناطة إحدى البلدات التابعة لولاية ألمرية[8]. وقد تعرضت قبل إنشاء تلك المملكة لاعتداءات النصارى، إذ هاجمها في شعبان من سنة ٥١٥هـ/١١٢١م ألفونسو الأول، ملك أراغون، واجتاح أراضيها في طريقه لغزو مدينة غرناطة[9]. وتجدر الاشارة إلى أنه لم يظفر بطائل في هذه الغزوة[10].

(١) ابن الخطيب، المصدر نفسه: ٥٨.
(٢) المصدر نفسه: ٥٨.
(٣) المصدر نفسه: ٥٨.
(٤) المصدر نفسه: ٥٨.
(٥) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٠.
(٦) المصدر نفسه: ١١.
(٧) المصدر نفسه: ١١.
(٨) عنان، نهاية الأندلس: ٤٧.
(٩) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/١٠٩.
(١٠) المصدر نفسه: ١/١٠٩-١١٠.

وتعرضت بيره في عهد ملك غرناطة أبي عبد الله محمد بن اسماعيل (٧٢٥-٧٣٣هـ/ ١٣٢٥-١٣٣٣م) لاعتداء النصارى القشتاليين بقيادة ملكهم ألفونسو الحادي عشر، وقد استولوا عليها في سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، حيث استغل الملك النصراني الفتن الداخلية التي كانت قائمة بين المسلمين آنئذ، فوجه جيوشه، واستولى على بعض الحصون، منها بيرة[1]. ثم أحكم ملك قشتالة قبضته على بيره بعد سقوط مالقة في أيدي النصارى سنة ٨٩٢هـ/ ١٤٨٧م[2]، ففي سنة ٨٩٣هـ/١٤٨٨م خرج فرناندو الخامس إلى المناطق الشمالية الشرقية حيث توجد بيرة وغيرها من البلدات والقرى والحصون، واستولى عليها على الرغم من أن أهلها كانوا داخلين في الصلح الذي كان معقوداً بين ملك قشتالة وملك غرناطة أبي عبد الله الصغير[3].

بَيْطَرَة Baitra:

ضبطها ياقوت بالفتح والطاء المهملة، وقال: اسم لثلاثة مواضع بالأندلس: بيطرة شلج (بالشين معجمة والجيم): حصن منيع من أعمال وشقة، وبيطرة لُش: حصن آخر من أعمال ماردة، وبيطرة: بلدة وحصن من أعمال سرقسطة[4].

---

(١) ابن الخطيب، المصدر نفسه: ٥٣٦/١؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، نهاية الاندلس: ١١٢.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٥٢١/٤؛ مجهول، نبذة العصر: ٢٤-٢٥.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٥٢١/٤؛ مجهول، نبذة العصر: ٢٥؛ وانظر أيضاً: عنان، نهاية الاندلس: ٢٠٩.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٥٣٢/١.

بيغو Vigo :

بكسر الباء وسكون الياء، والغين معجمة[(١)]، مدينة من عمل غرناطة[(٢)]. خلطت بعض المصادر بينها وبين باغُه° الواقعة في جيان. وقد ذكرت المصادر أنها كثيرة المياه والزيتون والفواكه، ويجود فيها الزعفران[(٣)].

ذكر الحميري أن عبد صاحب بياسة من بني عبد المؤمن بن علي، وهو المعروف بالبياسي استدعى النصارى "عندما نزل عليه العادل ببياسة، فحاصره فأقلع عنه دون شيء، فلما لم يجد في المسلمين كبير إعانة استدعى النصارى فوصلوا إليه، فسلم إلى الفُنْش (الفونس) بياسة، وجازى أهلها شر الجزاء، بعدما آدوه ونصروه، فأخرجهم منها وسار مع الفونس ليأخذ معاقل الإسلام باسمه، فدخل قَيْجاَطة من عمل جيان بالسيف، وقتل العدوّ فيها خلقاً كثيراً وأسر آخرين... ثم سار إلى بيغو هذه فأطال مع الفونس حصارها إلى أن دخل البلد بعد شدة، وصالحه أهل القلعة، وما زال أمره يقوى إلى أن احتوى على قرطبة ومالقة وكثير من معاقل هاتين القاعدتين وبلادهما... وكان ذلك في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م"[(٤)].

---

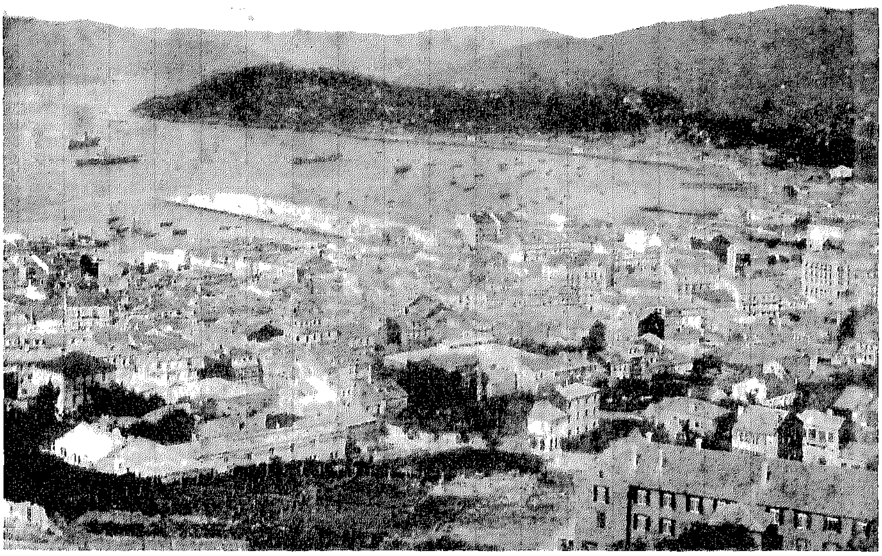
(١) ياقوت، معجم البلدان: ٥٣٢/١.

(٢) المصدر نفسه: ٥٣٢/١.

° انظر مادة (باغة) في هذه الموسوعة.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٥٣٢/١؛ المقري، نفح الطيب: ١٤٩/١.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٦٠-٦١؛ والروض المعطار: ١٢٣.



Vigo. – Vista general

مدينة بيغو (منظر عام)

مدينة بيغو (بوابة الشمس)



Vigo. – Puerta del Sol

التــــاء

تَارَة Tara :

قرية، ذكرها الحميري والعذري، ووصفاها بعبارات متشابهة، وهي من قرى لورقة، وفيها "عين تخرج من حجر صلد تجري في قناة منقورة في الحجر نحو ميلين في عمق القامة، ثم يتصل بنقب في الحجر الصلد ومناهر مفتوحة إلى أعلى الجبل لدخول الضوء، ثم يفضي إلى بيت في داخل الجبل ظليم ممتلئاً ماءً. والجبل كله واقف على أرجل، ومن دخل إليه لا يعلم ما وراء تلك الأرجل"[1].

---

(1) العذري، نصوص عن الأندلس: ٣ والهامش ١٣١؛ الحميري، الروض المعطار: ٥١٣؛ وصفة جزيرة الأندلس: ١٧٢ حيث وردت بالزاي (تازة).

تَاكُرُنَّا Taquerna :

مدينة، ذكر ياقوت ـ نقلاً عن السمعاني ـ أن اسمها يلفظ بضم الكاف والراء، وتشديد النون[١]، ووصفها بأنها "كورة كبيرة بالأندلس ذات جبال حصينة، يخرج منها عدة أنهار ولا تدخلها، وفيها معقل رندة"[٢]. ومدينة تاكرنا بالقرب من استجّة[٣]، وهي قديمة إليها تُنسب الكورة، وبها بلاط من بُنيان الأول لم يتغيّر[٤]. وتقسم الكورة قسمين "فما كان حوالي استجة ـ يدعى إقليم السهل، وما كان حول تاكرنا كان يدعى إقليم الجبل"[٥]. وقد ذكر المقري أنها من أعمال قرطبة، ونسب إليها أبا الروح عيسى بن عبد الله الحميري التاكرني الذي وُلد فيها[٦]. ومن مدن كورة تاكرنا أيضاً: رُندة[٧].

ذكر الحجاري أن تاكرنا كانت قصبة ثم خربت[٨]، ويتفق موقعها مع ما ذكره الدكتور حسين مؤنس من أنها كورة جبلية صغيرة جنوب الوادي الكبير، وأنها اسم آخر لكورة رندة، وعُرفت جبالها بجبال الصوف لكثرة ما يجلب منها من الصوف[٩]، وقد تغلب عليها بنو يفرن لأول الفتنة[١٠].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢/٦.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٧.
(٣) الحميري، الروض المعطار: ١٢٩؛ ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٢٨.
(٤) الحميري، الروض المعطار: ١٢٩.
(٥) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٢٨.
(٦) المقري، نفح الطيب: ٢/٦٠٦ـ٦٠٧.
(٧) الحميري، الروض المعطار: ١٢٩.
(٨) مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين: ١٥٩.
(٩) المرجع نفسه: ٣٧٥.
(١٠) ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ٢٣٨.

ينسب إلى تاكرنا أبو عامر محمد بن سعد التاكرني الكاتب الأندلسي، كان من الشعراء البلغاء[1].

تُجُنْيَة Tuyunia :

بلد، ذكره ياقوت ولم يحدد موقعه، وضبط اسمه بضم أوله وثانيه، وسكون النون، وياء مفتوحة، وهاء[2]. يُنسب إلى تجنية: قاسم بن أحمد بن أبي شجاع أبو محمد التجني، له رحلة إلى المشرق كتب فيها عن أحمد بن سهل العطار وغيره[3].

(1) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٢٨؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢/٧.
(2) ياقوت، معجم البلدان: ٢/١٦.
(3) المصدر نفسه: ٢/١٦.

تُدْمِير Teodmiro :

كورة، تلفظ بالضم ثم السكون، وكسر الميم، وياء ساكنة، وراء[1]. سُميت بهذا الاسم باسم حاكمها تُدمير بن غبدوش[2] أو غندريس[3]. وتقع في شرقي الأندلس إلى الشرق من قرطبة، وتتصل أحوازها بأحواز كورة جيان، وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد، وتقابلها في البحر المتوسط جزر البليار (الجزائر الشرقية) ميورقة، ومنورقة، ويابسة[4].

كانت تُدمير تسمى قرطاجنة الحلفاء في عصر تدمير بن غندريس، وتضم كورة تدمير سبع مدن دخلها عبد العزيز بن موسى بن نصير صلحاً، وهي: أوريوله (القاعدة)، وبَلَنْتَلَة، ولقنت، ونوله، وبلاّنة، وألّهْ، ولورقة[5].

وتدمير متناهية في كرم البقعة، وطيب الثمرة، وأرضها تسقى بنهر يجري إلى الشرق، وهو أشبه بنهر النيل بمصر، وقد سميت مصر لكثرة شبهها بها[6]. ويكثر في تدمير معدن الفضة، وحجر اللازورد الجيد، ومعدن الرصاص، وفيها أيضاً عين ماء "ما أطيبها حلاوة وخفة... وطعامها يبقى تحت الأرض خمسين عاماً وأكثر ولا يتغير"[7].

أنزل والي الأندلس أبو الخطار حسام بن ضرار الكلبي (١٢٥-١٢٨هـ/٧٤٣-٧٤٦م) في تدمير جند مصر، وعندما بُنيت مدينة مُرسية سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م في عهد الأمير الأموي عبد

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١٩/٢؛ ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٣٠؛ الحميري، الروض المعطار: ١٣١.
(٢) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٣٠.
(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ٤.
(٤) ياقوت، معجم البلدان: ١٩/٢.
(٥) العذري، نصوص عن الأندلس: ٥؛ الحميري، الروض المعطار: ١٣٢؛ ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٣٠.
(٦) العذري، نصوص عن الأندلس: ٤؛ المقري، نفح الطيب: ١٣١/١، ١٦٤.
(٧) العذري، نصوص غن الأندلس: ٢؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ١٢٧؛ المقري، نفح الطيب: ١٤٢/١.

الرحمن الثاني الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) اتخذت داراً للعمال وقراراً للقادة، وكان الذي تولى بناءها جابر بن مالك بن لبيد[1]، وبذلك انتقلت قاعدة تدمير أوريولة إلى مرسية. ويذكر العذري أن زلزالاً ضرب تدمير عدة مرات سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م فهدم الدور والصوامع، كما هدم جامع أوريوله[2].

تضم كورة تدمير أقاليم كثيرة ذكرها العذري، ومنها: إقليم لُورقة، وإقليم مرسية، وإقليم العسكر، وإقليم جبل بُقصْره القلعة، وإقليم ابن الجايع، وإقليم مُوْره، وإقليم بالش، وغيرها[3].

كانت تدمير موطناً لكثير من الثائرين على بني أمية، منهم عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري المعروف بالصقلبي، الذي احتل بالكورة سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م "فغزاه الأمير عبد الرحمن (الداخل)، فهرب ابن حبيب وتعلّق بالوعر، فجال العسكر في كورة تدمير"[4]، بينما تحصن الصقلبي بجبال بلنسية، ثم اغتاله رجل من البربر وقدم على الأمير عبد الرحمن برأسه[5].

وثار بتدمير ديسم بن اسحاق، وملك لورقة وغلظت شوكته، وكثر أتباعه، فخلع طاعة السلطة المركزية، وحارب أهل الطاعة. واستغل معادن الفضة بتدمير في ضرب الدراهم باسمه، وكان موالياً للثائر عمر بن حفصون. وقد توفي ديسم سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م[6].

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ٦.
(٢) المصدر نفسه: ٨.
(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٠.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٦/٢.
(٥) العذري، نصوص عن الأندلس: ١١.
(٦) انظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٨/٢ وما بعدها، العذري، نصوص عن الأندلس: ١١-١٢.

وثار في تدمير بعد ديسم ابناه أمية وعبد الله[1]، وثار فيهما بعدهما عبد الرحمن بن وضاح، فحاربه الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث الناصر سنة ٣١٢هـ/٩٢٤م "حتى أناب وأذعن، واستأمن على الخروج من لورقة، والرحيل إلى قرطبة، فأجيب إلى ذلك، وانعقد أمانه"[2].

ثم ثار في كورة تدمير: محمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ الخزاعي الأسلمي، وقد أخضعه الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م[3].

وغلب البربر على كورة تدمير بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس، ثم غلب على شرق الأندلس خيران الصقلبي، وأخرج البربر من مدينة أوريولة وكورة تدمير كلها، وأصبحت خاضعة لطاعته سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وظلت كذلك إلى أن توفي[4].

وغلب على تدمير بعد خيران زهير الفتى "فخالفت عليه، ثم إنه غلب عليها، وطاعت له كلها إلى سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م. وصارت بلاد تدمير بعضها للمنصور بن الحسن عبد العزيز بن أبي عامر منها: مرسية ولورقة وما والاهما، وأوريولة وإلش وما والاهما إلى مجاهد (العامري) صاحب دانية..."[5].

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٢؛ وانظر: ابن حيان، المقتبس: ١٩٦/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٨٦/٢.

(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٣-١٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٦٦/٢؛ ابن حيان، المقتبس: ٢٣٨/٥.

(٤) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٦؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٩٧ الهامش.

(٥) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٦.

وضمت كورة تدمير إلى بلنسية ثم انفصلت عنها في عهد المرابطين. وفي أواخر عهد الموحدين استقل بها محمد بن يوسف بن هود المتوكل، وظلت كذلك إلى أن سقطت في يد ملك أرغون خايمي الأول سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٦م[١].

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٩٧ الهامش.

تَرْجَالَة Trujillo:

مدينة، ذكرها ياقوت بياء مثناة بعد الجيم (تُرجيلة)، وذكر أن اسمها يلفظ بـالضم ثـم السكون، وكسـر الجيـم، ويـاء سـاكنة ولام[1]. وبـالصورة نفسـها وردت عنـد ابـن حيـان[2]. وجاءت عند ابـن سـعيد بتـاء مضمومـة ولام مشـدّدة (تُرجلـة)[3]. وأكـثر ورودهـا في المصـادر الاسلامية: (تَرْجَالَة)[4].

وترجالة "من مدن الجوف (الشمال) المشهورة"[5]، قال ياقوت "...من أعمـال مـاردة، بينها وبين قرطبة ستة أيام غرباً، وبينها وبين سمورة من بلاد الفرنج ستة أيام"[6]، وموقعها بالتحديد غرب طليطلة في الشمال الشرقي من بطليوس، وفي الجنوب الشرقي من قاصرش[7].

وهي مدينة كبيرة[8] "كالحصن المنيع، لها أسوار، وأسواق عامرة"[9].

وقـد أشـار الإدريسـي والحمـيري إلى أن أهـل ترجالـة كـانوا يمضـون أعمـارهم في شـن الغارات على بلاد النصارى بما يشبه حروب العصابات[10]. وكان معظمهم من الـبربر، وقـد كثروا فيها بعد سنة ١٧٨هـ/٧٩٥م، ففي تلك السنة ثار البربر في تاكرنا على الأمـير الأمـوي هشام الأول (المرتضى) ابن عبد الرحمـن الداخـل (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) "وغـاروا علـى

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢٢/٢.
(٢) ابن حيان، المقتبس: ٣١٥/٥.
(٣) ابن سعيد، المغرب: ٣٧٧/١.
(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٦٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٠/٥؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٢٨٤؛ ابن خلدون، تاريخ: ٣٢٢/٦.
(٥) ابن سعيد، المغرب: ٣٧٧/١.
(٦) ياقوت، معجم البلدان: ٢٢/٢.
(٧) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٢٨٤، ج٢.
(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٠/٥.
(٩) المصدر نفسه: ٥٥٠/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٦٣.
(١٠) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥١/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٦٣.

الناس، وقتلوا وسبوا"[1]، وكان العرب هدفهم، فأرسل إليهم الأمير الأموي جيشاً هاجمهم بعد أن أنذرهم فرفضوا إنذاره، فقتل منهم عدداً كبيراً، وفر من بقي منهم، وهم كثر، إلى ترجالة[2].

وشارك أهل ترجالة في حركة ابن القط[3] سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م في عهد الأمير الأموي عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م). فقد خرج ابن القط على طاعة الأمير، ودعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، وانتشرت دعوته بين البربر، واستجاب لها كثير منهم ومن بينهم أهل ترجالة، وكان معظمهم من قبيلة نفرة، وقد زعم لهم أنه المهدي ناصر الدين وعاصم المسلمين، فانضموا إليه، وهاجموا أراضي النصارى، وخاصة مدينة سمورة (Zamora)، إلا أن حركته انتهت بمقتله على يد ألفونسو الثالث ملك قشتالة في ٢٠ رجب ٢٨٨هـ/١٠ تموز ٩٠١م[4].

وأصبحت ترجالة في عهد ملوك الطوائف مدينة ذنونية، إذ كانت إحدى مدن مملكة طليطلة لأصحابها بني ذي النون[5]. وظلت ترجالة في أيدي المسلمين حتى سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م، ففي تلك السنة قام مغامر برتغالي تدعوه المصادر الاسلامية باسم: جرانْدُه الجليقي[6] (Geraldo Sem Pavor el Gallego) بمهاجمة مدن غربي الأندلس، واستولى على عدد منها، من بينها ترجالة. فقد ملكها في السنة المذكورة[7].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٦٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢/١٦٤؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢١٥-٢١٦.

(٣) هو أبو القاسم أحمد بن معاوية بن محمد المعروف بالقط بن هشام بن معاوية ابن الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل، وكان محباً للعلم، ومن المهتمين بعلم النجوم ومعرفة الهيئة. انظر: ابن الأبار، الحلة السيراء: ٢/٣٦٨.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٤٠؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ١/٢٩٨-٣٠٣.

(٥) عنان، دول الطوائف: ٩٤.

(٦) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٢٧٤، ٢٨٧-٢٨٩.

(٧) ياقوت، معجم البلدان: ٢/٢٢؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢/١٩٩.

ويذكر ابن خلدون أن الخليفة الموحدي أبا يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/ ١١٨٤-١١٩٨م أغار سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م على بلاد الجوف (الشمال) "فافتتح حصوناً ومدناً وخربها كان منها ترجالة..."[١]. وكان أهلها النصارى عندما علموا بوجهته قد غادروها[٢]، وبذلك عادت إلى المسلمين.

ويذكر الحميري أن النصارى أعادوا احتلالها في سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، ففي تلك السنة "نزل الروم على ترجالة فحاصروها، فخرج إليهم محمد بن يوسف بن هود طامعاً في انتهاز فرصة فيهم فلم يمكنه ذلك، فرحل إلى إشبيلية وأخذ منها مراحله إلى ترجالة، فجاءه الخبر بأخذ الروم لها، فرجع إلى إشبيلية. وكان تملك الروم لترجالة في ربيع الأول من هذه السنة"[٣].

ترويل Teruel:

وردت في المقتبس: تيرُوال، حيث ذكرها ابن حيان في أخبار غزوة سرقسطة التي قادها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م[٤]، ويبدو أنها قرية، تقع شرق شنتمرية الشرق، وهي عاصمة محافظة تحمل اسمها[٥].

---

(١) ابن خلدون، تاريخ: ٢٤٥/٦.
(٢) سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢٤٨/٢-٢٥٠.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٦٣.
(٤) ابن حيان، المقتبس: ٣٥٩/٥.
(٥) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢١ والهامش ص ١٤٩؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٧١ الهامش.

تُطِيلَة Tudela:

مدينة، يلفظ اسمها بالضم ثم الكسر، وياء ساكنة، ولام[1]. وهي من مدن الثغر الأعلى، تقع على نهر الابرو Ebro على بعد ثمانية وسبعين كيلومتراً إلى الشمال الغربي من سرقسطة[2]. وتتصل بأعمال وشقة الواقعة جنوبها[3].

وتعتبر مدينة تطيلة من المدن المحدثة، فقد بناها الأمير الأموي الحكم الأول ابن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)[4]، ثم اتخذها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) قاعدة لبعض حملاته ضد النصارى سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م[5].

وتطيلة مدينة عظيمة طيبة الحرث والزرع، شريفة البقعة، غزيرة المياه، كثيرة الأشجار، كريمة التربة، يجود زرعها، ويدر ضرعها، وباشتهارها بكل ذلك يضرب بها المثل في الاندلس. ومن خواص أهلها أنهم لا يغلقون أبواب مدينتهم في الليل ولا في النهار، وقد انفردوا بهذه الخاصية من بين سائر البلاد[6].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٣/٢.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٩ الحاشية ٣؛ وانظر: الزهري، الجعرافية: ٨٢؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٠ الحاشية ١؛ المقري، نفح الطيب: ٣٤٥/١ الحاشية ٢؛ الحميري، الروض المعطار: ١٣٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ١٣٣؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣٣/٢؛ وانظر: ١٨٤؛ الزهري، الجعرافية: ٨٢؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار: ١٣١.

(٤) ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار: ١٣١؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣٣/٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٩ الحاشية ٣؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٦٨/٢-٨٠؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٨.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٩ الحاشية ٣.

(٦) ياقوت، معجم البلدان: ٣٣/٢؛ الحميري، الروض المعطار: ١٣٣؛ الزهري، الجعرافية: ٨٢؛ ابن سعيد، المغرب: ٤٤٩/٢.

وقد بني تطيلة عمروس بن يوسف ١٨٦هـ/٨٠٢م، بناها في عهد الحكم بن هشام على الضفة اليمنى لنهر إيبرة، في منتصف المسافة بين سرقسطة وبنبلونة. وعمروس هذا هو الذي غزا بنبلونة وأوقع بأهلها النصارى، ثم تكاثروا عليه، فتحصن بحصن تطيلة، ولما "نظر عمروس إلى حصانته وشرفه... حشد جميع مملكته وبناه وعمره"[1]. ثم ما لبث أن ثار على الحكم، وأعلن العصيان لفترة، ولكنه عاد إلى طاعة الأمويين[2]. وفي سنة ٢٢٧هـ/٨٤١م ثار في تطيلة واليها موسى بن موسى ضد الأمويين، واستولى على الثغر الأعلى، فغزاه الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م)، وأجبره على الطاعة[3]. ثم تغلب عليها لب بن موسى بن موسى سنة ٢٥٧هـ/٨٧٠م، ودخلها "يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين مائتين"[4] في عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٦٢م)، إلا أن الأمير الأموي تمكن من استردادها منه[5].

وولي تطيلة في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) عدد من الولاة التجيبيين بالتعاقب منهم: محمد بن عبد الرحمن التجيبي، وهاشم بن محمد، ومحمد بن هاشم الذين كانوا يعلنون العصيان بين حين وآخر، كما أن تطيلة تعرضت في عهده لعدوان النصارى فنهض إليهم "في عساكر كعدد الحصى، حتى دخل ثغر تطيلة، وخرج إليه التجيبيون وغيرهم، وتلقاه عمال الثغر في جنود عظيمة، وعدة كاملة، فدخل رحمه الله بلاد المشركين يوم السبت لأربع خلون من ربيع الآخر (٣١٢هـ) بأنفذ عزم، وأوكد حزم، وأقوى نية في الانتقام لله عز وجل، ولدينه من الأرجاس"[6].

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٨؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ: ١١٩/٥.
- Gayangos, Pascual de, Memoria sobre la autenticidad de la Crónica denominada, del moro Rasis (Memorias de La Real Academia de la Historia VIII Madrid, pp. 44, 45.
- Levi Provencal, E, La Description de L'Espagne d'Ahmad al Razi, Al Andalus XVIII, 1953, p. 76.

(٢) ابن سعيد، المغرب: ٤١/١.

(٣) ابن سعيد، المغرب: ٤٩/١؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٩-٣١.

(٤) العذري، نصوص عن الاندلس: ٣١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٠/٢-١٠١؛ وانظر: العذري، نصوص عن الاندلس: ٣١-٣٢.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٨٦/٢؛ وانظر عن تطيلة في عهد التجيبيين؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٤١-٤٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٩.

وظلت تطيلة قاعدة تنطلق منها جيوش الأمويين الاسلامية لمقارعة النصارى حتى وقعت الفتنة في الاندلس في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وكان يحكم تطيلة في تلك الفترة يحيى بن منذر التجيبي الذي ما لبث أبو أيوب سليمان بن محمد ابن هود الجذامي أن تغلب عليها، وذلك سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م[١]. وبعد وفاة أبي أيوب سليمان بن هود سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م آلت إلى ابنه المنذر[٢]. ثم استولى عليها منه أخوه أحمد المقتدر، وبعد حرب بينهما استغاث أهلها بأخي المقتدر يوسف المستعين، وخاصة بعد أن دهمتها المجاعة، وعم فيها الغلاء الفاحش، إلا أن المقتدر لم يمكنه منها، إذ سيطر على تطلية بمساعدة ملك نبارة غرسيه مقابل أموال طائلة دفعها له[٣].

وبعد وفاة المقتدر بن هود آلت تطيلة إلى ابنه يوسف المؤتمن الذي استعان بالسيد القمبيطور، الثائر القشتالي المتنفذ، ضد أخيه المنذر، وهزمه في معركة قرب لاردة، وذلك سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م[٤].

وتوفي يوسف المؤتمن سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، فخلفه ابنه أحمد وتلقب بالمستعين، وفي عهده سقطت طليطلة في يد الملك قشتالة الفونسو السادس (صفر ٤٧٨هـ/أيار ١٠٨٥م[٥]، وأخذ يستعد للاستيلاء على سرقسطة، ثم حاصرها ولكنه فك الحصار عندما جاءته الأنباء بعبور المرابطين إلى الاندلس في أوائل سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، ثم واجههم في معركة الزلاقة في رجب سنة ٤٧٩هـ/تشرين الأول ١٠٨٦م فهزموه هزيمة منكرة[٦].

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٧٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٢١-٢٢٢.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٧٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٧٧-٢٨٣؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٢٦٢.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٢٣-٢٢٤.

(٤) عنان، دول الطوائف: ٢٧٥.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٤/٣٥٢، ٣٥٤؛ الحميري، الروض المعطار: ٣٩٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٠٦-٢٠٧.

(٦) الحميري، الروض المعطار: ٢٩٠-٢٩١؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٣/٢٤٢؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/٥٥، ١٠١.

وطمع النصارى بعد أن التقطوا أنفاسهم في الاستيلاء على تطيلة، وهي المدينة الوحيدة التي ظلت في يد المستعين بعد سقوط وشقة في أيدي بيدرو الأول سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م. فقد قام ملك أرغون ألفونسو المحارب ابن بيدروا الأول بالزحف نحو تطيلة، فخف المستعين لانجادها، ودارت بين الطرفين معركة شديدة انتهت بهزيمة المسلمين، ومقتل المستعين بن هود، وذلك في رجب سنة ٥٠٣هـ/ كانون الثاني ١١١٠م، حيث سقطت تطيلة في يد ألفونسو المحارب[١].

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٥٤-٥٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٠٩-٢١٠.

الثـــــاء

الثغور الأندلسية Ciudades Fronterizas :

مفردها ثغر، وهو كل أرض قريبة من أرض العدو "كأنه مأخوذ من الثغرة، وهي الفرجة في الحائط"[١]. وقد استخدمت مصادر تاريخ الأندلس وجغرافيتها مصطلحات كثيرة على مناطق الأندلس، منها: الثغر[٢]، والثغر الأعلى[٣]، والثغر الأقصى[٤]، والثغر الجوفي[٥]، أو ثغر الجوف[٦]، والثغر الأوسط[٧]، والثغر الشرقي[٨]، والثغر الأدنى[٩].

ويقصد بالثغر، والثغور إذا وردت دون وصف: المنطقة الشمالية من الأندلس الممتدة حتى جبال البرت، وكانت سرقسطة قاعدة هذه المنطقة[١٠]. وكان المسلمون بعد أن استقرت دولتهم في الأندلس في ظل الأمويين قد اهتموا بتحصين خطوطهم الدفاعية في المناطق الشمالية المتاخمة لجيرانهم النصارى، فقسموها إلى منطقتين رئيسيتين: الثغر الأعلى، ويشمل قاعدة الثغر سرقسطة، ولاردة وتُطيلة ووشقة وطرطوشة وغيرها، ويقابل هذا الثغر ولاية أرغون[١١]. أما المنطقة الثانية فهي الثغر الأدنى، ويمتد من طليطلة في وسط الأندلس إلى ماردة وما يليها غرباً حتى المحيط الأطلسي[١٢]. ويشمل هذا الثغر المنطقة الواقعة بين نهري دويره وتاجه،

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٧٩/٢.

(٢) انظر على سبيل المثال: ابن سعيد، المغرب: ٤٥٩/٢؛ العذري، نصوص عن الأندلس: ١٢؛ ابن حيان، المقتبس: ١٦٣/٥؛ ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ٩١.

(٣) المقري، نفح الطيب: ١٦١/١؛ ابن سعيد، المغرب: ٤٢/١؛ ابن السماك، الزهرات المنثورة: ١٢٨.

(٤) ابن حيان، المقتبس: ١٤٣/٥؛ العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٧، ٣٠.

(٥) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٧، ٥٧؛ المقري، نفح الطيب: ٤٤٠/١.

(٦) ابن حيان، المقتبس: ٤٥٧/٥.

(٧) المصدر نفسه: ٢٩٥/٥.

(٨) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ٣٤، ٥٠، ٨٠.

(٩) المقري، نفح الطيب: ١٦١/١.

(١٠) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢١ وما بعدها؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٩٤؛ ابن سعيد، المغرب: ٤٥٩/٢ وما بعدها.

(١١) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٩٥ الهامش؛ ابن السماك، الزهرات المنثورة: ١٢٨ الهامش.

(١٢) ابن السماك، الزهرات المنثورة: ١٢٨ الهامش.

ومن مدنه: قورية، وقلمرية وشنترين ومـاردة[1]. ثم أضيف إلى الثغرين ثغر ثالث هو الأوسط، ويشمل المنطقة الواقعة في منتصف الطريق بين طليطلة وسرقسطة. وكانت عاصمة هذا الثغر مدينة سالم ثم استبدلت بها طليطلة. ويواجه هذا الثغر مملكتي ليون وقشتالة[2].

والجدير بالذكر أن مناطق الثغور هي عبارة عن مناطق عسكرية أو خطوط دفاعية. اعتنى المسلمون بتحصينها على الدوام، وخاصة الثغر أو الثغر الأعلى الذي امتد في عصر الولاة إلى ما وراء جبال البرت، ثم أخذ يتقلص بعد سقوط أربونة الواقعة على خليج ليون، وهي في الوقت الحاضر مدينة فرنسية. ثم تقلص الثغر الأعلى أكثر بظهور مملكة النافار (نبّرة)، وسقوط برشلونة ١٨٥هـ/٨٠١م[3].

ويلاحظ أن الثغر الأعلى كان موطناً لعدد كبير من حركات المعارضة التي بدأت في عهد الولاة، واستمرت في العهد الأموي في الأندلس[4].

---

(١) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٩٥ الهامش؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي: ٤٠-٤٢.

(٢) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٩٥؛ ابن السمّاك، الزهرات المنثورة: ١٢٨.

(٣) السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي: ٤٢-٤٣.

(٤) انظر التفاصيل: العذري، نصوص عن الأندلس: ٢١ وما بعدها؛ السامرائي، الثغر الأعلى الأندلسي: ٣٧٩ وما بعدها.

الجيم

جَالَطَة Ŷalata :

قرية، تلفظ بفتح اللام[1]، وهي إحدى قرى قنبانية قرطبة، تقع في إقليم أولبة[2]. يُنسب إليها محمد بن القاسم بن محمد الأموي القرطبي الذي يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن الجالطي[3]. كان من أهل العلم والأدب والرواية والحفظ، كما كان من أهل الدين والصلاح والأخلاق الجميلة. وقد روى عن كثيرين منهم أبو بكر الربيدي، وتوفي في فتنة البربر سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م[4].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢/٩٥.

(٢) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٣٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢/٩٥.

(٣) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٣٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢/٩٥.

(٤) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٣٢.

جبل طَارِق: Monte Calpe جبل الفتح، Yabal Täriq (Gibraltar الاسم الحديث)

جبل، كان يطلق عليه قبل الفتح الاسلامي أسماء عديدة مثل أعمدة هرقل، ولكن أهمها الاسم الفينيقي Calpe، ومعناها: تجويف[(١)]. وهذا التجويف ذكر الحميري أنه يعرف بـ (غار الأقدام)، وقال: "يُرى من البطحاء التي تلي الغار أثر قدم أبداً وليس هناك طريق ولا منفذ إلى غير الغار، وقد مُسحت تلك البطحاءُ وسويت، ثم أتوها من الغد، فوجدوها فيها أثر القدم، جُرب ذلك مراراً"[(٢)]. وعُرف بعد الفتح باسم: (الصخرة)، و (جبل طارق)، و (جبل الفتح). وقد سُمي (جبل طارق) باسم طارق بن زياد، لأنه أول فتوحاته في الاندلس[(٣)].

وصفه لسان الدين بن الخطيب، فقال: "حجزه البحر، حتى لم يبق إلا خصر"[(٤)]. ويفصل جبل طارق عن الشاطئ الإفريقي: مضيق جبل طارق أو بحر الزقاق، وهو ذراع ضيق من الماء يبلغ عرضه في أضيق جهاته نحو خمسة عشر كيلومتراً، وهي مسافة لا وزن لها من الناحية الاستراتيجية العسكرية[(٥)].

وجبل طارق صعب المرتقى[(٦)]، وقد اضطر طارق بن زياد عند ارتقائه إلى فرش البراذع لتطأها الدواب حتى تتمكن من الصعود. وهو بهذه الصفة لم يكن فيه زرع ولا ضرع، وإنما يرتزق من يقيم عليه من البحر[(٧)].

---

(١) العبادي، مشاهدات لسان الدين: ص ٢٢، حاشية ٢.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٢١.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٦/٢؛ وانظر: العبادي، مشاهدات لسان الدين: ص٢٤، حاشية ٢؛ والمقري، نفح الطيب: ٢٣٣/١.

(٤) لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار: ٥٠.

(٥) العبادي، مشاهدات لسان الدين: ٧٤ الحاشية ٢.

(٦) وصفه لسا الدين بن الخطيب بأنه "مكتف بالرمل المخلف"، انظر: معيار الاختيار: ٥١.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ٩/٢؛ لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٠-٥١.

عبر طارق بن زياد بإذن أميره موسى بن نصير مضيق جبل طارق على رأس جيش اختلفت المصادر في عدده، ولكنها اتفقت على أن غالبيته من البربر[١]، وذلك خلال الفترة رجب ـ ربيع الثاني ٩٢هـ/٧١١م[٢]. وكان طارق قد عزم على النزول إلى البر في موقع منخفض يبدو أن يُليان حدده له، ولكنه وجد بعض الروم وقوفاً فيه "فمنعوه منه، فعدل عنه ليلاً إلى موضع وعر... ونزل منه في البر وهم لا يعلمون، فشن غارة عليهم وأوقع بهم، وغنمهم"[٣]. وبعد أن تمكن المسلمون من الجبل "أداروا الأسوار على أنفسهم للتحصن"[٤]. وسُمي السور الذي بنوه: سور العرب[٥]. وهكذا كان الجبل أول بقعة اسبانية نزلها طارق بن زياد ومنه بدأ فتح الأندلس.

وظل جبل طارق منذ فتحه سنة ٩٢هـ/٧١١م بوابة لدخول الجيوش الاسلامية المتعاقبة التي دخلت الاندلس، وكذلك للمهاجرين من العرب والبربر إليها. فقد شهد هذا الجبل عبور الولاة والأمراء وجيوش المرابطين والموحدين وبني مرين والحفصيين الذين أغاثوا الاندلس أيام ضعفها، وتعرضها لاعتداءات الممالك النصرانية. وقد اتخذه الموحدون قاعدة عسكرية لتثبيت سلطانهم في الأندلس والعمل على استرداد ما فقده المسلمون هناك.

ويشير الحميري إلى أن عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين (٥٢٤ـ٥٥٨هـ/ ١١٢٩ـ١١٦٢م) هو الذي أطلق على جبل طارق: (جبل الفتح)، وأمر ببناء مدينة عليه على حافة الجبل الغربية، "فندب إليها البُناة والنجارين وقُطاع الحجر للبنيان والجيار من كل بلدة، وخُطت فيه المدينة، وقدم إليها من المال ما يُعجز كثرة، واتخذ فيها الجامع وقصراً له وقصوراً تجاوره للسادة بنيه، وتوالى العمل في ذلك، وأقطع أعيان وجوه البلاد فيه منازل نظروا في بنائها بعد أن حفروا في سفح الجبل مواضع نبع فيها الماء، وجمع بعضها إلى بعض

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٩/٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٦؛ المقري، نفح الطيب: ٢٣٣/١.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٩/٢؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٦٩ والحاشية ١.
(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٤٦.
(٤) المقري، نفح الطيب: ٢٣٣/١.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٩/٢.

حتى سال منها جدول عمّ المدينة لأنفسهم وماشيتهم من أعذب الماء وأطيبه، يصبّ في صحن عظيم اتخذ له، وأُجري إلى الجنات المغترسة بها عن أمره، فللحين ما جاءت مدينة تفوت المدن حسناً وحصانة، لا يُدخل إليها إلا من موضع واحد قد حُصن بسور منيع من البنيان الرفيع، وسميت بمدينة الفتح"[1]. وكانت تسميته بجبل الفتح تيمناً بالنصر في الجهاد. وقد ازدادت أهمية الجبل الحربية في عهد بني مرين في المغرب وبني الأحمر في غرناطة بعد سقوط ميناءي طريف وغرناطة في يد الاسبان.

وشكل جبل طارق منذ افتتاحه سنة ٩٢هـ/٧١١م باب الاندلس، وصلة الوصل المباشر بين المسلمين في الاندلس وشمالي إفريقية، ونظراً لهذه الأهمية البالغة التي أحرزها بموقعه الاستراتيجي ظل محط أنظار النصارى من جهة، وموضع اهتمام المسلمين وحرصهم من جهة أخرى. وقد قرر ملك قشتالة فرديناند الرابع في أوائل سنة ٧٠٩هـ/١٣١٠م الاستيلاء عليه، فحاصره بالرغم من أنه كان آنئذ مرتبطاً بمعاهدة مع ملوك غرناطة، وشدد عليه الحصار براً وبحراً، واستمر ذلك بضعة أشهر، وكان بنو مرين، سلاطين المغرب على خلاف مع بني الأحمر، فلم يهبوا لنجدته، وسقط في أيدي النصارى في أواخر سنة ٧٠٩هـ/آذار ١٣١٠م[2].

ولكن المسلمين أصروا على استرداد الجبل، واستعداداً لذلك توجه ملك غرناطة محمد الرابع بن اسماعيل (رجب ٧٢٥هـ ـ ذو الحجة ٧٣٣هـ/ كانون الأول ١٣٢٤ـ آب ١٣٣٣م) إلى السلطان أبي الحسن، سلطان بني مرين في فاس، سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م "فأكبر موصله، وأركب الناس للقائه... وفاوضه ابن الأحمر في شأن المسلمين وراء البحر... وشكا إليه حال الجبل"[3]، فاستجاب لطلبه النصره، وأمدهُ بقوات مغربية تمكنت مع الجيش الغرناطي من استرداد جبل طارق في ذي الحجة سنة ٧٣٣هـ/آب ١٣٣٣م[4].

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ٣٨٢.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٣٣٧/٧؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، نهاية الاندلس: ١٠٥.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٣٣٨/٧.

(٤) ابن الخطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان: ٢٩؛ وانظر: ابن خلدون، ٣٣٨/٧.

وحصن المسلمون جبل طارق، وشحنوه بالأسلحة والذخائر، فصار عصياً على المحاولات المتكررة التي بذلها ملك قشتالة للاستيلاء عليه. ولما أدرك صعوبة ذلك عقد معاهدة مع ملك غرناطة الغالب بالله يوسف الأول أبو الحجاج (٧٣٣-٧٥٥هـ/ ١٣٣٣-١٣٥٤م). ولكن القشتاليين ما لبثوا أن نقضوا المعاهدة. ففي عهد ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر (٧٥١-٧٦٩هـ/١٣٥٠ - ١٣٦٩م) جهز النصارى حملة شاركت فيها قواة من قشتالة وأرغون والبرتغال، وباركها البابا. وعاثت هذه القوات في الأندلس التي اقتصرت حينئذ على مملكة غرناطة، واستولت على كثير من معاقلها المهمة. ولم يبق في يد المسلمين من ثغورها سوى جبل طارق. ثم عُقد صلح بين ملك غرناطة والملك القشتالي، كف الأخير بموجبه عن محاربة المسلمين إلى حين[١].

نقض القشتاليون الصلح، وعادوا إلى جنوبي الاندلس، وقاموا خلال سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م بحملات متفرقة، واقتربوا من السهل المحيط بجبل طارق، وحاصروه بقيادة ألفونسو الحادي عشر. وفي تلك الأثناء وصل ملك غرناطة يوسف الأول، ورابط بجيشه خلف الجيش النصراني. وظل الوضع الحربي على هذه الكيفية بين الطرفين نحو عام. ثم تفشى وباء بين جنود النصارى فقضى على العدد الأكبر منهم، وقضى على ملكهم، فاستبشر المسلمون، واضطر النصارى إلى فك الحصار في ليلة عاشوراء سنة ٧٥١هـ/٢٦ آذار ١٣٥٠م. وسمح المسلمون لموكب جنازته بالمرور إلى إشبيلية، وأظهروا الحزن، وارتدى معظمهم شارات الحداد. وبذلك أنقذ الله جبل طارق من السقوط[٢].

وحافظ المسلمون على جبل طارق، وبذلوا أرواحهم دونه في كل مرة تعرض فيها لهجوم النصارى، فقد زحفت قوة كبيرة منهم عليه سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م، إلا أن المسلمين باغتوهم،

---

(١) ابن الخطيب، كناسة الدكان: ٣٦.

(٢) ابن الخطيب، كناسة الدكان: ٣٧؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ١٥٢-١٥٣.

وهزموهم[١]. وظل الجبل في أيديهم بعد ذلك نحو ثلاثين عاماً، حيث باغتته قوة قشتالية بقيادة الدوق سيدونيا، وتمكنت من الاستيلاء عليه، وذلك سنة ٨٦٧هـ/١٤٦٢[٢]. وبسقوط جبل طارق في أيدي النصارى فقد المسلمون قاعدة استراتيجية مهمة، ظلت طوال قرون محطة إمداد للأندلس من عدوة المغرب. وما زالت حتى اليوم آثار اسلامية في هذه المدينة مثل السور والحمام وبرج القصبة الذي عرف باسم القلعة الحرة التي بناها الملك المريني أبو الحسن ١٣٤٢-١٣٤٤م[٣]. ويسمى بالحصن العربي على السفح الشمالي الغربي من الجبل. أما الحمامات فآثارها موجودة حالياً تحت مبنى متحف جبل طارق. أما السور الذي سمي سور العرب فتوجد بقاياه فوق أعلى الصخرة كما توجد نقوش كتابية من عهود الموحدين وبني مرين وبني الأحمر، منها نقشان احدهما فوق الباب الجنوبي للحصن والآخر في جدار مسجد هناك. ومما جاء في النقش الأول "النصر والتمييز من الله تعالى لمولانا أبي عبد الله أمير المسلمين ابن أبي الحجاج يوسف أمير المسلمين بن مولانا أبي الوليد أبقاه الله"[٤]. وهذه الأسماء هي اسماء ملوك من أسرة بني الأحمر.

وقد حاول الأمير خير الدين بربروسا استرداد الجبل سنة ١٥٤٠م وكاد يستولي عليه ودمر تحصيناته[٥].

على أن الاسبان لم يلبثوا أن فقدوا الجبل فقد احتله الانجليز سنة ١٧٠٤م وتنازلت عنه اسبانيا رسمياً سنة ١٧١٣م ولا يزال الجبل حتى اليوم في يد الانجليز.

---

(١) عنان، نهاية الاندلس: ١٤٨.

(٢) المرجع نفسه: ١٥٢.

3) Torres Balbás, Leopoldo, Gibraltar, Ilave Y guarda de España (Al Andalus VII 1942), pp. 168, 216.

(٤) الطيبي، د. أمين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ليبيا ـ تونس، ١٩٨٤، ص ٢٩٧.

(٥) الطيبي، دراسات، ص ٢٩٤.

جُرَاوَة Yuraua :

ناحية من أعمال فحص البلوط، تلفظ بضم الجيم[1].

جُرْف مَوّاز Precipicio de Mauaz :

جرف منقطع عالٍ جداً، تحته مهوى، يقع على جبل يُقال له جَلْطَراء يشرف على قرطبة، وجميع متنزهاتها وقصورها، وهو وعر في الشتاء، ومَزلّة لا يستمسك عليه قدم. ويعرف الجرف بجرف مَوّاز، ومواز رجل أسود كان يأتي كل يوم، فيقف بأعلى الجرف، ويأخذ بالصراخ على أهل رملة قرطبة، وكان في أثناء ذلك يتمسّك بشجرة، يعتصم بها من السقوط. فلما طال ذلك عليهم دسُّوا من قطع عروق الشجرة "وسوّى عليها التراب كحالتها الأولى، وأتى موّاز بالغد، فصاح بهم على عادته... فتهور من أعلى ذلك الجرف؛ فما وصل إلى الأرض إلا ميتاً، فضُرب به المثلُ، حتى قال بعض الشعراء:

وعدّتني وعـــداً وقرّبتـــــهُ ... تقريب من يُثني بإنجـــاز
حتى إذا قلتُ انقضت حاجتي ... رميتَ بي من جُرفِ موّاز[2]

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ٢/١١٧.

(2) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٦٥-٦٦؛ والروض المعطار: ١٥٩-١٦٠.

جرنده Gerona:

مدينة، اسمها مشتق من الاسم الروماني القديم Gerunda. تقع إلى الشمال الشرقي من برشلونة قرب الحدود الفرنسية، وهي في الجزء الثالث من الأندلس حسب تقسيم قسطنطين، تابعة لطركونة[١].

فتح المسلمون جرنده في عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير مع عدد من مدن الشمال الواقعة جنوب جبال البرت مثل: بنبلونة، وطركونة ونربونة. وفي عهد الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن الداخل قاد عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث جيشاً إلى أربونة وجرندة فأثخن فيها، وذلك سنة ١٧٧هـ/٧٩٣م[٢]. وفي سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م أرسل الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم حاجبه عبد الكريم على رأس جيش "إلى بلاد الفرنجة فدوخها قتلاً وأسراً وسبياً، وحاصر مدينتها العظمى جرنده، وعاث في نواحيها وقفل"[٣].

تشتهر جرنده بوجود صندوق بديع الصنع فيها من أيام الخليفة الأموي الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)[٤]



(١) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٢؛ المقري، نفح الطيب: ٣١٧/١.
(٢) المقري، نفح الطيب: ٣٣٧/١.
(٣) المصدر نفسه: ٣٤٦/١.
(٤) عنان، نهاية الأندلس: ٤٨٦.

الجزَائرُ الشَّرقيةُ Islas Baleares:

مجموعة كبيرة من الجزر، يزيد عددها على المائة، وتشكل أرخبيلاً في غربي البحر الأبيض المتوسط في مواجهة السواحل الشمالية الشرقية للأندلس[1]. وتتميز هذه الجزر بموقع استراتيجي مهم بين سواحل شرق اسبانيا، وجنوب فرنسا، وغرب ايطاليا، وسواحل المغرب الشمالية[2].

وتسمى هذه الجزر: جزائر شرق الأندلس، وهي جزر البليار Islas Baleares، وأكبرها خمس: ميورقة Mallorca، ومنورقة Menorca، ويابسة Ibiza، وفرمنتيره Formentera، وقبريرة Cabrera[3]. والثلاث الأولى هي أشهر جزر الأرخبيل في التاريخ الاسلامي للأندلس، و "تضاف إلى بلاد الأندلس لأن أخلاق أهلها وطبائعهم كطبائع أهل الأندلس، وأمزجتهم واحدة"[4].

تقع جزر البليار على بعد ٢٥٦كم إلى الشمال من مدينة الجزائر، وتبعد عن برشلونة ١٦٠كم، وتشكل حلقة مهمة من تاريخ البحر الأبيض المتوسط وشعوبه[5].

عرفت جزر البليار عند اليونانيين ومن بعدهم الرومان باسم: بليارس Baliares. وهذا الاسم مشتق من كلمة Ballein اليونانية، وتعني: ألقى، أو رمى، وذلك لبراعة سكانها

---

(١) سيسالم، جزر الأندلس المنسية: ١٥.

(٢) حتاملة، أيبيريا: ٢٦-٢٧.

(٣) سيسالم، جزر الأندلس المنسية: ١٧-١٩؛ حتاملة، أيبيريا: ٢٦.

(٤) الزهري، الجعرافية: ١٣٠؛ وانظر: البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٦ والحاشية ٣؛ المقري، نفح الطيب: ١٦٩/١؛ ابن سعيد، المغرب: ٤٦٦/٢-٤٧٠.

(٥) سيسالم، جزر الأندلس المنسية: ١٥.

القدماء في رمي الحجارة بالمقلاع. وربما ترجع تسميتها بالبليار إلى قبيلة: بلاري Balari التي هاجرت إليها من سردانية[(١)].

وكبرى جزر البليار أو الجزائر الشرقية هي جزيرة مَيورقة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو والراء، وبعدها قاف وهاء تأنيث[(٢)]. وهي جزيرة تبلغ مساحتها نحو ٣٦٤٠كم^2[(٣)]. وقد ذكر الزهري أن طولها سبعة وعشرون فرسخاً، وعرضها خمسة وعشرون فرسخاً[(٤)]، وحدد الحميري هذه الأبعاد بالأميال فقال: "وطول ميورقة من الغرب إلى الشرق سبعون ميلاً، وعرضها من القبلة إلى الجوف خمسون ميلاً"[(٥)]. بينما ذكر ابن سعيد أن طول الجزيرة أربعون ميلاً[(٦)].

وكانت ميورقة في العهد الفينيقي تسمى كولمبا Columba أو كلمبا Clumba[(٧)]، وأطلق اليونانيون القدماء عليها وعلى جزيرة منورقة اسم: جزر العراة لأن سكانهما كانوا أشباه عراة. أما الرومان فقد أطلقوا على ميورقة اسم: مجوريكة Majorica أو مجوركة Majorca أي: الجزيرة الكبرى[(٨)]. وورد اسمها في المصادر العربية على أشكال مختلفة: ميرقة، ومايرقة[(٩)]، وميورقة، وهذا الشكل الأخير هو الأكثر تداولاً في تلك المصادر[(١٠)].

---

(١) سيسالم، جزر الأندلس المنسية: ١٦.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٨٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢٤٦/٥؛ وانظر: البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٦٦.

(٣) سيسالم، جزر الاندلس المنسية: ١٩.

(٤) الزهري، الجعرافية: ١٢٩.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨٨.

(٦) ابن سعيد، المغرب: ٤٦٦/٢.

(٧) سيسالم، جزر الأندلس المنسية: ١٦.

(٨) سيسالم، جزر الأندلس المنسية: ١٦-١٧.

(٩) المرجع نفسه: ١٨؛ وانظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٨٣/١.

(١٠) المرجع نفسه: ١٨؛ وانظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨٨؛ ابن سعيد، المغرب: ٤٦٦/٢؛ الزهري، الجعرافية: ١٢٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٩/٢؛ المقري، نفح الطيب: ١٦٩/١؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٦؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٥٩/١.

تقع جزيرة ميورقة إلى الشرق من جزيرة يابسة[١]، "وتسامتها من القبلة بجاية من برّ العدوة"[٢]. وهي جزيرة "كثيرة الزرع والفاكهة"[٣]. و "أهلها لا يعرفون ثمار الزيتون إلا ما يجلب إليهم. والتين قليل عندهم، وقد يزرعون القطن والكتان... وأكثر كسبهم الغنم وقليل من المعز. وعندهم كثير من البقر والخيل والبغال"[٤].

وجزيرة ميورقة ترتفع عن البحر من جميع جوانبها، وتعد من أخصب البلاد، وهي طيبة الهواء والماء، "ولأهلها ظرف وذمة، وفيهم حلاوة ورقاعة، وهم من أهل الحسن والجمال"[٥]. وتخلو ميورقة من الحيوانات المفترسة، إذ يؤكد الزهري أنه "لم يوجد قط في هذه الجزيرة ذئب، والغنم تسرح عندهم دون حارس يحرسها"[٦].

وقد وصفت الكاتبة الفرنسية (جورج صاند) جزيرة ميورقة بأنها "المكان الذي يحلم فيه الرسام والشاعر، ويحلق في أجوائه، فلقد خلقت الطبيعة الساحرة العذبة، والجمال الخلاب في هذه الجزيرة"[٧].

وأشهر مدن ميورقة هي مدنية: بالما دي ميورقة التي وردت في المصادر الاسلامية باسم: مدينة ميورقة[٨]. وهي عاصمة الجزيرة، والعاصمة الإقليمية للجزائر الشرقية[٩].

---

(١) الزهري، الجعرافية: ١٢٩.
(٢) الحميري، الروض المعطار: ٥٦٧.
(٣) الزهري، الجعرافية: ١٢٩.
(٤) المصدر نفسه: ١٢٩.
(٥) الزهري، الجعرافية: ١٢٩؛ وانظر: ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٦٦.
(٦) الزهري، الجعرافية: ١٢٩.
(٧) سيسالم، جزر الاندلس المنسية: ٢٠.
(٨) ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٦٦؛ الزهري، الجعرافية: ١٢٩؛ وانظر: سيسالم، جزر الأندلس: ٢٠.
(٩) سيسالم، جزر الاندلس: ٢٠.

وتقع المدينة في الجهة الجنوبية من الجزيرة، وتدخلها ساقية من نهر يشق الجزيرة ويسقي جميع أراضيها. كما يوجد فيها وادٍ لا يجري إلا في الشتاء[1].

وفي مدينة ميورقة "برج عظيم على حافة البحر يكشف على مسافة يومين في البحر"[2]. وفيها قلعة اعتبرها الزهري "المعقلُ العظيم المشيدّ الذي ليس في معمور الأرض مثله. وهو الحصن الشهير المعروف بحصن الأرون[3]، وبلغ من منعة هذا الحصن أن النصارى بقوا فيه بعد فتح الجزيرة ثمانية أعوام وخمسة أشهر "لا يقدر عليهم أحد حتى نفد ما كان عندهم من الطعام. فعند ذلك هبطوا"[4].

وألهبت جزيرة ميورقة ومدينتها بجمالهما خيال الشعراء، فأبدعوا في وصفهما، ومن ذلك قول ابن اللبّانة[5]:

بلد أعارته الحمامة طوقها ... وكساه حلّة ريشة الطاووس

فكأنما الأنهار فيه مدامة ... وكأنّ ساحات الديار كؤوس

وتلي جزيرة ميورقة مساحةً جزيرة مَنُورقَة: بالفتح ثم الضم، وسكون الواو، وفتح الراء أو تسكينها، وبعدها قاف وهاء[6]. وتبلغ مساحتها ٧٠٠كم^2 [7]، وهي مستطيلة، قليلة العرض[8]، وتبعد عن ميورقة خمسين ميلاً[9].

---

(١) ابن سعيد، المغرب: ٤٦٦/٢؛ الزهري، الجعرافية: ١٢٩.

(٢) الزهري، الجعرافية: ١٢٩.

(٣) الزهري، الجعرافية: ١٢٩؛ ابن سعيد، المغرب: ٤٦٦/٢.

(٤) الزهري، الجعرافية: ١٢٩.

(٥) المقري، نفح الطيب: ١٦٩/١؛ ابن سعيد، المغرب: ٤٦٦/٢؛ وانظر: سيسالم، جزر الاندلس: ٢١-٢٥.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٨٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢١٦/٥.

(٧) سيسالم، جزر الاندلس: ٢٥.

(٨) ابن سعيد، المغرب: ٤٦٩/٢.

(٩) المقري، نفح الطيب: ١٦٩/١؛ ابن سعيد، المغرب: ٤٦٩/٢.

أطلق الرومان على هـذه الجزيـرة اسـم: منوريكـا Minorica، أو منورقـة Minorca أي: الصغرى[١]. وقد وردت تسميتها في المصـادر العربيـة علـى شـكلين: منرقـة[٢]، ومنورقـة[٣]، والثاني هو الأشهر.

وتقع منورقة إلى الشرق من جزيرة ميورقة، "وهي صغيرة، كثـيرة الـزرع والكـرم"[٤]، و "في وسطها حصن مانع"[٥]

وترتفع منورقة عن سطح البحر ما بين ١٥٠ و ٣٠٠ قـدم، وأعلـى جبالهـا هـو جبـل: مونت تورو Mont Toro، وعلى سواحلها خلجان عميقة، وخاصة في ساحلها الشمالي. وتكـثر فيهـا الحجـارة المتنـاثرة، وتشـتد رياحهـا في الشـتاء، ولذلـك سميـت: (جزيـرة الريـاح والحجارة)[٦].

وتقابل منورقة مدينـة برشـلونة الواقعـة علـى سـاحل الاندلـس الشـرقي[٧]، وتقـع في منتصف المسافة بين فرنسا والجزائر[٨].

وتعتبر مدينة ماهون أو (ماجون الفينيقية) العاصمة المحلية للجزيرة، وتأتي بعدهـا في الأهمية مدينة ثيوداديلا Ciudadela، أي: القصبة والقلعة. وهذه المدينة كانت هـي عاصمـة

---

(١) سيسالم، جزر الأندلس: ١٨.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٥٤٩؛ وانظر: سيسالم، جزر الأندلس: ١٨.

(٣) الزهري، الجعرافية: ١٢٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٩/٢؛ المقري، نفح الطيب: ١٦٩/١؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٢٤٩/٣؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٦٦.

(٤) الزهري، الجعرافية: ١٢٩.

(٥) ابن سعيد، المغرب: ٤٦٩/٢.

(٦) سيسالم، جزر الأندلس: ٢٥-٢٦.

(٧) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨٥.

(٨) سيسالم، جزر الأندلس: ٢٥.

الجزيرة في العصر الاسلامي، وقد عرفت بمدينة منورقة، وتقع في الشمال الغربي من الجزيرة، بينما تقع ماهون في الجنوب الشرقي منها[1].

وجزيرة يابسة: تأنيث الشيء اليابس[2]. طولها عشرة فراسخ، وعرضها ثمانية[3]. وتعتبر كبرى مجموعة جزر تسمى جزر الصنوبر Islas de Pions، وتقع هذه الجزر إلى الجنوب الغربي من ميورقة. واسمها أبيثا Ibiza مشتق من اسمها الفينيقي: إيبوسوس Ebasuz[4]. وهي في طريق من يقلع من دانية يريد ميورقة، فيلقاها قبلها[5].

تبلغ مساحة يابسة ٥٤١كم٢، وتبعد عن ساحل الأندلس ٩٦كم، وعرضها ٢١كم، وعرضها ٤٠كم[6].

وجزيرة يابسة "خصيبة بضد اسمها"[7]، فهي كثيرة الكروم، والأعناب[8]، وكثيرة الزبيب[9]. "وبها ملاحة لا ينفد ملحها"[10]. ويذكر ياقوت أن "فيها ينشأ أكثر المراكب لجودة خشبها"[11]، فجبالها مغطاة بأشجار الصنوبر، وقد أعطاها ذلك شهرة في صناعة السفن، وجعلها من أجمل جزر البحر المتوسط وأكثر رونقاً واخضراراً. ويضفي هذا الاخضرار المتزج مع شواطئها الزرقاء، وخلجانها الصافية جمالاً أخاذاً على الجزيرة[12]. ومن

---

(١) سيسالم، جزر الأندلس: ٢٥.
(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٤٢٤/٥.
(٣) الزهري، الجعرافية: ١٢٨.
(٤) سيسالم، جزر الاندلس: ١٧.
(٥) ياقوت، معجم البلدان: ٤٢٤/٥.
(٦) سيسالم، جزر الأندلس: ٢٨.
(٧) ابن سعيد، المغرب: ٤٧٠/٢.
(٨) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٩٨.
(٩) ياقوت، معجم البلدان: ٤٢٤/٥.
(١٠) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٩٨.
(١١) ياقوت، معجم البلدان: ٤٢٤/٥؛ وانظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٩٨.
(١٢) سيسالم، جزر الاندلس: ١٢٨.

خواصها "أنها لا تنجب فيها الغنم، وإنما تنجب فيها المعز، وهي أكثر كسبهم"[١]. ومنها يجلب الزبيب والتين واللوز إلى ميورقة، والملح والخشب إلى إفريقية[٢].

وبجزيرة يابسة عدد كبير من الموانئ يبلغ العشرة. وفيها أيضاً "أنهار جارية، وقرى كثيرة، وعمائر متصلة"[٣].

وعاصمة الجزيرة هي مدينة يابسة، إذ تحمل أيضاً اسم الجزيرة. وتقع في الزاوية الجنوبية الشرقية منها. وهي مدينة قديمة بناها الفينيقيون سنة ٦٥٤ق.م. على تلة مرتفعة، وبنوا حولها أسواراً حصينة. وهناك مدن أخرى في الجزيرة فالعمران فيها لا ينقطع[٤].

وتخلو جزيرة يابسة من الحيوانات المفترسة والنباتات السامة، وتختص تربتها بالمناعة ضد أنواع التعفن والسموم[٥]. وقد أكد القزويني هذه الحقيقة فقال: "وليس بها شيء من السباع لا صغيرها ولا كبيرها إلا القط البريّ، ولا حية ولا عقرب، وذكر أهلها بأنه إذا حُمل إليها سبع أو حية أو عقرب فسرعان ما يموت"[٦].

كانت الجزائر الشرقية ـ قبل الفتح الاسلامي للأندلس ـ تحت الحكم البيزنطي، فقد استولوا عليها سنة ٥٣٤م، فأصبحت خاضعة لقرطاجنة عاصمة إفريقية (تونس الحالية). ولما استولى القوط سنة ٦٢٤م على جنوبي شبه الجزيرة الأيبيرية، ظلت تلك الجزائر خاضعة

---

(١) الزهري، الجعرافية: ١٢٨.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٨ـ١٢٩.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٩٨.

(٤) سيسالم، جزر الاندلس: ٢٨ـ٢٩.

(٥) سيسالم، جزر الاندلس: ٢٩.

(٦) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد: ٢٨٢.

لبيزنطة، ولكنها تمتعت بشبه استقلال، إذ انصرفت جهود البيزنطيين لمجابهة الدولة الاسلامية الناشئة في الشرق، ومواجهة زحفها لتحرير العالم[1].

ولما ولي موسى بن نصير إفريقية، توجهت أنظاره لاستكمال الفتوح في تلك المنطقة، واتبع سياسة تشديد القبضة على خناق الروم في البحر المتوسط لحماية جبهته البرية من أي اعتداء أو خطر بحري. وقد أغارت أساطيله على الجزائر الشرقية أكثر من مرة خلال الفترة ٧٩ـ٨٩هـ/٦٩٨ ـ ٧٠٨م بقيادة ابنيه عبد العزيز وعبد الله[2].

وأرسل موسى بن نصير سنة ٨٩هـ/٧٠٨م حملة بحرية بقيادة ابنه عبد الله لفتح الجزائر الشرقية[3]، فأغار عليها ورجع بغنائم وافرة، وعدد كبير من الأسرى، بعد أن تعهد أهلها ـ كما يبدو ـ بعدم الاعتداء على المسلمين[4]. وظلوا على هذا العهد حتى عام ١٦١هـ/٧٧٨م، حيث نقضوه، وأخذوا يغيرون على السفن والثغور الأندلسية بعد أن تحالفوا مع النصارى[5]. ولكن هذه الغارات لم تمر دون عقاب، فقد تعرضت الجزائر الشرقية لعدة حملات بحرية أندلسية كانت إحداها في سنة ١٨١هـ/٧٩٧م في عهد الأمير الأموي الحكم بن هشام (١٨٠ـ٢٠٦هـ/٧٩٦ـ٨٢٢م)، وكانت الثانية سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م، والثالثة سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م[6]. وقد أسفرت هذه الحملات عن تعهد هذه الجزائر بمسالمة المسلمين وعدم الاعتداء على سفنهم[7].

---

(١) سيسالم، جزر الاندلس: ٤١ـ٤٢.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة: ٣ـ٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٤٢/٢؛ عنان، دولة الاسلام في الأندلس، عصر الإمارة: ١٩ـ٢٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٤ـ٤٥؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٤٥ـ٤٦؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٥٠ـ٥٣.

(٣) ابن سعيد، المغرب: ٤٦٦/٢؛ المقري، نفح الطيب: ٢٧٩/١؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٥٣ـ٥٥.

(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٣٩/٤؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٥٧ـ٥٨.

(٥) سيسالم، جزر الاندلس: ٦١.

(٦) المرجع نفسه: ٦٤ـ٦٥؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٦٠.

(٧) سيسالم، جزر الاندلس: ٦٦.

ونقض أهل الجزائر الشرقية عهدهم للمسلمين سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨م، فأمر الأمير الأموي عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) "بتوجيه العساكر إلى أهل جزيرة ميورقة، لنكايتهم وإذلالهم ومجاهرتهم بنقضهم العهد، وإضرارهم بمن مرّ عليهم من مراكب المسلمين، فغزتهم ثلاثمائة مركب"[(١)].

ويبدو أن وقع هذه الحملة كان شديداً على أهالي الجزائر الشرقية، فقد فتحها المسلمون، ونكلوا بالنصارى فيها انتقاماً لنقضهم العهود السابقة، واضرارهم واعتداءاتهم المتكررة على أساطيل المسلمين، وخاصة التجارية منها، ولم يجدوا بديلاً عن الإذعان للمسلمين، فكتبوا للأمير عبد الرحمن سنة ٢٣٥هـ/٨٤٩م يطلبون تجديد العهد[(٢)]، فكتب إليهم: "أما بعد، فقد بلغنا كتابكم، تذكرون فيه أمركم، وإغارة المسلمين الذين وجهناهم إليكم لجهادكم، وإصابتهم ما أصابوه منكم من ذراريكم وأموالكم، والمبلغ الذي بلغوه منكم، وما أشفيتم عليه من الهلاك. وسألتم التدارك لأمركم، وقبول الجزية منكم، وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة، والنصيحة للمسلمين، والكف عن مكروههم... وقد أعطيناكم عهد الله وذمته"[(٣)].

وارتبطت الجزائر الشرقية - بعد هذا العهد - مع الاندلس بعلاقات ودية وتجارية[(٤)]، وجنح أهلها للسلم، ولكنهم ما لبثوا أن نقضوا عهدهم مجدداً في إمارة الأمير الأموي عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، الذي تم في عهده فتح تلك الجزائر بشكل نهائي[(٥)].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٩/٢؛ وانظر: سيسالم، جزر الاندلس: ٦٦-٦٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٩/٢؛ ابن سعيد، المغرب: ٤٤٩/١؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٦١؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٦٦-٦٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٩/٢؛ وانظر: سيسالم، جزر الاندلس: ٦٧-٦٨.

(٤) سيسالم، جزر الاندلس: ٦٨.

(٥) انظر الأسباب التي أدت إلى هذا الفتح لدى سيسالم، جزر الاندلس: ٨١-٨٥.

ويذكر ابن خلدون ذلك الفتح وتاريخه فيقول: "كان فتح ميورقة سنة تسعين ومائتين على يد عاصم الخولاني، وذلك أنه خرج حاجاً في سفينة اتخذها لنفسه، فعصفت بهم الريح، فأسوا بجزيرة ميورقة، وطال مقامهم هنالك، واختبروا من أحوالهم ما أطمعهم في فتحها، فلما رجع بعد فرضه أخبر الأمير بما رأى فيها، وكان من أهل الغناء عنده في مثلها، فبعث معه القطائع في البحر، ونفر الناس معه إلى الجهاد، فحاصرها أياماً وفتحوها حصناً حصناً إلى أن كمل فتحها. وكتب عاصم بالفتح إلى الأمير عبد الله، فكتب له بولايتها فوليها عشر سنين، وبنى فيها المساجد والفنادق والحمامات"[1].

واستقر الحكم الاسلامي بعد فتح الجزائر الشرقية سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م على يد عاصم الخولاني في تلك الجزائر الذي وليها إلى أن توفي سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، فوليها بعده ابنه عبد الله "...إلى أن زهد وترهب، وركب البحر إلى الشرق حاجاً، وانقطع خبره"[2]. ثم تعاقب الولاة عليها في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ـ٩١٢/٣٥٠ـ٩٦١م)[3]. وأصبحت خط الدفاع الأول عن الاندلس، وقاعدة كبرى للأساطيل الأندلسية في الحوض الغربي للبحر المتوسط[4].

وعمرت الجزائر الشرقية بالاسلام، وغمرها الخير من كل نوع، وظهر فيها العلماء وسادها العلم والمعرفة، وأنارت شعابها قناديل الإيمان، وأقام طرقاتها نيرة، ودروبها خيرة، دين الله وشرعه. وظلت ولاية اسلامية خاضعة للأمويين في الاندلس حتى انتهى حكمهم فيها في أواخر القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[5].

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٠/٤؛ وانظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨٨؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سيسالم، جزر الاندلس: ٨٦-٩٠.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٠/٤؛ سيسالم، جزر الأندلس: ٩٣.

(٣) انظر: أسماء الولاة، وفترة كل منهم لدى: سيسالم، جزر الاندلس: ٩٤-٩٨.

(٤) سيسالم، جزر الاندلس: ٩٨.

(٥) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٦٤.

وبعد أن انتثر عقد الخلافة في الاندلس استولى كل متنفذ فيها على ناحيته، وبدأ بذلك عصر ملوك الطوائف الذين تلقبوا بألقاب الخلافة[1]. ومن هؤلاء مجاهد العامري الذي "قصد هذه الجزائر ميورقة ومنورقة ويابسة، فانتزى على جميعها لنفسه، وتغلب عليها، وحماها من المشركين"[2]، وذلك سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م[3]. واتخذ هذه الجزائر قاعدة بحرية لأساطيله، وأغار منها على سردانية، وعلى السواحل الغربية والجنوبية لايطاليا وبلاد الفرنجة[4].

وتوفي مجاهد العامري سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٥م، فولي بعده ابنه علي، وتلقب بإقبال الدولة (٤٣٦-٤٦٨هـ/١٠٤٥-١٠٧٦م)[5]. وقد انصب اهتمام عليّ هذا على تنشيط حركة التجارة، وتدعيم الازدهار الاقتصادي في مملكته، وعلى جمع الأموال وتكديسها[6]. وتمشياً مع هذه السياسة هادن النصارى، وأقام علاقات ودية معهم، وخاصة فرناندو الأول، ملك قشتالة، ومن بعده ابنه الفونسو السادس[7]. وتمشياً معها أيضاً اعترف إقبال الدولة في وثيقة مؤرخة ٢٦ شوال ٤٤٩هـ/٢٦ كانون الأول ١٠٥٨م، وهي عبارة عن كتاب أرسله إلى غلبرت Gislaberto، أسقف برشلونة، اعترف فيها بحق الأسقف في الإشراف على مسيحيي الجزائر الشرقية ودانية وأعمالها شريطة الاعتراف بسلطته الزمنية، والخطبة باسمه في الكنائس[8].

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٨-٦٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٤٩-١٥٦؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٠٠.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٥٥؛ وانظر: ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٦٦؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢١١.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢١١؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٥٦؛ وسيسالم، جزر الاندلس: ١٤٣.

(٤) ابن خلدون، البيان المغرب: ٣/١٥٥؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢١١؛ وسيسالم، جزر الاندلس: ١٤٣-١٤٦.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢١١؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٥٧؛ ولمزيد من التفاصيل: سيسالم، جزر الاندلس: ١٦٤-١٦٧.

(٦) ابن بسام، الذخيرة، ق ٤، م ١/٢٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٩٨ وما بعدها.

(٧) سيسالم، جزر الاندلس: ١٨١؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ١٩٨ وما بعدها.

(٨) سيسالم، جزر الاندلس: ١٨٢؛ عنان، دول الطوائف: ١٩٩.

واستمر حكم علي إقبال الدولة للجزائر الشرقية ودانية نحـو ثلاثـين عاماً، ثـم تغلـب على دانية صاحب سرقسطة: أحمد بن سليمان بن هود (المقتدر با لله)، وذلك سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م[١]. وقد حاول سراج الدولة ابن إقبال الدولة استعادة ملك أبيه، إلا أن المقتدر دس له السم، فمات سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٧م[٢].

وكان عاملاً للعامريين على جزر البليار (أو الجزائر الشـرقية) في تلـك الفـترة عبـد ا لله المرتضي أغلب، وقد استغل الظروف، واستقل بحكمها عام ٤٦٨هـ/١٠٧٦م، أي بعد سقوط دانيـة في يـد المقتـدر بـن هـود[٣]. واسـتمر في ذلـك حتـى سـنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م، واسـتطاع بأساطيله البحرية القوية رد أساطيل النصارى الـتي سـيطرت علـى الحـوض الغربـي للبحـر المتوسط[٤].

وتوفي عبد ا لله المرتضي سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م، ولم يعقـب ذكـوراً، وكـان قـد أولى ثقتـه لخصي من خصيانه اسمه مبشر، وولاه عهده. وهو مبشر بن سليمان، أصله من قلعة الحمير (من أعمال لاردة في ثغر سرقسطة). وقد ولي الجزائر الشرقية سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[٥].

وضبط مبشر الخصي شؤون الجزائر الشرقية بحزم، وتلقـب بنـاصر الدولـة، في الوقـت الذي استولى فيه المرابطون على ممالك الطوائف في المناطق الجنوبية والغربية من الأندلس[٦].

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١١/٤؛ عنان، دول الطوائف: ١٩٩.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١١/٤؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سيسالم، جزر الاندلس: ١٩١ـ١٩٢؛ وعنان، دول الطوائف: ٢٠٠.

(٣) انظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٢٢؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١١/٤؛ عنان، دول الطوائف: ٢٠٠ـ٢٠١؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سيسالم، جزر الاندلس: ١٩٨.

(٤) سيسالم، جزر الاندلس: ٢٠٣.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٢٢ـ١٢٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١١/٤؛ عنان، دول الطوائف: ٢٠١؛ وانظر: سيسالم، جزر الاندلس: ٢٠٧ـ٢٠٨.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٢٢ـ١٢٣؛ ابن سعيد، المغرب: ٤٦٧/٢؛ عنان، دول الطوائف: ٢٠١؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٢٠٩ـ٢١٠.

وتمتعت الجزائر الشرقية في عهد مبشر، ناصر الدولة، بالأمن، وبكثير من الرخاء فقد "أقر العدل، وأحسن الحكومة، وأرضى الرعية..."[1]. ولذلك قصده الفضلاء، ومدحه الشعراء، ومنهم ابن اللبانة الذي قال فيه[2]:

والبحر يسكن خيفة من ناصـــر أرضى الرياسة بعد موت المرتضي

واهتم ناصر الدولة ببناء الأساطيل، وتشييد القلاع والحصون، ولفت اهتمامه هذا انتباه الشعراء، فمدحوا فيه هذا الجانب، ومن ذلك قول ابن اللبانة[3]:

لك المنشآت الجاريات كأنهـــا ضواري شواهينٍ على الماء حُوَّم

هي الغيد وافت منك في العيد عيدها فمن موسمٍ في موسمٍ طي موسمِ

وتعرضت الجزائر الشرقية في عهد ناصر الدولة لحملات صليبية متلاحقة، إلا أنه تمكن - بأساطيله القوية - من دحرها، ومطاردة الغزاة إلى عقر دارهم، مما أثار نقمة النصارى، وعلى رأسهم البابا ضد هذه الجزائر[4].

لقد بدأت الاستعدادات لحملة صليبية كبرى على الجزائر الشرقية سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، وتجمعت الأساطيل النصرانية من إيطاليا لغزوها، وتجمعت بساحل إمارة قطلونية في أواخر ربيع الأول سنة ٥٠٨هـ/أيلول ١١١٤م استعداداً للانطلاق نحو هدفها[5].

---

(١) ابن سعيد، المغرب: ٤٦٧/٢.

(٢) الفتح بن خاقان، قلائد العقيان: ٢٨٤.

(٣) العماد الأصفهاني، خريدة القصر: ١٢٧/٢.

(٤) انظر: سيسالم، جزر الاندلس: ٢١٧-٢٣٦ حيث يذكر أن البابا باسكال الثاني وجه نداء إلى القوى النصرانية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، ودعاها إلى التجمع تحت راية البابوية لحرب المسلمين في الجزائر الشرقية، وأسفر ذلك عن توجه عدة حملات خلال الفترة ٥٠٢هـ/١١٠٨م ـ ٥٠٨هـ/١١١٦م، إلا أن هذه الحملات لم تحقق أهدافها.

(٥) سيسالم، جزر الاندلس: ٢٢٣-٢٣١؛ وانظر: عنان، عصر المرابطين والموحدين: ق٧٧/١.

ولما علم الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م) بهذه الحشود، وجه الحملات المرابطية من أنحاء الاندلس لتشتيتها[١]، وكان على رأس هذه الحملات القائد المرابطي محمد بن الحاج. وقد اشتبكت مع القوات النصرانية في برشلونة، واستشهد أثناء الاشتباكات قبل أن يصل إلى ساحل قطلونية حيث تحتشد الأساطيل الصليبية. وكان استشهاده في ربيع الأول ٥٠٨هـ/أيلول ١١١٤م[٢].

وتحركت الأساطيل الصليبية نحو جزر البليار (الجزائر الشرقية) في شوال ٥٠٨هـ/ آذار ١١١٥م، وكانت جزيرة يابسة أول أهدافهم. وقد تمكنوا ـ بعد معارك طاحنة مع المسلمين ـ من النزول إلى شواطئها، واقتحموا مدينة يابسة في ١٣ ربيع الأول سنة ٥٠٩هـ/١٠ آب ١١١٥م، وأوقعوا بأهلها مذبحة تقشعرّ لها الأبدان. ثم هدموا أسوار المدينة، ودكوا حصونها، وخربوا قصر الإمارة فيها. وبعد الاستيلاء عليها تركوا فيها حامية كبيرة، وتوجهوا في خمسمائة سفينة إلى جزيرة ميورقة، وذلك في الخامس والعشرين من ربيع الأول ٥٠٩هـ/ ٢٢ آب ١١١٥م[٣].

وحاصرت القوات الصليبية مدينة ميورقة في ٢٧ ربيع الأول ٥٠٩هـ/٢٤ آب ١١١٥م، وتوفي أمير الجزائر الشرقية ناصر الدولة في أثناء الحصار، وذلك بعد أن أخفق في عقد معاهدة صلح مع الغزاة[٤]. وكان قد استصرخ علي بن يوسف بن تاشفين لنجدته[٥]، فأمر الأمير المرابطي ابن تاشفين بتجهيز القطع الحربية لفك الحصار عن ميورقة[٦].

---

(١) ابن الآبار، المعجم في أصحاب الإمام أبي علي الصدفي: ٥٤؛ والأوسي المراكشي، الذيل والتكملة: ٧٧ـ٧٨؛ وابن أبي زرع، روض القرطاس، ط الفلالي: ٧٩ـ٨٨.

(٢) الأوسي مراكشي، الذيل والتكملة: ٧٧ـ٧٨؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سيسالم، جزر الاندلس: ٢٣٢.

(٣) سيسالم، جزر الاندلس: ٢٣٧ـ٢٣٩.

(٤) المرجع السابق: ٢٣٩ـ٢٤٦.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٢٣ـ١٢٤.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٢٣؛ وانظر: سيسالم، جزر الاندلس: ٢٤٩ـ٢٥٠.

وتولى الأمر في الجزائر الشرقية بعد وفاة ناصر الدولة: أبو الربيع سليمان بن لبون الذي وصل أسطول المرابطين في عهده إلى جزيرة ميورقة، وذلك في ذي القعدة من سنة ٥٠٩هـ/ نيسان ١١١٦م[١].

واشتد الحصار على مدينة ميورقة، وتتابعت الحملات العسكرية على أسوارها، ولكنها أخفقت - في البداية - في فتح أي ثغرة في تلك الأسوار. ثم شنت حامية المدينة هجوماً معاكساً، واشتبكت مع القوات النصرانية في قتال عنيف جرح أثناءه قومس برشلونة بحربة قذفه بها أحد الرماة المسلمين من أعلى السور[٢].

ثم شدد النصارى هجماتهم، وألقوا النار على المدينة فانتشرت فيها، وأتت الحرائق على الأخضر واليابس، ووصلت إلى آلات الحصار والمجانيق التي كانت بحوزة النصارى أنفسهم، فاضطربت صفوفهم، ثم تجمعوا وهاجموا الأسوار ثانية، وتمكنوا من فتح ثلاث ثغرات فيها، وتسللوا إلى داخل المدينة[٣].

ويصف الحميري وابن الكردبوس ما ارتكبه النصارى في ميورقة بعد أن دخلوها، فقد قتلوا الأطفال والشيوخ، وسبوا الذراري، ونهبوا الأموال، ولما وصل الأسطول المرابطي "وجد المدينة خاوية على عروشها محرقة سوداء مظلمة منطبقة"[٤].

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، دول الطوائف: ٢٠٣؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٢٥٠.

(٢) سيسالم، جزر الاندلس: ٢٥١.

(٣) المرجع نفسه: ٢٥١؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٢٠٣.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٢٤؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨٨؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٢٠٣؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٢٥١-٢٥٢، و ٢٥٥-٢٥٩.

وقبل أن يصل الأسطول المرابطي حاول أبو الربيع سليمان بن لبون النجاة بنفسه من أيدي النصارى، فخرج مع بعض صحبه في مركب صغير، إلا أنه وقع في الأسر، وكبله النصارى بالأغلال[1]. وأخذوه معهم منسحبين بقيادة أمير قطلونية رامون برنجير الثالث، وكان انسحابهم في ١٨ ذي القعدة ٥٠٩هـ/٣ نيسان ١١١٦م بعد أن تركوا ميورقة قاعاً صفصفاً[2].

وصل الأسطول المرابطي إلى ميورقة بعد انسحاب النصارى منها، فقد وصل في أواخر ذي القعدة سنة ٥٠٩هـ/منتصف نيسان ١١١٦م، وكان بقيادة ابن تافرطاس الذي كان أول ما فعله بعد وصوله هو تأمين الجزر، واصلاح مدنها، وإعادة بناء ما تهدم منها. ثم رغب جنوده وبحارته في الاستقرار فيها، كما أعاد إليها أهلها الذين لاذوا بالجبال عند وقوع الغزو النصراني[3].

وتعاقب على الجزائر الشرقية في العهد المرابطي عدة ولاة[4]، ربما كان أشهرهم: محمد بن عليّ بن غانية المسوفي (٥٢٠-٥٣٧هـ/١١٢٦-١١٤٢م)[5]. وكانت في أوائل عهده قد نشبت ثورة في ميورقة قادها واليها الأسبق يانور بن محمد. وقد تمكن محمد بن علي بن غانية من القضاء على ثورته، والقبض عليه "وبعثه مصفدا إلى مراكش"[6].

(١) سيسالم، جزر الاندلس: ٢٦٠.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٢٤؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سيسالم، جزر الاندلس: ٢٦٦-٢٦٧.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٢٤.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨٨؛ وانظر التفاصيل في: سيسالم، جزر الاندلس: ٢٨١-٢٩٩.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨٨؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٢٩٩.

(٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢١٢.

وترسخت مكانة محمد بن غانية في الجزائر الشرقية عندما تولى أخوه يحيى على بلنسية وأعمالها سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م[١] فقد كان التعاون وثيقا بين الأخوين، ووطد ذلك مركز بني غانية في الجزائر الشرقية وفي شرقي الأندلس[٢].

وتوجه محمد بن علي بن غانية في سنة ٥٣٧هـ/١١٤٢م على رأس بعض قواته البحرية إلى شرقي الاندلس لمساندة أخيه يحيى، واضطر إلى البقاء هناك لمجابهة اعتداءات النصارى من جهة، والاستعداد لمجابهة الموحدين الذين تعاظمت قواتهم في المغرب من جهة أخرى. واستمر هو وأخوه بالتصدي للأحداث حتى نشبت الفتنة الدهماء عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م، وأخذت تعصف بالاندلس وتعكس تأثيراتها على الجزائر الشرقية[٣].

ولما بدأت الفتنة في الاندلس طلب يحيى من أخيه محمد العودة إلى الجزائر الشرقية باعتبارها الملجأ الآمن، والقاعدة التي يمكن الانطلاق منها لإخماد الثورات على المرابطين ورد الثغور الثائرة إلى الطاعة[٤].

وعاد محمد بن علي بن غانية إلى الجزائر الشرقية بالفعل، واستقر في ميورقة[٥]. بينما اشتد الضغط على أخيه يحيى في الأندلس، وخاصة ضغط النصارى بقيادة ألفونسو السابع، ملك قشتالة وليون، الذي أصبح يهدد قرطبة. وهو الأمر الذي جعل يحيى يؤثر تسليم قرطبة للموحدين، وذلك سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، وهي السنة التي توفي فيها[٦].

---

(١) للمزيد عن يحيى بن غانية انظر : ابن الخطيب، الإحاطة: ٣١١/١ الحاشية ٣.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٢/٤؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين: ١٥٤؛ وانظر : سيسالم، جزر الاندلس: ٣٠٢.

(٣) انظر : ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٣/٤ـ١٠٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٤٥/٤ـ٣٤٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٢/٤؛ وانظر أيضاً: سيسالم، جزر الاندلس: ٣٠٦ـ٣٠٧.

(٤) أشباخ، تاريخ الاندلس: ٢١٠؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٣٠٨.

(٥) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢٢٠/٢.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٤٧/٤؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين: ٣٣٤.

واستقل محمد بن علي بن غانية ـ بعد وفاة أخيه يحيى بحكم الجزائر الشرقية، وأخذ يستعد لمواجهة الموحدين وأساطيل النصارى، وكان المرابطون الفارون من الاندلس يلجأون إليه، وينضوون تحت لوائه، وأصبحت تلك الجزائر حصناً منيعاً يصعب اقتحامه[1].

وتوفي محمد بن غانية سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م[2] فتولى الجزائر الشرقية بعده ابنه إسحاق الذي حسنت حاله، وكثر الداخلون عليه بجزيرة ميورقة من فلول المرابطين، وظل يهادن الموحدين حتى عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م حيث أرسلوا إليه كتاباً يدعونه فيه إلى طاعتهم فتباطأ، فأصروا عليه وتوعدوه، إلا أنه توفي قبل البت في طلبهم، وذلك سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م[3].

وتولى حكم الجزائر الشرقية بعد وفاة إسحاق بن محمد بن غانية ابنه محمد الذي أعلن الطاعة للموحدين، فنقم عليه كبار قادة المرابطين، وتآمروا عليه مع أخيه علي، وخلعوه، ونصبوا علياً الملقب بـ (الميورقي) أميراً على الجزائر الشرقية، وذلك سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م[4].

وتمكن بنو غانية في عهد علي من استعادة بعض الأمجاد المرابطية، وقد استولوا على الأسطول الموحدي الذي وصل إلى الجزائر الشرقية لإخضاع بني غانية لسلطة الموحدين، كما استولوا على ثغر بجاية، واجتاحوا إفريقية والمغرب الأوسط سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م، وظلوا يصولون ويجولون إلى أن توفي علي سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م[5].

---

(١) أشباخ، تاريخ الاندلس: ٣١٨؛ وانظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٢/٤.

(٢) سيسالم، جزر الاندلس: ٣٢٣.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨٨ـ١٨٩؛ المراكشي، المعجب: ٣٤٤ـ٣٤٥؛ وانظر التفاصيل: سيسالم، جزر الاندلس: ٣٢٧ـ٣٤٣.

(٤) ابن الآبار، التكملة: ٨٥٩/٢؛ المراكشي، المعجب: ٣٣٤؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٣٥٠ـ٣٥١.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ١٤٤؛ وانظر التفاصيل: سيسالم، جزر الاندلس: ٣٥٣ـ٣٨٥.

وقام بالأمر في الجزائر الشرقية بعد علي أخوه يحيى بن إسحاق بن غانية، وقد تصدى للموحدين وناجزهم بلا هوادة[1]، ولكنهم أعدّوا حملة بحرية ضخمة، واستولوا على جزيرتي ميورقة ومنورقة واستولوا عليهما حوالي سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م، وبذلك أصبحت الجزائر الثلاث في أيديهم[2]، إذ كانوا قد استولوا على جزيرة يابسة منذ عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، على يد قائدهم أبي العباس الصقلي[3].

وتعاقب الولاة الموحدون على الجزائر الشرقية، ومن هؤلاء: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن، ثم أبو عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن، ثم أبو يحيى بن أبي الحسن بن أبي عمران التنملي[4].

وأسهم أسطول الجزائر الشرقية في السنة الأولى من ولاية أبي يحيى التنملي (٦٠٧هـ/١٢١٠م) في الإغارة على مملكة أرغون وقطلونية التي كانت تتحرش بالجزائر الشرقية باستمرار[5]. ولكن هذه الجزائر أصبحت معزولة تماماً بعد هزيمة الموحدين المروعة في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، كما أصبحت وحيدة أمام أطماع مملكة قطلونية وأرغون[6]. إلا أن أحداثاً وقعت في تلك المملكة النصرانية، ونشوب حرب أهلية فيها بين خايمي الأول، ولي عهدها وأعمامه بعد مقتل والده بيدرو الثاني سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م أدت إلى بقاء الجزائر الشرقية في مأمن من عدوان النصارى حتى سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٥م[7].

---

(1) المراكشي، المعجب: ٣٤٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧/١٨-١٩؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٣٨١.

(2) الحميري، الروض المعطار: ٥٦٧؛ المراكشي، المعجب: ٣٩٤؛ الناصري، الاستقصا: ٢/٢١٧؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٤٠٠-٤٠٤.

(3) سيسالم، جزر الاندلس: ٤٠٠-٤٠١.

(4) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٩٠-١٩١؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٤٦٩؛ ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٦٧؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٤٠٧-٤٠٨.

(5) سيسالم، جزر الاندلس: ٤٠٩-٤١٠.

(6) المراكشي، المعجب: ٣٩٩-٤٠١؛ المقري، نفح الطيب: ١/٤٤٦، و ٤/٣٨٣؛ والناصري، الاستقصا: ٢/٢٤٢-٢٤٥؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٤١١.

(7) سيسالم، جزر الاندلس: ٤١١.

لقد بدأ خايمي الأول - بعد أن استقر الأمر له في مملكة قطلونية وأرغون ــ بالاستعداد لمهاجمة الجزائر الشرقية، وبعدما أتم استعداداته، وحشد أساطيله أبحر على رأسها في ١٠ شوال ٦٢٦هـ/١ أيلول ١٢٢٩م. وعندما وصل إلى جزيرة ميورقة اشتبكت قواته مع القوات الاسلامية، ثم حاصر مدينة ميورقة، وتمكن يوم الثلاثاء ١٦ محرم ٦٢٧هـ/٤ كانون الأول ١٢٢٩ من فتح ثغرة كبيرة في أسوارها، وهاجمت قواته المدينة، إلا أن المسلمين ردوها على أعقابها. ولكنهم عاودوا الهجوم، واستمرت المقاومة، واشتدت المعركة على الطرفين، وتكدست الجثث في أطراف الشوارع والدروب حتى أعاقت تقدم الفرسان. وتمكن الغزاة من الاستيلاء على معظم أنحاء المدينة، وعاثوا فيها تدميراً ونهباً وقتلاً وأسراً، واعتصم أبو يحيى التنملي ومن بقي من أهل المدينة في قصرها الحصين[١].

وحاصر الغزاة قصر المدينة، وقذفوه بالمجانيق، فاضطر أبو يحيى التنملي إلى التسليم في يوم الثلاثاء ١٥ صفر ٦٢٧هـ/١ كانون الثاني ١٢٣٠م، ودخل النصارى كل مكان في المدينة واستباحوها بوحشية، وارتكبوا فيها المجازر[٢].

وبعد سقوط مدينة ميورقة انسحب أبو حفص عمر ابن سيرى، أحد كبار الشخصيات الميورقية إلى الجبال، والتفت حوله أعداد كبيرة من أنصاره ومؤيديه يقدر عددهم بنحو ستة عشر ألفاً، كما ثار سكان الجزيرة ضد الغزاة، واتخذوا من المغاور والكهوف معاقل لمهاجمتهم ودحرهم، وأوقعوا بهم خسائر كبيرة[٣].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٢/٤٧٠، ٤/٤٦٩؛ ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٦٧؛ أشباخ، تاريخ الاندلس: ٤١٩؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٤٢٢-٤٣٠.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٤/٤١٨؛ الروض المعطار: ٥٦٨؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٤٣٠-٤٣٣.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٧١؛ الحميري، الروض المعطار: ٥٦٨؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٤٣٣-٤٣٤.

واعتصم أبو حفص عمر بن سيري ومن احتشد معه من الرجال في معقل جبلي في شمالي جزيرة ميورقة يدعى بلانسة، وبايعه رجاله على الطاعة والجهاد لطرد الغزاة[١]. وبذلك تشكلت إمارة صغيرة عُين فيها الولاة والقادة والقضاة، وعلى رأسها أمير عزم على البذل والكفاح لإخراج الغزاة من هذه الجزيرة الاسلامية. وقد حاول الملك خايمي استمالته بمنحه إقطاعات واسعة، لكنه أبى[٢].

كان ابن سيري يشن الهجمات على القوات الصليبية في الليل، ويعود إلى معقله الجبلي دون أن يتمكن النصارى من مطاردته، لوعورة الشعاب الجبلية التي امتنع فيها. وأصبح مرهوب الجانب، شديد الخطورة على النصارى[٣].

وظل ابن سيري يقاتل القوات الصليبية إلى أن قتل يوم الجمعة عاشر ربيع الأول ٦٢٨هـ/١٣ شباط ١٢٣١م، وعلى أثر ذلك سقطت إمارة بلانسة في رجب ٦٢٨هـ/أيار ١٢٣١[٤]. وعين الملك خايمي الأمير بيدرو البرتغالي حاكماً لجزيرة ميورقة التي لم تستسلم كلها بشكل نهائي، فقد ظل من تبقى من ثوارها يشنون الهجمات على القوات النصرانية، إلى أن اضطر بعضهم إلى الاستسلام أخيراً للملك خايمي شريطة الاحتفاظ بممتلكاتهم، بينما ظل بعضهم الآخر يقاوم الغزاة إلى أن استشهدوا أو ماتوا جوعاً[٥]. أما بقية الأهالي من المسلمين فقد رحل بعضهم إلى مملكة غرناطة، وظل آخرون في الجزيرة، فوقعوا أسرى في أيدي القوات الصليبية، واستعبدوا، وبيع الآلاف منهم في أسواق الرقيق[٦].

---

(١) الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة: ٢٥/٤٤٢؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٤٧١.
(٢) سيسالم، جزر الاندلس: ٤٣٦.
(٣) المرجع نفسه: ٤٣٦.
(٤) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٧١؛ الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة: ١/١/٢٤٥.
(٥) سيسالم، جزر الاندلس: ٤٣٨.
(٦) المرجع نفسه: ٤٣٩.

وبعد أن فرغ الملك خايمي الأول من جزيرة ميورقة، أخــذ يعد العدة للاستيلاء علـى جزيرتي يابسة وفرمنتيرة، وكان أمير يابسة: زيان بن أبي الحملات بن مردنيـش يكـثر مـن الإغارة على مملكة قطلونية وأرغون، ويتصدى للغزاة[1]. وتمكن الملك خايمي من إعداد حملة صليبية شارك فيها رئيس أساقفة طركونة، والأمير بيدرو البرتغالي حاكم جزيرة ميورقة، وقد أبحرت في شهر رجب ٦٣٢هـ/ نيسان ١٢٣٥م، ولما وصلت جزيـرة يابسـة ضربـت الحصـار على مدينتها، وتمكنت من الاستيلاء عليها بعد حوالي أربعة أشــهر مـن الحصـار، وذلـك في أوائل محرم ٦٣٣هـ/آب ١٢٣٥م[2].

وبعد الاستيلاء على الجزيرة اقتسمها الغزاة فيما بينهم، واستعبدوا مـن بقـي حيـاً مـن أهلها. وكذلك فعلوا بأهالي جزيرة فرمنتيرة[3]. إلا أن سكان الجزيرتين المسلمين ما لبثـوا أن ثاروا على النصارى، وقتلوا أعداداً كبيرة منهم، غير أنهـم تعرضـوا لحملـة جديـدة سـحقت ثورتهم، وفرضت العبودية عليهم من جديد[4].

وأما جزيرة منورقة فلم تتعرض لما تعرضت له الجـزر السـابقة، وظلـت محافظـة علـى استقلالها بقيادة أميرها سعيد بن حكم بن عثمان القرشي الطبيري[5]. "وكان سعيد بن حكـ قد وليّ على جزيرة منورقة من قبل الوالي أبي يحيى التنملي"[6]، فكسب قلوب أهلها بحسن خلقه وإحسانه[7].

---

(١) أشباخ، تاريخ الاندلس: ٤٢١؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٣٧٢-٣٧٣؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٤٤٣.

(٢) ابـن أبـي زرع، روض القرطـاس: ٢٧٦؛ عنـان، عصـر المرابطيـن والموحديـن: ق٢/٤٠٨؛ سيســالم، جزر الاندلس: ٤٤٣-٤٤٤.

(٣) سيسالم، جزر الاندلس: ٤٤٥.

(٤) المرجع نفسه: ٤٤٥.

(٥) الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة: ٤/٢٩ــ٣٠؛ ابـن سـعيد، المغـرب: ٢/٤٦٩؛ ابـن الخطيـب، أعمـال الاعلام: ٢٧٥؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٤٤٦.

(٦) المقري، نفح الطيب: ٤/٣٧١؛ وانظر أيضاً: ابن سعيد، اختصار القدح المعلى: ٢٨.

(٧) ابن سعيد، اختصار القدح المعلّى: ٢٨.

لقد تدبر سعيد بن حكم أمره، فبعد أن احتل الملك خايمي الأول جزيرة ميورقة أدرك أن لا قبل له بالحشود الصليبية، فتوجه إلى الملك خايمي، واتفق معه على أن يترك المسلمين أحراراً في جزيرة منورقة، مقابل تعهدهم بدفع جزية سنوية، واعلانهم الخضوع والطاعة للملك[١]. ولما كان الملك خايمي مشغولاً بالثورات الاسلامية في جزيرة ميورقة، فقد وافق على طلب سعيد بن حكم[٢].

ووفر سعيد بن حكم لأهل منورقة الأمن والسلام، فاكتسب ثقتهم ومحبتهم، وملك قلوبهم، ووقفوا إلى جانبه في كل شأن[٣].

وضبط سعيد بن حكم جزيرة منورقة "أحسن ضبط، وسار فيها أعدل سيرة، واستقام أمر الثغر في يده، وهابه النصارى المصاقبون له من كل جهة، فجرت أحوال المسلمين به على خير تام، وصلاح عام"[٤].

وتوفي سعيد بن حكم في ٢٧ رمضان ٦٨٠هـ/كانون الثاني ١٢٨١م، وتولى من بعده ابنه حكم بن سعيد[٥].

ولم يكن حكم بن سعيد سياسياً محنكاً كأبيه، وإن كان نبيلاً سامي النفس، رفيع الثقافة[٦]، فقد تمرد على التبعية لملكة قطلونية وأرغون، وتحلل من تعهدات والده بإعلان

---

(١) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/٣١٨-٣١٩؛ ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٦٩؛ الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة: ٤/٣٠؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٧٥؛ السيوطي، بغية الوعاة: ٢/٣٨٣؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٤٧١.

(٢) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق٢/٤٠٩.

(٣) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/٣١٨/٣١٩؛ ابن سعيد، اختصار القدح المعلى: ١٢٨؛ والمغرب: ٢/٤٦٩.

(٤) ابن الابار، الحلة السيراء: ٢/٣١٨؛ الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة: ٤/٣١.

(٥) الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة: ٤/٣٣؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٧٦.

(٦) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٧٦؛ الأوسي المراكشي، الذيل والتكملة: ٤/٣١.

الخضوع والتبعية لملكها الجديد الفونسو الثالث الذي تولى الملك سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٥م. وأخذ حكم يعدّ العدة لمواجهة أي عدوان نصراني[١].

أخذ الفونسو الثالث يعد العدة للاستيلاء على منورقة، ولما سمع حكم بذلك شعر بخطورة الموقف، وحاول الاتصال بألفونسو، وتذكيره بما بين مملكته وبين والده من عهود ومواثيق، إلا أن الملك النصراني الذي اشتهر برعونته واستهتاره بكل القيم لم يأبه بذلك، وقرر مهاجمة الجزيرة في الشتاء[٢].

ووصل إلى منورقة كثير من المتطوعين المسلمين، وخاصة من شمالي إفريقية، وقد بلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة بين راجل وفارس، تصدوا مع قوات الجزيرة للصليبيين الذين هاجموها سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م[٣].

لقد لجأ الملك الفونسو الثالث إلى الحيلة من أجل احتلال الجزيرة، فعندما أبحرت سفنه كان البرد شديداً، والشتاء عاصفاً، وتشتت تلك السفن في عرض البحر، وانقطع الاتصال بينها، ولم يصل منها مع ألفونسو سوى عشرين انحاز بها إلى خليج ماهون في جزيرة منورقة بانتظار السفن الباقية وعددها مائة. وتظاهر أمام حكم بن سعيد بأنه يرغب في النزول إلى البر للاستسقاء، فأذن له ولقواته التي فاجأت المسلمين بالقتال، وعندئذ تراجعت القوات الاسلامية، واعتصمت بالتلال المجاورة، وواصلت هناك القتال بضراوة[٤].

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٧٦؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سيسالم، جزر الاندلس: ٤٥٢.

(٢) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٣١٨/٢؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٤٥٣-٤٥٤.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٤٠٧؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٧٦-٢٧٧؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٨٥؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سيسالم، جزر الاندلس: ٤٤٥.

(٤) سيسالم، جزر الاندلس: ٤٥٦-٤٥٧.

ثم اعتصم المسلمون بقلعة منورقة الحصينة، فحاصرهم النصارى فيها، واستمرت الاشتباكات بين الطرفين بضراوة وعنف نحو أسبوعين، وحاول النصارى اقتحام القلعة، وعندئذ عرض حكم على ألفونسو استسلام الجزيرة له على شروط أهمها التعهد بتأمين سلامة السكان، ونقل من يرغب منهم إلى إفريقية، فوافق الملك، ووقع الاتفاق على ذلك في ٣ ذي الحجة ٦٨٦هـ/٢١ كانون الثاني ١٢٨٧م[1].

وخرج حكم وحاشيته إلى غرناطة، وبقي بعض المسلمين في جزيرة منورقة فاستعبدهم النصارى، وحاول بعضهم الهجرة إلى إفريقية، فحملتهم المراكب وفقاً للاتفاق ـ وكان عددهم نحو عشرة آلاف ـ وقام الذين نقلوهم بإغراقهم في البحر، ونهبوا أموالهم، بعد أن واجهوا مصيرهم المفجع[2].

(١) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٧٧؛ سيسالم، جزر الاندلس: ٤٥٨.

(٢) سيسالم، جزر الاندلس: ٤٥٨ـ٤٥٩.

الجَزِيرَةُ الخَضْرَاء Algeciras:

مدينة مشهورة في أقصى جنوبي الأندلس بجوار جبل طارق مقابل مدينة سبته، تبعد عنه ستة أميال[1]. وتسمى أيضاً: جزيرة أم حكيم، وهي جارية لطارق بن زياد كان قد حملها معه عندما توجه لفتح الاندلس، ثم تركها فيها فنسبت إليها. ويقال: إن طارق بن زياد وقف هذه المدينة على جاريته المذكورة[2].

والجزيرة الخضراء تقع على ربوة مشرفة على البحر الأبيض المتوسط، سورها متصل به[3]. ولا يحيط بها البحر كما تكون الجزائر لكنها متصلة ببر الاندلس لا حائل من الماء دونها[4]. وهي مدينة متحضرة لها سور حجارة مفرغ بالجير، ولها ثلاثة أبواب، ودار صناعة داخل المدينة، وفيها "إنشاء وإقلاع وحط"[5].

وتتصل أعمال الجزيرة الخضراء بأعمال شذونة، وهي شرقي شذونة وقبلي قرطبة، وبينها وبين قرطبة خمسون فرسخاً[6]. ويقابلها من المغرب مدينة سبتة بينهما ثمانية عشر ميلاً[7].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١٣٦/٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٤٠/٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٠ الحاشية ٣.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٠ الحاشية ٣؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٢٣؛ وانظر الادريسي: ٥٣٩/٥ـ٥٤٠ حيث ذكر أن جزيرة أم حكيم توجد أمام الجزيرة الخضراء. وانظر أيضاً ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله، فتوح افريقية والأندلس، بيروت، ١٩٦٤، ص ٧١.

(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ١١٧؛ ياقوت، معجم البلدان: ١٣٦/٢.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ١٣٦/٢.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٣٩/٥.

(٦) ياقوت، معجم البلدان: ١٣٦/٢.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٢٧/٥.

وأما المسافة بينها وبين إشبيلية فتبلغ مسيرة خمسة أيام[١].

ذكر ابن عذاري أن الجزيرة الخضراء لا ماء فيها[٢]، بينما ذكر العذري أن نهراً يشقها يعرف بوادي العسل Rio de La miel[٣]، وأيده في ذلك الحميري[٤].

ويوجد في مدينة الجزيرة الخضراء جامع حسن البناء فيه خمس بلاطات وصحن واسع وسقائف من الجهة الشمالية، وهذا المسجد في وسط المدينة في أعلى الربوة، وأسواق المدينة متصلة من الجامع إلى شاطئ البحر[٥]. وعلى البحر بين القبلة والشرق مسجد يسمى مسجد الرايات[٦]. ولهذا المسجد باب من خشب سفن المجوس (النورمان). وقد سمي المسجد بمسجد الرايات لأن المسلمين الأوائل الذين فتحوا الاندلس بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير اجتمعوا في هذا المكان براياتهم للمشورة والرأي[٧].

وقد وصف الحميري مدينة الجزيرة الخضراء بأنها طيبة رفيقة بأهلها، جامعة لفائدة البحر والبر، قريبة المنافع من كل وجه لأنها وسطى مدن الساحل، وأقرب مدن الأندلس مجازاً إلى العدوة[٨].

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٣٩ـ٥٤٠.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٣١.

(٣) العذري، نصوص عن الاندلس: ١١٧.

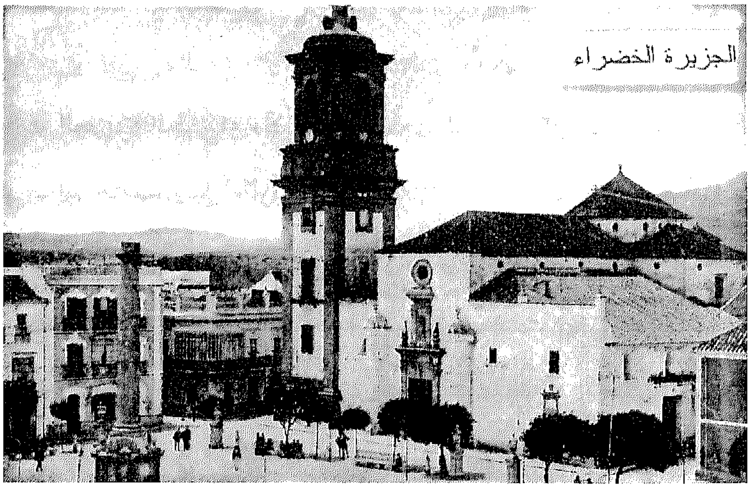
(٤) الحميري، الروض المعطار: ٢٢٤.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ٢٢٤.

(٦) الحميري، الروض المعطار: ٢٢٤؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٢٧، ٥٣٩.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٣٩ـ٥٤٠؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٠ الحاشية ٣؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٢٤ حيث يذكر أن النورمان غزو المدينة سنة ٢٤٥هـ وأحرقوا مسجدها.

(٨) الحميري، الروض المعطار: ٢٢٣.



Algeciras.—Plaza de la Constitución (Foto Hauser y Menet)

كانت مدينة الجزيرة الخضراء أول مدينة افتتحت من الاندلس، بل أغار عليها طريف بن مالك الذي أرسله موسى بن نصير في حملة استطلاعية، وذلك سنة ٩١هـ/٧٠٩م، فأصاب غنيمة كثيرة فيها ورجع سالماً في رمضان من تلك السنة[١]. ولما جاز طارق بن زياد إلى الاندلس نزل من الجبل المعروف باسمه وافتتحها سنة ٩٢هـ/٧١٠م[٢].

ودخل موسى بن نصير الأندلس في شهر رمضان سنة ٩٣هـ/٧١١م، وحلّ في الجزيرة الخضراء، وفيها قرر سلوك طريق غير التي سلكها طارق بن زياد لمواصلة فتح الاندلس[٣]. فعندما وصل موسى إلى الجزيرة انتظر فترة من الوقت حتى تفد إليه رايات الفرق العربية التي شكلت ما عُرف بطالعة موسى، ثم انطلق بهم لفتح شذونة (Sidonia)[٤].

وأصبحت الجزيرة الخضراء منذ فتحها المجاز المفضل للجيوش الاسلامية القادمة من المغرب، فهي ـ إلى جانب جبل طارق ـ تعد نقطة اتصال مهمة بين الأندلس وشمالي إفريقية. وقد حظيت بسبب هذا الموقع باهتمام الولاة والأمراء والخلفاء في العهود الأولى، وفي أيام المرابطين والموحدين وبني مرين. وبسبب هذا الموقع تعرضت أيضاً لكثير من الأحداث، وكانت موضع تنافس بين المسلمين والنصارى يسعى كل منهم إلى الاحتفاظ بها للإفادة من موقعها الاستراتيجي البالغ الأهمية. ففي عهد واليها عبد الملك بن قطن الفهري ١٢٣-١٢٤هـ/٧٤١-٧٤٢م دخلت إلى الاندلس طالعة بلج بن بشر القشيري والتي تقدر بنحو عشرة آلاف من عرب الشام، بعد أن أخذ ابن قطن منهم رهائن انزلهم بالجزيرة الخضراء

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٢٢/٤.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٢٢/٤؛ المقري، نفح الطيب: ٢٥٥/١؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٦؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٣٤.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٢٦٩/١؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٥؛ وانظر: الناصري، الاستقصا: ٩٩/١.

(٤) مؤنس، فجر الاندلس: ٩١؛ وانظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٢٣/٤.

حتى يأمن عدم إطاحتهم به. وبعد دخولهم ساعدوه في القضاء على البربر الذين كانوا ثائرين ضده[1].

وتعرضت الجزيرة الخضراء في عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) لغزو النورمان وذلك سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م، قد تمكنوا في هذه الغزوة من دخول المدينة، وإحراق مسجدها الجامع، ثم غزوها مرة ثانية سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م، فأعطب عامل الجزيرة مطرف بن نصير بعض سفنهم، ولاذ باقيتها بالفرار[2].

وبنى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر في الجزيرة الخضراء داراً هائلة لصناعة الأساطيل الحربية ذات أسوار وحصون[3]. وظلت في عهده ٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م مدينة قوية رغم تعرضها في ذلك العهد لثورة عمر بن حفصون والاستيلاء عليها من قبله، فقد خلصها منه الناصر وحصنها وذلك سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م[4]. ثم آلت الجزيرة الخضراء في عهد الخليفة الأموي (المستعين) إلى القاسم بن حمود بن ميمون[5]، ثم تغلب عليها زاوي بن زيري صاحب غرناطة[6]. وملكها بعد ذلك محمد بن القاسم الذي تلقب بالمعتصم سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م وظل فيها حتى سنة ٤٤٠هـ/١٠٤٨م حيث ملكها ابنه الواثق حتى وفاته سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، وصارت بعده للمعتضد بن عباد[7].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٣٠-٣٢.

(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ١١٨-١١٩.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٠ الحاشية ٣.

(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/١٧٩.

(٥) المصدر نفسه: ٤/١٩٦.

(٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/١٩٧.

(٧) المصدر نفسه: ٤/١٩٩-٢٠٠.

ولما ضعف حال الاندلس في عهد ملوك الطوائف استنصروا أمير المرابطين يوسف بن تاشفين، فاشترط للجواز إلى الاندلس أن يتنازل له المعتمد بن عباد عن الجزيرة الخضراء لتكون قاعدة لانطلاق الجيوش المرابطية "... وإنه لا يكون جوازنا إليك إلا أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا لكي يكون جوازنا إليك على أيدينا متى شئنا "[1]. فوافق ابن عباد على هذا الشرط، وجاز يوسف في منتصف ربيع الأول سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[2]. وعندما وصل يوسف إليها رمم أسوارها وأبراجها[3]، ثم ترك فيها حامية مرابطية، وانطلق إلى غايته. وفي سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م جاز يوسف بن تاشفين إلى الاندلس للمرة الثانية، واجتمع مع ملوك الطوائف في الجزيرة الخضراء، ثم انطلق منها لمحاصرة حصن لبيط الذي كان النصارى فيه يضايقون المسلمين[4].

وكانت مدينة الجزيرة الخضراء موقعاً لتجمع قوات الموحدين أيضاً، تمهيداً لنصرة مسلمي الاندلس، فقد نزلها يوسف بن عبد المؤمن بن علي سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، ثم زحف بجيشه منها لمحاصرة مدينة شنترين التي كانت آنئذ معقلاً قوياً من معاقل النصارى[5]. ونزلها الأمير الموحدي يعقوب بن يوسف سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م، وانطلق منها لمواجهة ملك قشتالة ألفونسو الثامن في منطقة قلعة رباح، حيث دارت معركة الأرك التي انتصر فيها المسلمون في شعبان من السنة نفسها[6]

---

(١) مجهول، الحلل الموشية: ٤٩-٥٠؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٠.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٠ والحاشية ٢.

(٣) المقري، نفح الطيب: ١٣٣/٤؛ المراكشي، المعجب: ١٩٣-١٩٤؛ الناصري، الاستقصا: ٣٢/٢-٣٣.

(٤) ابن بلقين، التبيان: ١١٠.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ق٢٦٩/٢؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٢١٣-٢١٥؛ النصاري، الاستقصا: ١٥١/٢.

(٦) المقري، نفح الطيب: ٣٨٠/٤-٣٨٢؛ مجهول، الحلل الموشية: ١٥٩؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٤٨.

وفي سنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م انطلق السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق من الجزيرة الخضراء مغيراً على الأراضي النصرانية، وقتل أعداداً كبيرة من النصارى[1]. وكان السلطان المريني يكثر من الغارة على النصارى في الاندلس، ثم يعود إلى الجزيرة الخضراء للاستراحة واستجماع القوى للإغارة ثانية[2].

وفي سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م سقطت مدينة الجزيرة الخضراء في أيدي النصارى (الفونس الحادي عشر)، وظلت في أيديهم حتى سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م حيث استنجد سلطان غرناطة محمد الخامس بن يوسف (الغني با لله) بالسلطان المريني أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن فجاز إليها، واضطر حاميتها النصرانية إلى الانسحاب منها وتسليمها للمسلمين[3]. وقد أثر السلطان المريني تدميرها في تلك السنة حتى لا يأتيه خطر من ناحيتها من جانب النصارى[4].

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٢٨/٧؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٣١٥-٣١٦؛ الناصري، الاستقصا: ٤٠/٣؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٧٩.

(٢) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٢٣٥؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٨٣-٨٤.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة: ٨٨/٢-٩٠؛ وانظر: ابن الخطيب، كناسة الدكان: ٣٦.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٠ الحاشية ٣.

جُلُّمانِيَّة Yulumania :

حصن، ذكره ابن سعيد في المغرب، وعده من "المملكة البطليوسية"، ونسب إليه أبا زكريا محمد بن زكي الجلّماني "وكان شاعراً متجولاً على الأقطار، مستجدياً بالأشعار"[1].

ومن شعره:

إذا خجل الوردُ فاشرب عليه | وإن نَظَرت أعيُن النَّرجس
ولا تستمع من نصيح فما | قوام الحياة سوى الأكؤسي[2].

---

(1) ابن سعيد، المغرب: ١/٣٧٨.

(2) المصدر نفسه: ١/٣٧٨.

جِلْيَانَـــة Juliana:

حصن[١]، أو قرية[٢]. ويؤكد المقري أنّ جليانة حصن "كبير يضــاهي المـدن"[٣]. ويلفـظ اسمه بالكسر ثم السكون، وياء وألف ونون[٤]. وهو من أعمال وادي آش[٥].

تسمى جليانة: جليانة التفاح[٦]، ذلك أنها اضافة إلى ما فيها من فواكه كثيرة تختـص بتفاح "يجمع عظـم الحجـم، وكـرم الجوهـر، وحـلاوة الطعـم، وذكـاء الرائحـة والنقـاء"[٧]. ويضرب في الأندلس بتفاحها المثل[٨]، فهو "إذاً أُكل وجد فيه طعم السكر والمسك"[٩].

(١) المقري، نفح الطيب: ١٤٩/١؛ ياقوت، معجم البلدان: ١٥٧/٢؛ ابن سعيد، المغرب: ١٤٨/٢.
(٢) العذري، نصوص عن الاندلس: ٩٠.
(٣) المقري، نفح الطيب: ١٤٩/١.
(٤) ياقوت، معجم البلدان: ١٥٧/٢.
(٥) ياقوت، معجم البلدان: ١٥٧/٢؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ٦٣٥/٢؛ ابن سعيد، المغرب: ١٤٨/٢.
(٦) ياقوت، معجم البلدان: ١٥٧/٢.
(٧) المقري، نفح الطيب: ١٤٩/١.
(٨) ابن سعيد، المغرب: ١٤٨/٢.
(٩) ياقوت، معجم البلدان: ١٥٧/٢.

جنجالة Chinchilla:

ذكرها الحميري بلفظين: جنجالة، وشنتجالة[1]. وذكرها ياقوت بلفظين مختلفين: جنجيلة، وشنتجالة أيضاً[2]. وأوردها العذري بياء: شنتجيالة[3]. وهي مدينة متوسطة[4]، أو حصن[5].

تقع جنجاله شمال مرسية[6]، وقد ذكر الحميري أنها في طرف كورة تدمير مما يلي الجوف[7]، وذلك إلى الشمال من حصن الكرس. وتبعد عن قرطاجنة خمسة وثلاثين ميلاً[8].

ومدينة جنجالة "حصينة القلعة، منيعة الرقعة، ولها بساتين وأشجار، وعليها حصن حسن، ويعمل بها من وطاء الصوف ما ليس يمكن صنعه في غيرها باتفاق الهواء والماء. ولنسائها جمال وحصافة"[9].

أصبحت جنجالة في عهد ملوك الطوائف إحدى البلدات التابعة لمملكة طليطلة، فقد بسط اسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون سلطانه عليها سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م[10].

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٦٧، ١١٢.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ١٦٨/٢، ٣٦٧/٣.

(٣) العذري، نصوص عن الاندلس: ٤، وانظر أيضاً اسمها باختلاف الفاظه، ص ١٣٢.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٠/٥؛ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٤٠١؛ ياقوت، معجم البلدان: ١٦٨/٢.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٦٧.

(٦) المصدر نفسه: ٦٧.

(٧) المصدر نفسه: ١١٢.

(٨) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٤٠١، ج٤؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٣-٤.

(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٠/٥.

(١٠) عنان، دول الطوائف: ٩٦.

وفي أواخر عهد الموحدين بالأندلس ثار في مرسية محمد بن علي بن هود، وقد آثر ابن هود وغيره من الحكام بمن فيهم حاكم جنجالة، آثروا عقد الصلح مع ملك قشتالة فرناندو الثالث، واعترفوا بطاعته، وأدوا إليه الجزية، وذلك سنة ٦٤١هـ/١٢٤٣م[١].

ويشار هنا إلى أن ملك غرناطة محمد (الأحنف) هزم نصارى قشتالة في معركة وقعت بينه وبينهم قرب جنجالة سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م[٢].

---

(١) عنان، نهاية الاندلس: ٣٤.
(٢) المرجع نفسه: ١٥٠.

جِلّيقيّة Galicia :

بكسرتين، واللام مشددة، وياء ساكنة، وقاف مكسورة، وياء مشددة، وهاء[١]. قال ابن الخراط عن موقعها "متاخمة للأندلس بالجوف منها"[٢]. وقال ياقوت: "ناحية قرب ساحل البحر المحيط من ناحية شمالي الأندلس في أقصاه من جهة الغرب"[٣]. وقال عنها الحميري: "تلي المغرب، وتنحرف إلى الجوف... وتنتهي أحواز الجليقيين في الجوف إلى البحر المحيط، وفي القبلة إلى أحواز مدينة طلسونه"[٤].

وذكر البكري أن جليقية أربعة أقسام: الأول يلي الغرب وينحرف إلى الشمال، والثاني هو المسمى بحوز أشتوريش، والثالث ما كان من جليقية بين الغرب والجنوب "ويسمى أهله البرتقالش" أي البرتغال، والرابع ما كان بين الشرق والجنوب، ويسمى بـ "قشتيلة، وقشتيلة القصوى، وقشتيلة الدنيا"[٥].

يفهم من المصادر المختلفة أن جليقية تقع في منطقة في شمال غربي إسبانيا على المحيط الأطلسي، وتعني جليقية أكثر مما تعنيه كلمة Galicia الإسبانية، فقد كانت تمتد من نهر دويره Duero جنوباً حتى الساحل الشمالي لشبه الجزيرة الإيبيرية، ومن الساحل الغربي على المحيط الأطلسي حتى قشتالة[٦].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١٥٧/٢.
(٢) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٣٣.
(٣) ياقوت، معجم البلدان: ١٥٧/٢.
(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٦٧.
(٥) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٧١-٧٢.
(٦) المصدر نفسه: ٧١ الهامش.

ذكر أبو الفدا أن قاعدة جليقية هي سمورة[١]، وقال البكري والحميري كانوا يسكنون حوالي مدينة بُراقرة التي هي متوسطة الغرب[٢]. وقد وصف هذه المدينة بأنها "أولية من بنيان الروم وقواعدهم، ودور مملكتهم، شبيهة من مدينة ماردة في إتقان بنيانها وصنعة أسوارها، وهي اليوم مهدومة الأكثر خالية، هدمها المسلمون وأجلْوا أهلها"[٣].

وجليقية عبارة عن بلاد سهلية يغلب عليها الرمل، وأكثر ما يزرع فيها الدُّخن والذرة[٤]. أما أهلها فقد أشارت بعض المصادر إلى أنهم من ولد يافث بن نوح، عليه السلام[٥]، وذكرت أنهم أهل غدر ودناءة أخلاق، لا يتنظفون ولا يغتسلون في العام إلا مرة أو مرتين بالماء البارد، ولا يغسلون ثيابهم منذ يلبسونها إلى أن تتقطع عليهم. "ويزعمون أن الوضَرَ الذي يعلوها من عرقهم به تتنعّم أجسامهم، وتصلح أبدانهم. وثيابهم أضيق الثياب، وهي مفرّجة تبدو من تفاريجها أكثر أبدانهم، وفيهم بأس شديد، لا يرون الفرار عند اللقاء، بل يرون الموت دونه"[٦].

وجليقية بلاد لا تطيب سكناها لغير أهلها، الذين يعتمدون في قوتهم على الدخن والذرة "ومعوّلهم في الأشربة على شراب التفاح والبُشكة، وهو شراب يتخذ من الدقيق"[٧].

أشارت المصادر إلى أن جليقية فتحها موسى بن نصير، إذ يذكر ابن عذاري أنه "خرج من طليطلة غازياً، يفتح المدائن، حتى دانت له الأندلس. وجاءه أهل جليقية يطلبون

(١) أبو الفدا، معجم البلدان: ١٨٤.
(٢) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٧١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٦٦.
(٣) البكري، جغرافية الأندلس وأوربا: ٧٢؛ الحميري، الروض المعطار: ١٦٩.
(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٦٦.
(٥) ابن الخراط، الأندلس في اقتباس الأنوار: ١٣٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٦٦.
(٦) الحميري، الروض المعطار: ١٦٩؛ وصفه جزيرة الأندلس: ٦٦؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٨٠؛ ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٣٣.
(٧) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٨٠ـ٨١؛ ياقوت، معجم البلدان: ١٥٧/٢؛ الحميري، الروض المعطار: ١٦٩.

الصلح، فصالحهم. وفتح بلاد البشكنش، وأوغل في بلادهم حتى أتى قوماً كالبهائم"[1]. "وقيل: إن موسى تقدم من ماردة فدخل جليقية، من فج نُسب إليه، فخرقها حتى واف طارق بن زياد صاحب مقدمته بمدينة أسترقة"[2]. ويبدو أن طارق بن زياد قد ساهم في فتحها[3] .

تعرضت جليقية لحملات عسكرية متلاحقة خلال العهد الأموي في الأندلس، ففي سنة ١٧٥هـ/٧٩١م وجه الأمير هشام جيشاً بقيادة يوسف بن بخت، فلقي يوسف "ملكها برْمُند، وهزمه، وأثخن في العدو"[4]. ويذكر ابن عذاري أن ابن بخت أوقع في الجلالقة مقتلة عظيمة "وحزّ من رؤوسهم عشرة آلاف، سوى من لم يتمكّن منه ممن قُتل في الوعر"[5]. وكان الأمير هشام عندما افتُتحت أربونة قد اشترط على أهل جليقية أن ينقلوا أحمالاً من التراب من سور أربونة إلى باب قصره بقرطبة، حيث نقلوا ما كان كافياً لبناء مسجد هناك "وفضلت منه فضلة بقيت مكوّمة"[6].

وفي سنة ١٧٨هـ/٧٩٤م وجه الأمير هشام بن عبد الرحمن جيشا بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد إلى بلاد الجلالقة "فجمع له ملك الجلالقة، واستمد بملك البشكنس. ثم خام عن اللقاء، ورجع أدراجه، واتبعه عبد الملك، وكان هشام قد بعث الجيوش من ناحية أخرى، فالتقوا بعبد الملك، وأثخنوا في البلاد"[7].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٦/٢.
(٢) المقري، نفح الطيب: ٢٧١/١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس: ٣٥.
(٣) المقري، نفح الطيب: ٢٧٥/١ـ٢٧٦.
(٤) المقري، نفح الطيب: ٣٣٧/١.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٦٣/٢ـ٦٤.
(٦) المقري، نفح الطيب: ٣٣٧/١.
(٧) المصدر نفسه: ٣٣٨/١.

وأرسل الحكم بن هشام حملة إلى جليقية سنة ١٨٥هـ/٨٠١م بقيادة الحاجب عبد الكريم بن مغيث، فأثخن العساكر فيها "وخالفهم العدو إلى المضايق، فرجع على التعبية، وظفر بهم، وخرج إلى بلاد الإسلام ظافراً"[١]. واستمرت الحملات العسكرية على جليقية في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم، ففي سنة ٢٢٣هـ/٨٣٧م وجه إليها جيشاً بقيادة أخيه الوليد فدوّخها[٢]، وفي سنة ٢٢٥هـ/٨٣٩م قاد الأمير عبد الرحمن الجيش بنفسه، وغزا جليقية، وجال في أرضها "وطالت غزاته، وتعب كثيراً"[٣]. ويذكر المقري أن الأمير عبد الرحمن في هذه الغزوة افتتح عدة حصون من بلاد جليقية، وجال في تلك البلاد، ورجع بعد طول المقام بالسبي والغنائم[٤].

وأرسل الأمير عبد الرحمن جيشاً إلى جليقية سنة ٢٣١هـ/٨٤٥م بقيادة ابنه محمد، وقد وصل الجيش إلى مدينة ليون، وحاصرها، ورماها بالمجانيق، فلما أيقن أهلها بالهلاك فرّوا إلى الجبال ليلاً، فاقتحمها المسلمون، وغنموا ما فيها وأحرقوها "وأرادوا هدم سورها فلم يقدروا عليه، لأن عرضه كان سبعة عشر ذراعاً، فثلموا فيه ثلمة ورجعوا"[٥].

وقاد الأمير محمد بن عبد الرحمن حملة بنفسه إلى جليقية سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م "فأثخن وخرّب"[٦]. ووجّه إليها حملة أخرى سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م، فهزم ملكها، وقتل من جنوده نحو ثمانية آلاف فارس. وقد وصلت هذه الحملة إلى أراضي ألبة والقلاع[٧]. ووقعت في جليقية معركة بين أهلها وبين سبعمائة من المسلمين المرابطين في الثغور. وقد تصدى هؤلاء لجيش كبير من جيوش اشتريس ومعه ابن مروان الجليقي الذي كان لاجئاً عند الملك الفونسو

(١) المقري، نفح الطيب: ١/٣٣٩.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٨٥.
(٣) المصدر نفسه: ٢/٨٥؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ١/٣٤٥.
(٤) المقري، نفح الطيب: ١/٣٤٥.
(٥) المصدر نفسه: ١/٣٤٦؛ وانظر ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٨٨.
(٦) المقري، نفح الطيب: ١/٣٥١.
(٧) ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ٢٠-٢١.

الثالث بن أردونيو الأول. وقد تغلب ذلك الجيش على المسلمين وقتل منهم المئات[1]. وفي سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م دخل البرّاء بن مالك إلى جليقية بحشود الغرب، وتردد هناك حتى أذهب نعيمهم[2].

وبدأت في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر مرحلة جديدة من العلاقات بين المسلمين والجلالقة، فقد أصبحت جليقية جبهة حرب أكثر سخونة، ففي سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م خرج ملك الجلالقة إلى مدينة سمّورة، وأخذ يحشد جيوشه هناك، بينما كان المسلمون "في محنة من الفتنة وعلى انبتات من الجماعة"[3]، ثم هاجم بلاد المسلمين، واحتل بعض الحصون مثل قلعة الحنْش، وقتل حاميتها، ثم رحل إلى ماردة فلاطفه أهلها وبعثوا إليه رسولاً يستلطفه "وأهدوا له فرساً رائعاً من عتاق الخيل بسرجه ولجامه، قبله منهم وأعجب به، فترك حربهم، ورحل عنهم"[4]. وهاجم أردون، ملك الجلالقة مدينة تطيلة سنة ٣٠٥هـ/٩١٧م، كما هاجم مناطق أخرى من الثغر الأقصى، وساعده في هذا الهجوم شانجة بن غرسية ملك بنبلونة، وعادا إلى بلادهما منتصرين[5]. واستعد ملك جليقية لمهاجمة بلاد المسلمين سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م إلا أنه لم يجرؤ على اقتحامها بعد أن حشد له الناصر أهل الثغور، واستنفر الناس لجهادهم بقيادة إسحاق بن محمد[6].

وفي سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م استعد الخليفة الناصر استعدادا كبيرا لغزو جليقية، وبعد أن أكمل استعداده وهمّ بالانطلاق أرسل إليه ملك جليقية رذمير بن أردون يخطب السلم،

(١) الحجي، التاريخ الأندلسي: ٢٥٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٣/٢؛ وانظر: ابن حيان، المقتبس: ٣٨٥/٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٢١/٧.

(٣) ابن حيان، المقتبس: ١٢٠/٥.

(٤) المصدر نفسه: ١٢١/٥-١٢٣.

(٥) المصدر نفسه: ١٤٣/٥.

(٦) المصدر نفسه: ١٥٥/٥-١٥٦.

ويرغب في الهدنة "فجنح الناصر لدين الله إلى السلام، ورآها احتياطاً للأمة، ففسخ عزمه عن الغزو"[1].

وتعرضت جليقية لغزو المسلمين عدة مرات في عهد الحاجب محمد بن أبي عامر (المنصور)، كانت أولاها سنة ٣٦٦هـ/٩٧٧م، وكانت الأخيرة سنة ٣٩٢هـ/١٠٠٢م[2].

(١) ابن حيان، المقتبس: ٥/٤٤٩-٤٥٠.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ٦٠؛ الصوفي، تاريخ العرب في إسبانيا: ٥٤، ١١٣، ١٤٧، ١٥١، ١٧٧.

جَيّانُ Jaen:

مدينة، يلفظ اسمها بالفتح ثم التشديد، وآخره نون[1]. وتسمى أيضاً جيان الحرير، لكثرته فيها[2]. كما تُسمى: قنسرين، ذلك أن أبا الخطار الحسام بن ضرار الكلبي، والي الاندلس (١٢٥-١٢٨هـ/٧٤٣-٧٤٦م) أنزل فيها جند قنسرين لشبهها بها، وسماها: قنسرين[3].

تقع جيان إلى الشرق من قرطبة[4]، وبينهما خمسة أيام[5]، أو سبعة عشر فرسخاً[6]. وتبعد عن وادي آش مرحلتين وعن بسطة ثلاث مراحل[7]. والمسافة بينها وبين غرناطة الواقعة جنوبها سبعة وتسعون كيلومتراً[8]، وبينها وبين بياسة عشرون ميلاً[9].

وجيان في سفح جبل يسمى: جبل كور، وقد وصفه الحميري بأنه عال جداً[10]، وأشار الإدريسي إلى ارتفاعه الشاهق عندما ذكر أن قصبة المدينة "من أمنع القصبات وأحصنها، يرتقي إليها على طريق مثل مدرج النمل"[11].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١٩٥/٢.

(٢) ابن سعيد، المغرب: ٥١/٢.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٦١/٤؛ المقري، نفح الطيب: ٢٣٧/١؛ وانظر: مجهول، أخبار مجموعة: ٤٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠٢/١-١٠٣؛ اللمحة البدرية: ٢٦.

(٤) ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار: ١٣٥؛ أبو الفداء، تقويم البلدان: ١٧٧؛ ياقوت، معجم البلدان: ١٩٥/٢.

(٥) أبو الفداء، تقويم البلدان: ١٧٧.

(٦) ياقوت، معجم البلدان: ١٩٥/٢.

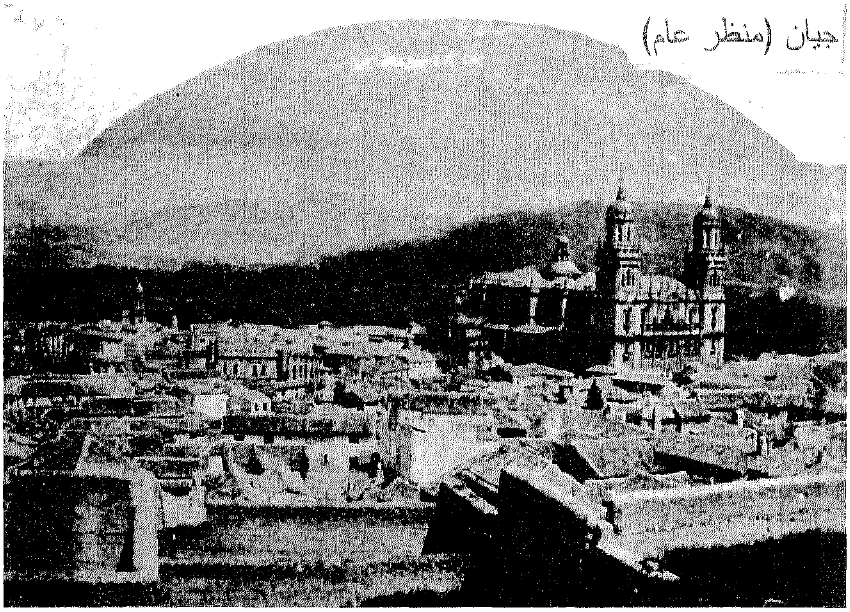
(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٨/٥.

(٨) المقري، نفح الطيب: ١٦٥/١ الحاشية ٣.

(٩) الحميري، الروض المعطار: ١٨٣.

(١٠) الحميري، الروض المعطار: ١٨٣.

(١١) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٨/٥؛ وانظر أيضاً: أبو الفداء، تقويم البلدان: ١٧٧؛ الحميري، الروض المعطار: ١٨٣.



Jaén.—Vista general *(Foto Hauser y Menet)*



Jaén.—Calle de Bernabé Soriano y Palacio de la Diputación *(Foto M. Esteban)*

وكورة جيان واسعة، لها أقاليم عدة. وهي من أشرف الكور، وتتصل بكورة إلبيرة، وتمتد منها إلى ناحية الشمال، وتشبهها "في طيب بقعتها، ووفور غلتها، ورفع بذرها، وكثرة خيرها"[١].

ومدينة جيان كثيرة المياه، ففيها عيون جارية، وينابيع مطردة[٢]، منها عين غزيرة عذبة، عليها قبو قديم من بناء الأوائل، ولها بركة كبيرة عليها حمام يدعى حمام الثور، لأن فيه نقشاً لصورة ثور. ومن عيونها: عين البلاط، وعين سطرون التي تسقى بمائها الغزير الأراضي الواسعة[٣]. ويشق مزارع جيان وبساتينها نهر يدعى نهر بلون[٤]، وهو من روافد نهر الوادي الكبير، ويبعد عن جيان نحو ميل[٥].

وتكثر في جيان الأرحاء الطاحنة، وقد أتاحت كثرة المياه الغزيرة إقامة هذه الأرحاء على أبواب المنازل[٦].

ويمكن القول إن جيان جمعت كثيراً من المحاسن، فهي وافرة الخصب، طيبة الأرض، غنية التربة، رخيصة الأسعار، يكثر فيها الحرير، وتحيط ببيوتها الجنات[٧]، وتجود حقولها بغلات القمح والشعير والباقلاء[٨].

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ١٨٣؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢/١٩٥؛ وانظر: أبو الفداء، تقويم البلدان: ١٧٧؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٦؛ والإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٦٨.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٦٨؛ الحميري، الروض المعطار: ١٨٣.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ١٨٣؛ وابن سعيد، المغرب: ٢/٥١.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ١٨٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٦٨.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ١٨٣؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٦٨.

(٦) الحميري، الروض المعطار: ١٨٣.

(٧) أبو الفداء، تقويم البلدان: ١٧٧؛ الحميري، الروض المعطار: ١٨٣؛ ابن سعيد، المغرب: ٢/٥١؛ ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار: ١٣٥.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٦٨؛ الحميري، الروض المعطار: ١٨٣.



جيان (منظر جزئي)

Jaén.—Plaza del Deán (Vista parcial) *(Edic. J. Anguita Galán)*



جيان (فناء عربي في حارة ماجدلينا)

Jaén.—Patio Arabe en el barrio de la Magdalena *(Edic. J. Anguita Galán)*

وأتاح لجيان موقعها وسورها حصانة ومتانة، وخاصة قصبتها التي تعد من القصاب الموصوفة بالمنعة[1].

فتح مدينة جيان وكورتها طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١١م، فبعد أن فرق جيوشه من إستجة إلى مالقة وقرطبة وغرناطة "سار هو في معظم الناس إلى كورة جيان" فافتتحها [2].

وأصبحت جيان وكورتها بعد الفتح منزلاً لجند قنسرين، كما ذكرنا، وذلك وفقاً لتخطيط والي الاندلس أبي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي[3]. وقد كان في جيان ـ عندما عزم عبد الرحمن الداخل على الجواز إلى الاندلس ـ كثير من الأمويين، مما مهد الطريق أمامه لإقامة الإمارة الأموية هناك[4].

ازدهرت جيان في العهد الأموي، وقد بنى فيها الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ـ٢٣٨هـ/٨٢٢ـ٨٥٢م) مسجداً جامعاً سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م[5]، وهو مسجد "مشرف يصعد إليه على درج من جميع نواحيه، وهو من خمس بلاطات، على أعمدة رخام، وله صحن كبير حوله سقائف"[6].

---

(١) أبو الفداء، تقويم البلدان: ١٧٧؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٦٨؛ الحميري، الروض المعطار: ١٨٣.

(٢) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٥؛ المقري، نفح الطيب: ١/٢٦١؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١/١٠١؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٦٦.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر: مؤنس، فجر الاندلس: ٢٢٢ـ٢٢٣؛ ٣٦٠.

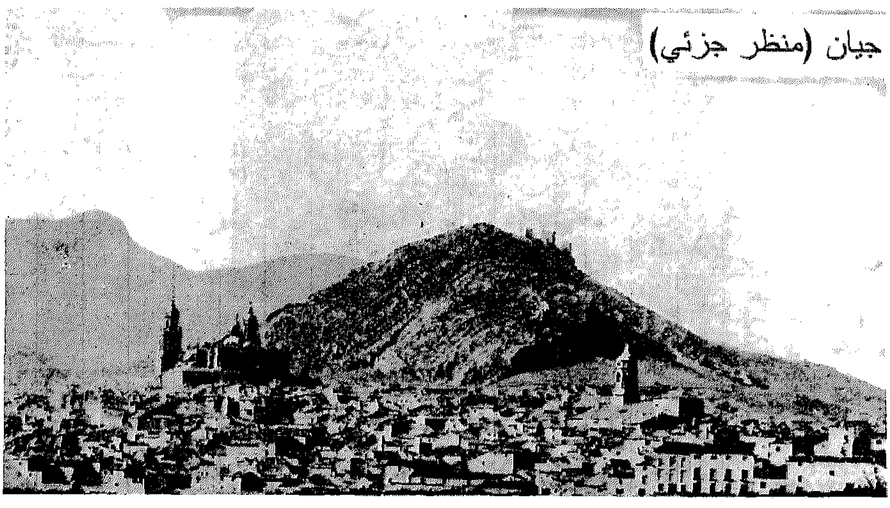
(٤) انظر: مجهول، أخبار مجموعة: ٧٠ـ٧١؛ وانظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٢٣؛ وانظر أيضاً: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٤٢ـ٤٧.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٨٢.

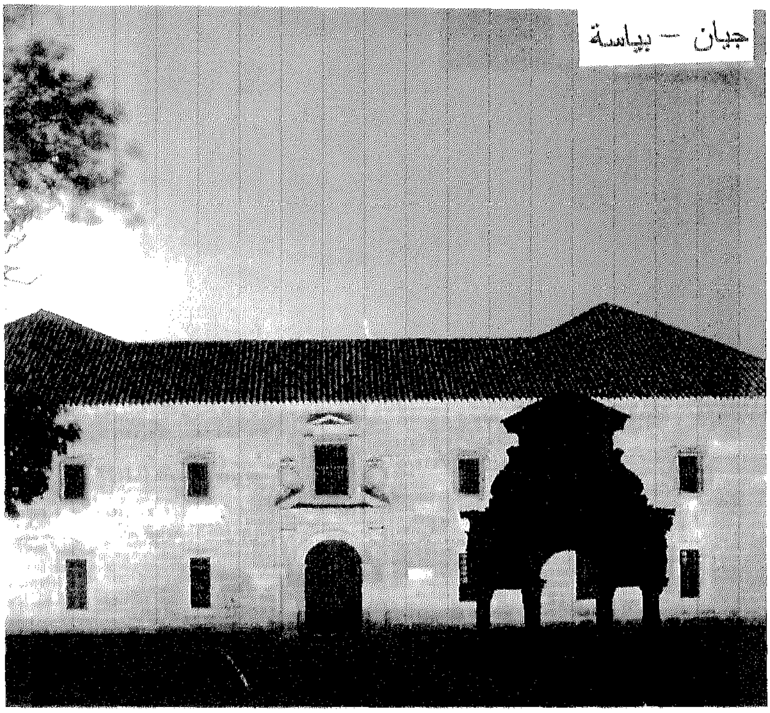
(٦) الحميري، الروض المعطار: ١٨٣؛ وانظر: الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٦٨.



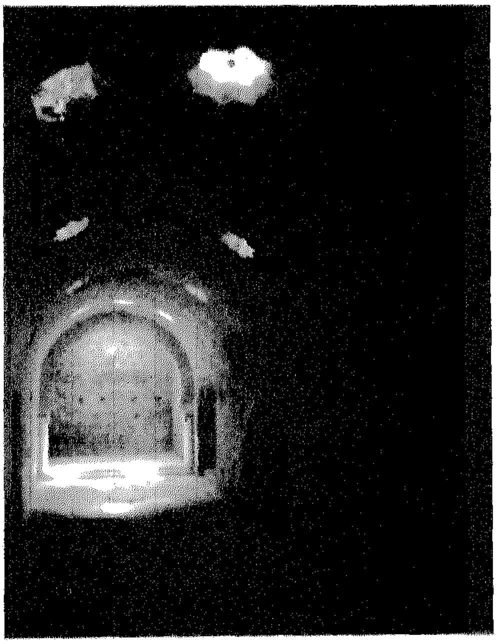
Jaén.—Calle de Bernabé Soriano. *(Edic. Anguita Galán)*



Jaén.—Vista parcial *(Edic. Anguita Galán)*



Baeza. Jaen



جيان (منظر من التراث العربي) Jaén, arab bath

وبعد انهيار الخلافة الأموية في الاندلس، وتغلب زعمائها كل على ما في يده" أصبحت جيان تابعة لمملكة غرناطة التي انتزى بها باديس بن حبوس الصنهاجي[1]، ثم استولى على جيان المعتمد بن عباد، وذلك في سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٤م من يد عبد الله بن بلقين بن باديس[2]

وفي عهد المرابطين تولى جيان الأمير أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين شقيق الأمير المرابطي علي بن يوسف (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م)[3]. ولما دالت دولة المرابطين دخل الموحدون الاندلس، وملكوها بما في ذلك جيان، إلى أن هزمهم النصارى في معركة العقاب سنة ٦١٢هـ/١٢١٢م[4] وقد التاث أمرهم بعد تلك المعركة، وعادت الاندلس إلى التمزق والفرقة، وانتزى بأنحائها المتنفذون مرة أخرى، ومنهم أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الملقب بسيف الدولة، والمتوكل على الله، والمستعين الذي أعلن أهل جيان وغيرها من مدن الاندلس مثل: إشبيلية، وماردة، وبطليوس انضمامها إليه[5].

وظهر في تلك الأثناء محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر، الذي تغلب على شرق الأندلس، وبويع سنة ٦٢٩هـ/١٢٣٢م. وقد أطاعته جيان سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م[6]، وظلت في يده حتى سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٦م، ففي تلك السنة هاجمها نصارى قشتالة بقيادة فرديناند الثالث، وحاصروها حصاراً شديداً استمر سبعة أشهر. وقد حاول ابن الأحمر

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٦٤/٣.

(2) انظر : ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٦/٤؛ وعنان، دول الطوائف: ١٤٠.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤٨/٤-٤٩.

(4) المقري، نفح الطيب: ٤٤٦/١، ٣٨٣/٤-٣٨٤.

(5) المقري، نفح الطيب: ٤٤٧/١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٥/٤-٢١٨.

(6) المقري، نفح الطيب ٤٤٧/١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢١٨/٤ وما بعدها.

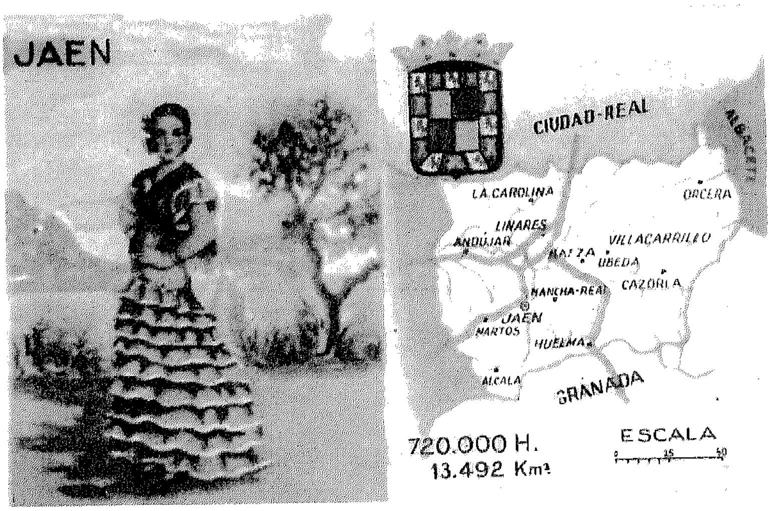


Jaén.—Paseo de Alfonso XIII



Jaén.—La Catedral. *(Foto Hauser y Menet)*

إنقاذها إلا أنه لم يستطع، بل خشي أن تجتاح جيوش النصارى مملكته الفتية، فسعى إلى مصانعتهم، وعقد مع فرديناند الثالث هدنة لمدة عشرين سنة، وسلم جيان ـ بموجب هذه الهدنة ـ للملك النصراني في تلك السنة (٦٤٣هـ/١٢٤٦م)[1].



---

(1) ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٨٣/١؛ واللمحة البدرية: ٧٤.

الحـــاء

الحامَّة (الحمَّة) Alhama:

بلدة صغيرة، ذكرتها بعض المصادر باسم: الحمة[١]، وذكرتها مصادر أخرى باسم: الحامة[٢]. وبأي الوجهين كتبت أو لفظت فهو صحيح[٣]. والحمّة "عين ماء فيها ماء حار يُستشفى بالغسل منه... وهي عُيينة حارة تنبع من الأرض يستشفي بها الأعلاء والمرضى"[٤]. "والحامّة: العامّة"[٥].

تقع الحمة إلى الشمال الشرقي من مدينة ألمرية قرب بجانة: (Pechina) وهي بلدة صغيرة أيضاً[٦]. وتعد من أعمال مالقة[٧]. وهي على رأس جبل، وتبعد عن غرناطة أربعين كيلو متراً إلى الجنوب الغربي منها[٨].

وقد سميت الحمة بهذا الاسم لأن فيها عيناً حارة على ضفة واديها يقصدها المرضى وأهل العاهات من أنحاء الاندلس "فلا يكاد يخطئهم نفعها"[٩]. وقد وصف الإدريسي عينها الحارة بأن ما مثلها "في المعمور من الأرض، ولا أتقن منها بناء، ولا أسخن منها ماءً، والمرضى والمعلون يقصدون إليها من كل الجهات، فيلزمون المقام بها إلى أن تستقل عللهم، ويُشفوا من أمراضهم. وكان أهل المرية في أيام الربيع يرحلون إليها مع نسائهم وأولادهم

---

(١) الإدريسي: نزهة المشتاق: ٥٦٦/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١٦٩/١؛ مجهول، نبذة العصر: ٦.

(٢) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٥؛ المقري، نفح الطيب: ١٦٦/١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٦/٢.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة: ١٦٩/١، ج٢؛ مجهول، نبذة العصر: ٦، ج١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب: ١٥٤/١٢.

(٥) المصدر نفسه: ١٥٣/١٢؛ وانظر أيضاً: مجهول، نبذة العصر: ٦، ج١.

(٦) ابن الخطيب، مشاهدات: ٩٢، ج٢؛ وانظر أيضاً: الإحاطة: ٥١٨/١، ج٤؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٨.

(٧) المقري، نفح الطيب: ١٦٦/١.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٦/٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١٦٩/١، ج٢.

(٩) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٨؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ١٦٦/١.

باحتفال في المطاعم والمشارب والتوسع في الانفـاق. وربمـا بلـغ المسكن بهـا في الشـهر ثلاثـة دنانير مرابطية وأكثر وأقل"[١].

وتشير المصادر إلى أن الحمة قديمة البناء، فقد ذكر الحميري أن على عينهـا الحـارة صهريج من بناء الأول مربع واسع "كانوا قد بنوا على شرقيه قبوين، فأعلاهمـا هنـاك ظـاهر إلى اليوم، والجدر الباقية حواليه"[٢]. وبعد بناء الصهريج أنشئت قرية الحمة على العين[٣].

والحمّة كثيرة الزيتون والأشجار والثمار، وتعتمد في الزراعة علـى ميـاه الأمطـار، "فـإن أخصب العام أعيا الطعام، وإن أخلف الإنعام هلكت الناس بها والأنعام"[٤] وأكثر ما تشـتهر به الحصى الذي كان يؤخذ من جبالهـا إلى مدينـة المريـة لتجصيـص المنـازل[٥]. وقـد أشـار الحميري إلى أن في جبلها الشامخ الذي أقيمت عليه معادن غريبة[٦]. كمـا تكـثر في أراضيهـا طيور الصيد، وخاصة الحجل[٧].

شهدت الحمة في عهد بني أمية في الاندلس خلافاً عليهم، فقد ثار فيهـا في آخـر أيـام الأمير محمد الأول (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م): حارث بن حمـدون، وهـو مـن بـني رفاعـة، وكان مظاهراً لعمر بن حفصون، "وكانا قد اجتمعا بالحامّة. فنازلهم، وناهضهم، وأحدق بهم من كل ناحية"[٨]. ولما اشتد بهم ضيق الحصار خرجوا إلى باب المدينة، واشتبكوا مع القوات

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٦٦.
(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٨-٣٩.
(٣) المصدر نفسه: ٣٩.
(٤) المصدر نفسه: ٣٩؛ وانظر: ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٥.
(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٦٦.
(٦) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٣٨.
(٧) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٥.
(٨) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٠٦.

الأموية بقيادة الأمير المنذر. وقد انهزم الثائرون، بعد أن قتل كثيرون منهم، وأصيب زعيمهم حارث بن حمدون بجروح في يده شلت تأثراً بها[1].

عاد المنذر بعد انتصاره على أعوان عمر بن حفصون في الحمّة إلى قرطبة عندما أتاه الخبرُ بوفاة والده الأمير محمد، فاستغل ابن حفصون الفرصة، وأخذ يؤلّب الحصون، ويجمع الأموال، وأطاعه كثير من الناس في المناطق الواقعة بين الحمة والساحل، ذلك أنه حرضهم ضد الأمويين بقوله: "طال ما عنّف عليكم السلطان، وانتزع أموالكم، وحملكم فوق طاقتكم، وأذلتكم العرب واستعبدتكم! وإنما أُريد أن أقوم بثأركم، وأخرجكم من عبوديتكم!"[2].

ولما ولي المنذر بن محمد إمارة الاندلس بعد أبيه سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م، واستقرت في يده الأمور خرج لقتال عمر بن حفصون الذي تغلّب على الحمة وغيرها من الحصون[3]. وقد اضطر ابن حفصون إلى عقد الصلح مع المنذر سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م، ولكنه ما لبث أن نكث، فعاد المنذر إلى حصاره، غير أنه، أي المنذر، توفي في أثناء ذلك سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م[4].

وتجدر الاشارة إلى أن ثورة ابن حفصون استمرت حتى سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م حيث تمكن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) من القضاء عليها[5].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٦/٢.
(٢) المصدر نفسه: ١١٤/٢.
(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١١٤/٢.
(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤؛ ولمزيد من التفاصيل عن ثورة عمر بن حفصون انظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ١١٤/٢ وما بعدها.
(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤-١٧٤.

وكان ممن خلعوا طاعة الأمويين في حصن الحمة: محمد بن أضحى بن عبد اللطيف ابن خالد الملقب بالغريب، ولكنه طلب الامان من الناصر وهو يحاصر بعض الحصون الثائرة في الجوار، فأمنه، وذلك سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م[١]. وفي تلك السنة ولّى الناصر أحمد بن محمد ابن أضحى كورة جيان، وكان شاعراً مجيداً وخطيباً فصيحاً، وقد أنشد في مدح الناصر قصيدة مطلعها[٢]:

أيا ملكُ تزهى به قضب الهند ... إذا لمعت بين المغافـــــر والسرد
ومَنْ بأسه في منهل الموت واردُ ... إذا أنفس الأبطال كعت عن الورد

وظلت الحمة في أيدي المسلمين حتى سنة ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، ضعفت دولة بني الأحمر ملوك غرناطة، وعصفت بها الفتن[٣]، فاستغل فرناندو الخامس، ملك قشتالة ذلك، وسار على رأس جيش كبير مؤلف من نحو عشرة آلاف بين فارس وراجل، وفاجأوا الحمّة ليلاً في غفلة من أهلها وذلك في ١٥ محرم ٨٨٧هـ/أول آذار ١٤٨٢م[٤]، "وبذلوا السيف فيمن ظهر من المسلمين"[٥]، بينما كان معظم الناس نياماً مطمئنين، ولم يشعروا بهذا الهجوم المباغت الذي استهدف أولاً قصبة المدينة، وبعد احتلالها هبطوا على البلدة، وأعملوا في أهلها السيف فقتلوا كثيرين، وسبوا من ظل على قيد الحياة من الرجال والنساء والصبيان، ونهبوا الأموال[٦].

وعندما انتهى خبر استيلاء النصارى على الحمة، وما فعلوه بأهلها هبّوا لإنقاذها، وضغطوا على ملك غرناطة أبي الحسن علي بن سعد ـ الذي كما يبدو كان متثاقلاً ـ، فسار

(١) ابن حيان، المقتبس: ١٧٤/٥.
(٢) المصدر نفسه: ١٧٤/٥-١٧٦.
(٣) المقري، نفح الطيب: ٥١٢/٤؛ مجهول، نبذة العصر: ٥-٦.
(٤) المقري، نفح الطيب: ٥١٢/٤-٥١٣؛ مجهول، نبذة العصر: ٦، أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ١٨٧؛ حتاملة، محنة مسلمي الاندلس: ٢٢.
(٥) المقري، نفح الطيب: ٥١٢/٤.
(٦) مجهول، نبذة العصر: ٧؛ المقري، نفح الطيب: ٥١٣/٤؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ١٨٧-١٨٨.

إليها بجيش من خمسين ألفاً من المشاة، وثلاثة آلاف من الفرسان، وضرب حولها الحصار[^١]، ولكنه لم يستعد الاستعداد الكافي، إذ لم يجهز جيشه بالمدافع والآلات[^٢]. كما أن جيش أبي الحسن كان في أثناء الحصار مكشوفاً مما جعله هدفاً لسهام النصارى، فقتل منه كثيرون[^٣]. ومع ذلك استمر المسلمون في حصار الحمة حتى جُنّ الليل، وقطعوا عن النصارى المياه حتى بلغ منهم الضيق حدّة، وكادوا يستسلمون، غير أن المسلمين انشغلوا في تلك الأثناء بفتنة هاجت بينهم، واتهموا الجيش بعدم الاخلاص في مهاجمة النصارى[^٤]. وقام نحو سبعين من أبطال المسلمين بتسلق سور الحمّة، وقتلوا الحرس، إلا أن النصارى أحاطوا بهم وقتلوهم عن آخرهم[^٥].

واستغل النصارى ليلتهم في الاستعداد لمعارك اليوم التالي، وحصنوا الأسوار، وأغلقوا ما فيها من ثغرات. وعندما أصبح الصباح، نظر المسلمون إلى الأسوار فإذا هي "على صفة أخرى من المنعة والتحصين والاستعداد"[^٦]. ومع ذلك عزموا على الاستمرار في الحصار، وخاصة بعد أن وصلتهم إمدادات من أنحاء مملكة غرناطة، فقد أعدوا العدّة لإقامة طويلة، وأخذوا يضيقون الخناق على النصارى[^٧].

ويشير صاحب نبذة العصر والمقري إلى أن الملك أبا الحسن ووزيره لم يكونا جادين في حصارهم للنصارى في الحمة "وظنوا بالملك والوزير ظنون السوء، وكثر الكلام القبيح بينهم"[^٨]. فقد أشاعا بين المسلمين أن جيشاً نصرانياً كثيفاً قادم لإغاثة النصارى المحصورين

---

[^١]: حتاملة، محنة مسلمي الاندلس: ٢٢.
[^٢]: أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ١٨٨.
[^٣]: المرجع نفسه: ١٨٨.
[^٤]: المقري، نفح الطيب: ٥١٣/٤؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ١٨٨.
[^٥]: أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ١٨٩.
[^٦]: مجهول، نبذة العصر: ٧.
[^٧]: المصدر نفسه: ٨.
[^٨]: المصدر نفسه: ٨؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ٥١٣/٤.

في الحمّة، وأنهم لا طاقة لهم بملاقاة هـذا الجيـش والتصـدي لـه، وخاصـة أن التجهـيزات تنقصهم[1].

وقد أصبحت الإشاعة حقيقةً عندما وصلت قوة نصرانية بـالفعل لإغاثـة مـن في الحمـة من النصارى، وعندئذ رحل المسلمون عنها، بينما دخلهـا النصـارى الجـدد، وكـانوا بقيـادة صاحب إشبيلية، وزادوا في تحصينها، وزودوها بكل ما تحتاج إليه[2].

وقد حاول أبو الحسن علي بن سعد استعادة الحمة من أيدي النصارى، فقد عـادوا إلى حصارها، ودخلها بعضهم، غير أن النصارى أوقعـوا فيهـم مقتلـة كبـيرة، وظلـت الحمـة في أيدي النصارى منذ سقوطها في محرم ٨٨٧هـ/آذار ١٤٨٢م[3].

الحَرَّلة Alharla:

قرية، ذكرها ابن سعيد في كتاب مملكة تُدمير، وقال: "هـي حسـنة المنظـر علـى نهـر مُرسية"[4].

(١) مجهول، نبذة العصر: ٨.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٥١٣/٤؛ مجهول، نبذة العصر: ٨.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٥١٣/٤؛ أزهار الرياض: ٦٦/١؛ حتاملة، محنة مسلمي الاندلس: ٢٣.

(٤) ابن سعيد، المغرب: ٢٩٢/٢.

حصن الفَرَجْ Aznal farache (Hisn el Faray)

في سنة ٥٨٩هـ أمر السلطان يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (المنصور) ببناء حصن خارج اشبيلية ليكون بتاج الشرف بحيث يأخذ بمخنق بحرها ويكون كالطالع بين سحرها ونحرها، فتم البناء في وقت قصير، وبنيت الأسوار ومواضع الدور للسكن، وكمل القصر الكبير بمجالسه المشرفة على اشبيلية وما والاها من البطاح والبساتين، وكان بناؤه من أضخم ما عُمل، وسماه حصن الفرج، ويذكر صالح بن سعيد أنه كان يوجد حصن قبله بهذا الاسم تابع لاشبيلية حيث ذكر أن المعتمد على الله جدد بناء حصن الفرج سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩-١٠٨٠م[١].

وكان المنصور يتشوق إلى زيارة هذا الحصن حتى زاره يوم الخميس السابع والعشرين من جمادي الآخرة سنة ٥٩١، فأعجب بصورة وضعه واتقان بنائه وعاد إلى الجامع الكبير باشبيلية. ثم عاد إلى الحصن سنة ٥٩٢هـ، وأكمل غرس البحيرة التي انشئت تحته وأمر بعمل نواعير على شط النهر تحت الحصن لتكون مكملة لحسنه وجماله[٢].

وانتقل المنصور مرة ثالثة من اشبيلية إلى حصن الفرج سنة ٥٩٣هـ وقضى فيه بقية فصل الصيف، وطال سكنه فيه، ورأى حسن اشرافه واعتلائه ورقة هوائه ثم عاد إلى اشبيلية[٣].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، تحقيق الكتاني وآخرون، ص ٢١٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، قسم الموحدين، تحقيق الكتاني وآخرون، ص ٢١٨، ٢٢٢.

(٣) ابن عذاري، المرجع السابق، ص ٢٢٨.

وقد سقط هذا الحصن في يد فرديناند الثالث بعد احتلاله اشبيلية سنة ١٢٤٨. وقد نقل موقع المدينة في القرن السادس عشر إلى أسفل التل بالقرب من نهر الوادي الكبير وأقاموا عليها سوراً وأبراجاً. وما زالت بقايا هذا الحصن ماثلة حتى اليوم[١].

(1) Torres Balbas, Leopoldo, Ciudades Hispano-Mosulmanas, 2nd Edición, Madrid, 1985, p. 67.
Ambrosio, Huici Miranda, Los Al Mohades en Portogal, 1954, p. 28

الخـــاء

الْخَنْدَق Alhandega: (معركة) Alhandega, Batalla, de

معركة، وقعت بين المسلمين بقيادة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) وبين النصارى بقيادة ملك ليون: ردمير الثاني (٣٢٠-٣٣٩هـ/ ٩٣٢-٩٥٠م)، وحليفته: طوطة (Toda) الوصية على عرش: غرسية بن شانجة (الأول) حاكم نبارة (النافار) (٣١٤-٣٥٩هـ/٩٢٦-٩٧٠م)، وهي جدته، وحليفهما أمية بن اسحاق الذي سيأتي ذكره[١].

وسميت: الخندق باسم خندق تهاوى فيه المسلمون بعد هزيمتهم في المعركة، كما سيأتي أيضاً[٢]. وهو أحد الخنادق القريبة من مدينة: سمورة Zamora الواقعة على الضفة الشمالية لنهر دويرة في الشمال الشرقي من الحدود البرتغالية الحالية[٣]. وكانت سمورة: قاعدة جليقية[٤]، وهي مدينة عليها أسوار يفصل بينها خنادق ومياه واسعة[٥].

وتذكر بعض المصادر أن المعركة وقعت قرب مدينة شنت منكش[٦] Simanca الواقعة على مقربة من نهر دويرة إلى الشرق من مدينة سمورة[٧].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٥/٤٣٣-٤٣٤؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٩٥-٩٩؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٦٨؛ ولمزيد من لتفاصيل انظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٧٤، ٢٧٦.

(٢) ابن حيان، المقتبس: ٥/٤٣٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٩٩.

(٣) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٧٦ الحاشية ٦.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى: ٥/٣٩١.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٩٨.

(٦) ابن حيان، المقتبس: ٥/٤٣٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٠ الحاشية ٢.

(٧) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٧٧-٧٨ الحاشية ٤٣ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٠ الحاشية ٢؛ الحجي، تاريخ الاندلس: ٣١٢؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عهد الفتنة الكبرى: ٨٥.

مهدت لمعركة الخندق أسباب أهمها أن ملك ليون ردمير الثاني كان يتحرش بمسلمي شمالي شرقي الأندلس باستمرار، ويغير على مدنهم، وكذلك كانت تفعل طوطة حاكمة نبرّة (النافار)، وقد تحالفا معاً، وتحالف معهما محمد بن هاشم التجيبي، صاحب سرقسطة، وبذلك تحالف الشمال كله ضد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر[1].

وقد توجه الناصر لمواجهة هذا التحالف في جيش كبير، وكان قائد فرسانه: أحمد بن اسحاق الذي عينه حاكماً للثغر، ولكنه تهاون في الحصار. ونمي إلى الناصر أنه يأتمر به مع أخيه أمية بن اسحاق[2]. فاعتقلهما الناصر، وأمر بنفيهما من الاندلس، فالتجأ أمية إلى ردمير، وتحالف معه. أما أحمد فقد حاول الاتصال بالفاطميين في شمالي إفريقية، فقبض عليه الناصر وأعدمه[3]. ثم سار إلى بنبلونة ـ عاصمة نافار ـ وخربها، وسحق كل مقاومة فيها، فهرعت إليه طوطة، وأعلنت خضوعها وطاعتها للخليفة الناصر، وكان ذلك سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م[4].

وبعد أن تمكن الناصر من تمزيق التحالف ضده في الشمال أخذ يتأهب لتحطيم خصمه القوي ردمير الثاني، ملك ليون "فجبى وبالغ في حشد أهل الأندلس، وتخطاهم إلى أهل ولايته من أهل الحضر منهم، وقبائل البربر البادية، فبث كتبه إليهم يحضهم على الجهاد،

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٤٢٢/٥ وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٠٦/٢ وما بعدها؛ المقري، نفح الطيب: ٣٥٣/١؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، تراجم اسلامية: ١٧٤ وما بعدها؛ ودولة الاسلام في الاندلس، عهد الفتنة الكبرى: ٨٠ وما بعدها.

(٢) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٧٥؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ١٣، ١٤، ٥١ ويذكر العذري أنهما يرجعان في نسبهما إلى الشيخ الخزاعي الأسلمي. وانظر أيضاً: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٩٨ـ٩٩؛ عنان، تراجم اندلسية: ١٧٥؛ ودولة الاسلام في الاندلس، عهد الفتنة الكبرى: ٨٣.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٩٨ـ٩٩؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٧٥ـ٧٦؛ المقري، نفح الطيب: ٣٥٤/١ـ٣٥٥؛ ابن حيان، المقتبس: ٤٢٢/٥ـ٤٣٢.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٣٦٣/١؛ وانظر التفاصيل: عنان، تراجم اسلامية: ١٧٦؛ ودولة الاسلام في الاندلس، عهد الفتنة الكبرى: ٨٤.

ويستنفرهم له، ويرغبهم فيه... وضمن كتبه النافذة إليهم فصلاً... نصه "وليكن حشدك حشراً لا حشداً"[1]. "وقد تتامت جنوده من أهل الأمصار... فكان جمعه عظيماً، وركوبه فخماً شنيعاً"[2]. وبلغ جيش الناصر ـ كما يذكر الحميري ـ أكثر من مائتي ألف[3]. بينما يذكر غيره أنّ عدد الجيش مائة ألف وأزيد[4]. غير أن هذا الجيش لم يكن متجانساً، ففيه إضافة إلى العرب والبربر كثيرون من الأجانب، بل كانت قيادته أجنبية، فقد عهد الناصر بهذه القيادة إلى: نجدة الصقلبي. وكان لذلك أثره الكبير في نفوس العرب، فقد نقموا عليه إلقاء مقاليد أموره للأجانب دونهم، وانعكس ذلك سلباً على روحهم المعنوية[5].

واقتحم الناصر أراضي مملكة ليون فجال فيها أياماً من محّلة إلى أخرى، وغنم كثيراً من النعم والأقوات[6]. وكان إلى جانبه في هذه الحملة: محمد بن هاشم التجيبي الذي عفا عنه الناصر بعد أن استنزله من سرقسطة سنة ٣٢٥هـ/٩٣٧م[7].

وتأهب رودمير الثاني لقتال المسلمين، وانضمت إليه طوطة بعد أن نكثت عهدها للناصر، وبذلك اتحدت قوى النصارى. وكان معهم أمية بن إسحاق، يدلهم على عورات المسلمين، ويتجسس عليهم[8].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٤٣٣/٥.

(٢) المصدر نفسه: ٤٣٣/٥.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٩٨.

(٤) انظر: المقري، نفح الطيب: ٣٥٥/١؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٧٧.

(٥) انظر: عنان، تراجم اسلامية: ١٧٦؛ ودولة الاسلام في الاندلس، عهد الفتنة الكبرى: ٨٤ـ٨٥.

(٦) ابن حيان، المقتبس: ٤٣٤/٥.

(٧) العذري، نصوص عن الاندلس: ٤٥.

(٨) العذري، نصوص عن الاندلس: ٦٨؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٧٦؛ وانظر: عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عهد الفتنة الكبرى: ٨٤ـ٨٥؛ وتراجم اسلامية: ١٧٦.

سار الناصر على رأس هذه الحملة، وتقدمه محمد بن هاشم التجيبي يقود ثلة من الفرسان، وعبر نهر دويرة، واشتبك مع النصارى في معركة جانبية. وقد تكالب عليه النصارى، وحصروه. وكبابه جواده فوقع أسيراً في أيديهم[1].

وكان أسر محمد بن هاشم التجيبي مما اشتد على الناصر وعلى المسلمين، وفت في عضدهم، إلا أنهم تقدموا لملاقاة النصارى، وذلك "يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال (٣٢٧هـ/٩٣٩م)"[2]. وقد تم هذا اللقاء بعد ثلاثة أيام من كسوف الشمس الذي وقع في تلك السنة[3]. وكان لقاءً عنيفاً استمر في يوم الجمعة التالي أيضاً. ولكن النصارى كروا على المسلمين في هذا اليوم بشدة وحماس، فاختل توازنهم، واضطرب عسكرهم، وتراجعوا، والجأهم النصارى "إلى خندق بعيد المهوى...لم يجدوا عنه محيداً، فتردى فيه خلق، وداس بعضهم بعضاً لكثرة الخلق، وفيض الجموع"[4]. وقُتل منهم نحو خمسين ألفاً، بعضهم استشهد بسيوف النصارى، وبعضهم الآخر استشهد بسبب التدافع في الخندق[5].

وبعد هذه الوقعة الشنيعة انسحب الخليفة الناصر بمن بقي من جنوده عائداً إلى قرطبة، ولم يلحق بهم النصارى، لأن أمية بن اسحق ـ الذي ربما ثاب إلى رشده، وهالته هزيمة المسلمين ـ خوّف ردمير الثاني من ملاحقة المسلمين، محذراً إياه من أنهم ربما نصبوا له الكمائن. ورغبه في ما تركوه من غنائم "ولولا ذلك لأتى على جميع المسلمين"[6].

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس: ٤٦؛ ابن حيان، المقتبس: ٤٣٥؛ وانظر: عنان، تراجم اسلامية: ١٧٧.

(٢) ابن حيان، المقتبس: ٤٣٥؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٧٧ـ٧٨.

(٣) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٧٨.

(٤) ابن حيان، المقتبس: ٤٣٥/٥.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٣٥٥/١.

(٦) المقري، نفح الطيب: ٣٥٥/١؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٧٨.

وتشير بعض الروايات إلى أن سبب هزيمة عبد الرحمن النـاصر في معركـة الخنـدق هـو فتور رؤساء العشائر العربية في القتال، لأنهم كانوا ناقمين على الناصر لأنـه فضـل الأجـانب عليهم، وخصهم بالنقود والمراكز القيادية دونهم، ولذلك انفضوا من حوله بينما كانت المعركة على أشدها، وتراجعوا أمام النصارى[١].

أما محمد بن هاشم التجيبي الذي وقع في الأسر فقد سعى الخليفة الناصر إلى افتكاكه، وتمكن من ذلك "فوافى إلى قرطبة طليقاً يـوم الخميـس لسـت خلـون مـن صفـر سـنة ثلاثـين وثلاثمائة، فكان من يوم أسره إلى يوم دخوله إلى قرطبة سـنتان وثلاثـة أشـهر وثمانيـة عشـر يوماً"[٢].

هذا، وقد اشتدت على الناصر نكبته في هـذه المعركـة "فـاتّهم سـعده واعتكـر فكـره... وأقصر من وقته ذلك عن الغزو بنفسه، فوكلّه إلى كفاته من حَزَمَة قواده وشجعانهم، يجرّدهم بالصوائف كل عام"[٣]، بينما تفرغ هو للبناء والتعمير وإصلاح شـؤون الدولـة وتقويتهـا. ومـن أهم ما شغل نفسه فيه: بناء مدينة الزهراء جنوب قرطبة[٤].

---

(١) عنان، دولة الاسلام في الاندلس: عهد الفتنة الكبرى: ٨٦.

(٢) ابن حيان، المقتبس: ٤٣٦/٥.

(٣) المصدر نفسه: ٤٣٧/٥.

(٤) المصدر نفسه: ٤٣٧/٥؛ وانظر: عنان، تراجم اسلامية: ١٨٠.

الـــدال

دَانِيَة Denia:

مدينة، يلفظ اسمها بكسر النون بعد الألف، وبعد النــون يـاء مثنـاة مفتوحـة[١]. وهـذا الاسم مشتق من اسمها الروماني القديم: دانيوم (Danium)[٢]. وكان اسمها في عهد الفينيقيين الذين أنشأوها لتكون ميناء تجارياً لهم: (Hemeroscopion)[٣]. وهي بذلك مدينة قديمة، بـل جعلها الزهري موغلة في القدم، إذ ذكر أنها "من بنيان القوطيين الذين كانوا في هــذه الأرض في عهد موسى عليه السلام"[٤].

تقع دانية على ساحل البحر المتوسط جنوب بلنسية[٥]، وتعد قـاعدة مـن قواعـد شـرق الاندلس[٦]. وتبعد عن بلنسية ستة عشر فرسخاً[٧].

ومدينة دانية "عظيمة مشهورة الذكر، جليلة القدر"[٨] وهي "عامرة حسـنة لهـا ربـض عامر، وعليها سور حصين، وسورها من ناحيـة المشـرق في داخـل البحـر قـد بـني بهندسـة وحكمة"[٩]. ولها قصبة منيعة جداً تقع في أعلى جبلها[١٠]. "وحواليها سبخة تمتنع بها مـن

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٤٣٤/٢.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦ الحاشية ٢.

(٣) حتاملة، ايبيريا: ١٤٨.

(٤) الزهري، الجعرافية: ١٠٣؛ وانظر: العذري، نصوص عن الاندلس: ١٠.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦ الحاشية ٢؛ الحميري، الروض المعطـار: ٢٣١؛ يـاقوت، معجم البلدان: ٤٣٤/٢؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٧/٥.

(٦) المقري، نفح الطيب: ١٦٦/١.

(٧) الزهري، الجعرافية: ١٠٣.

(٨) ابن سعيد، المغرب: ٤٠٠/٢.

(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٧؛ وانظر: الحميري، الروض المعطار: ٢٣١ـ٢٣٢؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ١٩.

(١٠) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٧؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٣٢؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ١٩.

أن يقربها عدو بحصار"[١]. وفيها قصر يعرف بقصر الحبُور، وقد وصفه الزهري بأنه عظيم لم يُر مثله[٢].

وتشتهر دانية بكثرة أشجارها، وخاصة التين والكروم واللوز والنارنج[٣]. واختصت جبالها بالخروب "الطيّب الذي يقطر عسله تحت شجرة"[٤].

وتعتبر دانية ميناءً رئيسياً من موانئ شرق الاندلس، ففيها مرفأ يسمى "السُّمّان"[٥]، تكثر حركة السفن فيه، كما تصنع فيه الأساطيل، إذ إن دانية "دار إنشاء السفن"[٦]. ومنها كان يخرج الأسطول الغزو، كما كانت السفن تبحر إلى أقصى المشرق[٧].

وقد ذكر الزهري أن أهل دانية "صفر الوجوه بسبب الصريع الذي يقذفه البحر بساحلها فيتكدّس هناك أكداساً كباراً فتصعد إليهم رائحته فتذهب ببهاء وجوههم، ويكدرهم نحول وصفرة"[٨].

تشير المصادر التاريخية إلى أن دانية فتحت سنة ٩٤هـ/٧١٢م على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير في عهد أبيه، وربما فتحها أثناء ولايته على الاندلس (٩٥-٩٧هـ/ ٧١٣-٧١٥م)[٩]. ويجدر هنا ذكر ما أورده شكيب أرسلان حول فتحها؛ إذ قال: "في سنة

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٩.

(٢) الزهري، الجعرافية: ١٠٣.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٤٣٤/٢؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٣٢؛ الزهري، الجعرافية: ١٠٣.

(٤) الزهري، الجعرافية: ١٠٣.

(٥) ياقوت، معجم البلدان: ٤٣٤/٢.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٧/٥؛ وانظر: الحميري، الروض المعطار: ٢٣٢.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٧/٥؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٣٢.

(٨) الزهري، الجعرافية: ١٠٣.

(٩) مجهول، أخبار مجموعة: ١٩، ٢١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٤/٢-١٥؛ المقري، نفح الطيب: ٢٧٠/١-٢٧١.

٧١٤ صارت بلنسية مدينة إسلامية بعد أن فتحها طارق هي والمدن التي تجاورها مثل ساقونته وشاطبة ودانية..."[1]. ومعنى ذلك أنها فتحت سنة ٩٦هـ/٧١٤م. وهذا الرأي لا يدعمه ما تورده المصادر من أن طارقاً وموسى خرجا من الاندلس عائدين إلى الشام سنة ٩٥هـ/٧١٣م[2].

احتلّت دانية مكانة مهمة في عهد ملوك الطوائف، فقد انتزى فيها مجاهد العامري (أبو الجيش)، وجعلها قاعدة لمملكته التي ضمت أيضاً جزر البليار وذلك سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م[3].

وتوفي أبو الجيش مجاهد العامري سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م بعد أن حكم مملكة دانية والجزر الشرقية نحو ثلاثين عاماً، فخلفه في حكمها ابنه علي (إقبال الدولة)[4]. وقد تزوج علي من ابنة المقتدر با لله أبو جعفر أحمد بن سليمان بن محمد بن هود صاحب سرقسطة (٤٣٨-٤٧٨هـ/١٠٤٦-١٠٨٥م)[5]. ولكن العلاقات بين علي بن مجاهد العامري والمقتدر بن هود ما لبثت أن ساءت، وكانت نتيجة ذلك أن سار المقتدر بقواته، وحاصر دانية فاستسلمت له في شعبان سنة ٤٦٨هـ/نيسان ١٠٧٦م[6].

---

(١) أرسلان، الحلل السندسية: ٣/٥٠.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٣؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٩؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ١١٨ وما بعدها؛ مؤنس، فجر الاندلس: ١٠٧.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٢٦٣ الحاشية ٤؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢١١.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦ الحاشية ٢؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، دول الطوائف: ١٩٣ وما بعدها.

(٥) عنان، دول الطوائف: ١٩٦-١٩٧.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦ الحاشية ٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٢٨؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ١٩٩؛ والسامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٥٠-٥١.

وظلت دانية تابعة لبني هود إلى أن استولى عليها المرابطون سنة ٤٨٢هـ/١٠٩١م بقيادة القائد المرابطي محمد بن عائشة[1]. وبعد المرابطين آلت دانية إلى الموحدين، ثم سقطت في يد النصارى، حيث استولى عليها ملك أرغون خايمي الأول سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م[2].

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٠٧.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦ الحاشية ٢؛ وانظر: ابن الأبار، الحلة السيراء: ٣٠٣/٢؛ عنان، نهاية الاندلس: ٦٧.

للاستزادة عن دانية، انظر:

1- Ribera Tarrago, Julián, Un Monasterio musulman en Dania Disertaciones Y Opüsculos, II, Madrid, 1928.

دَرَوْقَة Doroca:

بلدة أو قرية، ضبط ياقوت اسمها بفتح أوله وثانيه، وسكون الواو، وقاف[1]. وكذلك ضبطها العذري[2]. أما الحميري فقد وردت عنده بضم الراء، ووصفها بأنها: مدينة "من عمل قلعة أيوب، عظيمة في سفح جبل"[3]. بينما وصفها الإدريسي بأنها: قلعة، ثم ذكر أنها "مدينة صغيرة متحضرة كثيرة المياه، غزيرة البساتين والكرم، وكل شيء بها كثير رخيص"[4]. وبذلك وصفها الحميري[5]. وتبعد دروقة عن قلعة أيوب ثمانية عشر ميلاً، وعن سرقسطة خمسين ميلاً[6].

ويبدو أن دروقة لم تكن في البداية سوى حصن بناه الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م) كموقع متقدم يرابط فيه التجيبيون لمواجهة بني قسيّ الثائرين عليه في ثغر سرقسطة[7]. فلما ثار بنو قسي عليه "نوّه بأولاد عبد العزيز التجيبي، وبنى لهم قلعة أيوب، وأدخل فيها عبد الرحمن بن عبد العزيز، وبنى...دروقة... ونصبهم لمحاربة بني قسي، وعقد لهم على قوتهم، وأجرى عليهم من المعارف لكل واحد عند كل غزاة مائة دينار"[8]. وكان ذلك - كما تشير رواية العذري - سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م[9].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢/٤٥٣.
(٢) العذري، نصوص عن الاندلس: ٢١.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٧٦.
(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٥٤.
(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٧٦-٧٧.
(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٥٤؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٧٧.
(٧) العذري، نصوص عن الاندلس: ٤١؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٥٨.
(٨) العذري، نصوص عن الاندلس: ٤١.
(٩) المصدر نفسه: ٤١.

واتخذ عبد الرحمن بن عبد العزيز قلعة أيوب قاعدة له، واستخلف على دروقة ابنه عبد العزيز الذي ظل يحكمها حتى استشهاده سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م في أثناء حملة قام بها الأمير الأموي المنذر بن محمد إلى مدينة بربشتر(١).

"ولما قتل عبد العزيز قدم المنذر على دروقة يونس بن عبد العزيز"(٢)، وظل بها حتى سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م، ففي تلك السنة أخلى يونس دروقة "وانحاش عنها إلى عش الضلالة والخلاف سرقسطة، منضماً إلى بني عمه التجيبيين"(٣). وقد قبض عليه الخليفة الأموي الناصر سنة ٣٣٥هـ/٩٤٦م، و" أمر من كان بين يديه، فشكّوه بأطراف الرماح، فخرّ صريعاً، متزملاً في دمائه، موعظة لمن تأمّله"(٤).

وهكذا قضى الناصر على ثورة التجيبيين، وأرغمهم على الخضوع والطاعة لبني أمية، ثم عفا عنهم، وأعادهم إلى ولاية الثغر الأعلى (سرقسطة)(٥).

وندب المنصور محمد بن أبي عامر لحكم سرقسطة: يحيى بن عبد الرحمن التجيبي الذي ظل يحكمها حتى وفاته سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م، ثم حكمها بعده ابنه المنذر حتى توفي سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م، وتعاقب عليها ابناؤه من بعده إلى أن استولى على الثغر بما في ذلك دروقة: المستعين سليمان هود الذي تغلب على المنطقة سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م(٦).

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ٥٣.
(٢) المصدر نفسه: ٥٣.
(٣) ابن حيان، المقتبس: ٣٥٩؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٥٣-٥٤.
(٤) ابن حيان، المقتبس: ٣٩٨.
(٥) عنان، دول الطوائف: ٢٥٥-٢٥٦.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٥٤؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٢٥٨-٢٦١.

وظلت دروقة في يد بني هود إلى أن استولى عليها المرابطون سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م[(١)] .

وفي عهد المرابطين سقطت دروقة في يد النصارى بقيادة ملك أراغون ألفونسو الأول (المحارب)، وذلك بعيد انتصاره عليهم في معركة قتندة سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م[(٢)].

(١) نصر الله، دولة المرابطين في المغرب والاندلس: ١٤٥؛ عنان، دول الطوائف: ٣٥٤، ويذكر أن الثغر الأعلى سقط في يد المرابطين سنة ٥٠٢هـ/١١٠٩م.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٦٠ـ٤٦١؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٥٢.

دلاَّيَة Dalías:

قرية من قـرى ولايـة ألمريـة[(١)]، "وبينهمـا مرحلـة كبـيرة"[(٢)]. وتقـع علـى بعـد تسـعة كيلومترات إلى الجنوب الشرقي من برجة Berja[(٣)]. وهي من إقليـم بشـرة بـني حسـان أحـد أقاليم غرناطة[(٤)].

تحيط بدلاية أراض خصبة تجود فيها الزراعة، وتكثر المراعي. ومن أكثر مـا اشـتهرت به الحرير[(٥)]. ويوجد في ناحيتها عود الالنجوج الذي "لا يفوقـه العـود الهنـدي ذكـاء وعطـر رائحة"[(٦)]، وينبت هذا العود العطري بين حجارتها[(٧)].

وكانت دلاية مكشوفة للأعداء، إذ تفتقر إلى الحصانة والمنعة، وأكثر ما كانت تتعـرض لسرايا العدو البحري بسبب قربها من ساحل البحـر المتوسـط[(٨)]. فقـد كـانت "محـل علـى التوالي"[(٩)].

كان معظم سكان دلاية ينتمون إلى قبيلة عُذرة. وقد أشار العذري إلى أن رجلين من هذه القبيلة "من نازلي قرية دلاية"[(١٠)] وهما: زُغيبة بن قطبة وياسين بن يحيى خرجا على طاعة

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢/٤٦٠؛ ابن الخطيب، مشاهدات: ٨٢، ج١؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٤١، ج١؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٦٣.

(٢) الادريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٦٣، والمرحلة تعادل خمسين ميلاً.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة: ٢/١٤٥، ج٤؛ ومعيار الاختيار: ٨٩، ج ١١٥.

(٤) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٦.

(٥) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٦.

(٦) المقري، نفح الطيب: ١/١٤٠-١٤١.

(٧) المصدر نفسه: ١/١٤١.

(٨) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٦.

(٩) المصدر نفسه: ٥٦.

(١٠) العذري، نصوص عن الاندلس: ٩٠.

الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، "فاستقود سعيد بن معبد جد بني حسان وولد الداخل مع أبيه معبد لاستنزالهما والتلطف في أمرهما في جند كثيف، وأمر صاحب الكورة بتحريك الجند إليه"[1]. ولما تحركت نحوهما قوات سعيد بن معبد، لاذا بالفرار، وبذلك انتهت حركتهما[2].

ظلت دلاية قرية من القرى التابعة لمملكة غرناطة إلى أن احتلها الملكان الكاثوليكيان: فرناندو الخامس وإيزابيلا ملكاقشتالة قبيل احتلال مدينة غرناطة نفسها التي تم التوقيع على وثيقة تسليمها في ٢١ محرم سنة ٨٩٧هـ/٢٥ تشرين الثاني ١٤٩١م. وقد مُنحت دلاية ومناطق أخرى ـ بموجب وثيقة سرية ملحقة بوثيقة تسليم غرناطة لآخر ملوك بني الأحمر: أبو عبد الله محمد الصغير، لتكون له ولأولاده وأعقابه وورثته بحق الملكية الأبدية[3]. إلا أنه لم يلبث في هذه المناطق سوى عام واحد تقريباً، إذ أمره الملكان الكاثوليكيان بمغادرة الاندلس نهائياً، فغادرها في أواخر شهر ذي الحجة من سنة ٨٩٨هـ/أوائل تشرين الأول ١٤٩٣م[4]، حيث ركب البحر "ونزل مليلة من العدوة ثم ارتحل إلى فاس"[5].

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ٩٠ـ٩١.

(٢) المصدر نفسه: ٩١.

(٣) عنان، نهاية الاندلس: ٢٣٦، ٢٥٠.

(٤) حتاملة، محنة مسلمي الاندلس: ٦٩؛ عنان، نهاية الاندلس: ٢٦٤.

(٥) مجهول، نبذة العصر: ٤٧؛ حتاملة، محنة مسلمي الاندلس: ٦٩.

الـــذال

ذَكْوَان Coín:

حصن، ذكره صاحب نبذة العصر بلفظ (دكوين)(١). وهو محدث، بناه الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) سنة ٣٠٨هـ/٩٢١م إلى الغرب من مالقة، ليكون موقعاً متقدماً يواجه حصون بني حفصون الثائرين على حكومة الأمويين في قرطبة(٢). وقد أشار ابن الخطيب إلى حداثة الحصن في قوله "لا تدفع عن قرطها وسوارها بأسوارها، ولا تمنع نزع صدارها بجدارها، وقضت بغلّة أعيانها حداثة بنيانها"(٣).

وتحيط بذكوان بساتين الفاكهة، وتزرع في أراضيه الحبوب وخاصة البرّ، فهو "مائدة لا تفوتها فائدة، دارت على الطحن أحجارها، والتفت أشجارها، وطاب هواؤها، وخفق بالمحاسن لواؤها"(٤).

وقد هاجم النصارى القشتاليون حصن ذكوان سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م في عهد ملكهم فرناندو الخامس، وكان عددهم نحو ألف، فهدموا أسواره، وقتلوا من فيه من المسلمين إلا نفر قليل طلبوا الأمان وخرجوا من الحصن(٥).

---

(١) مجهول، نبذة العصر: ١٣.

(٢) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٩٤، ج ٢٢٠؛ مشاهدات: ٩٥، ج١.

(٣) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٧.

(٤) المصدر نفسه: ٦٧.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٥١٥/٤؛ مجهول، نبذة العصر: ١٣؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٠٥؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، نهاية الاندلس: ١٩٢.

الــــراء

الرَبَضُ: Arrabal- Al Rabad

وقعة[1] أو هيج[2] أو واقعة[3] بين الأمير الأموي هشام بن الحكم (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) وبين أهل الربض الجنوبي من قرطبة، وهو ربض شقنده (Secunda) الواقع على الضفة الأخرى من الوادي الكبير. وقد حدثت مرتين: الأولى سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م، وكان سببها أن اثنين وسبعين رجلاً منهم: كعب بن عبد البر، ويحيى بن مضر، ومسرور الخادم تآمروا عليه، وأرادوا الغدر به، فانتهى إليه خبرهم، ولما تيقن من ذلك ألقى القبض عليهم جميعاً، وصلبهم بقرطبة[4].

وأما المرة الثانية فوقعت سنة ٢٠٢هـ/٨١٧م، وسببها أن الحكم في صدر ولايته كان قد انهمك في ملذاته، يمضي كثيراً من وقته في مجالس اللهو والطرب والغناء بين الجواري. وتجدر الإشارة هنا إلى أنه كان شاعراً غزلاً، وكانت له خمس جوارٍ استخلصهن لنفسه، وملكهن أمره[5]. وهذا الحال لم يعجب أهل العلم والورع في قرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثي وطالوت الفقيه وغيرهما، فثاروا عليه، وخلعوه، وبايعوا قريباً له بدلاً منه، فقاتلهم بعد أن انضم إليه رجاله وحاشيته وجنده[6]. ولما سمع العامة تكاثر الناس وهاجت الدهماء "فأخذتهم السيوف من أمامهم وورائهم، فقتلوا قتلاً ذريعاً، وتتبعوا في الأزقة والطرق،

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٦١/٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٧١/٢.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٣٣٩/١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٧١/٢.

(٥) المصدر نفسه: ٧٩/٢.

(٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٦١/٤-١٦٢؛ والمقري، نفح الطيب: ٣٣٩/١؛ ابن عذاري: البيان المغرب: ٧٥/٢-٧٦.

يُقتلون. ونجا منهم من تأخر أجله ففر، فلم يلو علـى أهـل ولا ولـد. وأُخـذ منهـم ثلاثمائـة رجل، فصلبوا على الوادي صفاً واحداً..." [١].

ولم يكتف الحكم بن هشام الذي سمي (الربضي) نسبة إلى هذه الوقعة بمن قتل وصلب من أهل قرطبة، وإنما تتبع الذين فروا بأرواحهم إلى أنحاء الاندلس، وقتلهم حيث وُجـدوا، ثم كف عن تتبعهم[٢].

ويذكر ابن خلدون أن كثيرين من أهل الربض خرجـوا أفواجـاً بأهـاليهم وأولادهـم مـن الأندلس، ولحقوا بفاس في المغرب، ووصل بعضهـم إلى الاسـكندرية ونزلـوا بهـا، إلا أن والي مصـر عبـد الله بـن طـاهر زحـف إليهـم، واضطرهـم إلى الـنزوح عنهـا إلى جزيـرة إقريطـش (كريت)، وظلوا فيها إلى أن ملكها الفرنج من أيديهم[٣]. ويؤكد ابـن عـذاري أن الحكـم عفـا عمن بقي منهم في الاندلس، وكتب لهم أماناً على الأنفس والأمـوال، وأبـاح لهـم التفسح في البلدان حيثما أحبوا من أقطار الاندلس باستثناء قرطبة، فقد منعهم من العودة إليها[٤].

والجدير بالذكر أن الحكم بن هشام الربضي ندم في آخر أيامه علـى مـا فعـل، وتـاب، واتقى طمعاً في المغفرة[٥].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٧٦/٢-٧٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٧٧/٢.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٦٢/٤. وانظر أيضاً: المقري، نفح الطيب: ٣٣٩/١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٧٧/٢.

(٥) المصدر نفسه: ٨٠/٢.

الرُّصَافَـــة La Ruzafa:

في الأندلس رُصافتان، إحداهما في قرطبة، والثانية في بلنسية[1]. فالرصافة اسم أطلقه الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م)، على قصره الريفي الواقع إلى الشمال الشرقي من قرطبة بنحو ثلاثة كيلومترات. وهو بذلك إنما كان يحاكي رصافة الشام التي بناها جده هشام بن عبد الملك في شمال شرق تدمر بالشام[2]. وقد أفاض المقري في وصفها حيث ذكر أن الداخل غرس فيها أنواعاً مختلفة من "غرائب الغروس وأكارم الشجر من كل ناحية"[3]. وقد جلب بذورها من الشام، وتعهدها "حتى نمت بيُمن الجد وحسن التربية في المدة القريبة أشجاراً... أثمرت بغرائب من الفواكه انتشرت عما قليل بأرض الأندلس"[4]. ومن ذلك الرمان السفري "المقدم على أجناس الرمان بعذوبة الطعم ورقة العجم وغزارة الماء وحسن الصورة"[5]. وقد سمي (السفري) لانتشار زراعته، ونقل غراسه من مكان إلى آخر[6]. ومن أبدع ما قيل فيه قول الشاعر أحمد بن فرج[7]:

ولابسه صدفاً أحمـــــرا	أتتك وقـــد مُلئت جوهـــرا
كأنك فاتح حق لطيـــف	تضمّن مرجانـــــه الأحمرا
حبوبا كمثل لثات الحبيب	رضابا إذا شئت أو منظــــرا
وللسفّر تعزى وما سافــرت	فتشكو النوى أو تقاسي السُّرى
بلى فارقت أيكها ناعمـــاً	رطيباً وأغصانهـــا نُضّـــرا

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٦، ج ٤.
(٢) المصدر نفسه: ٨٦، ج٤؛ وانظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٧٨؛ المقري، نفح الطيب: ٤٦٦/١.
(٣) المقري، نفح الطيب: ٤٦٧/١.
(٤) المصدر نفسه: ٤٦٧/١.
(٥) المصدر نفسه: ٤٦٧/١.
(٦) المصدر نفسه: ٤٦٨/١.
(٧) المصدر نفسه: ٤٦٨/١.

وذكر الشاعر أبو القاسم عامر بن هشام القرطبي متنزهات قرطبة، ومن بينها الرصافة فقال في قصيدة طويلة[(1)] :

مسارح كم بها سرحت من كمدٍ قلبي وطرفي ولا سُلوان يثنيني
بين المصلىّ إلى وادي العقيق وما يزال مثل اسمه مذ بان يُبكينى
إلى الرصافة فالمرج النضير فوا دي الدير فالعطف من بطحاء عبدون

ويشير المقري إلى أن الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)، وعبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) جددا عمارة رصافة قرطبة[(2)].

وأما رصافة بلنسية فقد بناها الأمير الأموي عبد الله بن عبد الرحمن الداخل المعروف بالبلنسي[(3)]، وتقع بين بلنسية والبحر المتوسط إلى الجنوب الشرقي من بلنسية[(4)]. وتعد من أبدع متفرجات بلنسية بما تشتمل عليه من مناظر وبساتين ومياه جارية[(5)]. وقد كانت مكاناً للراحة والاستجمام[(6)].

وقد وصفها الشعراء فأبدعوا، وتذكروها فجاشت قرائحهم رقة وعذوبة، ومنهم الرصافي الشاعر الذي قال فيها[(7)]:

ولا كالرُّصافة من منزل سقته السحائبُ صوب الوليّ
أحنّ إليها ومن لي بها وأين السريُّ من الموصليّ

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١/٥٤٢-٥٤٤.
(٢) المصدر نفسه: ١/٦٧٩.
(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٦، ج٤.
(٤) المصدر نفسه: ٨٦، ج٤؛ وانظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٧٨.
(٥) ابن سعيد، المغرب: ٢/٣٤٢؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٨١.
(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٦، ج٤.
(٧) المقري، نفح الطيب: ١/١٨١.

وقد سقطت الرصافة بسقوط بلنسية في يد ملك أرغون خايمي الأول سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م فرثاها الشعراء، وبكاها الكتاب، منهم أبو المطرف ابن عميرة الذي وجه كتاباً إلى أبي عبد الله بن الأبار جاء فيه "...ما لبث أن أخرس من مسجدها لسان الأذان، وأخرج من جسدها روح الإيمان، فبرح الخفاء، وقيل على آثار من ذهب العفاء، وانعطفت النوائب مفردة ومركبة كما تعطف الفاء، وأودت الخفة والحصافة، وذهب الجسر والرُّصافة"[١].

الرَّقيم Alraquim :

كهف، ذكر الحميري أنه بقرب قرية لوشة في جهة غرناطة، وقال "فيه موتى، ومعهم كلب رمة، وأكثرهم قد انجرد لحمه، وبعضهم متماسك... ويزعم أناس أنهم أصحاب الكهف... وعليهم مسجد، وقريباً منهم بناء روميّ يسمى الرقيم، كأنه قصر محلّق، وقد بقي بعض جدرانه، وهو في فلاة من الأرض خربة"[٢] .

(١) المقري، صفة جزيرة الاندلس: ٤٨-٤٩؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ج٤، ٨٦.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٧٨؛ والروض المعطار: ٢٧١.

رُكَانَة Rucana:

مدينة لطيفة من عمل بلنسية بالأندلس[1]. أشار إليهـــا العـذري، وذكـر أن محمـد بـن يوسف بن عبد الرحمن المعروف بالأعمى توفي فيها، مؤكداً أنها من كورة بلنسية[2]. وقد ذكر ابن عذاري أنها قرية من عمل طليطلة[3].

وينسب إلى رُكانة أبو محمد عبد الله بن محمد بن معدان الركاني اليحصبي، وهو مـن أهل الأدب، "وله به عناية، وكتب غير مقطعات من شـعر، وحـج مـرات هـو وأخـوه علـي الركاني"[4].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٦٣/٣.
(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ١.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٨/٢.
(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٦٣/٣.

رِكْلَة Ricla :

مدينة، تقع بقرب سرقسطة وقلعة أيوب، عالية البنيان على وادي شلون، وبساتينها تسقى منه[1]. وقد ذكر العذري أن هذا النهر أو الوادي يسقى إلى باب سرقسطة أربعين ميلاً "وحكى بعض من يعرف نهر شلون أنه يعم بالسقيا نحو ثمانين ميلاً"[2].

وتعتبر ركلة من عمل سرقسطة[3]، وكانت تابعة لبني هود، وقد نزل بها في أيامهم بَرَد حطم أشجار أغصان الكمثرى حتى تركها دون أغصان، ويذكر الحميري أن وزن حبّة البرد في اليوم الثاني من سقوطه بلغ ثلاثة أرطال بالبغدادي[4].

رَمَادة Ramada :

قرية، ذكر ابن سعيد ـ نقلاً عن الحجاري ـ أنها من قُرى شلب[5]، ونسب إليها: يوسف بن هارون الرمادي الكندي، وهو شاعر "كثير الشعر، سريع القول، مشهورٌ عند العامة والخاصة لسلوكه في فنون المنظوم"[6].

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٧٨؛ والروض المعطار: ٢٦٨.
(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٤.
(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٦٤.
(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٧٨-٧٩؛ والروض المعطار: ٢٦٨.
(٥) ابن سعيد، المغرب: ١/٣٩٢.
(٦) المصدر نفسه: ١/٣٩٢؛ ولمزيد من التفاصيل عن الشاعر الرمادي انظر: المقري، نفح الطيب: ٤/٣٥-٤٠.

الرّملة La Rambla:

يبدو أنها قرية، وهناك في الأندلسس أكثر من رملة، إحداها رملة قرطبة، وتقع على شاطئ النهر الشرقي من قرطبة[1]، كان فيها متنزه أو منُية، يخرج إليها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله، وكان لأهل الرملة في عهده مشيخة، مما يدل على أنها كانت قرية كبيرة[2]. وقد أشار إلى رملة قرطبة الحميري[3]. وهناك رملة من نواحي وادي آش قرب غرناطة[4]، وتعرف أولية السهلة القريبة من قرطبة ـ كما يذكر الحميري ـ بالرملة[5].

والرملة: اسم كان يطلق على الطريق المرصوف الممتد بمحاذاة الشاطئ الشمالي لنهر الوادي الكبير بقرطبة، وتطل على هذا الطريق المنطقة الفخمة التي كان المنصور محمد بن أبي عامر قد بنى فيها مدينة الزاهرة التي اتخذها مقراً لحكمه[6].

---

(1) ابن حيان، المقتبس: ٥/٤٢٤.
(2) انظر: ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا: ١/٢٨٨.
(3) الحميري، الروض المعطار: ١٦٠؛ وانظر مادة: جرف موّاز في هذه الموسوعة.
(4) المقري، نفح الطيب: ٤/٢٨٨.
(5) الحميري، الروض المعطار: ٦٦.
(6) ابن السمّاك، الزهرات المنثورة: ١٠٥ الهامش.

رَنْدَة Ronda:

مدينة، يلفظ اسمها بفتح أوله وسكون ثانيه[١]. وقد ذكر المقري أنها من أعمال قرطبة[٢]. واعتبرها الحميري من مدن تاكرنا[٣]. وهي تقع إلى الغرب من مالقه، وتعد الحصن الذي يحميها من الغرب[٤].

ورندة مدينة رومانية قديمة كان اسمها: Arunda[٥]، فيها من آثار الرومان مسارح ومدرجات[٦]. ومن أهم آثارها العربية الاسلامية: قصبتها الشهيرة، وقنطرتها الواقعة عند مدخلها الغربي، وحماماتها، ومنارتها الواقعة في نهاية المدينة، ويبلغ طولها اثني عشر متراً[٧].

بُنيت رندة فوق ربوة عالية مما جعلها ذات موقع استراتيجي حصين، وأتاح لها أن تكون من أهم القواعد العسكرية في الاندلس[٨].

تكثر في رندة المياه، إذ يشقها من وسطها وادي ليبين (Guadalebin)[٩]، وهو نهر يتوارى "في غار فلا ترى جريته أميالاً، ثم يظهر حتى يقع في وادي لكُه"[١٠]. ويجلب إليها الماء أيضاً من قرية بشرقيها، وتقع قربها عين تعرف بالبراوة. وهذه العين تجري من أول

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٧٣/٣.

(٢) المقري، نفح الطيب: ١٦٥/١.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٧٩ وانظر أيضاً: ياقوت، معجم البلدان: ٧٣/٣.

(٤) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٩٤، ج٢٢٥؛ مشاهدات: ٩٥، ج٤.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٧٩؛ ياقوت، معجم البلدان: ٧٣/٣؛ ابن الخطيب، مشاهدات: ٩٥، ج٤.

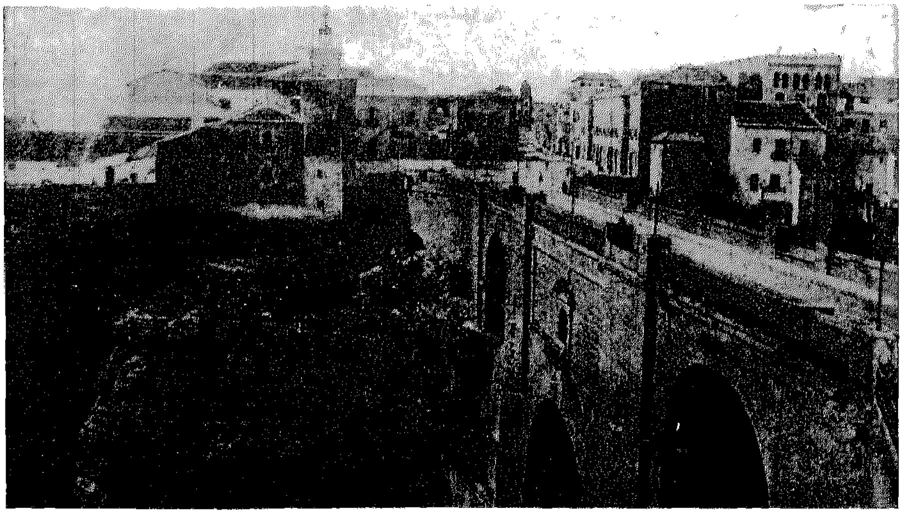
(٦) حتاملة، أيبيريا: ١٨٢.

(٧) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٩٤، ج ٢٢٥.

(٨) ابن الخطيب، مشاهدات: ٩٥، ج٤؛ معيار الاختيار: ٩٤، ج ٢٢٥.

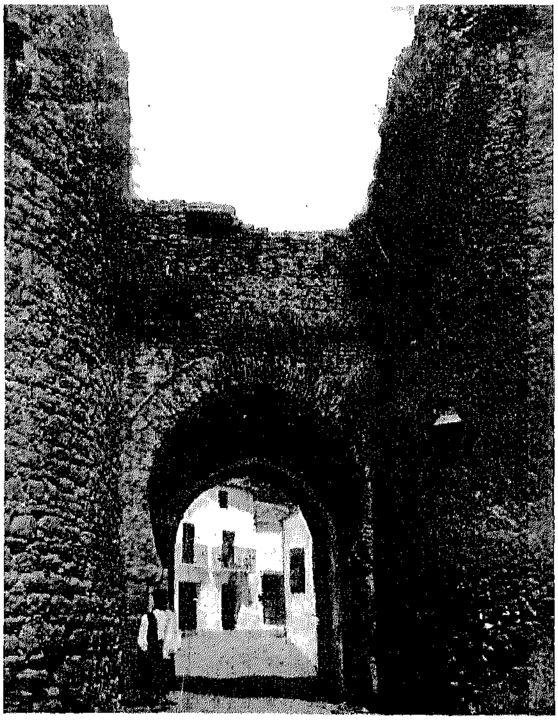
(٩) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٩٤، ج ٢٢٥.

(١٠) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٧٩.



Ronda.—Puente Nuevo y Plaza del Ayuntamiento

مدينة رُندة (الجسر الجديد وساحة البلدية)



Ronda.—Puerta árabe de entrada *(Foto Portugal)*

مدينة رُندة (البوابة العربية)

الربيع إلى آخر الصيف "فإذا دخل الخريف نضب ماؤها فلا يفيض بقطرة إلى أول الربيع من عام ثانٍ"[1].

وقد أتاحت وفرة المياه وخصب الأرض كثرة في المحاصيل من مختلف الأنواع، فأصبحت "بلد زرع وضرع، وأصل وفرع، مخازنها بالبرُ مالية، وأقواتها جديدة وبالية، ونعمها بجوار الجبل متوالية"[2].

لم تصرح المصادر باسم فاتح رندة، ولكن المرجح أن فاتحها هو طارق بن زياد بعد انتصاره على القوط في معركة وادي لكه (٢٨ رمضان ٩٢هـ/٧١١م)[3]. فبعد تلك المعركة فرق جيوشه لفتح المدن المحيطة، وتوجه أحدها إلى مالقة التي تعتبر رندة حصناً من حصونها، وفتحها[4]، "ولجأ علوجها إلى جبال هناك ممتنعة"[5].

استقر برندة بعد الفتح بنو اليفرني من البربر، فقد اختار البربر منطقة رندة الجبلية فسكنوها، وسميت تاكرنا باسم بعض قبائلهم[6]. وكان يرأس البربر في المنطقة زعيم منهم يسمى عبد الرحمن بن عوسجة، وهو جد بني عوسجة المصموديين الذين كثروا فيما بعد في الاندلس[7].

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٧٩.

(٢) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠١/١؛ المقري، نفح الطيب: ٢٥٩/١؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٧٩.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٢٦٣/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١١/٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠١/١؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٨٢-٨٣.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٢٦٣/١؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ١١/٢.

(٦) مؤنس، فجر الاندلس: ٣٨٨؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٢٤-١٢٥.

(٧) مؤنس، فجر الاندلس: ٣٨٠.

كان أهل رندة من أوائل من بايعوا عبد الرحمن بن معاوية بن هشام (الداخل) (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م)، فعندما دخل الاندلس نزل في المنكب، ثم ارتحل عنها "فاحتل بمالقة فبايعه جندها، ثم بُرندة"[(١)]. غير أن أهل رندة كانوا ـ بشكل عام ـ موصوفين بالجفاء[(٢)]، وربما كان لطبيعتها الصعبة أثر في أخلاقهم، فهي كما يصفها ابن سعيد "أحد معاقل الاندلس المتنعة، وقواعدها السامية المرتفعة، تطرد منها على بعد مرتقاها، ودنو النجم من ذراها، عيونٌ لانصبابها دوي كالرعد القاصف، والرياح العواصف... لا يتعذر فيها مطلب، ولا يتسور بها عدوّ إلا علقه ناب أو مخلب"[(٣)]. وقد هاجت فيها الفتنة ضد الأمويين في وقت مبكر، ففي سنة ١٧٨هـ/٧٩٥م ثار البربر في رنده على الأمير الأموي هشام ابن عبد الرحمن الداخل (المرتضى) (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م)، وخرجوا على طاعته، وشنوا الغارات على المسلمين من العرب، وقتلوا وسبوا كثيرين منهم[(٤)]. وقد وجه إليهم المرتضى جيشاً لاخضاعهم، وقد أنذرهم قائد الجيش، وحاول أن يعيدهم إلى الطاعة دون قتال، فرفضوا واستمروا في ثورتهم، مما اضطره إلى قتالهم وقتل أكثرهم، وإلجاء الناجين منهم إلى الفرار، حيث انهزموا إلى طلبيرة (Talavera) وترجيلة (Trujillo)، وبفرارهم أقفرت رندة، وظلت كذلك نحو سبع سنين[(٥)].

وتجدر الاشارة هنا إلى أن عمر بن حفصون، كبير الثوار بالاندلس ضد الأمويين خاصة، إنما يعود في أصله إلى مسالمة الذمة من كورة تاكرنا من عمل رُندة[(٦)]، وقد استولى على المدينة سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م في عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)[(٧)]، وظل ثائراً بها إلى عهد الأمير الأموي المنذر بن محمد

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٣٢٨/١؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٤٤/٢-٤٥.
(٢) ابن سعيد، المغرب: ٣٣٤/١.
(٣) المصدر نفسه: ٣٣٤/١.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٦٤/٢.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٦٤/٢؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢١٦.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٦/٢.
(٧) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤.

(٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م) الذي سأله ابن حفصون الصلح فأجابه إلى ذلك، ثم نكث ابن حفصون، واستمر في ثورته[١] إلى أن توفي سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م، فخلفه في الثورة ابنه جعفر ثم أخوه حفص الذي قضى الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) على ثورته نهائياً سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م[٢].

ولما ضعفت الخلافة الأموية في الاندلس في أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وقعت في الاندلس فتنة بربرية عارمة، وثار في رندة هلال بن أبي قرة بن دوناس اليفرني[٣] وهو زعيم جسور جشع مقدام، إلا أنه كان أيضاً سيء السيرة، ملتاث السلوك. وقد أثل دولة لبني يفرن شملت أراضي ولاية ريُّه المتدة ما بين نهر وادي لكه والبحر المتوسط، وجعل قاعدتها مدينة رُندة المنيعة، وذلك ابتداء من سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م[٤].

وتعرضت رُندة لأطماع القاضي ابن عباد الذي أقام مملكة في إشبيلية[٥]، وحاول احتواء دويلات البربر الناشئة الى الجنوب من مملكته عن طريق الخديعة والمصانعة حيناً، وعن طريق الدس والحرب حيناً آخر، "ثم غمس المعتضد يده فيمن كان يليه من أمراء البربر فصدم شرهم بشرهم، وضرب زيدهم بعمرهم"[٦]. وحاول في سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م التخلص منهم جميعاً بضربة واحدة، حيث دعا هلال بن أبي قرة صاحب رندة، ومحمد بن نوح الدمري صاحب مورور، وابن خزرون صاحب شذونة وأركش إلى وليمة في إشبيلية، وغدر بهم بأن قبض عليهم وكبلهم بالأغلال، وقتل بعضهم، إلا أن هلالاً نجا، وعاد إلى رندة[٧].

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٣/٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٧٤/٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٨٢-٢٨٣.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٤٢٩/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢١٤/٣؛ عنان، دول الطوائف: ١٥٠.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢١٤/٣؛ عنان، دول الطوائف: ١٥٠.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٤٣١/١ وما بعدها؛ عنان، دول الطوائف: ١٥٠.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢١٤/٣.

(٧) ابن خلدون، تاريخ: ٢٠٢/٤؛ عنان، دول الطوائف: ١٥٠-١٥١.

وقد حكم رندة أثناء غياب هلال اليفرني لدى المعتضد بن عباد ابنه باديس بن هلال، وكان فاسقاً مجرماً، فقد استبد بالأمر، وأرهق الناس ببغيه وطغيانه، وأطلق العنان لشهواته[(١)]. ولما عاد والده من الأسر، وعلم بخبره أمر باعدامه سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م[(٢)].

وتوفي هلال اليفرني بعد إعدام ابنه باديس ببضعة أشهر، فخلفه في حكم رندة ابنه أبو نصر فتوح بن أبي نور هلال بن أبي قرة بن دوناس اليفرني، وكان عادلاً حسن السيرة، إلا أنه كان ميالاً إلى الدعة منهمكاً في اللذات. وكان المعتضد بن عباد يتربص به. وقد دس عليه رجلاً يدعى ابن يعقوب "وكان من السمار في القصبة، مشهوراً بالنجدة والبسالة"[(٣)]. وظل أبو يعقوب هذا يتحين الفرص للانقضاض على أبي نصر، وفي ذات يوم دهمه في جماعة من صحبه، وهو في إحدى شرفات القصبة العليا، وصاح هو وجماعته بشعار بني عباد، فاضطرب أبو نصر، ووثب من الشرفة "فوقع على صخرة صماء، فتكسر ومات"[(٤)]، وذلك في سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م[(٥)]. ولم يأبه الناس لهذه الواقعة، ولم يرفع أحد من أهل رندة يداً ضد ابن يعقوب "بل سد كل أحد بابه وطلب العافية"[(٦)].

وآلت رندة منذ سنة ٤٥٧هـ/١٠٦٥م إلى بني عباد، وقد كان فرح المعتضد بذلك عظيماً، حتى أنه قال في فتح رندة قصيدة مطلعها[(٧)]:

لقد حُصّلت يا رندة فصرت لملكنا عقدة

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣١٣/٣، ويذكر ابن عذاري ان باديس بن هلال سام الناس الخسف "وامتحنهم في أموالهم بالنهب، وفي نسائهم وبناتهم بالعهر، وأباح لرجاله الحرم فكانوا يأخذون النساء من أزواجهن، والبنات من آبائهن، واتصل بأبيه أنه زنى بامرأته ولهمته...".

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣١٣/٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣١٣/٣-٣١٤.

(٤) المصدر نفسه: ٣١٤/٣؛ عنان، دول الطوائف: ١٥١.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣١٤/٣؛ عنان، دول الطوائف: ١٥١.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣١٤/٣.

(٧) المصدر نفسه: ٢٠٨/٣.

وأجبر الناس على حفظها، وحملهم على ضبطها[1].

وظلت رُندة في يد بني عباد إلى أن استولى عليها المرابطون سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[2]، ففي السنة السابقة وجه الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين (٤٦٣-٥٠٠هـ/١٠٧٠ – ١١٠٦م) جيوشه إلى الاندلس للقضاء على دول الطوائف، وتوحيد الاندلس. وكان والياً على رندة يومئذ أبو خالد يزيد الراضي بن المعتمد بن عباد[3]. وكان الجيش المكلف بإخضاع رندة بقيادة القائد المرابطي: جرور الحشمي الذي حاصرها فصمدت[4]. وظلت رندة صامدة إلى أن استولى المرابطون على إشبيلية، عاصمة مملكة بني عباد، وعندئذ أرغموا المعتمد بن عباد على أن يكتب لولده يزيد بضرورة تسليم المدينة، فأذعن، وسلّم يزيد الراضي نفسه للمرابطين بعد أن قطع له القائد جرور المواثيق والعهود، ولكنه بعد فتحه المدينة نكث، وقبض على يزيد وأعدمه، وانتهب أمواله، وأمر بقتل من ظفر بهم من المدافعين عن المدينة، وذلك في رمضان ٤٨٤هـ/١٠٩١م[5]. وفي هذه السنة استكمل المرابطون سيطرتهم على معظم أنحاء الاندلس، وقبضوا على المعتمد بن عباد، ونقلوه إلى المغرب[6].

وظلت رندة في أيدي المرابطين إلى أن ضعفوا، والتاث أمرهم، وكثر عليهم الثوار، وكان منهم أخيل بن إدريس الرندي الذي ثار في رندة، واستقل بها بعد أن طرد المرابطين، وأنشأ فيها حكومة مستقلة، وذلك سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م[7]. وكان أخيل في بداية حياته كاتباً للمرابطين، موالياً لهم. غير أنه مالأ الثائرين عليهم فيما بعد من أمثال: أبي جعفر بن حمدين، ثم قام هو نفسه بالثورة ضدهم، حيث استقل برندة. ولكن أهل رندة ما لبثوا أن

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٠٩/٣.
(٢) المصدر نفسه: ١٤٤/٤.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٤٤/٤؛ السامرائي، علاقات المرابطين: ١٦٥؛ عنان، دول الطوائف: ٣٣٣.
(٤) عنان، دول الطوائف: ٣٣٢-٣٣٣؛ السامرائي، علاقات المرابطين: ١٦٥.
(٥) السامرائي، علاقات المرابطين: ١٧٠.
(٦) ابن خلدون، تاريخ: ٢٠٣/٤.
(٧) السامرائي، علاقات المرابطين: ٢٧٨؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين: ٧٥.

قاموا عليه بثورة مضادة تأييداً لأبي الغمر بن عمر، قائد الثورة في شريش، فقد استقدموه، فسار إليهم بقواته، واستولى على رندة، وقبض على أخيل، وسجنه، ونهب دياره[1].

ولم يلبث أبو الغمر أن اطلق سراح أخيل، فقام هذا الأخير بالجواز إلى المغرب سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م، وأعلن الولاء والطاعة للموحدين[2]. وكذلك فعل أبو الغمر بن عزون نفسه، فقد وفد على الأمير الموحدي عبد المؤمن بن علي الكومي (٥٢٤-٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م) سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م وبايعه[3].

وتعرضت رندة في عهد الموحدين لاعتداءات الثوار، وفي مقدمتهم محمد بن سعد بن مردنيش الذي وجه بعض قواته من النصارى المرتزقة للاستيلاء على رندة سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م، فتصدى لهم الموحدون وجند الاندلس، وأوقعوا بهم هزيمة ساحقة، حيث طاردوهم إلى أعلى جبل قريب من وادي آش حاولوا الامتناع فيه، ولما لحقهم الموحدون هربوا، وسقطوا بين حافات الجبل، وتكسرت عظامهم[4]. وقد أسر المسلمون في هذه الواقعة ثلاثة وخمسين نصرانياً "استاقوهم إلى غرناطة مع جملة الغنائم"[5].

وأغارت القوات النصرانية على رندة سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م بقيادة القمط نونو بيريه دي لارا (Nuno Perez de Lara) الذي خرج على رأس قوة قشتالة، وهاجم رندة وجبالها، والجزيرة الخضراء وجبالها أيضاً "ووصل إلى البحر، وقتل المسلمين في تلك الأقطار والأنظار، وأسرهم فيها واكتسح سائمتهم"[6]. وتعرضت رندة للغزو النصراني مرة أخرى سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م

---

(١) أبو رميلة، علاقات الموحدين: ٧٥.

(٢) المرجع نفسه: ٩٠-٩١.

(٣) الناصري، الاستقصا: ١١٩/٢؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين: ٩٠، ٩٨.

(٤) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٢٧٤-٢٧٥؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين: ١٢٥.

(٥) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٢٧٥.

(٦) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٣١.

ففي تلك السنة هاجمها ملك قشتالة ألفونسو الثامن، وأحرق زرعها، واستولى منها على بعض الغنائم[1]. ولما انتهت الأخبار بذلك إلى أمير الموحدين يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨ـ٥٨٠هـ/١١٦٢ـ١١٨٤م) أمر الناس بالجواز إلى الاندلس، ورفع راية الجهاد مستهدفاً وضع حدٍ لاعتداءات النصارى[2].

وظلت رندة في طاعة الموحدين إلى أن دالت دولتهم في الاندلس وفي افريقية. وأصبحت بعدهم إحدى مدن مملكة غرناطة التي أسسها بنو الأحمر في الجزء الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة الاندلس، على ساحل البحر الأبيض المتوسط، على يد الغالب با لله أبي عبد ا لله محمد بن يوسف بن الأحمر، وذلك سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م[3]. وقد كثرت اعتداءات النصارى على مملكة غرناطة، واشتد ضغطهم عليها، فاستصرخوا السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق لنجدتهم. وقد استجاب لنداء ملكهم محمد بن محمد بن يوسف (العقبة) ٦٧١ـ٧٠١هـ/١٢٧٢ـ١٣٠٢م، مشترطاً أن يتنازل له عن بعض الثغور حتى تكون قواعد لجنده، فتنازل له عن رُندة وطريف[4].

وأصبحت رندة منذ ذلك التاريخ قاعدة لتجمع الجيوش المرينية، ومن ثم انطلاقها للجهاد ضد النصارى، ففي سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م حلّ بها السلطان يعقوب المريني بجيوشه[5]، ثم انطلق منها في الأول من ربيع الأول من تلك السنة، وبدأ هجوماً كاسحاً ضد النصارى[6].

---

(١) أبو رميلة، علاقات الموحدين: ٢٥٣.

(٢) الناصري، الاستقصا: ٢/١٥٣ـ١٥٤.

(٣) انظر حول تأسيس هذه الدولة: ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٣٣، ٤٢ وما بعدها؛ المقري، نفح الطيب: ١/٤٤٧ وما بعدها؛ ابن خلدون، تاريخ: ٤/١٨ وما بعدها؛ وانظر أيضاً: الناصري، الاستقصا: ٣/٣٧ وما بعدها.

(٤) الناصري، الاستقصا: ٣/٣٩ـ٤٠.

(٥) الناصري، الاستقصا: ٣/٤٥ـ٤٦.

(٦) ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٥٧؛ الناصري، الاستقصا: ٣/٤٦.

واستمر بنو مرين يحكمون رندة كثغر تابع لهم من ثغور الاندلس، وقد ولى عليها السلطان المريني أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق أخاه الأمير أبا البقاء يعيش سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م[١].

وظلت رندة في أيدي المسلمين حتى جمادى الأولى من سنة ٨٩٠هـ/١٤٨٥م، فقد زحف عليها النصارى القشتاليون، وهاجموها، وضربوها بالانفاط[٢] فهدموا بعض أسوارها مما مكنهم من اقتحامها على الرغم من دفاع حاميتها المجيد بقيادة حامد الثغري زعيم قبيلة غمارة[٣]. فعندما رأى أهلها ما لا طاقة لهم به طلبوا الأمان، وخرجو مؤمنين بما معهم. وبسقوط رندة في يد ملك قشتالة فرناندو الخامس سقط ما حولها في يده من غير قتال، ذلك أنها كانت الحصن القوي الذي يدافع عن تلك المنطقة[٤].

---

(١) الناصري، الاستقصا: ٣/١٠٤.

(٢) مجهول، نبذة العصر: ١٣-١٤؛ عنان، نهاية الاندلس: ١٩٢.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٤/٥١٦؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٠٥-٢٠٦.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٤/٥١٦؛ مجهول، نبذة العصر: ١٤؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٠٦؛ عنان، نهاية الاندلس: ١٩٢.

رُوطَـة Rueda:

مدينة قديمة، يلفظ اسمها بضم أوله، وسكون ثانيـه، وطـاء مهملـة[١]. ذكرهـا يـاقوت فقـال: حصـن مـن أعمـال سرقسـطة[٢]، وأشـار العـذري إلى أنهـا مدنيـة[٣]. ووصفهـا ابـن الكردبوس بأنها: معقل[٤]. ويبدو أنها كانت مدينة عامرة، بل قاعدة كبيرة ثم خربـت، ولم يبـق منهـا غـير حصنهـا[٥]، وكـان عـامراً في أوائـل العهـد الاسـلامي، وخاصـة في عهـد الأمويين[٦]. ثم زاد في عمارته وتحصينه بنو هود في عهـد ملـوك الطوائـف، واتخـذوه معقـلاً لهم[٧] كما سيأتي.

وتسمى روطة أيضاً بروطة جالون أو شـلون Rueda de Jalón لوقوعهـا علـى نهـر شـلون المتفرع من نهر الإيبرو[٨]. ويسميها ابن الأبار: روطة اليهود[٩]، ربما لكثرتهم فيها.

تقع روطة إلى الغرب من سرقسطة[١٠] على مقربة منها[١١]. وهي على قمة جبـل عـال "مساوٍ لأعنان السماء"[١٢]. وهي اليوم تابعة لمديرية وشقة (Huesca)[١٣]. وقد اعتبرهـا المقـري "قلعة منيعة من عاصمات الذرا"، وذكر أن ماءها ينبع من أعلاها[١٤]. وذكـر ابـن الكردبـوس

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٩٦.
(٢) المصدر نفسه: ٣/٩٦؛ وانظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل: ٨/٣٥٠.
(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٢.
(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٩؛ وانظر: ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٣٨.
(٥) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٤٠٥، ج١.
(٦) انظر: ابن عذاري، المغرب: ٢/١٤٤.
(٧) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٤٠٥، ج١؛ ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٣٨.
(٨) العذرين نصوص عن الأندلس: ٢٢؛ حتاملة، أيبيريا: ٩٥.
(٩) ابن الأبار، الحلة السيراء: ٢/٢٤٦.
(١٠) ابن الخطيب، الإحاطة: ١/٤٠٥، ج١؛ العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣/٩٦.
(١١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١١٩.
(١٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١١٩؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ٤/٣٧٠-٣٧١.
(١٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١١٩، ج٣.
(١٤) المقري، نفح الطيب: ٤/٣٧٠-٣٧١.

أن المستعين بن هود هو الذي أعدّ القلعة أو الحصن وبناه "وحفر فيه إلى الوادي سرباً أتقنه، أدراجه تنيف على الآربعمائة درج، فما يُقطع له شرب ولا منهج"[1].

وكان حصن روطة قد تم تخريبه في سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م في عهد الأمير الأموي عبد الله بن محمد (٢٧٥ـ٣٠٠هـ/٨٨٨ـ٩١٢م)، إذ ثار أهله ضد الأمير ثورة عاتية، فوجه إليهم قائده محمد بن عبد الملك الطويل، وقبل أن يصلهم توجه إلى حصن بليارش، وكان أهله ثائرين أيضاً، فقتل كثيرين منهم. وعندئذ خاف أهل روطة، فوفدوا عليه "يرغبون الصلح، ويسمحون بالرهائن والجزية"[2]، إلا أنه رفض فهربوا من الحصن خوفاً منه، فتقدم إليه وهدمه[3].

وخرج أهل روطة وغيرها من مدن ثغر سرقسطة على الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ـ٣٥٠هـ/٩١٢ـ٩٦١م)، وخلعوا طاعته، وكانوا بقيادة محمد بن هاشم التجيبي، صاحب سرقسطة. فخرج إليهم الناصر سنة ٣٢٢هـ/٩٣٣م[4]، وتقدم من الحصن، وكان فيه أخو محمد: يحيى بن هاشم التجيبي "فأحدقت العساكر به، وتمادت على محاربته حتى افتتح قسراً"[5].

وحكم التجيبيون حصن روطة في أوائل عهد ملوك الطوائف، وكان آخرهم منذر بن يحيى التجيبي، وقد اغتاله "رجل مارد من بني عمه يقال له عبد الله بن حكيم، وكان مقدماً في قوّاد منذر، أضمر الفتك به"[6]. وقد تمكن من قتله في ذي الحجة ٤٣٠هـ/

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١١٩ـ١٢٠.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٤٤/٢.
(٣) المصدر نفسه: ١٤٤/٢ـ١٤٥.
(٤) ابن حيان، المقتبس: ٣٣٤/٥ـ٣٣٥.
(٥) ابن حيان، المقتبس: ٣٣٥/٥.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٧٨/٣.

١٠٣٨م[1]، ولما علم سليمان ابن هود، صاحب سرقسطة بذلك، وكان مقيماً بتطيلة سارع إلى ابن حكيم الذي ملك سرقسطة، وامتنع بقصبتها، وهيّج فتنة واسعة. وقد حاصره ابن هود حصاراً شديداً "فخرج من باب بظهر القصر، ونجا بفاخر ما اشتمل عليه من ذخائر مال منذر، ولحق بحصن روطة.. وقد كان أعده لنفسه، فأقام به يرصد الفتنة جهده"[2]. ثم ملك ابن هود سرقسطة وما والاها بما في ذلك روطة سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م[3]. وأسس فيها مملكة بني هود، وحكمها إلى أن توفي سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م[4].

ويذكر ابن عذاري أن سليمان بن هود قبيل وفاته أوصى بتقسيم مملكته بين أولاده، وكان عددهم خمسة، استطاع أحدهم وهو أحمد (المقتدر) أن يتغلب على أخوته، ويستخلص حصصهم له بعد حروب طاحنة معهم، وكان أشدهم وأكثرهم حزماً أخوه يوسف، إلا أنه هزمه وأسره واستولى على أملاكه، ثم اعتقله في قلعة روطة سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م وظل معتقلاً فيها إلى أن توفي سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م[5].

وتوفي المقتدر بن هود سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م بعد وصاته بقسمة المملكة بين ولديه يوسف (المؤتمن)، والمنذر. وقد نشبت بين الأخوين حروب، واستعان كل منهما ضد أخيه بالنصارى، حيث استعان يوسف بالسيد القمبيطور وجيش من المرتزقة، واستعان المنذر بسانشو راميرو ملك أرغون، ورامون برنجير أمير برشلونة. وقد وقعت بين الطرفين معركة كبيرة هُزم فيها المنذر، وأُسر أمير برشلونة وذلك سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م[6].

---

(١) ابن عذاري، المصدر نفسه: ٣/١٧٨.

(٢) المصدر نفسه: ٣/١٨٠.

(٣) المصدر نفسه: ٣/٢٢٢.

(٤) المصدر نفسه: ٣/٢٢٢.

(٥) المصدر نفسه: ٣/٢٢٢ وما بعدها؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٢٧١ حيث يذكر رواية الاعتقال نقلاً عن المصادر النصرانية.

(٦) انظر التفاصيل: عنان، دول الطوائف: ٢٧٤-٢٧٥؛ السامرائي، علاقات المرابطين: ٦٤-٦٥.

وكان عم يوسف المؤتمن: يوسف المظفر الذي أسره المقتدر قد حاول التحرر من سجنه، لاستعادة عرشه بالتعاون مع حاكم قلعة روطة، وملك قشتالة ألفونسو السادس. وقد سار ألفونسو بقواته إلى القلعة وحاصرها، وفي تلك الأثناء توفي يوسف المظفر، فعدل حاكم القلعة عن الخطة، وبدلاً من المضي في التعاون مع النصارى، أوقع بهم، إذ تركهم حتى دخلوا روطة، وفيها انهالت عليهم صخور قضت عليهم جميعاً، ويبدو أنه أعد كميناً في القلعة لقذفهم بها[1].

وظلت روطة في يد بني هود إذ آلت بعد يوسف المؤتمن إلى ابنه (المستعين الصغير) سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، وفي عهده اشتد خطر النصارى على مملكته سرقسطة، فأخذ ألفونسو السادس، ملك قشتالة يستعد لاحتلالها، فأوفد المستعين ابنه عبد الملك من روطة إلى أمير المرابطين يوسف بن تاشفين مستغيثاً به، وذلك سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م[2]. ثم ما لبث المستعين أن استشهد في معركة مع نصارى أراغون بقيادة ملكهم ألفونسو الأول (المحارب) سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م فخلفه ابنه عبد الملك (عماد الدولة)[3]. وقد بايعه أهل سرقسطة مشترطين عليه أن يتخلى عن محالفة النصارى، وأن يخرج من كانوا في جيشه إلى بلادهم، فوعدهم بذلك ولكنه لم يف، وعندئذ راسلوا علي بن يوسف بن تاشفين ورجوه أن يستولي على سرقسطة وأعمالها. فما كان من عماد الدولة إلا أن نقل أهله وأمواله إلى حصن روطة حيث استقر بانتظار ما ستسفر عنه الأحداث[4].

واحتل ألفونسو المحارب، ملك أرغون سرقسطة سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، ففر عماد الدولة إلى روطة "فأقام فيه أعواماً ممتنعاً على المشركين إلى أن توفي"[5]. غير أن عماد الدولة، وهو

---

(١) عنان، دول الطوائف: ٢٧٥؛ السامرائي، علاقات المرابطين: ٦٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤٣/٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٣/٤.

(٤) المصدر نفسه: ٥٣/٤؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، دول الطوائف: ٢٨١.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٩-١٢٠؛ ابن سعيد، المغرب: ٤٣٨/٢.

في حصن روطة، وضعه نفسه تحت حماية ملك أرغون إلى أن توفي سنة ٥٢٤هـ/١١٢٩م، وبعد وفاته استمر في حكم روطة ابنه سيف الدولة الذي تخلى عن روطة نهائياً لملك قشتالة ألفونسو الرابع، الملقب بالسليطين، وذلك سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م[١]. ويذكر المقري أن السليطين عوض سيف الدولة عن روطة أملاكاً في طليطلة[٢]. وقد علقّ ابن الأثير على تنازل سيف الدولة الذي كان يلقب أيضاً بالمستنصر قائلاً: "وفعل المستنصر فعلة لم يفعلها قبله أحد"[٣].

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١٢٠ـ١٢١؛ المقري، نفح الطيب: ١/٤٤١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٨/٣٥٠ـ٣٥١.

(٢) المقري، نفح الطيب: ١/٤٤١.

(٣) ابن الأثير، الكامل: ٣٥١.

رَيْمِيَة Rimmya :

مدينة، ذكرها الحميري، وقال: تعرف بمدينة بني راشد، ولم يحدد موقعها وأشار إليها ابن حيان في حديثه عن خط سير الخليفة الأموي الناصر لدين الله إلى سرقسطة غازياً مما يدل على أنها تقع إلى الشمال من مدينة قرطبة، وذكر ابن حيان أن عبد الرحمن الناصر سار إلى "أم الوسيم المعروفة بمدينة راشد من ريمية"[(١)] . وذكرها ياقوت باسم ويمية (بالواو)، وقال: "الياء مخففة ليست للنسبة"، ووصفها بأنها مدينة بالأندلس من كورة جيّان، وهي اليوم خراب"[(٢)] .

وقال الحميري في وصفه لـ (ريمية) أنها "بها أنشام عاديّة تأوي إليها عقبان كثيرة فلا تؤذيهم في شيء من دجاجهم وهي تأتي على ما في سائر القرى المجاورة لها، وإذا حصرها الثلج هناك ومنعها من التصرف صرصرت من الجوع، وأرمقت بأصواتها فيلقي إليها أهل ريمية من فضول ما عندهم فتأكل وتسكن"[(٣)] .

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٥/٣٦٢.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٥/٣٨٧.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ٢٨٠؛ وصفة جزيرة الأندلس: ٧٩.

رَيُّه Rayyo:

كورة واسعة، ضبط ياقوت اسمها بفتح أوله، وتشديد ثانيه[1]، وثانيه بالضم[2].

تقع كورة ريُّه في الجهة القبلية من قرطبة وشمالي الجزيرة[3]. وقد ذكر ابن سعيد أن ريّه هو الاسم القديم لمالقة، ووصف ريه بأنها "بحرية برية، ولها الوادي الربيعي الذي يأتي زائراً مُغباً، فيزداد أهلها فيه غبطةً وحباً، وعلى مذانبه المتفرعة كسبائك اللُّجَيْن، ما ترتاح بمرآه النفس والعين... ولمالقة (رية) مما فضلت به ما حفها من شجر اللوز وشجر التين، إذ هو بها طوفان لا تزال تحمل منه الركاب والسفين، وهو مفضل على سائر تين الأندلس إلا شَعْريَّ إشبيلية فإن بعضهم يفضله، ولا سيما في دخوله في الأدوية ومنفعته. ويكفيها عن الإطناب ما يتضمّن شرح اسمها، إذ معنى ريّة عند النصارى: سلطانة، فهي سلطانة البلاد"[4].

وقد وصف ابن سعيد وادي ريُّة الربيعي بقوله:

بوادي ريَّةٍ عرّج فإنــــــي	رأيتُ الحسنَ عنه لا يميلُ
وهات الخمر صرفاً دون مزجٍ	بحيثُ الماءُ والظلُّ الظليلُ
غدا متقسماً في كل وجــــهٍ	كما سُلَّت على خزّ نصولُ
تجولُ لواحظي ما دُمتُ فيــه	بحيثُ ترى مذانبهُ تجـولُ[5]

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ١١٦/٣.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣١٣/٣؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٧٩؛ وصفة جزيرة الأندلس: ٧٩.

(3) الحميري، الروض المعطار: ٢٧٩؛ ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٤٤؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ١٠٦.

(4) ابن سعيد، المغرب: ٤٢٣/١.

(5) ابن سعيد، المغرب: ٤٢٣/١.

ويقرب من وصف ابن سعيد لرية وصف ابن الخرّاط، فهي "كثيرة الخيرات"، غزيرة البركات، مطردة الأنهار، برية بحرية، لها سهل متسع وجبل ممتنع، ومدنها كثيرة"[(١)]. وتعدّ مدينة أرجدونه أهم مدنها، وقد كان معظم سكانها من النصارى الذين كانوا كثيراً ما يعصون الدولة، منهم في غاية العتوّ والتمرد[(٢)]. وقد عدد صاحب تقويم البلدان كثيراً من قرى ريّة وحصونها ومدنها، وأشهرها: مالقة، ولماية، وبزليانة، ومورور، وغيرها[(٣)].

فتح ريُّة طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١٠م، فقد بعث إليها جيشاً من إستجة، "وقوّد عليه قائداً، وجعل معه دليلاً من رجال يُلْيَان، فاستفتحها وجميع أعمال ريُّة، ولجأ علوجها إلى جبال رية الشامخة المنيعة"[(٤)] . ولما ولي الأندلس أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م فرق أهل الشام على كور الأندلس، وأنزل بريُّة أهل الأردن[(٥)]. وقد ذكر ابن رستة أن جند الأردن الذين نزلوا رية: "يَمَنٌ كلهم، من سائر البطون"[(٦)]. وقد كانت ريُّة ثاني محطة انتقل إليها عبد الرحمن الداخل بعد المنكّب عقب دخوله الأندلس سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م، حيث بادر عاملها عيسى بن مُساور إلى مبايعته[(٧)]، ودعمه أهلها بنحو ألف وأربعمائة فارس[(٨)] .

أصبحت رية في عهد الأمويين معقلاً للثائرين ضدهم، فمنها كان عمر بن حفصون الخارج عليهم[(٩)]، وفيها كثر قطاع الطرق الذين لجأوا إليها لوعورتها وبعدها عن سلطة

---

(١) ابن الخراط، الأندلس في اقتباس الأنوار: ١٤٤.
(٢) ابن حوقل، صورة الأرض: ١٠٦.
(٣) تقويم البلدان: ١٧٥.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١١/٢؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ٢٦٣/١.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٣/٢؛ ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٤٤؛ المقري، نفح الطيب: ٢٣٧/١؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٧٩.
(٦) ابن رستة، الأعلاق النفيسة: ٣٥٤.
(٧) المقري، نفح الطيب: ٣٢٨/١؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ١٤٤/٢.
(٨) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤٦/٢.
(٩) ابن حوقل، صورة الأرض: ١٠٦.

الدولة، ومنهم: حفص بن عمر مع ولده عمر بعد أن قتل جاره، حيث اعتصم فيها[1]. وكان أول ما ظهرت الفتنة وظهر الشر في كورية رية والجزيرة الخضراء وتاكُرُنا سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م في عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، ففي تلك السنة ظهر يحيى المعروف بالجزيري. فوجه إليها الأمير الأموي جيشاً أعاده إلى الطاعة، وقدم به إلى قرطبة[2]. وفي السنة التالية أخرج الأمير ابنه عبد الله إلى كورة ريه، فبنى فيها حصوناً ثم رجع[3].

والتاثت حصون ريّة في سنة ٢٦٧هـ/٨٨٠م حيث خرج عمر بن حفصون ضد الأمويين، وابتدأ شره، وطالت في الدنيا فتنته، "فتقدم إليه عامر بن عامر، فانهزم عامر وأسلم قبته، فأخذها ابن حفصون"[4]. وكان عامر هو الوالي على كورة ريّه، ولكن الأمير الأموي عزله عنها عندما عجز عن مواجهة ابن حفصون "وولاها عبد العزيز بن عباس، فهادنه ابن حفصون، وسكنت الحال بينهما. ثم عُزل عبد العزيز، وتحرك ابن حفصون وعاد إلى ما كان عليه من الشر"[5]. وفي السنة نفسها خرج القائد هاشم بن عبد العزيز إلى كورة ريّه يطالب كل من كشف وجهه في الفتنة وأظهر الخلاف"[6].

وغزا هاشم بن عبد العزيز كورة ريه سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م، واستنزل عمر بن حفصون من جبل بريشتر، وقدم به قرطبة إلا أنه تمكن من الهرب في السنة التالية[7]. وقد خرج في طلبه المنذر ابن الأمير محمد إلى كورة ريه سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م، وكان قائد الجيش محمد بن جهور. "فقصد مدينة الحامّة، وفيها حارث بن حمدون من بني رفاعة، وكان مظاهراً لعمر

(١) بدر، دراسات في تاريخ الأندلس: ٢٤٠؛ عنان، دولة الإسلام، ق١: ٣٠٢.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٣/٢.
(٣) المصدر نفسه: ١٠٣/٢.
(٤) المصدر نفسه: ١٠٤/٢.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٤/٢.
(٦) المصدر نفسه: ١٠٤/٢.
(٧) المصدر نفسه: ١٠٥/٢؛ وانظر تفاصيل بداية ثورة عمر بن حفصون في تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية: ١٢٥-١٢٦؛ وانظر أيضاً مادة: بربشتر من هذه الموسوعة.

بن حفصون، وكانا قد اجتمعا بالحامة. فنازلهم وناهضهم وأحدق بهم من كل ناحية؛ وأقام محاصراً لهم شهرين. فلما وصل إليهم الضيق بـرزوا إلى البـاب خارجـاً، مستقلين للحـرب. وقام بها، فنالته جراح، وشلّت يده، ثم انهزم هو وأصحابه، وصاروا بين قتيـل وفليـل"[1]. إلا أن وفاة الأمير محمد في تلك السنة اضطرت ابنه المنـذر للعـودة إلى قرطبـة، ممـا زاد مـن أطماع ابن حفصون الذي أصبحت أكثر حصون ريه قد حصلـت في طوعـه[2]. وقـد استمر في معاداته للأمويين طوال عهد كل من الأمير المنذر والأمير عبد الله ابني الأمير محمد[3].

عندما تولى عبد الرحمن الناصر لدين الله حكم الأندلس سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م كـان عُمـر بن حفصون قد اشتدت وطأته، وقويت شوكته، وأصبـح ذا طمـع لا حـدود لـه، إذ سـار إلى مدينة مالقة، قصبة كورة ريه، وبلغ النـاصر ذلـك، كمـا بلغـه مضايقـة ابـن حفصـون لأهـل مالقة، وأن تخاذلهم أطمعه في انتهاز فرصتها، فوجه فرقة من الجند بقيادة سـعيد بـن عبـد الوارث للتصدي له، "وأمره أن يغُذّ السير ويطوي المراحل حتى يدخل إلى مالقـة، فيشـدّها، ويقطع ابن حفصون عما أطمع نفسه به فيهـا، فتوصـل ابـن عبـد الـوارث فيمـن معـه إليهـا فضبطها، وحمى الجهة عن ابن حفصون"[4].

وأعدّ الناصر لدين الله عدته لمحاربة أهل الخلاف بكورة ريّه، ولما استكمل ذلك خرج إليها سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م في غزاته التي تسميها المصادر (غـزوة طـرش)[5]، حيـث خـرج مـن قصره في قرطبة، وسار على رأس جيوشه في الثامن من المحرم من تلـك السـنة (١٠ حزيـران ٩٢١م)، ووصل إلى حصن طرش الذي كانت النصارى قـد انحشـدت إليـه وتحصنـت فيـه، وكان ابن حفصون قد جمعهم واستعان بهم. وقد حصرهم الناصر حصراً شديداً، وقتل كثيرين

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠٦/٢.
(٢) المصدر نفسه: ١٠٦/٢، ١١٤.
(٣) المصدر نفسه: ١١٧/٢ وما بعدها.
(٤) ابن حيان، المقتبس: ٦٥/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٦١/٢.
(٥) ابن حيان، المقتبس: ١٧١/٥؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ١٨٠/٢.

منهم، مما اضطر الباقين إلى الاستسلام[1]. واستمر ضغط الناصر على الثوار في كورة رية خلال السنوات التالية، ففي سنة ٣١٠هـ/٩٢٢م قصد "قلعة ببشتر، عش النفاق، فنزل بساحتها... وقطع ما كان بقي في أسناد جبلها من الشجر، وحطم ما نجا فيها من أسباب المعيشة"[2]. ثم افتتح قصر بُنيرة، وهو من حصون الخلاف بكورة رية[3]. وفي سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م شن حرباً ضروساً ضد ابن حفصون في ريه، وذلك في غزوته المعروفة بغزوة شاط[4].

وظلت كورة ريه مهداً لشذاذ الآفاق، وموطناً للمخالفين، وخاصة مدينة ببشتر التي أصبحت بعد وفاة عمر بن حفصون معقلاً لابنه حفص. وقد غزاه الخليفة الناصر لدين الله سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، حيث احتل ساحل مدينة مالقة، قصبة كورة ريه، وانطلق من هناك إلى الحصون المخالفة، فأذلّ الثوار، وكسر شوكتهم[5]. وقد مكنه ذلك من القضاء نهائياً على العصاة في كورة ريه، بعد استنزال العصاة في حصونها بما في ذلك ببشتر سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م[6].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن رية كانت موطناً لقبيلة عاملة التي قدمت إلى الأندلس من الأردن في طالعة بلج بن بشر القشيري سنة ١٢٥هـ/٧٤٣م، ومن هذه القبيلة والي الأندلس ثعلبة بن سلامة العاملي (١٢٨-١٢٩هـ/٧٤٦م)[7]، ومن هذه القبيلة أيضاً: ابن سمّاك العاملي، مؤلف كتاب: الزهرات المنثورة في نكت الأخبار المأثورة[8].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٥/١٧١-١٧٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٨٠-١٨١.
(٢) ابن حيان، المقتبس: ٥/١٨٠.
(٣) المصدر نفسه: ٥/١٨١.
(٤) المصدر نفسه: ٥/١٨٣ وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٨٣-١٨٥.
(٥) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢١٠-٢١١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٩٣-١٩٤.
(٦) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢١٥ وما بعدها؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٩٥.
(٧) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤١٩-٤٢٠.
(٨) ابن سماك، الزهرات المنثورة، مقدمة المحقق: ١٠.

هذا، وقد استمر أهل الخلاف بالظهور في كورة رية في عهد ملوك الفتنة، وأول من ثـار بها في عهدهم: عامر بن الفتوح، غير أن علي بن حمود خدعه، فأخذها منه "فصارت قطبـاً لخلافة ولده حين أخرجوا من قرطبة، وأشهرهم بها: إدريـس بـن يحيـى بـن علـي الملقب بالعالي. وصارت إلى باديس بن حبوس صاحب غرناطة. ثم تداولت عليها ولاة الملثمـين وولاة المصامدة وولاة ابن هود"[1] . ثم آلت إلى بني الأحمر[2] .

---

(1) ابن سعيد، المغرب: ٤٢٥/١.

(2) المصدر نفسه: ٤٢٥/١.

الزاي

الزّاهِرَة Madinat Al-Zahira:

تقع على نهر الوادي الكبير شمال شرق قرطبة، وتتصل مبانيها بمباني مدينة قرطبة. وهي تقابل مدينة الزهراء التي بناها الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر شمال غرب قرطبة[١].

بني الزاهرة المنصور محمد بن أبي عامر بعد أن استبد بشؤون الدولة، وسيطر على مقاليد الحكم في عهد الخليفة الأموي هشام الثاني (المؤيد) الذي توفي حوالي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م. أما سبب بنائها فهو أنه "عندما استفحل أمره، واتقد جمره، وظهر استبداده"[٢] أراد المباهاة، والتعبير عما وصل إليه من سلطان لا يقل عن سلطان الخلفاء الكبار أمثال الناصر، فابتنى الزاهرة مقابل الزهراء[٣]. كما أراد أن تكون الزاهرة حصناً له يحميه، إذ خاف على نفسه بعد أن كثر حساده، وتحالف عليه أضداده[٤].

وقد شرع المنصور في بناء الزاهرة سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م بعد أن حشد عدداً كبيراً من الصناع والعمال، وجلب ما يحتاج إليه البناء من آلات. ثم توسع في البنيان، وأحاطها بأسوار عالية. وقد تمت معظم إنشاءاتها خلال عامين اثنين[٥].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١/٥٧٩؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٢ الحاشية ٤.

(٢) المقري، نفح الطيب: ١/٥٧٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب: ٢/٢٩٨-٢٩٩.

(٤) المقري، نفح الطيب: ١/٥٧٨.

(٥) المقري، نفح الطيب: ١/٥٧٩.

وانتقل المنصور إلى مدينة الزاهرة سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م "ونزلها بخاصته وعامته، فتبوّأها وشحنها بجميع أسلحته وأمواله وأمتعته"[١]. كما نقل إليها بيت المال[٢].

واتسعت الزاهرة في عهد المنصور بن أبي عامر حتى أصبحت مدينة كبيرة، وقد عمل هو على ذلك، فقد "أقطع ما حولها لوزرائه وكتابه، وقواده وحجابه، فابتنوا بها كبار الدور، وجليلات القصور... وقامت بها الأسواق، وكثرت فيها الأرفاق"[٣]. ولم يقتصر سكانها على هؤلاء، فقد أقبل على البناء حولها عامة الناس، وتنافسوا في ذلك حتى اتصلت أحياؤها بأحياء قرطبة نفسها[٤].

وأصبحت الزاهرة في عهد المنصور بن أبي عامر هي العاصمة الحقيقية، وذلك بعد أن كتب إلى الولاة في الاندلس بأن تحمل إليها الأموال، وأن يقصدوها وحدها دون قرطبة التي أصبح قصر الخليفة فيها مهجوراً[٥].

وكان المنصور مفتوناً بمدينته، معجباً بها. ولكنه كان في الوقت نفسه يستشعر خرابها، فقد قال يوماً وهو في زورق في نهر الوادي الكبير مع نفر من أصحابه، بينما كان يتأمل الزاهرة[٦]: "...يا زاهرة الحسن، لقد حسن مرءاك، وعبق ثراك، وراق منظرك، وفاق مخبرك، وطاب تربك، وعذب شربك! فليت شعري من المريد الذي يعدمك، ويوهن ركنك

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٥٧٩/١.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٢.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٥٧٩/١.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه: ٥٧٩/١-٥٨٠.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٩/٢.

ويهدمك..."... ثم أضاف "...سيظهر عليها عدوّنا في اقرب مدّة، فيهدم هذا كله ويعدمه. وكأني بحجارتها في هذا النهر" [1].

ولم تمض مدة طويلة قبل أن تتحقق مخاوف المنصور بن أبي عامر بخراب مدينته الزاهرة؛ فبعد نحو ثلاثين عاماً من بنائها قام الخليفة المهدي محمد بن عبد الجبار بثورته ضد عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر المعروف بشنجول، وذلك سنة ٣٩٩هـ/١٠٠٨م، وأثناء هذه الثورة تم نهب الزاهرة، واقتسام ما تحتويه من مال ومتاع وفرش وآنية، حتى الأبواب تم اقتلاعها. وبعد نهب كل ما فيها أمر الثائر بهدمها، وتشعيث قصورها، وطمس آثارها، فطمست، ولم يبق منها شيء[2].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٩٩.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٦٢ الحاشية ٤.

Torres Balbas, Leopoldo Guidades Yermas Hispano musulmanas (Boletin de La Real Academia de La Historia) CXLI, 1957, pp. 142, 148

الزُّقَاق Al-Zuqaq :

مجاز، يلفظ بضم أوله، وآخره مثل ثانيه[١]. وهو الممر المائي ما بين المغرب والأندلس[٢]. ويطلق على هذا الممر أيضاً: بحر الزقاق[٣]، وبحر المجاز[٤]. وقد وصفه الحميري بأنه البحر "الداخل من البحر المحيط، والذي عليه سبتة، والذي يضيق من المشرق إلى المغرب حتى يكون عرضه ثمانية عشر ميلاً، وهو بساحل الأندلس الغربي بمكان يُقال له الخضراء، ما بين طنجة من أرض المغرب وبين الأندلس، ثم يتسع الزقاق كلما امتد حتى يصير إلى ما لا ذرع له ولا نهاية، وهو مخرج بحر الروم المتصاعد إلى الشام"[٥].

والمسافات التي أشار الحميري إلى أنها لا ذرع لها ولا نهاية حددها المقري إذ ذكر أن "طول هذا الزقاق الذي عرضه ثمانية عشر ميلاً مضاعف ذلك إلى ميناء سبتة، ومن هناك يأخذ البحر في الاتساع إلى ثمانمائة ميل وأزيد، ومنتهاه مدينة صور من الشام، وفيه عدد عظيم من الجزائر"[٦].

وأضيق موضع بين طنجة بالمغرب والجزيرة الخضراء بالأندلس اثنا عشر ميلاً "وذلك هو المسمى الزقاق"[٧]، وأوسع موضع بينهما ثمانية عشر ميلاً[٨]. وضيق الزقاق بين المغرب والأندلس جعل العدوتين تكادان تتراءان، وقد شجع على عبوره أيضاً سهولة مرامه في أي وقت من السنة، ولذلك كان المعبر إلى الأندلس عند فتحها، وكان طريق إمدادها بالجيوش

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١٤٤/٣.
(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٨٣.
(٣) ابن سعيد، المغرب: ٤٤٤/١.
(٤) المقري، نفح الطيب: ١٤٥/١.
(٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٨٣.
(٦) المقري، نفح الطيب: ١٤٥/١-١٤٦.
(٧) ياقوت، معجم البلدان: ١٤٤/٣.
(٨) المصدر نفسه: ١٤٤/٣.

والعدد فيما بعد. كما كان معبر الأندلسيين إلى المغرب محاربين ومن ثم مهاجرين ومُهجّرين[١] . ويبدو أن بعض هؤلاء توهم وجود أهوال في بحر الزقاق عندما اضطر إلى ترك بلاده الأندلس إلى سبتة في عدوة المغرب، وهو الفقيه المرادي المتكلم القيرواني، حيث قال بعد خلاصه من بحر الزقاق ووصوله إلى سبتة:

سمعتُ التجار وقد حدّثوا ... بشدّة أهوال بحر الزُّقاقِ

فقلت لهم: قربوني إليه ... أشفهُ من حرّ يوم الفراقِ

فلما فعلتُ جرت أدمعي ... فعاد كما كان قبل التلاقِ[٢]

وينقل الحميري أخباراً عن قنطرة يزعم الناس أنها كانت مبنية لتصل عدوة المغرب بعدوة الأندلس، فيذكر أنه "قبل افتتاح المسلمين البلاد المصرية بمائة سنة، طغى ماء البحر، فأغرق القنطرة التي كانت بين بلاد الأندلس وبين ساحل طنجة من أرض المغرب، وكانت قنطرة عظيمة لا يعلم لها في المعمور نظير، يُقال إنها من بناء ذي القرنين مبنية بالحجارة، يمر عليها الإبل والدواب من ساحل المغرب إلى الأندلس. وكان طولها اثني عشر ميلاً، في عرض واسع وسموّ كبير؛ وربما بدت هذه القنطرة لأهل المراكب تحت الماء فعرفوها، والناس يقولون: لا بد من ظهورها قبل فناء الدنيا"[٣] .

(١) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٥٦.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٣/١٤٤-١٤٥.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٨٣؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ١٤٥.

الزّلاّقَةُ Al-Zallaga: Sagrajas/Sacrajas

معركة، يلفظ اسمها بفتح أوله، وتشديد ثانيه، وقاف. وأصل التسمية من القول: مكان زلق، وزلقت رجله تزلق زلقاً. والزلاقة: الموضع الذي لا يمكن الثبوت عليه من شدة زلقه، والتشديد للتكثير[1].

حدد ياقوت موقعها بقوله: أرض بالاندلس بقرب قرطبة[2]، وقال الحميري: بطيء الزلاقة من إقليم بطليوس من غرب الاندلس[3]، بينما ورد في النفح أن سهل الزلاقة على مقربة من شمال شرقي مدينة بطليوس[4]، وفي تاريخ الاندلس لابن الكردبوس أن المكان يقع على بعد اثني عشر كيلومتراً شمال شرق بطليوس في غرب الاندلس[5]. وقد حاولت سحر عبد العزيز سالم تحديد الموقع الذي دارت فيه معركة الزلاقة الشهيرة بين النصارى بقيادة ألفونسو السادس والمسلمين بقيادة أمير المرابطين يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[6]. فذكرت نقلاً عن مدونة برغش Cronicon Burgense الموسومة: Fuit La de Badajoz أن الموقعة دارت عند بطليوس، وأن من يدرس طبوغرافية بطليوس، وعلى الأخص القسم الشمالي منها، يدرك أن وادي يانه يصل طاميا فياضاً متبعاً مجراه حتى يصل إلى بطليوس، وعندئذ ينحني نحو الغرب ليواصل مجراه حيث يلتقي برافد الكايا Caya، ثم يمضي إلى الجنوب ويلتقي برافده نهر خيفورا Gevora. ويوازي نهر خيفورا نهر جيريرو Guerrero وبينهما نحو كيلومترين. وهذا النهر الأخير يلتحم مع أحد فرعي وادي يانه على مسافة سبعة كيلومترات

(١) ياقوت، معجم البلدان: ١٤٦/٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٦/٣.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ٢٨٧.

(٤) المقري، نفح الطيب: ١١١/٢ الحاشية ١.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٣-٩٥ والحاشية ١ ص ٩٣.

(٦) ياقوت، معجم البلدان: ١٤٦/٣؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٨٨؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٤١؛ الناصري، الاستقصا: ٣٣/٢ وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٤١/٨-١٤٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١١١/٢ الحاشية ١.

من نقطة التقائه بنهر خيفورا إلى الشمال الشرقي من بطليوس. وتبدو المنطقة الفسيحة التي تخترقها هذه الروافد على شكل فحص يمتد فيه سهل من جهة نهر خيفورا يسمى ساجراخاس، يبعد عن بطليوس نحو سبعة كيلومترات، ويبلغ ارتفاع هذا السهل عن الأراضي المحيطة به نحو مائتي متر فوق سطح البحر[١].

ويتألف فحص وادي يانه من سهول فيضية، وكذلك فحص نهر خيفورا. أما بقية الأراضي فطينية باستثناء مناطق كلسية بجوار بطليوس. والمنطقة التي وقعت فيها معركة الزلاقة هي بطحاء بطليوس الفسيحة الممتدة على ضفاف وادي يانه، وتعرف اليوم باسم Sagrajas[٢].

وتتلخص أسباب معركة الزلاقة في أن ألفونسو السادس بعد استيلائه على طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م أحس بنشوة النصر، وأخذ يحشد الحشود لمهاجمة الأراضي الاسلامية. وكان المتوكل عمر بن الأفطس ملك بطليوس قد أحس بالخطر المحدق به فاستغاث بالمرابطين[٣]، ودعا أميرهم يوسف بن تاشفين (٤٦٣-٥٠٠هـ/١٠٧٠-١١٠٦م) للجواز إلى الاندلس، وكذلك فعل المعتمد بن عباد ملك إشبيلية الذي ضاق ذرعاً بطلبات ألفونسو من الأموال والحصون، وتوترت العلاقات بينهما بعد أن بالغ ألفونسو بطلباته[٤]، حتى أنه وجه إلى ابن عباد رسالة يطالبه فيها بتسليم أعماله، ويحذره من مخالفته له، ويضرب له المثل بما حدث في طليطلة. وقد رد المعتمد على ألفونسو رداً قاسياً، وسخر من تهديداته. ويبدو أنه لم يكن ليفعل ذلك لولا اطمئنانه إلى أن يوسف بن تاشفين سيعينه، إذ كان قد وجه إليه رسالة في جمادى

---

(١) سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢/٩٧-٩٨.

(٢) المرجع نفسه: ٢/٩٨-٩٩.

(٣) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/٩٩؛ مجهول، الحلل الموشية: ٣٣؛ وانظر: ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ١٨٤؛ وابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٥٣؛ وعنان، دول الطوائف: ٨٦.

(٤) مجهول، الحلل الموشية: ٤٢؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٨٨.

الأولى ٤٧٨هـ/١٠٨٥م يطلب نجدته، كما ذهب بنفسه إلى المغرب حيث قابل ابـن تاشـفين، وطلب معونته[١].

ولما بلغ ألفونسو اعتزام يوسف الجواز إلى الاندلس لنصـرة ملـوك الطوائـف وجـه إليـه رسالة فيها الكثير من الإهانة والتحدي، فكتب إليه ابن تاشفين: "أما بعد، فإن الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه بأذنك، والسلام على من اتبع الهدى"[٢].

وقبل جواز ابن تاشفين إلى الاندلـس تشـاور مـع إخوتـه وبـني عمـه حـول اسـتغاثات أهلها، فأيدوا جوازه وإغاثتهم[٣].

وبعد أن تجهز يوسف بن تاشفين للجواز إلى الاندلس طلـب مـن المعتمـد بـن عبـاد أن يتنازل له عن الجزيرة الخضراء لتكـون قـاعدة لانطـلاق الجيـوش المرابطيـة، إذ كتـب إليـه رسالة جاء فيها "...وإنه لا يكون جوازنا إليك إلا أن تسلم لنا الجزيرة الخضـراء تكـون لنـا لكي يكون جوازنا إليك على أيدينا متى شئنا"[٤]. وقد رحب المعتمد بهـذا الطلـب، وتنـازل عن الجزيرة واضعاً إياها تحت تصرف ابن تاشفين[٥].

"فلما كمل جواز الجيوش، واستوفت عساكر المجاهدين بساحل الخضراء، جاز هـو في أثرهم في جيش عظيم من قواد المرابطين وأنجادهم وصلحائهم، فلما ركـب السـفينة، واسـتقر

---

(١) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٤٥؛ وانظر: سـحر سـالم، تـاريخ بطليـوس الاسلامية: ٤٩ـ٥٠؛ وابـن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٤١/٨؛ الناصري، الاستقصا: ٣٣/٢.

(٢) مجهول، الحلل الموشية: ٤٣؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢٤٠.

(٣) مجهول، الحلل الموشية: ٤٨ـ٥٠؛ شعيب، دور المرابطين في الجهاد: ٤٢.

(٤) مجهول، الحلل الموشية: ٤٩ـ٥٠؛ وانظر: عنان، مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام: ٢٨١؛ والبستاني، معارك العرب في الاندلس: ٢٢.

(٥) مجهول، الحلل الموشية: ٥١؛ الناصري، الاستقصا: ٣٢/٢ـ٣٣.

على ظهرها رفع يديه ودعا الله تعالى، وقال في دعائه "اللهم إن كنت تعلم أن في جوازي هذا خيراً وصلاحاً للمسلمين فسهل علي جواز هذا البحر، وإن كان غير ذلك فصعبه علي حتى لا أجوزه" فسهل الله عليه الجواز في أسرع ما يكون، فكان يوم الخميس عند الزوال بنصف ربيع الأول المبارك سنة تسع وسبعين وأربعمائة"[١].

وعندما وصل يوسف بن تاشفين الجزيرة الخضراء وجد المعتمد بن عباد ووجوه أهل الاندلس باستقباله، وكان أول ما فعله هناك تحصين الجزيرة، وترميم أسوارها وأبراجها[٢].

وكان ألفونسو السادس في تلك الأثناء يحاصر سرقسطة، ولما علم بجواز يوسف بن تاشفين "أسقط في يده، وانحلت عزائمه"[٣]. واضطر إلى فك الحصار عن سرقسطة، وقفل عائداً إلى بلاده استعداداً للمواجهة، حيث أرسل إلى ابن ردمير (الفونسو المحارب) الذي كان يحاصر طرطوشة، وقائده البرهانس الذي كان يحاصر بلنسية. كما بعث إلى قشتالة وجليقية وغيرها من بلاد النصارى، فوافته جيوش لا تحصى عدداً وعدة، وكان يتقدمها الرهبان رافعين صلبانهم، ناشرين أناجيلهم، مما يؤكد أن الفونسو السادس أرادها حرباً صليبية[٤].

ويروي الحميري أن ألفونسو رأى في نومه كأنه راكب على فيل فضرب نقيره طبل، فهالته رؤياه، وسأل عنها القسوس والرهبان فلم يجبه أحد، فدس يهودياً ليعلم تأويلها من المسلمين، ففسرها أحدهم بأنها تدل على بلاء عظيم ومصيبة فادحة تؤذن بصلب ألفونسو

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٣؛ وانظر: الناصري، الاستقصا: ٢/٣٢-٣٣.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٤/٣٦٠؛ المراكشي، المعجب: ١٩٣-١٩٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/١٣٣؛ مجهول، الحلل الموشية: ٥١.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٤.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٢؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٤؛ المراكشي، المعجب: ١٣٢؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٨٩.

عما قريب[1]. ومع ذلك سار ألفونسو على رأس الصليبيين صوب المعسكر الاسلامي في الزلاقة، وعسكر على بعد ثلاثة أميال منه[2].

وكان الجيش الاسلامي قد غادر الجزيرة الخضراء متوجهاً إلى إشبيلية، وأمضى فيها ثلاثة أيام يحث ملوك الطوائف على الجهاد[3]. فاستجابوا لدعوته، وتوافدوا إليه من أنحاء الاندلس[4].

وتوجهت الجيوش الاسلامية إلى بطليوس حيث استقبلها المتوكل بن الأفطس، وضم قواته إليها، ثم عسكرت هذه الجيوش في سهل الزلاقة استعداداً للمعركة[5].

"ولما ازدلف بعضهم إلى بعض أذكى المعتمد عيونه في محلات الصحراويين (المرابطين) خوفاً عليهم من مكايد ابن فرذلند (ألفونسو السادس) إذ هم غرباء لا علم لهم بالبلاد، وجعل يتولى ذلك بنفسه، حتى قيل إن الرجل من الصحراويين كان يخرج عن طرق محلاتهم لبعض شأنه أو لقضاء حاجته فيجد ابن عباد بنفسه مطيفاً بالمحلة بعد ترتيب الكراديس من خيل على أفواه طرق محلاتهم، فلا يكاد الخارج منهم عن المحلة يخطئ ذلك من لقاء ابن عباد لكثرة تطوافه عليهم"[6].

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ٢٨٩.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٤/٤؛ الناصري، الاستقصا: ٣٢/٢-٣٣؛ مجهول، الحلل الموشية: ٥٦.

(٣) عبد الله الزيري، مذكرات: ١٠٤؛ مجهول، الحلل الموشية: ٥٢.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ٢٨٩-٢٩٠.

(٥) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤٧٩/٨؛ ابن بلقين، التبيان: ١٠٤/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٤/٤؛ المراكشي، المعجب: ١٩٦؛ مجهول، الحلل الموشية: ٥٢؛ عبد الله الزيري، مذكرات: ١٠٥.

(٦) الحميري، الروض المعطار: ٢٩٠.

وكان جيش النصارى يفوق الجيوش الاسلامية عدداً؛ فقد تراوح بين خمسين وثمانين ألفاً حسب التقديرات المختلفة للمصادر[١]، بينما تراوح عدد الجيوش الاسلامية وفقاً للمصادر نفسها بين عشرين وخمسين ألفاً[٢]. ويبدو أن ألفونسو السادس كان متيقناً من النصر، وخاصة إنه لم ير من جيش المسلمين سوى بعضه، إذ كان الآخرون وراء أحد الجبال[٣].

وقبيل المعركة كتب يوسف بن تاشفين إلى ألفونسو السادس يدعوه إلى الاسلام أو إلى الجزية، أو يأذن بحرب[٤]، فامتلأ غيظاً، وقامت الأساقفة والرهبان فرفعوا صلبانهم، ونشروا أناجيلهم، وتبايعوا على الموت. وقام يوسف وابن عباد بدورهما بوعظ أصحابهما، وكذلك قام الفقهاء والعباد بحض الجنود على الصبر، وحذروهم من الفرار، وقد كانوا يتوقعون نشوب المعركة صباح يوم الأربعاء، إلا أن شيئاً لم يحدث صباح ذلك اليوم[٥].

وفي صباح يوم الخميس أرسل ألفونسو إلى ابن عباد يقول: "غداً يوم الجمعة وهو عيدكم، والأحد عيدنا، فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت"[٦]. وفي رواية أخرى أوردها صاحب الحلل الموشية أن ألفونسو كتب إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين يقول: "إن غداً يوم الجمعة ولا نحب مقاتلتكم فيه لأنه عيدكم، وبعده السبت يوم اليهود، وهم كثيرون في محلتنا ونحن نفتقر إليهم، وبعده الأحد عيدنا، فنحترم هذه الأعياد، ويكون اللقاء يوم الاثنين". فقال أمير المسلمين: "أتركوا اللعين وما أحب"[٧]. ولكن المعتمد بن عباد الذي كان

---

(١) مجهول، الحلل الموشية: ٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١١٠/٨.

(٢) مجهول، الحلل الموشية: ٥٦؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٤٢/٨؛ المراكشي، المعجب: ١٩٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٤٢/٨.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ٢٩٠؛ مجهول، الحلل الموشية: ٥٧.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ٢٩٠.

(٦) الناصري، الاستقصا: ٤٥/٢.

(٧) مجهول، الحلل الموشية: ٥٧.

على دراية بحيل ألفونسو السادس، نصح الأمير المرابطي بألا يثق في أقواله، معتبراً أنه إنما يريد الإيقاع بالمسلمين. كما أمر قواته أن تظل على أهبة الاستعداد[١].

وأكد ابن عباد للأمير المرابطي أن الفونسو السادس سيبدأ هجومه يوم الجمعة، مؤكداً وجوب الاستعداد لملاقاته نهار اليوم المذكور[٢].

وتأيدت شكوك ابن عباد في نوايا ألفونس - كما تذكر المصادر - برؤيا رآها الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي (وكان في محلّة ابن عباد)، فقد انتبه فرحاً مسروراً يقول إنه رأى النبى، صلى الله عليه وسلم، فبشره بالفتح والشهادة له في صبيحة غد، أي يوم الجمعة[٣]. ثم جاء فارسان من طلائع المعتمد يخبران أنهما سمعا ضوضاء الجيوش النصرانية، واضطراب الأسلحة. وأكد ما أخبر به الفارسان جواسيس الجيش لاسلامي في صفوف النصارى، إذ أكدوا أن المعركة لا بد واقعة يوم الجمعة[٤]. وقد اطلع المعتمد الأمير المرابطي على هذه المعلومات الاستخبارية التي أكدت بما لا يدع مجالاً للشك على أن الفونسو اصطنع الحيلة والدهاء للمكر بالمسلمين.

وكان جيش المرابطين ينقسم إلى قسمين: فرسان البربر بقيادة داوود بن عائشة[٥]، والجيش الاحتياطي بقيادة يوسف بن تاشفين نفسه[٦]. أما القوات الاندلسية فكان يتولى قيادتها ملوك الطوائف: ابن عباد، وابن الأفطس وولدا بلقين: عبد الله وتميم[٧].

---

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٤؛ المراكشي، المعجب: ١٣٤؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٩٠؛ مجهول، الحلل الموشية: ٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٩/٤؛ الناصري، الاستقصا: ٤٥/٢.

(٢) الناصري، الاستقصا: ٤٥/٢.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ٢٩٠؛ الناصري، الاستقصا: ٤٥/٢.

(٤) الحميري، الروض المعطار: ٢٩٠؛ الناصري، الاستقصا: ٤٥/٢.

(٥) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٤-٩٥.

(٦) عنان، دول الطوائف: ٧٢.

(٧) مجهول، الحلل الموشية: ٥٩؛ وانظر لمزيد من التفاصيل: ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٤.

وتشير الدلائل المختلفة إلى أن المعركة وقعت في فصل الخريف، وهو فصل معتدل في إقليم استرامادورا الذي وقعت فيه المعركة. وكان يفصل بين المتحاربين نهر جيريرو الشحيح المياه في ذلك الوقت، فهو لا يمتلئ بالماء إلا في مواسم السيول. ولعلّ المرابطين استجابوا في جعلهم النهر بينهم وبين النصارى لدعوة الشاعر أبي بكر الصيرفي الذي دعا المرابطين أن يفصل بينهم وبين النصارى نهر عند الشروع في القتال لا يتخطونه[١]، فقال:

خندق عليك إذا ضربت محلـــة ... سيان تتبع ظاهـــراً أو تنبعُ

وتوقّ مـــن ندب الطلائع إنـــه ... لا رأي للكذاب فيمـــا يصنعُ

فإذا احترست بذاك لم يك للعدى ... في فرصة أو في انتهاز مطمـــع

لا تبقين النهر خلفــك عندمـــا ... تلقى العدو فأمــره متوقـــع

اجعل مناجزة العـــدو عشيـــة ... ووراءك الصدف الذي هو أمنع[٢].

وقد استخدم المرابطون في معركة الزلاقة الجمال التي أرعب وجودها خيول النصارى[٣]، كما استخدموا من الأسلحة: ورق اللمط، وسيوف الهند، ومزاريق الزان[٤].

أما جيوش النصارى فكان على مقدمتها القائد القشتالي البرهانس الذي كان معظم جيشه من جنود أرغون والمتطوعين. أما معظم الجيش فكان بقيادة ألفونسو السادس نفسه[٥]. وقد انضمت إلى هذا الجيش قوات كثيرة من أوروبا، وخاصة ايطاليا وفرنسا كما أشرنا.

وحدثت المعركة ـ كما توقع ابن عباد ـ يوم الجمعة، ففي ذلك اليوم الثاني عشر من شهر رجب سنة ٤٧٩هـ/٢٣ تشرين الأول ١٠٨٦م هاجم ألفونسو السادس قوات المسلمين

---

(١) سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٧٩/٢.
(٢) مجهول، الحلل الموشية: ١٢٦ـ١٢٧.
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١١٦/٧.
(٤) المصدر نفسه: ١١٨/٧.
(٥) الحميري، الروض المعطار: ٢٨٩.

على حين غفلة[1]. وبدأ القتال بهجوم مقدمة القشتاليين بقيادة البرهانس على القوات الأندلسية بقيادة المعتمد بن عباد. ويبدو أن خطة ألفونسو العسكرية كانت تقتضي ذلك، فقد قال لأصحابه: "ابن عباد مسعر هذه الحروب، وهؤلاء الصحراويون ـ وإن كانوا أهل حفاظ وذوي بصائر في الجهاد ـ غير عارفين بهذه البلاد، وإنما قادهم ابن عباد، فأقصدوه واهجموا عليه، وإن انكشف لكم هان عليكم هؤلاء الصحراويون بعده، ولا أرى ابن عباد يصبر لكم إن صدقتموه الحملة"[2].

ولكن ابن عباد، وقد نقل إليه جواسيسه ما قاله ألفونسو لأصحابه، سارع إلى إخبار يوسف بن تاشفين بالأمر، فأمر يوسف بعض قواده أن يدخلوا معسكر النصارى ويضرموا فيه النار في الوقت الذي يكون فيه ألفونسو منشغلاً بالهجوم على ابن عباد. ووجه رسالة بهذا المعنى إلى ابن عباد لكي يطمئن. غير أن الرسول الذي حمل رسالة ابن تاشفين، وهو كاتب ابن عباد أبو بكر بن القصيرة، لم يصل إلا وجيوش النصارى قد هاجمت ابن عباد من كل صوب، واستمر القتل في أصحاب ابن عباد، إلا أنه صبر ولم ينكشف. وكان يجاهد، وفي الوقت نفسه يرقب وصول ابن تاشفين لنجدته، إلا إنه تأخر، مما جعل أصحاب ابن عباد يسيئون الظن بالمرابطين. ولما اشتد القتل فيهم انكشف بعضهم وفيهم عبد الله بن عباد. وأما ابن عباد نفسه فقد أثخن بالجراح في رأسه وجسده، وعقرت تحته في ذلك اليوم ثلاث أفراس كلما هلك واحد قُدم له آخر، وهو يقاسي الموت، يضرب يميناً وشمالاً. وقد تذكر في

(١) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٦؛ مجهول، الحلل الموشية: ٥٩. وانظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٤٢/٤ حيث ذكر أن المعركة وقعت يوم الجمعة في العشر الأول من رمضان سنة ٤٧٩. بينما حدد المراكشي موعدها يوم الجمعة الثالث عشر من رمضان ٤٨٠هـ/١٠٨٧م (المعجب: ١٣٥). وتاريخها الصحيح هو الذي أثبتناه في المتن فقد حدده يوسف بن تاشفين نفسه حيث ذكر في رسالته إلى الناصر لدين الله تميم بن المعز بن باديس بالمهدية في المغرب يبشره بالنصر: "وبنينا على لقاية يوم الخميس لإحدى عشر ليلة خلت لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة، فلما كان يوم الجمعة ثانية ورد علينا بكتايب قد ملأت الآفاق...". انظر: عنان، دول الطوائف: ٤٤٨.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٢٩٠؛ الناصري، الاستقصا: ٤٥/٢.

تلك الأثناء ابناً له صغيراً كان مغرماً به، كان تركه في إشبيلية، اسمه المعّلى، وكنيته أبو هاشم، فقال:

أبـا هاشـم هشمتني الشفار فلله صبري لذاك الأوار
ذكرتُ شخيصك تحت العجاج فلم يثنني ذكره للفرار[1]

واستشهد من جند ابن عباد أعداد كبيرة، ولجأ الباقون منهم إلى المناطق المجاورة لأرض المعركة، فتتبع النصارى فلولهم. أما ابن عباد فقد ثبت وحده مع عدد قليل من عسكره، وما لبث إلا قليلاً حتى وافاه القائد المرابطي داوود بن عائشة، فخفف عنه عبء القتال[2]. وفي الوقت نفسه هاجم القائد المرابطي سير بن أبي بكر مؤخرة جيش ألفونسو السادس، وأضرم في معسكره النار، فتراجع النصارى، ولكنهم أصبحوا بين فكي كماشة تمثلت بالاندلسيين من جهة المقدمة، والمرابطين من المؤخرة[3].

ثم بادر يوسف بن تاشفين فصدم القوات النصرانية بجمعه، وعادت قوات ابن عباد إلى ساحة المعركة "ثم صدقوا جميعاً الحملة فتزلزلت الأرض بحوافر خيولهم، وخاضت الخيل في الدماء، وصبر الفريقان صبراً عظيماً. ثم تراجع ابن عباد إلى يوسف وحمل معه حملة نزل معها النصر"[4]، "وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على فرس يومئذ أنثى يمر بين ساقات المسلمين وصفوفهم، يحرضهم، ويقوي نفوسهم على الجهاد، ويحضهم على الصبر. فقاتل الناس ذلك اليوم قتال من يطلب الشهادة، ويرغب في الموت"[5].

---

(1) الناصري، الاستقصا: ٢/٤٥-٤٦؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٩٠-٢٩١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٤؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٥؛ المراكشي، المعجب: ١٣٤؛ مجهول، الحلل الموشية: ٥٦.

(2) الناصري، الاستقصا: ٢/٤٦؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٩١.

(3) الناصري، الاستقصا: ٢/٤٦؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٩١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٤.

(4) الحميري، الروض المعطار: ٢٩١.

(5) الناصري، الاستقصا: ٢/٤٦.

ويذكر الناصري أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اقتحم معسكر النصارى وقتلوا حاميته، فتراجع النصارى فكر عليهم الأمير، ثم أمر "حشمه السودان، فترجل منهم زهاء أربعة آلاف، ودخلوا المعترك بدرق اللمط، وسيوف الهند، ومزاريق الزان، فخالطوا الخيل وطعنوها، فرمحت بفرسانها"[1]، وفي تلك الأثناء طعن أحد السودان ألفونسو السادس في فخذه..."وهبت ريح النصر، فأنزل الله سكينته على المسلمين، ونصر دينه"[2]، فقد التحمت الجيوش الاسلامية كلها مع الجيوش النصرانية، وهزمتها هزيمة ساحقة، حيث فر ألفونسو السادس مع عدد قليل من جنوده تراوح بين ثلاثمائة وخمسمائة فارس إلى ربوة قريبة، ولما جُنّ الليل تسلل يجر أذيال الخيبة إلى طليطلة[3].

وخسر النصارى في معركة الزلاقة الآلاف من جنودهم، فقد ذكر ابن أبي زرع أن الناجين منهم بلغوا خمسمائة فقط، وكان هؤلاء متخنين بالجراح، فمات معظمهم أثناء فرارهم إلى طليطلة، ولم يصلها منهم سوى مائة[4]. وقدر صاحب الحلل الموشية عدد القتلى من النصارى بنحو ثلاثمائة ألف[5]، بينما يقدر ابن أبي زرع عدد الذين قتلوا منهم بثمانين ألف فارس، ومائتي ألف راجل لم ينج منهم سوى المائة[6].

---

(١) الناصري، الاستقصا: ٢/٤٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٤٧.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن معركة الزلاقة انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٨/١٤١ـ١٤٣؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٨٧ـ٢٩٢؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٤١ـ٤٢؛ المراكشي، المعجب: ١٣٢ـ١٣٥؛ الناصري، الاستقصا: ٢/٣٣ـ٥٠؛ ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٤ـ٩٧؛ مجهول، الحلل الموشية: ٥٩ـ٦٦.

(٤) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٦؛ وانظر الحلل الموشية: ٦٢، حيث يذكر أن الذين أفلتوا من النصارى نحو أربعمائة.

(٥) مجهول، الحلل الموشية: ٦٢.

(٦) ابن أبي زرع، روض القرطاس: ٩٦.

أما عدد الذين استشهدوا من المسلمين في معركة الزلاقة فلم يتجاوز الثلاثة آلاف[1]. كما استشهد فيها جماعة من الفضلاء والعلماء، مثل: ابن رميلة القرطبي، وقاضي مراكش أبي مروان عبد الملك المصمودي، وغيرهما[2].

وأياً كان تقدير المصادر التاريخية لعدد القتلى من الجانبين إلا أن المؤكد أن قتلى النصارى كان يفوق قتلى المسلمين كثيراً، حتى أن المسلمين عملوا من رؤوس النصارى ــ كما يذكر الحميري ـ صوامع يؤذنون عليها[3].

هذا، وقد كتب ابن عباد إلى ابنه بإشبيلية يبشره بالنصر، قائلاً:

" كتابي هذا إليك من المحلة المنصورة يوم الجمعة منتصف رجب، وقد أعز الله الدين، ونصر المسلمين، وفتح لهم الفتح المبين، وهزم الكفرة المشركين، وأذاقهم العذاب الأليم، والخطب الجسيم، فالحمد لله على ما يسره... من هذه المسرّة العظيمة، والنعمة الجسيمة في تشتيت شمل الأذفونش، والاحتواء على جميع عساكره. أصلاه الله نكال الجحيم، ولا أعدمه الوبال العظيم، بعد إتيان النهب على محلاته، واستئصال القتل بجميع ابطاله وحماته. حتى أتخذ المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها، فلله الحمد على جميل صنعه. ولم يصبني ـ والحمد لله ـ إلا جراحات يسيرة ألمت، لكنها قرحت بعد ذلك فلله الحمد والمنة والسلام"[4].

وبعد انتهاء المعركة رحل المعتمد بن عباد إلى إشبيلية، ومعه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي اتخذ هذا اللقب بعد انتصاره في معركة الزلاقة، وأقام يوسف بظاهر إشبيلية

---

(١) مجهول، الحلل الموشية: ٦٢.

(٢) الناصري، الاستقصا: ٤٨/٢.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ٢٩١.

(٤) الناصري، الاستقصا: ٤٨/٢؛ وانظر: الحميري، الروض المعطار: ٢٩١-٢٩٢.

ثلاثة أيام، ورد عليه الخبر خلالها بوفاة ولده أبي بكر، وكان قد تركه مريضاً في سبتة، فاغتم لذلك، وانصرف راجعاً إلى المغرب[١].

وأما ابن عباد فقد طار ذكره بعد معركة الزلاقة، ومالت إليه القلوب، وسالمته ملوك الطوائف[٢].

زَنَاتَة Zenete :

ناحية أو إقليم، قال ياقوت: "بفتح أوله، وبعد الألف تاء مثناة من فوق"[٣]، ونسب إليها أبا الحسن علي بن عبد العزيز الزناتي "سمع كتاب الاستيعاب لابن عبد البر من أبي إسحاق ابراهيم بن محمد بن ثابت القرطبي"[٤]. وبينما ذكر ياقوت أن زناتة ناحية سرقسطة عدها العذري إقليماً من أقاليم بلنسية[٥].

---

(١) الناصري، الاستقصا: ٢/٤٩؛ الحميري، الروض المعطار: ٢٩٢؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤/١٤٢.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٢٩٢.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٣/١٥١.

(٤) المصدر نفسه: ٣/١٥١.

(٥) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٠، وانظر الهامش: ١٤٦.

الزَّهْرَاء 'Madinat Al-Zahrä:

بفتح الزاي، وسكون الهاء، وفتح الراء، وبعدها همزة ممدودة(١). بناها الخليفة الأموي عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) بعد اعلان خلافته. واستغرق بناؤها ـ كما ذكر المقري نقلاً عن ابن حيان ـ خمساً وعشرين سنة بدءاً من أول يوم من محرم سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م(٢).

ويبدو أن الخليفة الناصر سماها الزهراء باسم إحدى جواريه، تخليداً لذكراها. وقد جعلها "مدرجة البنية، وهي مدينة فوق مدينة، سطح الثلث الأعلى على الحد الأوسط، وسطح الثلث الأوسط على الثلث الأسفل، وكل ثلث منها له سور"(٣). وقد أتاح تدريجها على هذا النحو بناؤها على سفح جبل العروس، الواقع شمال غرب قرطبة على بعد بضعة كيلومترات منها(٤). وجُعل القسم الأعلى منها للقصر الخلافي، والأوسط تمت زراعته بالأشجار والأزهار فكان بساتين وروضات، وأما الأسفل فاحتوى على المسجد، وعلى أبنية استخدمت منازل للخاصة والحرس(٥).

والمنظر البديع الذي عكسه تدرج الزهراء زاده الناصر بهاءً عندما أمر بقطع أشجار السهل الذي تطل المدينة عليه، المشرف على نهر الوادي الكبير، وغرسه تيناً ولوزاً، فقد أصبح المنظر بين السهل والجبل خلاباً وخاصة عند تفتح الأزهار(٦).

---

(١) الأندلس من نفح الطيب للمقري: ١٨٤.

(٢) الأندلس من نفح الطيب للمقري: ١٨٥؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٥٨.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٩٥.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ص ٥٨، الحاشية رقم (٣).

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ٩٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٥٨، الحاشية ٣.

(٦) المقري، نفح الطيب: ٤/٢٠٣.

وكان يصل الزهراء بقرطبة طريق يبدأ من باب الهدى شمالي المدينة، ويجتاز عدداً من القناطر ماراً بسفح جبل العروس، منتهياً عند باب يتوسط أسوار القسم العلوي من المدينة، المخصص للقصر الخلافي. وهناك طريق آخر يمتد بين قرطبة والجزء السفلي من الزهراء، يؤدي إلى باب يتوسط أسوار هذا الجزء[1].

وكانت المياه تنقل إلى الزهراء من أعلى الجبل على بعد ٨٠ كيلومتراً عبر قنوات، مما اقتضى نقب الجبل بطريقة هندسية رائعة، لا تزال آثارها باقية على شكل عيون في الجبل[2].

ويبلغ طول الزهراء من الشرق إلى الغرب ألفين وسبعمائة ذراع، وعرضها من الشمال إلى الجنوب ألف وخمسمائة ذراع. وقد خصص الناصر للإنفاق على بنائها ثلث جباية الاندلس كلها[3].

ويذكر المقري أن الرخام جُلب لبناء الزهراء من المرية وربة، ومن إفريقية والشام والقسطنطينية وغيرها[4].

---

(١) ابن حوقل، صورة الأرض: ١٠٨.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٨٠ـ٨٢؛ ابن غالب، فرحة الأنفس: ٣١ـ٣٤.

(٣) الأندلس من نفح الطيب للمقري: ١٨٤. وانظر ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٥٨ـ٥٩، حيث ذكر أن ما أنفق على بناء الزهراء "خمسة وثمانين مُداً من الدراهم القاسمية، سوى ما سُخر فيها من الرعية".

(٤) راجع: الاندلس من نفح الطيب للمقري: ١٨٥ـ١٨٩.

انتقل الخليفة الناصر إلى الزهراء، ونقل إليها دار السكة، ودار الصناعة، والدواوين. واستقبل فيها السفراء والوافدين من أنحاء الاندلس ومن خارجها. كما استقبل فيها بعض ملوك النصارى الذين تزلفوا إليه، وخطبوا وده[1].

واستخدمت الزهراء في عهد الحكم المستنصر با لله كمسرح للاحتفالات والأعياد. وقد استقبل فيها ملوك جليقية وقشتالة وغيرهم[2]. وعندما انفرد المنصور بن أبي عامر بالحكم، وأمسك بأزمة الأمور كلها في الدولة نقل الدواوين من الزهراء إلى الزاهرة التي بناها، وذلك سنة ٣٧٠هـ/٩٨٠م. وأخذت الزهراء تنحدر منذ ذلك الحين. وسارع من انهيارها تعاقب الفتن عليها إثر سقوط الخلافة الأموية في الأندلس؛ ففي سنة ٤٠٠هـ/١٠١٠م هاجمها البربر ونهبوا كثيراً مما فيها[3]. وفي سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م احتل البربر المدينة، ولم يجدوا فيها شيئاً. وفي عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م طمس المستكفي با لله قصر الزهراء، وباع ما فيها من مرمر ونحاس وحديد[4]. ولم يُبق منها غير الأطلال.

وكانت الزهراء في عصر المرابطين خرائب، وكان فيها "قوم سكان بأهليهم وذراريهم، وهم قليلون... وهي الآن خرائب في حال الذهاب"[5]. وفي عهد الموحدين زارها الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور، وتأمل أطلالها، وأمر باقتلاع ما بقي فيها من أعمدة أعيد استخدامها في بعض العمائر[6].

(١) المقري، نفح الطيب: ١١٢/٢؛ ابن حوقل، صورة الأرض: ١٠٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٤٢/١، ٢١٢/٢ و ٢١٥.

(٢) ابن حيان، المقتبس: ٤٥/٥-٥٧.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٩٥/٢.

(٤) ابن بسام، الذخيرة: ق١ م٢٨٢/١.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ٨٤.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٢١٢.

وتجدر الإشارة إلى أن اندثار الزهراء أبكى كثيراً من الشعراء، منهم محيي الدين بن عربي الذي قال واصفاً أطلالها[١]:

ديارٌ بأكناف الملاعب تلمع وما إن بها من ساكن وهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب فيصمت أحياناً وحينا يرجع
فخاطبت منها طائراً متغرداً له شجنٌ في القلب وهو مُروعُ
فقلت على ماذا تنوحُ وتشتكي فقال على دهر مضى ليس يرجعُ

وحتى أطلال الزهراء اندثرت بمرور الزمن، فبعد سقوط قرطبة في يد النصارى سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٦م على يد ملك قشتالة فرناندو الثالث، نهب النصارى ما تبقى من هذه الأطلال، واستخدموها في بناء الكنائس والأديرة وغيرها، فساهموا في جعلها نسياً منسياً في طيات الزمن[٢].

وقد بلغ اتساع القسم المأهول فيها ١٥١٨م طولاً و ٧٥٤م عرضاً، على مساحة تعادل ١١٢ هكتاراً من الأرض[٣].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٢/٦٤.

(٢) سالم، السيد عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس: ١/٢٥٦-٢٥٧.

(3) Torres Balbas, Leopoldo, Artı Hıspano musulman en Hıstorıa de España dirigıda Por Ramón Menéndez Pidal, Tomo V, Madrid 1957, pp. 424, 463

السين

سُرِتَّة Surita :

مدينة، وقيل حصن: يلفظ الاسم بضم أوله وكسر ثانيه، وتاء مثناة من فوق مشددة، وهاء[1]. قال الإدريسي "مدينة متوسطة القدر، حسنة البقعة، كثيرة الخصب، بينها وبين طليطلة نحو مرحلتين"[2]. وذكر ياقوت أنها متصلة الأعمال بأعمال شنتبرية، وهي شرقي قرطبة منحرفة نحو الشمال[3]. وأشار ابن حزم إلى أنها من مدن الثغر[4].

وسرتة كما يشير ابن حيان حصن من حصون الثغر الأعلى، ويبدو أنه كان أشبه بالمدينة، وقد غزاه الخليفة الأموي الناصر لدين الله سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م، فقد وجه إليه جيشاً بقيادة عبد الحميد بن بسيل لمحاربة بني ذي النون "وهم مصرون على الخلاف، مستبصرون في المعصية، مكثرون في الفساد في الأرض والاستطالة على من جاورهم من المسلمين وأهل الذمة"[5]. وكان بنو ذي النون قد "كادوا خلف بن عبدوس المعروف بابن قطين، صاحب سُرتة، فأسروه رجاءً في تملُّك الحصن، ثم قتلوه في حبسهم، فملكت أخته الحصن، ودافعت بني ذي النون عنه، وخاطبت الناصر لدين الله تدعوه إليه، فأخرج عند ذلك الجيش إلى بني ذي النون مع عبد الحميد بن بسيل، فأوقع بهم وملك سُرتة، ودوخ بني ذي النون، فاستقامت على يديه الناحية"[6].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٢٠٧.
(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٦١.
(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٢٠٧.
(٤) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٩٩.
(٥) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٠٣.
(٦) المصدر نفسه: ٥/٢٠٣-٢٠٤.

سَرَقُسْطَة Zaragoza:

مدينة، يلفظ اسمها بفتح أوله وثانيه، ثم قاف مضمومة وسين مهملة ساكنة، وطاء مهملة[١]. وهو مشتق من أغسطس قيصر الروماني، وهو الذي بناها سنة ٢٣ ق.م[٢]. وتسمى أيضاً المدينة البيضاء[٣]. ويبدو أنها أخذت هذا الاسم من الرخام الأبيض الذي كثر فيها، فأسوارها مبنية منه، كما بني منه محراب جامعها، وكان من حجر واحد من الرخام الأبيض[٤]. وتسمى أيضاً: عروس الإبرو لوقوعها على هذا النهر[٥]. وقد شبهها موسى بن نصير بجلق الشام[٦].

ويذكر الزهري أنها سميت: المدينة البيضاء "لأنها تبيض وعليها نور أبيض لا يخفى على أحد في ليل ولا نهار"، ويزعمون أن ذلك النور عليها منذ بنائها[٧]. ويقول المسلمون إن النور عليها منذ دُفن فيها الرجلان الصالحان حنش بن عبد ا لله الصنعاني، وعلي بن رباح اللخمي، وهما من أجلاء التابعين، وموضع قبريهما معروف بمقبرة باب القبلة بسرقسطة. وحنش هو الذي بنى جامعها، وأقام محرابه[٨].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢١٢/٣.

(٢) العذري، نصوص عن الاندلس: ٢١؛ الحميري، الروض المعطار: ٣١٧؛ وانظر: سالم، في تاريخ وحضارة الاسلام في الاندلس: ٨٣؛ المقري، نفح الطيب: ١٥٠/١.

(٣) الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ٨٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٤/٥؛ الحميري، الروض المعطار: ٣١٧؛ الزهري، الجعرافية: ٨١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٨ والحاشية ٢.

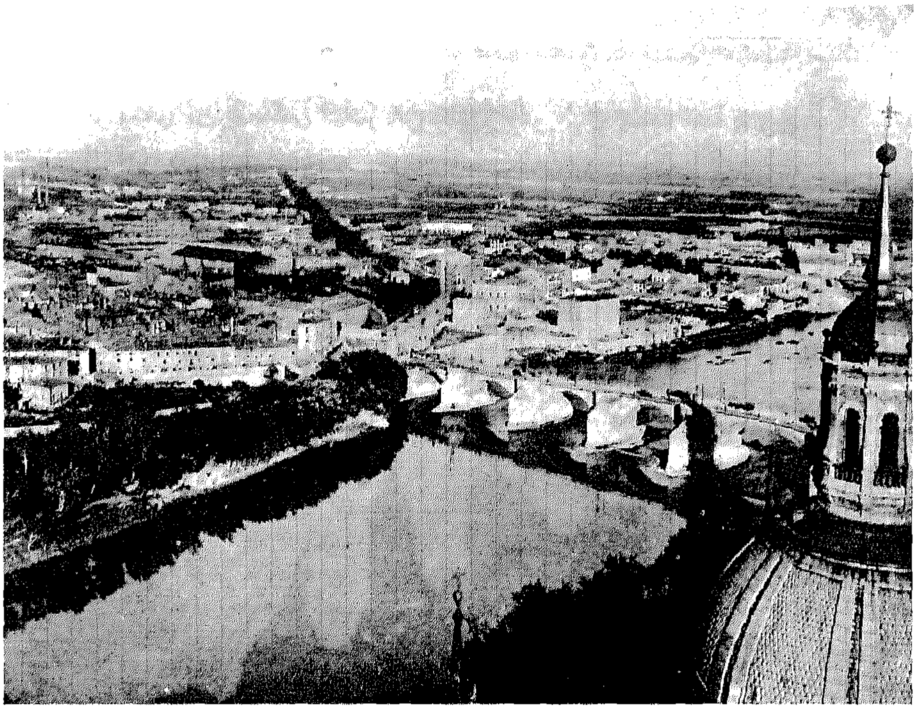
(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٨ والحاشية ٢؛ الزهري، الجعرافية: ٨٢؛ الحميري، الروض المعطار: ٣١٧؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٤/٥.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٨ الحاشية ٢؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٤/٥؛ الحميري، الروض المعطار: ٣١٧؛ الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ٨٠.

(٦) المقري، نفح الطيب: ١٥٠/١.

(٧) الزهري، الجعرافية: ٨١.

(٨) العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٢-٢٣؛ الزهري، الجعرافية: ٨١؛ ويذكر الزهري بدل علي اللخمي تابعياً آخر هو: فرقد السنجاري.



Zaragoza.—El Arrabal desde las torres del Pilar *Cliché Arribas*

سرقسطة



سرقسطة (منظر جزئي)

Zaragoza.—Vista parcial *Cliché Arriba.*

تقع سرقسطة في شمال شرق الاندلس على ارتفاع ١٨٤ متراً عن سطح البحـر[١]، وهـي قاعدة الثغر الأعلى الذي كان يواجه برشلونة ومملكة نافار (منطقة أرغون Aragon اليوم)[٢].

تقع سرقسطة علـى ضفـاف نهـر إبـرو (Ebro) الـذي يحـاذي سـورها مـن الشـمال إلى الجنوب[٣]. وهناك عدة أنهار أخرى ترويها هي: نهر جلـق شـرق المدينـة، ونهـر شـلون، ونهر وربه الذي يجري من الغرب إلى الشرق، ونهر فنتش الذي يجري من الغرب إلى الشرق أيضاً، وهي أنهار غزيرة المياه[٤].

بنيت سرقسطة على شكل الصليب[٥]، وأحيطت بسور كلـه مبـني بالرخـام الأبيـض، ومعقود في داخله بالرصاص، وهو من الكذان المنحوت المدخـل ذكـراً في أنثـى[٦]. وفي سـورها أربعة أبواب روعيت في أماكنها منه حركـة الشـمس: فبـاب إذا طلعـت الشـمس في الصيـف قابلته عند بزوغها، فإذا غربت قابلت الباب الذي يليه من الغرب. وإذا طلعـت في الشـتاء قابلت الباب الجنوبي فإذا غربت قابلت الباب الذي يليه[٧].

---

(١) الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ٨٠؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٨ والحاشية ٢، و١٥٠؛ الحميري، الروض المعطار: ٣١٧.

(٢) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٩٥.

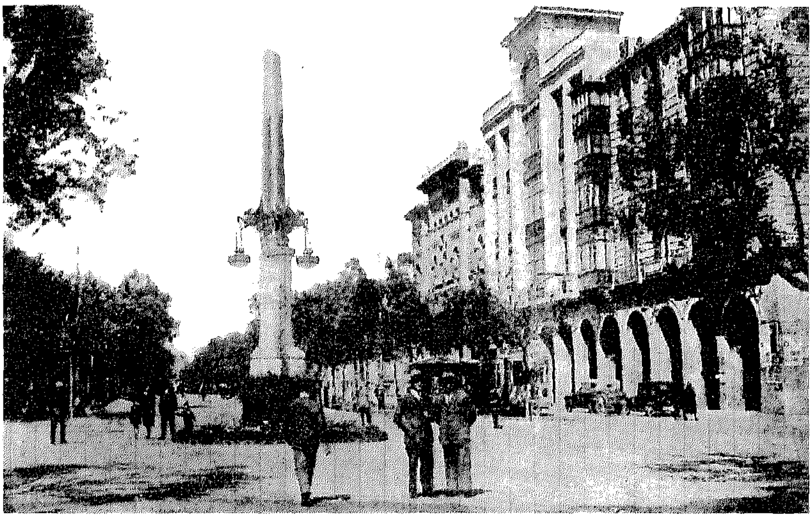
(٣) العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٢١٢/٣؛ الزهري، الجعرافية: ٨٢؛ الحميري، الروض المعطار: ٣١٧.

(٤) العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٢؛ الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ٨٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٤/٥.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ٣١٧؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٢١.

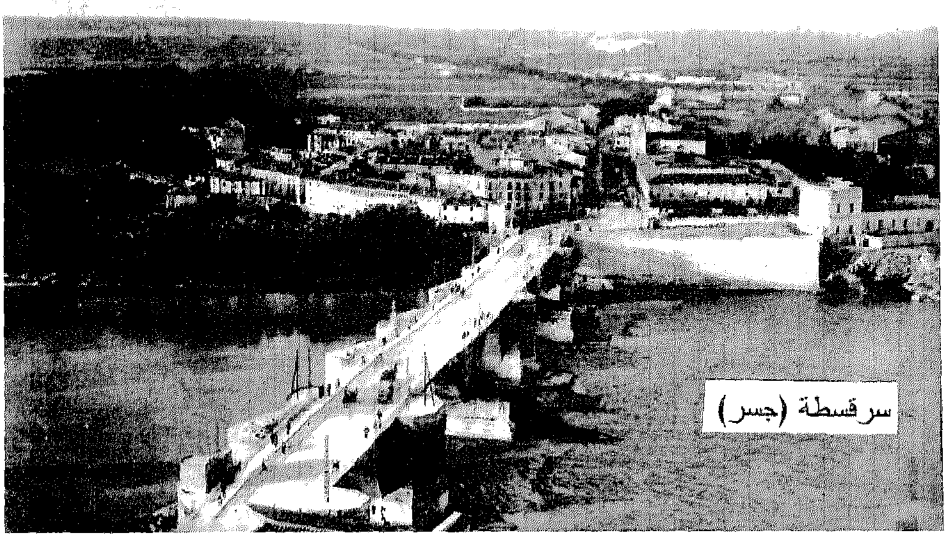
(٦) الزهري، الجعرافبة: ٨١؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٢١ـ٢٢؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٤/٥؛ الحميري، الروض المعطار: ٣١٧؛ الرشاطي، الاندلس في اقتباس الأنوار: ٨٠؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٥٠.

(٧) الحميري، الروض المعطار: ٣١٧؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٢١.



Zaragoza. —Paseo de la Independencia (final Cliché Arribas

مدينة سرقسطة (متنزه الاستقلال)



Zaragoza.—Puente de Piedra y el Arrabal

وتحدق بسرقسطة الجنات والبساتين من كل جانب حيث تمتد ثمانية أميال من سورها، فهي كثيرة الزرع والضرع والفواكه، حتى لا يكاد يأكل أهلها فاكهة يابسة لكثرة الفواكه عندهم، وخاصة: التين والتفاح والإجاص[1].

ومن خواص سرقسطة "أنها لا تدخلها عقرب ولا حية إلا ماتت من ساعتها... ولا يتسوس فيها شيء من الطعام ولا يعفن. ويوجد فيها القمح من مائة سنة، والعنب المعلق من ستة أعوام..."[2] "ويوجد فيها الفول والحمص من عشرين سنة وأكثر، ولا يتسوس فيها شيء من خشب ولا ثوب من صوف ولا حرير ولا قطن"[3]. ويبدو أنها اكتسبت هذه الخواص لوجود الملح الذراني فيها، وهو ملح أبيض صافٍ أملس لا يوجد في غيرها، أدخله أهل سرقسطة في أبنيتهم، وله فعالية ضد الحشرات[4].

وقد أورد ابن سعيد وصفاً دقيقاً لسرقسطة فقال: "أحدقت بها من بساتينها زمردة خضراء، والتفت عليها أنهارها الأربعة، فأضحت بها رياضها مرصعة مجزعة، ولا نعلم في الأندلس مدينة يحدق بها أربعة أنهار سواها، وكأن كل جهة تغايرت على إتحافها، فأهدت إليها نهراً يلتم من أعطافها، وأشهرها نهر جلق. وشرب موسى بن نصير فاتح الاندلس من ماء نهر جلق، فاستعذبه، وحكم أنه لم يشرب بالاندلس ماء أعذب منه، وشبه ما عليه من البساتين بغوطة دمشق"[5].

---

(1) المقري، نفح الطيب: ١/١٩٧؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٢؛ الزهري، الجعرافية: ٨٢؛ وانظر: العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٣.

(2) المقري، نفح الطيب: ١٩٧.

(3) الزهري، الجعرافية: ٨٢؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ١/١٩٧.

(4) المقري، نفح الطيب: ١/١٥٠؛ والعذري، نصوص عن الاندلس: ٢٣.

(5) ابن سعيد، المغرب: ٢/٤٣٤.



Zaragoza —Plaza de Castelar *Cliché Arribas*



Zaragoza.—Monumento a los Sitios

افتتح سرقسطة موسى بن نصير وطارق بن زياد بعد التقائهما، وكان طارق يتقدم على رأس الجيش، وموسى خلفه. وقد تم افتتاحها بعد ماردة، ويرجح أنها افتتحت أواخر عام ٩٤هـ/٧١٣م أو أوائل عام ٩٥هـ/٧١٤م، وهو العام الذي رجعا فيه إلى دمشق ملبيين أوامر الخليفة الوليد بن عبد الملك[١]. ولم يكلف فتح سرقسطة جهداً كبيراً، إذ لا تذكر المصادر أن المسلمين حاصروها، أو واجهوا قوات عسكرية على مشارفها أو فيها، فقد دخلها المسلمون دون عناء يذكر، ولما استقروا فيها قام حنش الصنعاني بإنشاء مسجد جامع للمدينة[٢].

ولم تورد المصادر أخباراً تذكر عن سرقسطة في عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/٧١٤-٧٥٥م) سوى ما وقع أثناء ولاية بلج بن بشر بن عياض القشيري الذي ولي الاندلس نحو أحد عشر شهراً من سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م، ففي عهده قتلت طالعة بلج عبد الملك بن قطن الفهري بثأر قديم، ثم حشد ابنا عبد الملك: أمية وقطن جيشاً كبيراً في نواحي سرقسطة، وجاءا إلى بلج طالبين بثأرهما، وهما في حوالي مائة ألف من العرب، فخرج إليهما بلج، واقتتل الطرفان قتالاً شديداً انهزم على أثره ابنا عبد الملك. وقد ذهب ضحية هذه الفتنة ـــ كما يذكر ابن عذاري ـ أحد عشر ألف قتيل[٣]. وفي آخر عهد الولاة ثار في سرقسطة تميم بن معبد وعامر بن عمرو بن وهب على يوسف بن عبد الرحمن الفهري سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م فتولى محاربتهما الصميل بن حاتم، ثم خرج إليهما يوسف نفسه في السنة التالية، فحاصرهما في سرقسطة، ثم ظفر بهما، وقتلهما[٤].

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة: ١٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٢٣/٤؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٥٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٦/٢-١٧؛ المقري، نفح الطيب: ٢٧٣/١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ١٠.

(٢) العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٢-٢٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٩٦/٢؛ المقري، نفح الطيب: ٥٦٢/١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٨١؛ وانظر أيضاً: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٩١؛ مؤنس، فجر الاندلس: ١٠٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٢/٢.

(٤) المصدر نفسه: ٣٨/٢.

وفي عهد الأمويين في الاندلس كثر سكان سرقسطة والمولدين والمستعربين، وتتابعت ثوراتهم، ففي عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م) ثار فيها سليمان بن يقظان الكلبي سنة ١٦٤هـ/٧٨٠م، وقد تمكن جيش الأمير الأموي بقيادة حسين بن يحيى من قتله[١]. وفي السنة التالية (١٦٥هـ/٧٨١م) ثار في سرقسطة حسين بن يحيى بن سعد بن عبادة الانصاري الذي قضى على ثورة ابن يقظان الكلبي، فغزاه الأمير عبد الرحمن سنة ١٦٧هـ/٧٨٣م، وحاصره فيها، وقتله، وتغلب على المدينة[٢].

وثار على الأمير هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) سعيد بن حسين الانصاري الذي قدم إلى سرقسطة من إقليم طرطوشة "فأخرج منها واليها، وضرب بين الناس، ودعا إلى نفسه وإلى الفتنة، فأرسلها مضرية ويمانية"[٣]. ثم أقبل موسى بن فرتون إلى سرقسطة فأخذها، وكان على دعوة المضرية، فالتقى مع اليمنيين، وكانت بينهم حرب، فقتل منهم جماعة، ودخل سرقسطة. ثم قدم مطروح بن سليمان بن الأعرابي فتغلب على وشقة وسرقسطة والثغر كله[٤]، وظل فيها حتى سنة ١٧٥هـ/٧٩١م حيث تمكن الأمير هشام من القضاء عليه[٥].

وثار على الأمير الحكم بن هشام (الربضي) (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م) في سرقسطة بهلول بن مرزوق المعروف بأبي الحجاج، إذ دخل سرقسطة وملكها، ولكن الأمير عبد الله بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية قضى عليه أثناء توجهه إلى الشمال للجهاد[٦]. كما ثار في

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٥.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٦/٢؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٦٢/٢.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٦٢/٢؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٦.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٦٣/٢.

(٦) المصدر نفسه: ٦٩/٢.

سرقسطة على الحكم فرتون بن موسى بن فرتون، فقتله الحكم فيها في ذي الحجة من سنة ١٨٦هـ/٨٠٢م[١].

وهكذا ظلت الثورات في سرقسطة تتوالى على الأمراء والخلفاء من بني أمية في الاندلس، وكان من أخطرها ثورات التجيبيين الذين ظلوا يقضون مضاجع الأمويين عهدهم، بل استمروا بعده[٢]. فعندما سقطت الخلافة الأموية في الأندلس، وأخذت الفتنة البربرية تمزق أوصالها كان يحكم سرقسطة منذر بن مطرف بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن هاشم التجيبي[٣]، وقد استبد بها وتلقب بالمنصور، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م[٤]، فحكمها بعده ابنه المظفر إلى أن تغلب عليه أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي وقتله سنة ٤٣١هـ/١٠٣٩م[٥].

وكان أبو أيوب سليمان بن هود مؤسس مملكة سرقسطة في أيام الطوائف، وقد تلقب بالمستعين با لله، وحكم سرقسطة نحو سبع سنوات (٤٣١-٤٣٨هـ/١٠٣١-١٠٤٦م)، وحكم سرقسطة بعده ابنه أبو جعفر أحمد الملقب بالمقتدر با لله (٤٣٨-٤٧٤هـ/١٠٤٦-١٠٨١م) الذي ينسب إليه قصر الجعفرية في سرقسطة الذي يعد من أبرز ما تركه المسلمون من آثار في الاندس، وكان طوله من الشمال إلى الجنوب ثمانين متراً، وعرضه من الشرق إلى الغرب ثمانية وستين متراً، ويحيط به ستة عشر برجاً أسطوانياً[٦].

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس: ٢٧.

(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٧-٥٤؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٧٢/٤؛ ابن حيان، المقتبس: ٣٥٧/٥-٣٦٦، ٣٩٣-٣٩٥، ٤٠١ وما بعدها؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٩/٦ و ٥٩.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٩٢/٧؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٩/٤.

(٤) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٩/٤.

(٥) المصدر نفسه: ١٠٩/٤؛ وانظر: ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢٤٥/٢.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن هذا القصر، وعن آثار سرقسطة بشكل عام راجع: مورنيو، الفن الاسلامي في اسبانيا، ترجمة : لطفي البديع والسيد سالم: ٢٦٢-٢٨٨.

وتوفي المقتدر بن هود بعد أن حكم سرقسطة خمساً وثلاثين سنة، وقد قسم مملكته قبيل وفاته بين ولديه أبي عامر (المؤتمن)، وأخيه المنذر. ونشبت حروب بين الأخوين، واستعان كل منهما بالنصارى ضد الآخر، وقدم لهم الأموال ، وتخلى لملوكهم عن الحصون الإسلامية نظير دعمه ضد أخيه، وقد حارب السيد الكمبيطور ، المغامر النصراني إلى جانب المؤتمن الذي توفي سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م فخلفه ابنه أبو جعفر الملقب بالمستعين با لله. وفي عهده حاول ألفونسو السادس، ملك قشتالة احتلال سرقسطة وذلك سنة ٤٩٧هـ/١١٠٤م فاستغاث بالأمير المرابطي يوسف بن تاشفين. وقد أمدّه ابن تاشفين بألف فارس بقيادة أبي عبدا لله بن فاطمة، وتمكنت هذه القوات من دحر ألفونسو عن المدينة[١].

وظل المستعين بن هود يقارع النصارى حتى سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م ، ففي تلك السنة جرت بينه وبين قوات النصارى بقيادة: الرّنك البرتغالي، وألفونسو الأول – المحارب، ملك أرغون، معركة شديدة استشهد فيها، وذلك في يوم الاثنين الأول من رجب سنة ٥٠٣هـ/١١١٠م[٢]. وفي عهد خلفه ابنه أبو مروان عبدالملك الملقب عماد الدولة خضعت سرقسطة للمرابطين.

وظلت سرقسطة في أيدي المرابطين حتى سنة ٥١٢هـ/١١١٨م، ففي الرابع من رمضان تلك السنة سقطت في يد ملك أرغون الفونسو الأول (المحارب) بعد حصار دام تسعة أشهر[٣].

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٧؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/٢٤٥.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٥٣، ٥٥؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/٢٤٨؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ٢/١٧٤.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ٣١٧؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١١٨؛ الناصري، الاستقصا: ٢/٦٦؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٣٦؛ ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢/٢٤٨؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٢٨٤ وما بعدها.

للاستزادة عن سرقسطة انظر:

- Arco, Ricardo, del, Zaragoza historia, (Madrid, 1928).
- Lacarra, José María, La Conquista de Zaragoza por Alfonso I (Al-Andalus, XII, 1947).
- Mora Gaudo, Manuel, Ordenanzas de la ciudad de Zaragoza (Zaragoza 1908).
- Ximenez de Embin Y Val, Tomás Descripción histórica de la antigua Zaragoza x de Sus términos municipales (Zaragoza 1901).

سكتان Suktan :

أكمل بناءَها القائد أحمد بن محمد بن الياس سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م وملأها بالرجال وشحنها بالأطعمة والأسلحة. فأرسل عبد الرحمن الناصر (الثالث) إليها أحمد بن يعلي حاكم بطليوس قائداً، فذهب إليها. ومنها وصلت أخبار النّصر العسكري من قبل أحمد بن يعلي القائد بسكتان الحديثة، على دخوله منها إلى أراضي الطاغية ردمير (Ramiro II)، فقتل وسبى وأسر وأرسل مع كتابه إلى قرطبة مائتي علج أَسرى، فكان ذلك أول فتح لابن يعلي أذل به ردمير[١].

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، (ليدن)، ١٩٥١، ص ٢٣٦.

سَمُّورَة Zamora :

مدينة، يلفظ اسمها بفتح أوله، وتشديد ثانيه وضمه، وبعد الواو راء[1]. عدهـا البكـري من مدن الجزء الخامس من الأندلس، وهي تقع على الضفة الشمالية من نهر دويره Duero في شمال شرق الحدود البرتغالية الحالية. وهـي اليوم إحـدى المدن الإسبانية الكبرى. وقد ترددت تبعيتها بين الأندلس ومملكة ليون، وأحتلها النصارى بشكل نهائي في أواخـر القرن الرابع الهجري/أوائل القرن الحادي عشر الميلادي[2]. وعندما قسم فرنـاندو الأول مملكتـه بين أبنائه سنة ١٠٦٥م، كانت سمورة من نصيب ابنته دونيا أوراكا Urraca[3].

يصف الحميري سمورة بأنها دار مملكة الجلالقة "على ضفة نهر كبـير جـداً، خـرار، كثير الماء، شديد الجرية، عميق القعر. وبين سمّورة وبين البحر ستون ميلاً"[4].

وأصبحت سمورة عاصمة مملكة الجلالقة سـنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م، وقـاعدة مـن قواعدهـا. وهي مدينة حصينة شديدة المنعة، إذ عليها سبعة أسوار أحكم بنيانهـا الملـوك السـابقون، وبين الأسوار فراغات وخنادق مملوءة بالمياه[5].

ذكر المقري نقلاً عن المسعودي ـ أن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين ا لله غـزا سمورة سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م، وكان في أكثر من مائة ألف مقاتل، فنزل على سمورة، وافتتح

---

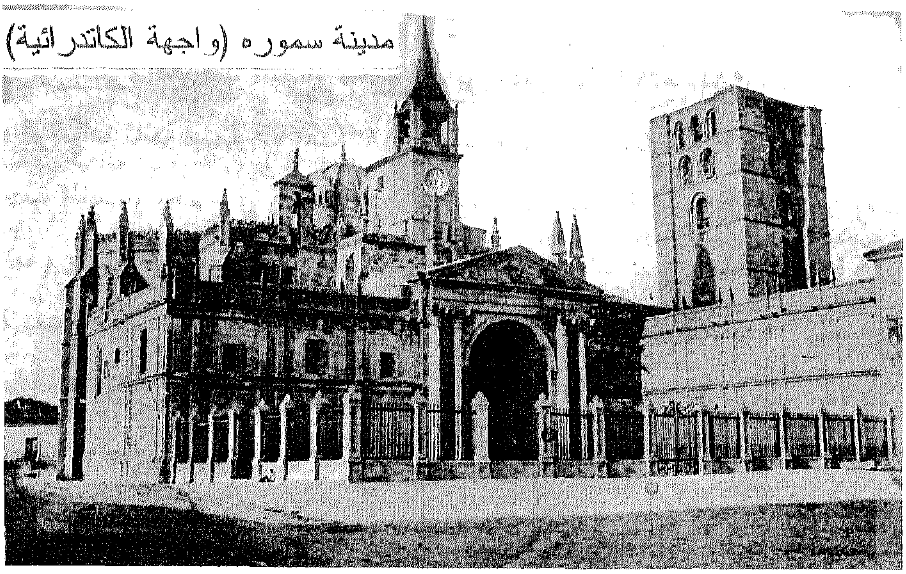
(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢٥٥/٣.

(٢) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٤،٦٣، ٧٦؛ أبو الفدا، تقويم البلدان: ١٨٥.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٧٦ الهامش.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٩٨.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٩٨؛ المقري، نفح الطيب: ٣٥٥/١.



Zamora.—Fachada de la Catedral. (Foto J. Reig.)



Zamora.—La casa del Cid.

منها سورين "ثم إن أهلها ثاروا على المسلمين فقتلوا منهم ممن أدركه الإحصاء، وممن عرف أربعين ألفاً، وقيل: خمسين ألفاً"[1].

وغزا سمورة الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر سنة ٣٧١هـ/٩٨١م، وعاد منها بعد شهر، ثم غزاها ثانية سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م وعاد عنها بعد ثلاثة وعشرين يوماً[2]. وكان الحاجب المنصور يخرج في ربيع كل سنة وخريفها لمقاتلة النصارى في ليون وقشتالة وقطلونية، وقد فتح سمورة سنة ٣٧١هـ/٩٨١م، وأعاد إلى ملك ليون مدينة سمورة في السنة التالية بعد أن عقد معه معاهدة صلح وحسن جوار، ودفع ضريبة سنوية. وقضت هذه المعاهدة أيضاً بوضع حامية إسلامية في سمورة لمساعدة ملك ليون ضد خصومه. وفي سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م أسكن المنصور المسلمين في مدينة سمورة، وقوى حاميتها الإسلامية بقيادة أبي الأحوص معن بن عبد العزيز التجيبي[3].

وفي سنة ٣٩٥هـ/١٠٠٥م خرج عبد الملك المظفر بن الحاجب المنصور على رأس جيش من خمسة آلاف فارس إلى سمورة، فصبحوا المدينة، وأصابوا بها قوماً من النصارى يأوون إلى أبراج اتخذوها، فقتلوا رجالهم وسبوا نساءهم وذريتهم، وانبسطوا بالغارة على بسائط سمورة، ودمروها وخربوها[4].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١/٣٥٤ـ٣٥٥؛ وانظر: ابن حيان، المقتبس: ٥/٤٣١ وما بعدها.

(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ٧٧، ٧٩؛ وانظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ٦٧؛ الصوفي، تاريخ العرب في إسبانيا: ٩٠، ١٢١.

(٣) انظر: حتى، تاريخ العرب: ٣/٦٣٤ نقلاً عن الإحاطة: ٢/٧١.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١١؛ وانظر: الصوفي، تاريخ العرب في اسبانيا: ١٢٤، ١٢٥، ١٤٠، ٢٣٧ـ٢٣٨.

سُهَيْـــــل Fuengirola:

ميناء، قال ياقوت في لفـظ أسمـه: "بلفـظ الكوكـب المعـروف، وهـو مصغّـر سـهل"[١]. ويعرف اليوم باسم (Fuengirola)[٢]. وقد أشار إليه ابن سعيد في حديثه عن المملكة المالقيــة، وجعله من أعمال مالقة الغربية[٣]. وذكر المقري أن عمـل سـهيل بغربـي مالقـة "وهـو عمـل عظيم كثير الضياع، وفيه جبل سهل لا يُرى نجم سهيل بـالأندلس إلا منـه"[٤]. ويبـدو أنـه سمي سهيلاً باسم النجم.

يقع ميناء سهيل على ساحل البحر المتوسط علـى بعـد ثمانيـة وعشـرين كيلومـتراً إلى الشرق من مربلة[٥]، يكثر في الأراضي الواقعة بينه وبين بليش مالقة شجر التـين، وقـد ذكـر المقري أن بعض هذا الشجر يقطف ثمره الطفل الصغير "من لزوقها بـالأرض"[٦]. وأشـار ابـن الخطيب إلى كثرة تينه فقال: "ومادة قوته شعير وتين"[٧].

وفي أراضي سهيل واد فيه كثير من القرى[٨]، ويصطاد فيه السمك، وتزرع على جوانبه الحبوب[٩]. أما سواحل سهيل فهي "فلّ الغارة البحرية، ومهبط السرية غـير السـرية"[١٠]. وقد تعرض سهيل لغارة قـام بهـا النصـارى أشـار إليهـا ابـن سـعيد والمقـري دون أن يذكـرا تاريخها أو تحديد هوية المغيرين، فقال ابن سعيد في حديثه عن أبي القاسم عبد الرحمن بن

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٢٩١/٣.
(٢) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٨٧، ج٥٧.
(٣) ابن سعيد، المغرب: ٤٤٨/١.
(٤) المقري، نفح الطيب: ١٦٤/١؛ وانظر أيضاً: ياقوت، معجم البلدان: ٢٩١/٣.
(٥) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٨٧، ج ٥٧.
(٦) المقري، نفح الطيب: ٢١٩/٣.
(٧) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥١.
(٨) ياقوت، معجم البلدان: ٢٩١/٣؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥١.
(٩) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥١.
(١٠) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٢.

عبد الله السُّهيلي الأعمى "صاحب كتاب الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، وهو مشهور في علم النحو وفنون الأدب. أغار الفرنج على سهيل، وخربوه، وقتلوا أهله وأقاربه، وكان غائباً عنهم، فاستأجر من أركبه دابة وأتى به إليه، فوقف بإزائه وأنشد:

يا دار أيـن البيضُ والآرامُ ... أم أين جيرانُ عليَّ كـرام

راب المحبَّ من المنازل أنه ... حيّا، فلم يرجع إليه سلامُ

لما أجابني الصدى عنهم ولم ... يلج المسامع للحبيب كلامُ

طارحت ورق حمامها مترنماً ... بمقال صبّ والدموع سجامُ

"يا دارُ ما فعلت بكِ الأيـامُ ... ضامتك والأيام ليس تُضام"[1]

ومن المرجح أن غارة النصارى على ميناء سهيل وتخريبه كان قبل سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م، إذ إن السهيلي توفي في تلك السنة[2] بعد بكائه على أطلال سهيل ربما بزمن قد يكون طويلاً.

---

(١) ابن سعيد، المغرب: ٤٤٨/١ وانظر أيضاً: المقري، نفح الطيب: ٤٠٠/٣.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٤٠١/٣.

السَّوَاقِي Segoyuela:

معركة، ترتبط أحداثها ارتباطاً وثيقاً بما أسفرت عنه معركة وادي لكه*، بل يجعلها بعض المؤرخين معركة واحدة اختلفت تسمياتها، ومنها: السواقي[1]. ويرجح آخرون أنها وقعت بعد وادي لكه بعامين كما سيأتي[2]. ويدعم هؤلاء رأيهم بما أوردته بعض المصادر التاريخية من أن لذريق الذي انهزم في وادي لكه أمام طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١١م لم يقتل في تلك المعركة، وإنما اختفى ولم يعثر له على أثر[3]. ثم ظهر وخاض معركة أخرى ضد المسلمين بقيادة موسى بن نصير.

دخل موسى بن نصير الاندلس في رمضان سنة ٩٣هـ/٧١٢م على رأس جيش من ثمانية عشر ألفاً جلهم من العرب[4]، وافتتح بعض المدن منها: شذونة، وماردة[5]، ثم سار نحو طليطلة، وذلك في أوائل ذي القعدة من سنة ٩٤هـ/أوائل آب ٧١٣م "وبلغ طارقاً خبره... فلقيه في موضع من كورة طلبيرة"[6].

وسار طارق وموسى في الطريق الروماني الممتد من ماردة إلى شلمنقة (Salamanca) عبر جبال وعرة، ثم افترقا عند منتصف الطريق[7]، وعبر موسى الفج المنسوب إليه بمحاذاة نهر سُمي بوادي موسى[8] Valmuza.

* انظر مادة: وادي لكه في هذه الموسوعة.

(1) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٢٧-٣٦.

(2) الحجي، التاريخ الاندلسي: ٨٤.

(3) مجهول، أخبار مجموعة: ٩؛ المقري، نفح الطيب: ١/٢٥٩.

(4) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٢/٢؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٤-١٤٥؛ المقري، نفح الطيب: ٢٦٩ و ٢٧١.

(5) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٥؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٥-١٦.

(6) المقري، نفح الطيب: ٢٧١.

(7) مجهول، أخبار مجموعة: ١٨؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم: ٩٨.

(8) المقري، نفح الطيب: ٢٧١/١؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٨٤؛ ومؤنس، فجر الاندلس: ٩٨.

وكان لذريق قد جمع من تبقى من فلول القوط بعد معركة وادي لكه، وانحاز بهم إلى تلك المناطق الوعرة، وأخذ يتربص بالمسلمين، ويتحين الفرص للانقضاض عليهم. ولما ابتعد موسى بن نصير عن مراكز إمداده، وأرهقت جيشه مسالك الجبال انقض عليه لذريق في ناحية سماها بعض المؤرخين (السواقي)[1] وسماها بعضهم الآخر: وادي الطين[2]. ويقع ميدان المعركة قرب بلدة تمامس (Tamames)[3]، وقد دارت رحاها في ذي القعدة ١٤هـ/أيلول ٧١٣م، وانتصر فيها المسلمون، وقتل لذريق على يد مروان بن موسى بن نصير. وقد حمل أتباع لذريق جثته، ودفنوها في مدينة فيزو Viseo[4] .

سوريا Soria أو Coria:

حصن، يقع قرب الحدود القشتالية[5]، وتوجد في الوقت الحاضر مقاطعة في إسبانيا باسم سوريا، تعتبر مدينة سالم الواقعة إلى الشمال من مدريد بنحو مائة وثلاثة وخمسين كيلومتراً إحدى مدنها[6] .

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٣٥.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٧.
(٣) انظر: مؤنس، فجر الاندلس: ٩٩؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم: ٩٩؛ والحجي، التاريخ الاندلسي: ٨٤-٨٥.
(٤) مؤنس، فجر الاندلس: ٩٩؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٣٢-٣٣.
(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٨٣ الهامش.
(٦) المصدر نفسه: ٦٠ الهامش.

الشيـــن

شارقة Jérica:

حصن من أعمال بلنسية في شرقي الأندلس، يلفظ اسمه بقاف بعد الراء المهملة[(١)]. وقد عد العذري شارقة إقليماً من أقاليم بلنسية[(٢)]. وينسب إلى شارقة رجل من أهل القرآن يقال له الشارقي اسمه أبو محمد عبد الله بن موسى، روى عن أبي الوليد يونس بن مغيث بن الصفا عن أبي عيسى عن عبد الله بن يحيى بن يحيى[(٣)].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٠٧/٣.

(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٠ وانظر الهامش: ١٤٧.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٣٠٧/٣.

شاط Sat :

قرية[1]، أو حصن[2]. يبعد عن المنكب اثني عشر ميلاً[3]، وعده ياقوت من أعمال كورة إلبيرة[4]. ووصفه بأنه "كثير الشجر والفواكه والخيرات"[5].

وأكثر ما يشتهر به حصن أو قرية شاط هو الزبيب، فقد ذكر الإدريسي أن "فيها زبيب حسن الصفة، كبير المقدار، أحمر اللون، يصحب طعمه مزازة، ويتجهز به إلى كل البلاد الأندلسية، وهو منسوب إلى هذه القرية"[6].

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٤/٥.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٣١٠/٣.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٤/٥.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٣١٠/٣.

(٥) المصدر نفسه: ٣١٠/٣.

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٤/٥-٥٦٥.

شَاطِبَة Játiva:

مدينة، يلفظ اسمها بالطاء المهملة، والباء الموحّدة[١]. وربما كان اسمها مشتقاً من: الشطبة، وهي: السَّعفة الخضراء الرطبة، وشطبت المرأة الجريدة شطباً إذا شققتها لتعمل حصيراً. والمرأة شاطبة[٢]. واسم المدينة: شاطبة مشتق من الاسم الروماني: (Saetabis)[٣]، فهي مدينة قديمة[٤]، وفيها آثار واضحة تدل على قدمها[٥]. ومن تلك الآثار "بنيان قديم من عمل الأول يقولون له: الصنم[٦].

تعتبر شاطبة من أعمال بلنسية[٧]، وتبعد عنها ستة وخمسين كيلومتراً في جنوبها الغربي[٨]. وتبعد عنها دانية خمسة وعشرين ميلاً[٩]. وشاطبة قريبة من جزيرة شقر التي تبعد عنها اثني عشر ميلاً[١٠]، وهي إلى الشمال من لقنت[١١]، وتقع في شرقي الأندلس وشرقي قرطبة[١٢].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٠٩/٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٠٩/٣.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٣٠٩/٣؛ العذري، نصوص عن الاندلس: ١٨.

(٥) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٨.

(٦) الحميري، الروض المعطار: ٣٣٧.

(٧) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٨؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٦٢-٦٣؛ المقري، نفح الطيب: ١/ ١٦٦.

(٨) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦ الحاشية ٣.

(٩) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٦/٥.

(١٠) الحميري، الروض المعطار: ٣٣٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٦/٥.

(١١) المقري، نفح الطيب: ١٦٦/١ الحاشية ٣.

(١٢) ياقوت، معجم البلدان: ٣٠٩/٣.

وشاطبة "مدينة عظيمة، مانعة كريمة تعزّ بامتناع معقلها نفوس أهلها"[1]. ففيها حصن[2]، ولها قصبتان ممتنعتان[3]، "ومدينتها في سَنَد جبل، وحصنها في أعلاه"[4].

أشتهرت شاطبة ـ أكثر ما اشتهرت ـ في عصرها الاسلامي بصناعة الورق الذي عم المشارق والمغارب، فضلاً على بلاد الاندلس[5]. وقد اشتهر ورقها باسمها فعُرف بـ (الشاطبي)[6].

ويذكر العذري أن وادياً يخرق بطاح شاطبة "قد أتخذ عليه النواعر"[7]. ويقول: "ولها بساتين جميلة، وأرضون فسيحة، ولها الزرع والضرع والثمرة... وفيها يتجهز التجار بالأمتعة إلى غانة، وبلاد السودان، وإلى جميع بلاد المغرب"[8]. ويصف الحميري شاطبة بأنها "كريمة البقعة كثيرة الثمرة عظيمة الفائدة، طيبة الهواء"[9].

وكانت شاطبة في العصر الاسلامي في الأندلس "حاضرة آهلة بها جامع ومساجد وفنادق وأسواق"[10]، ومن متنزّهاتها: "البطحاء، والغدير، والعين الكبيرة، والعيون"[11].

---

(١) ابن سعيد، المغرب: ٢/٣٨٠.

(٢) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٨؛ وانظر: الحميري، الروض المعطار: ٣٣٧.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ٣٣٧.

(٤) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٩؛ وانظر: الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٥٦.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ٣٣٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٥٦؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣٠٩؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٦٦.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦ الحاشية ٣.

(٧) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٨.

(٨) المصدر نفسه: ١٨ـ١٩؛ وانظر: الحميري، الروض المعطار: ٣٣٧.

(٩) الحميري، الروض المعطار: ٣٣٧.

(١٠) الحميري، الروض المعطار: ٣٣٧.

(١١) ابن سعيد، المغرب: ٢/٣٨٠.

وفي شاطبة يقول بعضهم[1]:

نِعمَ مُلقى الرَّحــل شاطِبَةٌ لِفَتَى طالت به الرِّحَلْ
بلدةً أوقاتها سَحَـــــرُ وصَباً فــي ذِيــله بَللُ
ونسيمُ عَرفُـــــــه أَرِجُ ورياضُ غصنُها ثِمَــلُ

وقد امتدحها الزهري وامتدح أهلها، فذكر أنها "عظيمة كثيرة الأشجار والفواكه، فيها تفرعت علوم جمة. أهلها أهل دراية وفهم ونباهة"[2].

لم تذكر المصادر التاريخية فاتح شاطبة وتاريخ فتحها، ولكن يمكن الاستنتاج أنها فتحت سنة ٩٤هـ/٧١٢م على يد عبد العزيز بن موسى بن نصير[3]. ويذكر أرسلان أنها فتحت سنة ٩٦هـ/٧١٤م على يد طارق بن زياد، مع أن طارقاً كان قد خرج من الأندلس قبل ذلك[4].

وقد أصبحت شاطبة إحدى منازل البربر، إذ سكنها منهم بنو عميرة[5]، وهم من نفزة[6].

وتغلب على شاطبة في عهد الأمير الأموي: عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م): عامر بن أبي جوشن بن ذي النون بن سليمان بن طوريل بن الهيثم بن

---

(1) المقري، نفح الطيب: ١/١٨٦.

(2) الزهري، الجعرافية: ١٠٣.

(3) انظر: مجهول، أخبار مجموعة: ١٩، ٢١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٤-١١٥؛ المقري، نفح الطيب: ١/٢٧٠-٢٧١.

(4) أرسلان، الحلل السندسية: ٣/٥٠.

(5) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٢٥؛ مؤنس، فجر الاندلس: ٣٨٣.

(6) مؤنس، فجر الاندلس: ٣٨٣.

اسماعيل بن السمح الهواري[1]. وقد عاد إلى طاعة الأمويين في أوائل عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) إلا أنه ما لبث أن نكث، فوجه إليه قائده أحمد بن اسحاق، فتحرك هذا الأخير لمحاربته، وحاصره. ثم أُستبدل بالقائد أحمد بن إسحاق قائداً آخر هو دُرّي بن عبد الرحمن. ثم طلب عامر بن أبي جوشن الأمان، وثاب إلى الطاعة "بعد أن ترددت الجيوش عليه، واتصلت الحروب معه، وأحدقت القوّاد به من سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة إلى هذا الوقت (٣١٧هـ) بتداول حصاره"[2]. وبعد استنزال عامر بن أبي جوشن عن شاطبة عين الخليفة الناصر والياً عليها: عبد الله بن محمد بن عقيل سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م[3]، ثم وليها محمد بن إسحاق سنة ٣٢٢هـ/٩٣٤م[4]، ثم يحيى بن محمد بن إلياس سنة ٣٢٣هـ/٩٣٥م[5].

واستبد بشاطبة سنة ٤١١هـ/١٠٢٠م، في عهد الفتنة التي أعقبت انهيار الخلافة الأموية في الأندلس: المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن أبي عامر[6]، إلا أن أهل شاطبة ما لبثوا أن ثاروا عليه، فغادرها سراً إلى بلنسية[7]. وآلت شاطبة إلى أبي القاسم زهير العامري الذي استطاع إنشاء مملكة في المرية امتدت حتى شاطبة شرقاً، وجيان وبياسة شمالاً[8]. وظل زهير العامري يحكم شاطبة حتى مصرعه في حربه مع باديس بن حبوس، صاحب غرناطة سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م[9]، وبعد وفاته عادت شاطبة إلى المنصور الذي أنشأ في

---

(١) العذري، نصوص عن الاندلس: ١٤.

(٢) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٤٩-٢٥٠؛ وانظر: العذري، نصوص عن الاندلس: ١٤-١٥.

(٣) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٥٤.

(٤) المصدر نفسه: ٥/٣٥٥.

(٥) المصدر نفسه: ٥/٣٧٧.

(٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٠٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى: ٥/٢٤٣؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦ الحاشية ٣.

(٧) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٠٧؛ القلقشندي، صبح الأعشى: ٥/٢٤٣؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦ الحاشية ٣؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ١٥٩.

(٨) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٦٨-١٦٩؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ١٦٠-١٦١.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/١٦٩-١٧٢؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ١٧٢-١٧٣.

بلنسية مملكة كبيرة مما أثار حفيظة مجاهد العامري ضده، فسار في قواته، واخترق أراضي مملكة بلنسية من شاطبة إلى لورقة[(1)]، إلا أن المنصور انتصر عليه مستعيناً ببعض المرتزقة النصارى، وظل يحكم شاطبة وغيرها من أنحاء مملكته حتى وفاته في ذي الحجة من سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م[(2)].

وحكم شاطبة بعد المنصور ابنه عبد الملك الذي تلقب: نظام الدولة. ثم ملكها منه صهره المأمون يحيى بن ذي النون، وذلك في ذي الحجة من سنة ٤٥٧هـ/١٦٠٤م[(3)]. وعهد المأمون بتدبير شؤون مملكة بلنسية بما فيها شاطبة إلى أبي بكر محمد بن عبد العزيز المعروف بابن رويش. وقد استقل ابن رويش بالحكم بعد وفاة المأمون سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م[(4)].

واستولى المرابطون بقيادة محمد بن سعد بن مردنيش على شاطبة سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م في عهد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين (٤٦٣-٥٠٠هـ/١٠٧٠-١١٠٦م)[(5)]، وأصبحت تتخذ قاعدة لشن الهجمات ضد النصارى[(6)].

وتجدر الإشارة إلى أن النصارى شنوا هجمات متلاحقة على مدن شرقي الأندلس، ووصلوا إلى شاطبة "فانتسفوها نسفاً، وتركوها قاعاً صفصفاً"[(7)]، وكانوا بقيادة الكمبيطور. وقد

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣٠٢.

(2) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣٠٢؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ١٩٣.

(3) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣٠٣.

(4) المصدر نفسه: ٣/٣٠٣؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٢١٥-٢١٦.

(5) ابن الخطيب، الإحاطة: ٢/١٢٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٠٦-١٠٧؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٢٣؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ١٧٤.

(6) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٣٧.

(7) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦-٩٧؛ وانظر: السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ١٨٥.

استناء الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين لذلك، وأبدل بقائد الجيش المرابطي قائداً جديداً هو أبو الحسن علي بن الحاج، وأمره أن يلحق بشاطبة بانتظار الأوامر[1].

وتعرضت شاطبة وغيرها من مدن شرقي الاندلس لعدوان النصارى بقيادة ألفونسو الأول (المحارب) ملك أرغون، يساعده المعاهدون الذين انضمت أعداد كبيرة منهم إليه، وكانوا يدلونه على الطرق والمسالك ومواطن الضعف لدى المسلمين، إلا أنّ هذا العدوان الذي استمر نحو خمسة عشر شهراً خلال عامي ٥١٩هـ و ٥٢٠هـ/١١٢٥م و ١١٢٦م لم يحقق أهدافه[2].

ولما التاث أمر المرابطين ثار عليهم في شاطبة قاضيها أبو عبد الملك مروان بن عبد العزيز، وذلك سنة ٥٣٩هـ/١١٤٥م[3]. ثم ملكها بنو هود سنة ٥٤٠هـ/١١٤٦م[4]، ومنهم استولى عليها الموحدون سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، وقد سقطت في عهدهم بأيدي النصارى، حيث احتلها خايمي الأول، ملك أرغون سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م[5].

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٩٦؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ١٨٥.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠٨/١ وما بعدها، وانظر أيضاً: السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٥٤ـ٢٥٧.

(٣) ابن الآبار، الحلة السيراء: ٢٢٠/٢ـ٢٢١؛ وانظر: السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٧٩ـ٢٨٠؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية: ٨٢.

(٤) أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية: ٨٢ـ٨٣.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٤٧٢/٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٨٣/١ والحاشية ٧؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٨٠ـ٤٨١.

شبالش Jubles:

حصن، ذكره ياقوت وابن حيان باسم: شُبِيلش[1]. وقال ياقوت: "بضم أوله، وكسر ثانيه، ثم ياء مثناة من تحت ساكنة، ولام مكسورة"[2]. بينما ذكره ابن الخطيب بلفظ "شُبالِش"[3].

يعد حصن شبالش من أعمال إلبيرة، ويقع قرب برجة[4]، بأطراف جبل شلير (الثلج)[5]. وهو "معدن حرير خُلصت سبائكه، وأثرى بزّازه وحائكه، وتهدلت حجاله، وتمهدت أرائكه...إلا أنه وطن عُدم إدامه، وبيت ظهر اهتدامه، وفُقدت به حيلُ التعيُّش وأسبابه، ومحل لا يقيم به إلا أربابه"[6].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٥/٦٣؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٢٤.

(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٢٤.

(٣) ابن الخطيب، مشاهدات: ٨٨؛ معيار الاختيار: ٦١.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٢٤.

(٥) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٩١، ح١٧٠؛ مشاهدات: ٨٨، ح٢.

(٦) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦١.

شَبَطْرَان Šabatran :

حصن، ذكره ياقوت، وضبطه: بفتح أوله وثانيه، وسكون الطاء ثم راء، وآخره نون. وهو من أعمال طليطلة[١]. وقد أشار ابن حيان إلى هذا الحصن في حديثه عن غزوة الخندق التي هُزم فيها المسلمون بقيادة الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله، وضبطه بضم الشين المعجمة[٢].

شِبْيَوْط Šibyut :

حصن، يلفظ اسمه بكسر أوله، وفتح الياء المثناة من تحت. وهو من أعمال مدينة أُبّده[٣].

شجس Sax:

قرية تقع إلى الشمال الغربي من لقنت على بعد خمسين كيلومتراً، وهي قريبة من بطرير (Petrel) في مقاطعة لقنت، وقريبة أيضاً من مدينة شاطبة. وقد وصف الحميري شجس بأنها قرية جامعة مفيدة[٤].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٢١.
(٢) ابن حيان، المقتبس: ٥/٤٤٤.
(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٥/٣٢٤.
(٤) الحميري، الروض المعطار: ٣٣٩ والهامش، وانظر أيضاً: صفة جزيرة الأندلس: ١٠٠.

شَذْفِيلَة Siete Filla:

ناحية[1]، ذكرها ياقوت وابن حزم باسم: شنت فيله[2]، وبهذا الاسم (شنت فيله) ذكرتها مصادر أخرى، إلا أن اسمها الصحيح هو ما ذكرناه (شذ فيله) وهو الاسم الذي أورده العذري، واستخدمه المؤرخون الإسبان في القرون الوسطى[3].

تقع شذفيله قرب قرطبة[4]، وفيها قتل أحد وزراء بني أمية في عهد الأمير الأموي عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م)، ذلك أنه ولّى على إشبيلية ابنه محمداً، وعندئذ ظهرت من بعض العرب أحوال أوجبت إخراجهم عن المدينة إلى بواديهم، وانفرد بمدينة إشبيلية الموالي وبنوا سورها. ثم استجلبوا عبد الله بن غالب، وعملوا على إدخاله المدينة، وخلعان الطاعة معه"[5]. ولما انتهى خبره إلى أهل إشبيلية ثاروا على محمد بن الأمير عبد الله، وأخرجوا منها الوزيرين جعد بن عبد الغافر وأصبغ بن عيسى بن قُطيس، وهاجموا الوالي الذي آثر العودة إلى قرطبة بعد أن سجل على كورة إشبيلية لأمية بن عبد الغافر الذي قُتل أخوه جعد على أيدي الموالي بناحية شَذْفِيلة، وكان ذلك سبباً لسخرية رؤساء عرب إشبيلية بأمره. وقد لاحظ أمية أنهم إنما خلعوا الطاعة، فذهب ليقبض رهائنهم توثقاً من طاعتهم، إلا أنهم حاربوه، ولما يتقّن من أن الهزيمة ستلحق به قتل جواريه، وأحرق ما كان معه من وطاء وغطاء وكسوة وحلية، وترك زوجته، واتكأ على سيفه فمات"[6].

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٠٢.
(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٧؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٩٩.
(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٠٢، والهامش: ١٧٦.
(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٧.
(٥) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٠٢.
(٦) المصدر نفسه: ١٠٢.

شَذُونَة Medina Sidonia:

مدينة، يلفظ اسمها بفتح أوله، وبعد الواو الساكنة نون[١]. ويلفظه بعضهم بضم الشين المعجمة[٢]. وهي أيضاً كورة واسعة تبلغ مساحتها خمسين ميلاً في مثلها[٣].

تقع كورة شذونة غرب قرطبة[٤]، وتتصل بكورة مورور مائلة إلى الجنوب قليلاً[٥]. ويحدها من الشرق كورة الجزيرة الخضراء، ومن الجنوب إقليم البحيرة، ومن الغرب المحيط الأطلسي، إضافة إلى كورة مورور التي تحدها من الشمال[٦]. وكانت المدينة التي تعرف بمدينة شذونة هي شريش[٧]، وهي إحدى مدن الكورة[٨].

وكورة شذونة "شريفة جامعة لخير البر وبركة البحر"[٩]، فهي وافرة المياه، متعددة الأنهار. ومن أنهارها : نهر البرباط Rio Barbate، ووادي لكه Guadalete[١٠].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٢٩.

(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٦٩.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٠؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٣٥؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٤١ الحاشية ٥؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٣/٢٧٩ الحاشية ٣؛ عنان، نهاية الاندلس: ٣٨ الحاشية ٢؛ ابن سعيد، المغرب: ١/٣٠١.

(٤) ابن الخراط، اختصار اقتباس الأنوار: ١٩١.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٣٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٠؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٢٩.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٣٦ الحاشية ١؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٤١ الحاشية ٥؛ وانظر: العذري، نصوص عن الاندلس: ١١٧.

(٧) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٣٠-٤٠.

(٨) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٠.

(٩) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٣٥؛ وانظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٠.

(١٠) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٣٦ الحاشية ١؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٠؛ الزهري، الجعرافية: ٩٣؛ ابن الخراط، الاندلس في اقتباس الأنوار: ١٩١.

"وبقرب شذونة موضع يُعرف بالجبل الواسط، وهو جبل فيه آثـار لـلأول". ويوجـد في ساحل شذونة : العنبر[1] ، الذي وصفه البكري بأنه "أطيب العنبر العربي الـوردي"[2]. وفي ساحلها أيضاً: كهرباء الأرض*، وفي نواحيها القرمز[3]

وينفرد ساحل شذونة بظهور حوت التنّ فيه في أوائل شهر أيار مـن كـل عـام، حيـث يخرج من البحر المحيط إلى البحر المتوسط، وعندئذ يصطاده الصيادون، ويتاح لهم ذلك نحو أربعين يوماً ثم يختفي حتى العام التالي[4].

وبساحل شذونة كذلك: "المَقلُ الذي يعظم جُمّاره حتى يكون قلبه مثل قلـب النخـل، وكانت تُصنع منه الغرابيل عن الحلفاء"[5].

ومدينة شذونة مدينة قديمة كانت معروفة أيام البيزنطيين، واستولى عليها القـوط سنة ٥٧٠م تقريباً[6]. ثم خلت من سكانها وآلـت إلى الخـراب، إذ يذكـر الزهـري الـذي تـوفي في أواسط القرن السادس الهجري أنها "اليوم خالية خربة"[7].

حقق طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١١م أول نصر حاسم على القـوط بقيـادة لذريـق قـرب مدينة شذونة[8]. ثم زحف طارق إلى مدينة شذونة، وحاصرها، وغنم منهـا غنـائم كثـيرة ثـم

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠١؛ البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٢٥.

(٢) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٢٥؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٤٣-١٤٤.

* كهرباء الأرض: مادة صمغية تدخل في تحضير بعض الأدوية، انظر: المقري، نفح الطيب: ١/١٤١.

(٣) المقري، نفح الطيب: ١/١٤١؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ١٢٧.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠١.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠١.

(٦) حتاملة، أيبيريا: ٢٣٢.

(٧) الزهري، الجعرافية: ٩٣.

(٨) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٢؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٨-٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٨-٩؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٧٩-٨٠.

تركها متوجهاً إلى إشبيلية[١]. ولما دخل موسى بن نصير الاندلس سنة ٩٣هـ/٧١٢م جمع حوله رايات العرب في الجزيرة الخضراء، ثم زحف إلى مدينة شذونة، "فافتتحها عنوة، وهي أول فتوحاته"[٢].

أنزل والي الاندلس أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي (١٢٥ـ١٢٨هـ/٧٤٣ـ٧٤٦م) في شذونة أهل فلسطين، وسماها فلسطين باعتبارها إحدى الكور المجندة[٣].

وقد لجأ أهل الاندلس إلى شذونة سنة ١٣٦هـ/٧٥٣م بعد أن أمحلت البلاد، حيث وجدوا فيها الخصب بسبب كثرة أنهارها، وطيب تربتها "وكانت الاندلس قد قحطت ستة أعوام"[٤].

وعندما دخل الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل الاندلس كان عامل شذونة هو عتاب بن علقمة اللخمي، وكان من أوائل من بايعوا الداخل[٥]، وكان ذلك في أوائل سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م[٦]. وقد ثار في شذونة على الداخل رزق بن

---

(١) سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٨١ـ٨٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣/٢؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٣؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٥؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٩٤؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٧٣؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ٤٦.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٢٣٧/١؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٦١/٤؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٤٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٣/٢.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٨؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثاهرم في الاندلس: ١٦٤ـ١٦٥.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٣٢٩/١؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٥٥/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٤٤/٢ـ٤٥؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٨٦؛ عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ١٥٣.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤٤/٢ وما بعدها؛ وانظر أيضاً: عنان، دولة الاسلام في الاندلس، عصر الإمارة: ١٥٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٨٥ وما بعدها.

النعمان الغساني سنة ١٤٣هـ/٧٦٠م وملكها، إلا أن الداخل قضى على ثورته وقتله[١].

وتعرضت شذونة في سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥م لهجوم المجوس (النورمان)، وذلك في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م)؛ فقد طرقت مراكبهم "وأطعموا طعمة وسبياً. وأقاموا يومين، ثم هبطت للإمام عبد الرحمن بن الحكم خمسة عشر مركباً بالمقاتلة والعدّة، فنزلوا إشبيلية"[٢]. ثم تمكن الأمير عبد الرحمن من قتلهم وإبادتهم، "وقُتل أميرهم نقمةً من الله وعذاباً، وجزاء بما كسبوا وعقاباً"[٣].

وثار في شذونة على الأمير الأموي عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م) منذر ابن ابراهيم بن محمد بن السليم، ولكنه لم يظهر نبذ الطاعة[٤]. ثم قتله مملوك له، أعلن الولاء فيما بعد للأمويين، وذلك في عهد الخليفة الناصر[٥].

واستولى على شذونة بعد سقوط الخلافة الأموية في الاندلس: أبو عبد الله محمد بن خزرون بن عبدون الخزري، وكان قد ظهر أيام الفتنة بمدينة قلشانة - بكورة شذونة - وذلك سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م[٦]، وتغلب على أركش، وأقام حكومة مستقلة، وتلقب: عماد الدولة. وقد استمر في حكم كورة شذونة حتى وفاته سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م[٧]. ويذكر ابن عذاري

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٦٩/٤-٣٧٠.

(٢) العذري، نصوص عن الاندلس: ٩٨، ١٠٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٧/٢-٨٨؛ وانظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٢٩ وما بعدها؛ سالم، تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس: ٢٣٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٨/٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٥/٢.

(٥) المصدر نفسه: ١٣٥/٢.

(٦) المصدر نفسه: ٢٩٤/٣، وانظر: عنان، دول الطوائف: ١٥٣.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٤/٣.

أن عماد الدولة كان " فتاكاً هتاكاً قتالاً سفاكاً "، وقد ضبط دويلته، وثمّر أموالها[1].

وبعد وفاة عماد الدولة ولي شذونة وما جاورها ابنه: القائم "وكان جائراً حاذقاً". وقد هاجمه المعتضد بن عباد فسلبه ملك بلاده بعد قتال شديد مات فيه خلق كثير، وذهبت فيه أموال. وشدد المعتضد الحصار عليه، "وضايقه مضايقة شديدة إلى أن خذله أصحابه، فغلب عليه المعتضد فافتضّ ملكه، وعجّل هلكه" واستولى على بلاده سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م[2].

وآلت شذونة إلى المرابطين ثم الموحدين، وفي أواخر عهد الموحدين بالاندلس سقطت في يد ملك قشتالة فرديناند الثالث، وذلك سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م بعيد سقوط إشبيلية في يده في ذلك العام[3].

شِرَّانَة Širrana

قرية، ذكرها ابن سعيد في كتاب الكورة الشذونية، وعدّها من قرى مدينة شريش[4].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٤/٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢٩٤/٣؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، دول الطوائف: ١٥٣-١٥٤.
(٣) انظر: عنان، نهاية الاندلس: ٣٨.
(٤) ابن سعيد، المغرب: ٣٠٧/١.

الشَّرَف Ajarafe:

جبل من سواد إشبيلية[1]، يقع إلى الغرب من هذه المدينة[2]، وهو جبل شريف البقعة، كريم التربة، دائم الخضرة، عظيم المساحة، جليل في كثرة فوائده[3]. وقد أشتهر بكثرة مابه من أشجار الزيتون، فلا تكاد "تشمس منه بقعة لالتفاف زيتونه، واشتباك غصونه"[4]. ويصف الحميري زيته بأنه من أطيب الزيوت " لا يتغير على طول الدهر، ومن هناك يتجهّز به إلى الآفاق براً وبحراً"[5].

ونظراً لخصوبة الشرف كثرت فيه القُرى العامرة، ويقال إن فيه ثمانية آلاف قرية عامرة، وديارها حسنة. وقد سمي الشرف بهذا الاسم لأنه يشرف على ناحية إشبيلية، ممتد من الجنوب إلى الشمال، وهو كله تراب أحمر[6]. وقد أشار ابن حزم إلى قريتين من قرى الشرف هما: قرّشانة وآش[7].

يُنسب إلى الشرف: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الحاكم الحضرمي الشرفي، كان فقيهاً مقدماً، ورئيساً كبيراً في أيام المنصور محمد بن أبي عامر، وكان أيضاً خطيباً بقرطبة مشهوراً، وأديباً مذكوراً. وكان للشعراء عنده جناب خصيب[8]. وقد ذكر ياقوت أن أبا

(1) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١٠١؛ والروض المعطار: ٣٣٩؛ ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ٨٥.
(2) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١٠١.
(3) الحميري، الروض المعطار: ٣٣٩؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١٣٩؛ ابن الخراط، الأندلس في اقتباس الأنوار: ١٠٢.
(4) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١٠١؛ والروض المعطار: ٣٣٩.
(5) الحميري، الروض المعطار: ٣٣٩ـ٣٤٠.
(6) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١٠١ـ١٠٢.
(7) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٢٤٩، ٤٢٩.
(8) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٣٦؛ ابن الخراط، الأندلس في اقتباس الأنوار: ٨٥.

إسحاق الشرفي روى عن أبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم، وكان معتنياً بالعلم، مكرماً لأهله[1]، وقد توفي سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م[2].

وقد روى ياقوت عن سعد الخير قوله: "الشرف بلد بحذاء مدينة إشبيلية يحتوي على قرى كثيرة عليه أشجار الزيتون، وإذا أراد أهل إشبيلية الافتخار قالوا: الشرف تاجها لكثرة خيره"[3]. وأورد المقري أن طول الشرف من الشمال إلى الجنوب أربعون ميلاً، وعرضه من المشرق إلى المغرب اثنا عشر ميلاً، وحدد عدد قراه بمائتين وعشرين قرية[4].

ويوجد في الشرف وادٍ يسمى وادي الطلح، كان المعتمد بن عباد كثيراً ما يرتاده متنزهاً هو وجواريه وأولى أنسه ومسرّته، وهو واد ملتف الأشجار، كثير ترنّم الأطيار، وقد وصفه نور الدين بن سعيد بقوله[5]:

سائل بوادي الطّلح ريح الصّبا   هل سُخّرت لي من زمان الصّبا
كانت رسولاً فيه ما بيننا   لن نأمن الرُّسْلَ ولن نكتُبا
واذكر بوادي الطلحِ عهداً لنا   لله ما أحلى وما أطيبا
والطير مازت بين ألحانها   وليس إلا مُعِجباً مُطربا

ويروي المقري أن أمير المرابطين يوسف بن تاشفين بعد دخوله إشبيلية أمعن النظر في الشرف الواقع في غربيها، وهو "رستاق عظيم، مسيرة عشرين فرسخاً يشتمل على آلاف من الضياع كلها تين وعنب وزيتون... وتمتاز بلاد المغرب كلها بهذه الأصناف منه"[6].

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٣٦-٣٣٧.
(٢) المصدر نفسه: ٣/٣٣٧؛ ابن الخراط، الأندلس في اقتباس الأنوار: ٨٥.
(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٣٧.
(٤) المقري، نفح الطيب: ١/١٥٩.
(٥) المصدر نفسه: ١/٦٩١.
(٦) المقري، نفح الطيب: ٤/٣٧٤.

شَرِيش Jerez de La Frontera :

مدينة، يلفظ اسمها بفتح أوله وكسر ثانيه، ثم ياء مثناة من تحت، ثم سُميت: شَرَش[١]. وقد وصفها المقري بأنها مدينة جليلة[٢]، وقال ياقوت: "مدينة كبيرة"[٣]، وذكر الادريسي أنها مدينة متوسطة[٤]، بينما أشار العذري إلى أنها: قرية[٥]. والأرجح ما ذكره المقري وياقوت، فقد كانت قاعدة كورة شذونة، بل كانت هذه المدينة تسمى: شذونة على اعتبار أنها قاعدة الإقليم كله[٦].

تقع شريش إلى الجنوب الشرقي من بطليوس[٧]، وتبعد عن قادس اثني عشر ميلاً[٨]، فهي قريبة من سواحل المحيط الأطلسي الشمالية، وبينها وبين قلشانة خمسة وعشرون ميلاً[٩].

وصف ابن سعيد الذي دخل شريش وتجول فيها، وصف المدينة بأنها "من مدن الاندلس المليحة ظاهراً وباطناً... وهي في نهاية من العمارة وكثرة الأرزاق"[١٠]. وشريش حسنة الجهات " أطافت بها الكروم الكثيرة، وشجر الزيتون والتين والحنطة"[١١].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٤٠/٣.

(٢) المقري، نفح الطيب: ١٨٤/١.

(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٣٤٠/٣.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٧٢/٥؛ وانظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٢.

(٥) العذري، نصوص عن الاندلس: ١١٢.

(٦) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٣٧.

(٧) المقري، نفح الطيب: ١٨٤/١ الحاشية ١.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٧٣/٥.

(٩) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٢؛ وانظر بشأن موقعها أيضاً: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٣٤-٣٨، ٤٠.

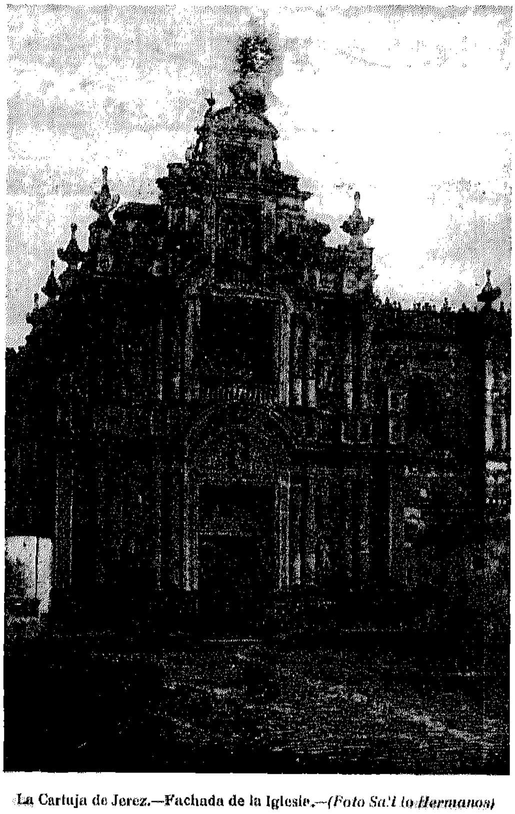
(١٠) ابن سعيد، المغرب: ٣٠٢/١.

(١١) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٧٢/٥-٥٧٣؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٢.

مدينة شريش (ساحة الملك ألفونسو الثاني عشر)



Jerez de la Frontera.—Plaza de Alfonso XII *(Foto Hijos de Justo Martínez)*



مدينة شريش

La Cartuja de Jerez.—Fachada de la Iglesia.—*(Foto Sallo Hermanos)*

وتنتج من الفواكه ما يكفيها ويزيد[1]. وهي أيضاً حصينة مسوّرة فيها أسواق كبيرة[2].

ويبدو من وصف شريش أنها كانت مدينة مترفة، فقد ذكر المقري أن "لأهلها همم، وظرف في اللباس، وإظهار الرفاهية، وتخلّق بالآداب، ولا تكاد ترى بها إلا عاشقاً ومعشوقاً"[3]. وقد نالت شهرة كبيرة في صناعة المجبنات حتى قيل: "من دخل شريش ولم يأكل بها المجبنات فهو محروم". وذكر المقري أن المجبنات الشريشية نوع من القطائف يضاف إليها الجبن في عجينها، وتقلى بالزيت[4].

وصف الشاعر أبو عمرو بن غياث أحد متنزهاتها، وهو (الجانة)[5] بقوله:

باكر الجانة مع روح الجنان — واصطبح فيها على نقر المثان
رقمتها الشمس في رأد الضُّحى — وكأن الطلَّ أسلاكُ الجُمان
جنّةٌ زيدت لأمرٍ أَلِفاَ — وسلوني إنني ربُّ المعان
هي فألٌ للذي قد عوّدت — معشرَ العشّاقِ من إلف الحسان

ولشريش متنزّهات ومروج على ضفاف نهر وادي لكُه، ومن متنزهاتها ــ إضافة إلى الجانة ـ مرج السندسيّة. وعلى النهر لشريش أيضاً: "بساتين، ومناظر مِلاح"[6].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١/١٨٤.

(٢) الادريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٧٢؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٨٤.

(٣) المقري، نفح الطيب: ١/١٨٤.

(٤) المصدر نفسه: ١/١٨٤.

(٥) ابن سعيد، المغرب: ١/٣٠٢.

(٦) ابن سعيد، المغرب: ١/٣٠٢-٣٠٣.

فتح شريش موسى بن نصير سنة ٩٣هـ/٧١٢م، فبعد أن انتصر طارق بن زياد على لذريق ملك القوط في معركة وادي لكه في شوال سنة ٩٢هـ/تموز ٧١١م كتب إلى موسى يخبره بالنصر، وتوجه إلى الشمال لفتح طليطلة، عاصمة القوط، قبل أن يتاح لهم التجمع، وحشد الجيوش. وكانت هذه المعركة الحاسمة التي خاضها قد وقعت في سهل شريش[١]. ولما دخل موسى الاندلس قرر أن يفتح جنوبي الاندلس وغربيها حتى لا يقطع القوط الطريق على طارق، وكانت شذونة ـ التي كانت تسمى في ذلك الحين: شريش ـ أول فتوحاته[٢]. ثم "توغل إلى برشلونة في جهة الشرق، وأربونة في الجوف، وصنم قادس في الغرب"[٣].

وأصبحت شريش والمدن المجاورة منازل للعرب منذ أوائل العهد الاسلامي في الاندلس، وكانوا من: هوازن، وأسد، وبكر بن وائل وغيرهم. ولما ولي الاندلس أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي (١٢٥-١٢٨هـ/٧٤٣-٧٤٦م) كثر أهل الشام عنده، ولم تحملهم قرطبة، ففرقهم في البلاد، وأنزل "أهل فلسطين شذونة ـ وهي شريش ـ وسماها فلسطين"[٤]. ونزل شريش من البربر: بنو خرزون، وهم من زناتة[٥]. وقد ثار فيها بعضهم كما سيأتي[٦]

ولم تقع في شريش حوادث تذكر في عهد الدولة الأموية في الاندلس، ولكن يشار هنا إلى أن شريش ظل فيها جماعة من النورمان (المجوس) الذين هاجموا سواحل الأندلس الغربية

---

(١) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٥٠/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠/٢؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٢؛ المقري، نفح الطيب: ٢٣٣/١.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٢٣٧/١، ٢٦٩؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٣٧؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٥؛ مجهول، اخبار مجموعة: ١٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣/٢؛ وانظر أيضاً: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٧٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٩١-٩٢.

(٣) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٥٠.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٢٣٧/١؛ وانظر أيضاً: مؤنس، فجر الاندلس: ١٣٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٢١.

(٥) انظر: عنان، دول الطوائف: ١٥٣؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٢٥؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: مؤنس، فجر الاندلس: ٣٨٣ وما بعدها؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٤.

(٦) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٢/٤.

والجنوبية في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م)، فبعد طردهم منها سنة ٢٢٩هـ/٨٤٤م، ظلت منهم جماعة وأسلمت، واحترفت تربية المواشي وصناعة الجبن، وربما عاش بعضهم في شريش، وأكسبوها الشهرة في صناعة المجبنات، كما ذكر المقري[١].

ولما وقعت الفتنة البربرية في الاندلس، في أواخر عهد الدولة الأموية ثار في شريش خرزون بن عبدون من زناتة، وذلك سنة ٤٠٢هـ/١٠١١م[٢]. وحكمها حتى توفي في سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م[٣] . وقد استولى على شريش في أثناء ذلك يحيى بن علي بن حمود (المعتلي با لله)، إذ زحف عليها سنة ٤١٤هـ/١٠٥٣م، وأخرج منها عمه ا لقاسم بن حمود، ونقله إلى السجن في مالقة[٤].

وخلف خرزون في حكم شريش وما جاورها من مدن وحصون مثل آركش وقلشانة ابن عبدون الذي "تقبض عليه ابن عباد" وهاداه هو وغيره من زعماء البربر الثائرين على حدود مملكته إشبيلية، "ثم استدعاهم لوليمة، وغدر بهم في حمام استعمله لهم... وأطبقه عليهم فهلكوا"[٥]. وكان ذلك في سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م[٦]. وتولى أمر شريش بعد عبدون أخوه محمد بن خرزون، وتلقب بالقائم، إلا أن المعتضد بن عباد ما لبث أن تقابل معه في معركة، وقتله، واستولى على شريش سنة ٤٦١هـ/١٠٦٨م في السنة نفسها التي توفي فيها[٧].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١٨٤/١؛ وانظر: العذري، نصوص عن الاندلس: ٩٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٧/٢؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٢٨-٢٣٣.

(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٢/٤.

(٣) عنان، دول الطوائف: ١٥٣.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٤٤/٣؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٩٦/٤ وما بعدها؛ والعذري، نصوص عن الاندلس: ١٠٦-١٠٧.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٩٦/٤ وما بعدها، و ٧١/٧-٧٢.

(٦) عنان، دول الطوائف: ١٥٣.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٧٢/٣-٢٧٣؛ عنان، دول الطوائف: ١٥٣-١٥٤؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٨٩-٤٩٠؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٦٩.

وهكذا أصبحت شريش تابعة لمملكة إشبيلية التي حكمها بعد المعتضد ابـن عبـاد ابنـه المعتمد (٤٦١-٤٨٤هـ/١٠٦٨-١٠٩١م) الذي استولى المرابطون على إشبيلية منه، وتم لهم ذلك سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[١].

وتعرضت شريش في عهد المرابطين لغزوة قام بهـا ألفونسـو السـابع (السليطيين) ملـك قشتالة، إذ سار إلى شريش سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م ودخلها، وقتل مـن كـان بهـا، واستباحها "ولم يلقه أحد من المسلمين، وصدر إلى بلاده"[٢]. وقـد حـاول السامرائي التوفيـق بـين هـذه الرواية والروايات الاسبانية حول هذه الغزوة، فذكر أنها وقعت عـام ٥٢٧-٥٢٨هـ/١١٣٣م، حيث وصل جيش النصارى إلى أحواز إشبيلية، وهو يحرق المزارع والقرى المهجورة. ثم سـار إلى مدينة شريش، فخربها وهدمها[٣].

وفي أواخر عهـد المرابطـين ثـار في شـريش أبـو الغمـر بـن السـائب بـن عـزون، وخلـع طاعتهم، وأنشأ فيها حكومة مستقلة[٤]. وفي عام ٥٤١هـ/١١٤٦م عبر ابن عزون إلى المغـرب، وقدم الطاعة لأمير الموحدين عبد المؤمن بن علي. ولما دخل الموحدون الاندلس دخلت شريش تحت لوائهم، فسمى الموحدون أهلها: السابقين الأولين[٥].

وحفظ الموحدون لأهالي شريش هـذه المبـادرة، وكـان أمراؤهـم "إذا قـدم عليهـم وفود الأندلس كان أول من ينادى منهم أهـل شـريش"، فكـان يقـال: أيـن السـابقون؟

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/١٢٢-١٢٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٤/٨٨. وانظر: ابـن القطـان، نظـم الجمـان: ٢٠٠ حيث يذكر أن هذه الحادثة وقعت سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م.

(٣) السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٢٢-٢٢٣.

(٤) المرجع نفسه: ٢٧٨.

(٥) الناصري، الاستقصا: ٢/١١٦؛ والسامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٧٨؛ وانظر أيضـاً: أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية: ٧٥-٧٦.

فيدخلون للسلام ، فإذا سلّموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا، فدخل غيرهم حينئذ"[١].

ولما التاث أمر الموحدين في الاندلس ظهرت فيها عدة شخصيات منهم: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الذي تلقب بأمير المسلمين سيف الدولة، والمتوكل على الله. وقد دخلت شريش تحت طاعته[٢]. وأبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الأحمر الذي تلقب بالشيخ، وهو منافس ابن هود وخصمه. وقد تغلب ابن الأحمر على ابن هود في كثير من المواقع، وخضعت له شريش سنة ٦٣٠هـ/١١٣٢م[٣]. وفي عهده استولى النصارى بقيادة فرديناند الثالث، ملك قشتالة وليون، على شريش بعد استيلائه على إشبيلية سنة ٦٤٦هـ/١٤٤٨م[٤]. غير أن ابن الأحمر استغاث ببني مرين فأغاثوه، واستطاع قائدهم عامر بن إدريس أن ينتزع شريش من أيدي النصارى سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م[٥]. وفي أواخر سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م تنازل ابن الأحمر عن شريش للملك قشتالة الفونسو العاشر[٦]. ولم تُجد المحاولات التالية التي بذلها بنو مرين في استعادة المدينة[٧].

---

(١) الناصري، الاستقصا: ٢/١١٦-١١٧؛ وانظر أيضاً: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ١٥٨ الحاشية ١.

(٢) ابن سعيد، المغرب: ٢/١٠٨-١٠٩، ٢٥١-٢٥٢؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١/١٤١-١٤٢؛ المقري، نفح الطيب: ١/٤٤٦-٤٤٧.

(٣) المقري، نفح الطيب: ١/٤٤٧؛ وانظر أيضاً: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٧/٢٥١؛ وانظر أيضاً: عنان، نهاية الاندلس: ٣٢.

(٤) عنان، نهاية الاندلس: ٣٨.

(٥) المرجع نفسه: ٤٠.

(٦) المرجع نفسه: ٤١.

(٧) انظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٧/٢٥٣-٢٥٤، ٢٧٤-٢٧٦؛ الناصري، الاستقصا: ٣/٤٢، ٤٦، ٥٩-٦١.

للاستزادة عن شريش انظر:

1- Esteve Guerrero, Manual, Jerez de La Frontera, Guia Oficial de arte (Jerez de La Frontera, 1933).

شُقْر Sugour :

مدينة على جزيرة في مصب وادي شقر[1]، ضبط ياقوت اسمها بفتح أوله وسكون ثانيه[2]، وضبطته مصادر أخرى بضم الشين[3]. وتقع الجزيرة بين شاطبة وبلنسية[4]، وهي قريبة من شاطبة، وتبعد عن بلنسية ثمانية عشر ميلاً[5]. أما نهر أو وادي شقر الذي تقع المدينة عند مصبه فينبع من منطقة جبلية في شمال شرق مدينة قونكة ويصب في البحر المتوسط جنوب بلنسية. وهذه الجزيرة هي اليوم عبارة عن مدينة عامرة من أعمال بلنسية[6].

أفاضت المصادر في وصف جماليات شقر، فذكر ابن سعيد أنها "عروس الأندلس، المقلّدة من نهرها بسلك، المتلفعة من جنانها بسندس، روضٌ بسّام، ونهر كالحسام، وبُلبل وحَمام، ومنظر يحثُّ على حسو المُدام"[7].

وقال الحميري: "وهي حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار... وبها جامع ومساجد وفنادق وأسواق، وقد أحاط بها الوادي، والمدخل إليها في الشتاء على المراكب، وفي الصيف على مخاضة"[8]. ووصفها ياقوت بأنها أنزه بلاد الله وأكثرها روضة وشجراً وماءً[9]. وذكر الزهري أن أبدع ما صُنع في شقر قنطرة عظيمة على ثلاثة أقواس من العاديات الحسنة الصنعة، ووصف أهلها بأنهم أهل رقة ورفاهية[10]. وأورد المقري أن جزيرة شقر: صحيحة

---

(1) المقري، نفح الطيب: ١/١٦٦.

(2) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٥٢؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٦٦.

(3) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١٠٢؛ ابن سعيد، المغرب: ٢/٣٦٣.

(4) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ١٣٤.

(5) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١٠٢.

(6) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١٠٨-١٠٩.

(7) ابن سعيد، المغرب: ٢/٣٦٣.

(8) الحميري، الروض المعطار: ٣٤٩؛ وصفة جزيرة الأندلس: ١٠٢.

(9) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٥٤.

(10) الزهري، الجعرافية: ١٠٢.

الهواء، قليلة الأدواء، خَضِلة العشب والأزاهر، قد أحاط بها نهرها كما تحيط بالمعاصم الأساور، والأيك قد نشرت ذوائبها على صفيحة، والروض قد عطر جوانبه بريحه[1].

ووصف العذري جزيرة شقر بأن الوادي قد أحاط بها من جميع جهاتها، ولم يبق لها إلا موضع لطيف يدخل منه إلى هذه الجزيرة قد صُنع فيه حفير، وعليها مما يلي ذلك الموضع سور وباب يصعد إليه من درج[2].

ووصف الشعراء جزيرة شقر فأبدعوا، ومن ذلك قول أبي إسحاق بن خفاجة:

سَقْيا لها من بطاح أنس	ودوح حسن بها مطلّ
فما ترى غير وجه نهرٍ	أطلّ فيه عِذارُ ظــــلّ[3]

ويذكر أن جزيرة شقر كانت محل طمع المنتزين في عهد الأمويين في الأندلس، وكان مخالفاً لطاعتهم فيها بنو ابن أبي الجوشن، وقد تمكن الخليفة عبد الرحمن الناصر من قطع دابرهم، ففي سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م وجه إليها قواته، فقضت على المخالفين، حيث يذكر ابن حيان في أخبار تلك السنة أن مدينة الجزيرة المنسوبة إلى شقر من كورة بلنسية افتتحت فيها "واستنزل منها بنو ابن أبي جوشن المنتزون فيها،... فأوثقوا في الحديد... وجيء بهم إلى باب السدّة بقرطبة، وكان عددهم ثلاثة وستين رجلاً، أمر الناصر لدين الله بتمييزهم من بين جماعة من استنزل معهم، وتعجيل ضرب رقابهم يوم دخولهم، لعظم أجرامهم، فأنزلوا إلى المرج بشط النهر بين يدي القصر، مثوى الجارمين، فضُربت رقابهم أجمعين"[4]. وكان قائد القوات التي استنزلتهم وأحضرتهم إلى قرطبة: أحمد بن إسحاق القرشي[5].

(١) المقري، نفح الطيب: ٤/٥٤.
(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٩.
(٣) ابن سعيد، المغرب: ٢/٣٦٣.
(٤) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٣٨.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٩٧؛ ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٣٨.

سقطت جزيرة شقر في يدي ملك أراغون خايمي الأول سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م[١]، وظل فيها بعد سقوطها عدد كبير من المسلمين إلى أن تمّ تهجيرهم منها سنة ١٠١٨هـ/١٦٠٩م[٢].

والجدير بالذكر أن جزيرة شقر أنجبت كثيراً من الأفذاذ من قضاة وأدباء وشعراء، فمن قضاتها أبو يوسف يعقوب بن طلحة الذي كان شاعراً أيضاً[٣]. ومنها: الكاتب أبو المطرّف أحمد بن عميرة الذي يصفه المقري بأنه "قدوة البلغاء، وعمدة العلماء، وصدر الجلّة الفضلاء"[٤]. والكاتب أبو جعفر أحمد بن طلحة، وهو من بيت مشهور بجزيرة شقر، كتب عن ولاة الموحدين، ثم استكتبه المتوكل بن هود عندما تغلب على الأندلس[٥]. والأديب المعروف أبو اسحاق ابراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة "الناظم المطبوع، الذي شهد بتقديمه الجميع، المتصرّف بين أشتات البديع"[٦]. ومنها أيضاً: الشاعر محمد بن إدريس المعروف بابن مرج الكحل[٧].

وقد تشوّق ابن خفاجة إلى جزيرة شقر، وندب ماضي زمانه فيها قائلاً[٨]:

بين شقر وملتقى نهريهـــا حيث ألقت بنا الأماني عصاها
وتغنّى المُهاّء في شاطئيهـــا يستخفّ النهى فحلت حباهـا
عيشة أقبلت شهيٌ جناهـا وارف ظلها لذيـذ كراهــا
ثم ولّت كأنها لم تكد تلـبث إلا عشية أو ضحاهــا

(١) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٧٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١٠٩.
(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١٠٩ الهامش.
(٣) ابن سعيد، المغرب: ٢/٣٦٦.
(٤) المقري، نفح الطيب: ١/٣١٣ وما بعدها؛ ابن سعيد، المغرب: ٢/٣٦٣.
(٥) ابن سعيد، المغرب: ٢/٣٦٤.
(٦) المصدر نفسه: ٢/٣٦٧.
(٧) ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا: ١/٢٣٤ والهامش.
(٨) الحميري، الروض المعطار: ٣٤٩-٣٥٠.

ورثى أبو المطرف ابن عميرة جزيرة شقر مصوراً فراقها واجتياح النصارى لها[1]:

كفى حزنا نأيٌ عن الأهل بعدما ... نأينا عن الأوطان فهي بلاقعُ
وكيف بشقرٍ أو بزرقة مائه ... وفيه لشقر أو لزرق* شوارعُ

(١) الحميري، الروض المعطار: ٣٥٠.
* يعني شقر الوجوه زرق العيون كناية عن نصارى إسبانيا.

شُقُنْدَة Secunda:

قرية، ضبط ابن الشباط اسمها بضم الشين المعجمة، وضم القاف، وسكون النون، وبالدال المهملة[(١)]. وضبطه الحميري وابن سعيد وابن عذاري بفتح الشين[(٢)]. وتقع شقندة على الضفة اليسرى لنهر الوادي الكبير (Guadalquivir) مقابل قصر قرطبة[(٣)]، أي بالربض الجنوبي للمدينة[(٤)].

كانت شقندة مدينة عامرة مسوّرة، "ثم خربت وصارت قرية"[(٥)]. ولما توسعت قرطبة بعد الفتح الاسلامي احتوت شقندة، فأصبحت حياً من أحيائها هو الحي الجنوبي للمدينة[(٦)]. وقد ضم هذا الحي في العهد الاسلامي ثمانية عشر مسجداً، مما يدل على توسعه[(٧)]. وعُرف بربض شقندة[(٨)].

وقعت في شقندة ـ كقرية من قرى قرطبة[(٩)] ـ أحداث كثيرة منذ بدايات الفتح الاسلامي، وبعده، فعلى أثر دخول طارق بن زياد الاندلس في رجب ٩٢هـ/٧١١م[(١٠)]،

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: النص التاني/قطعة في وصف الاندلس وصقلية من كتاب صلة السمط وسمة المرط لابن الشباط: ١٧٤.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٤؛ ابن سعيد، المغرب: ٢١٨/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠/٢.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٤؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٣، ج١.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٣، ج١.

(٥) ابن سعيد، المغرب: ٢١٨/١؛ المقري، نفح الطيب: ٤٦٦/١.

(٦) المقري، نفح الطيب: ٤٦٦/١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٣، ج١.

(٧) المقري، نفح الطيب: ٥٤٠/١.

(٨) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ١٣٩.

(٩) ابن خلدون، تاريخ: ١٥٣/٤؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٠؛ وانظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٨٥.

(١٠) مجهول، أخبار مجموعة: ٦-٧؛ المقري، نفح الطيب: ٢٥٤/١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٤٦-٤٧؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٦/٢.

وفتحه جبل طارق والجزيرة الخضراء هُرع إليه لذريق ملك القوط في مائة ألف مقاتل[1]، واستعداداً للمعركة الفاصلة نزل قرطبة قادماً من الشمال، وكتب إلى قادة النصارى يحرضهم على قتال المسلمين، "ويحضهم على أن يكونوا على عدوهم يداً واحدة، فلم يجدوا بداً، وحشدوا، وقدموا عليه بقرطبة، فنزلوا أكناف قرية شقندة بعدوة نهرها قبالة القصر"[2]. وبعد خروج لذريق من قرطبة انضموا إليه، والتقى الطرفان: المسلمون والنصارى في معركة وادي لكّه في رمضان سنة ٩٢هـ/تموز ٧١١م، فانتصر المسلمون، وكان انتصارهم في هذه المعركة المنطلق الحقيقي لفتح الاندلس[3].

نهض طارق بن زياد بعد انتصاره في معركة وادي لكه إلى إستجة وفتحها، ومنها فرّق جيوشه لفتح الاندلس، ومنها جيش بقيادة مغيث الرومي، مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان، وجهه لفتح قرطبة، وكانت شقندة مكمن هذا الجيش استعداداً للفتح[4]، فقد كانت بجانبها أكمة أرز متشابكة يسهل الاختباء للترصد ورسم الخطط الحربية، وخاصة أن جيش مغيث كان نحو سبعمائة مقاتل فقط[5]، ولا يعرف حجم الخطر الذي سيواجهه. ووجوده في هذا المكان الذي يبعد عن قرطبة نحو ثلاثة أميال[6] يتيح له أخذ أهبته بعيداً عن العيون.

أرسل مغيث الرومي من مكمنه في غيضة الأرز الشامخة قرب شقندة من يأتيه بخبر قرطبة، فجاؤوه براعٍ أخبره أن أهل المدينة هجروها باستثناء "أميرها في أربعمائة فارس من حماتهم مع ضعفاء أهلها"[7]. وبعد أن استكمل مغيث المعلومات

---

(١) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٤٧؛ وانظر: ابن خلدون، تاريخ: ١٥٠/٤، ويذكر أن جيش لذريق كان أربعين ألفاً.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٢٥٦/١-٢٥٧؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨/٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٤٧-٤٨؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٨-٩؛ المقري، نفح الطيب: ٢٥٨/١-٢٥٩.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة: ١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠؛ المقري، نفح الطيب: ٢٦١/١.

(٥) المقري، نفح الطيب: ٢٦١/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٩/٢.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠/٢.

(٧) المقري، نفح الطيب: ٢٦١/١؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠/٢.

الاستخبارية اللازمة عن المدينة، هاجمها، وفتحها، بعد حصار دام نحو ثلاثة أشهر[(١)].

وشهدت شقندة إحدى أخطر معارك الحرب الأهلية في الاندلس، وكانت بين القيسية واليمنية سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م[(٢)]. وترجع أسباب هذه المعركة زمنياً إلى سنة ١٢٥هـ/٧٤٢م، ففي تلك السنة ولّى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك على إفريقية حنظلة بن صفوان الكلبي، وأمره أن يولي على الاندلس ابن عمه أبا الخطار حسام بن ضرار الكلبي، وكان أبو الخطار شديد التعصب لليمنيين[(٣)].

وكان سبب تولية أبي الخطار ما بلغ الخليفة من أن اليمنية أصابهم ضنك شديد في عهد والي الاندلس عبد الملك بن قطن الفهري، إذ نكل القيسيون بهم[(٤)].

دخل أبو الخطار الاندلس في رجب ١٢٥هـ/أيار ٧٤٣م وفي رفقته ثلاثون رجلاً[(٥)]، وكانت الحرب الأهلية في تلك الأثناء مستعرة بين الشاميين الذين قدموا مع بلج بن بشر القشيري، وبين البلديين الذين استقروا في الاندلس قبل ذلك. وكان ثوابه بن سلامة العاملي قد ولي الاندلس في شوال من سنة ١٢٤هـ/٧٤١م بقرار من الشاميين في الاندلس[(٦)]، وحارب البلديين من عرب وبربر في منطقة ماردة، وقتل منهم خلقاً كثيراً، وسبى نحو عشرة آلاف جلبهم إلى قرطبة، وراح يبيعهم بأبخس الأثمان نكاية بهم، وإذلالاً لهم حتى أنه عرض بيع

(١) المقري، نفح الطيب: ١/٢٦١-٢٦٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٠؛ مجهول، أخبار مجموعة: ١٠-١٢.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٣٧.
(٣) المقري، نفح الطيب: ٣/٢٤؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، طبعة مجريط: ١٨-١٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٣٣.
(٤) انظر التفاصيل: المقري، نفح الطيب: ٣/٢٠ وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٠-٣٢.
(٥) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس، ط. مجريط: ١٩.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٣٢.

أحد زعمائهم بكلب[١]. وبيّت قتل الأسرى، وكانوا نحو ألف رجل[٢]. "وأصبح الناس منتظرين لقتل الأسرى، فإذا بهم قد طلع عليهم لواء فيه موكب، فنظروا فإذا أبو الخطار قد أقبل والياً على الاندلس"[٣].

أمر أبو الخطار الكلبي بإطلاق السبي والأسرى، ووزع الجند على كور الأندلس، وقضى على الفتنة. ولكن تعصبه لليمنية أثار القيسيين، فاجتمعوا على حربه، وهزموا قواته في معركة على وادي لكه، وأسروه، وحملوه إلى قرطبة وذلك في رجب سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م[٤].

تولى ثوابة العاملي إمارة الاندلس بعد أسر أبي الخطار، وكان ذلك بدعم الصميل بن حاتم زعيم القيسية وتشجيعه، ولما ولي "قام بأمره كله الصميل"[٥]. غير أن ولاية ثوابه لم تطل فقد توفي في سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م[٦].

ثارت ـ بعد وفاة ثوابة العاملي ـ خلافات شديدة على ولاية الاندلس، ثم اجتمع الرأي على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري "باشارة الصميل من أجل أنه قرشي رضي به الحيّان، فرفعوا الحرب، ومالوا إلى الطاعة"[٧] وذلك في ربيع الثاني سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م[٨].

واستغل بعض اليمنيين من قضاعة انشغال الأطراف المتصارعة على الولاية، وهاجموا السجن حيث يرسف أبو الخطار في قيوده، وأطلقوا سراحه[٩]. وكان يوسف الفهري قد بدأ

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة: ٤٥؛ المقري، نفح الطيب: ٣/٢٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٣٢ـ٣٣.
(٢) المقري، نفح الطيب: ٣/٢٢.
(٣) المصدر نفسه: ٣/٢٢.
(٤) المقري، نفح الطيب: ٣/٢٤؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٣٤.
(٥) المقري، نفح الطيب: ٣/٢٤ـ٢٥.
(٦) مجهول، أخبار مجموعة: ٥٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٣٥؛ المقري، نفح الطيب: ٣/٢٥.
(٧) المقري، نفح الطيب: ٣/٢٥؛ وانظر: أخبار مجموعة: ٥٧ـ٥٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٥ـ٣٦.
(٨) المقري، نفح الطيب: ٣/٢٥.
(٩) مجهول، أخبار مجموعة: ٥٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٣٥.

عهده بعزل يحيى بن حريث عن كورة رية، وهو من اليمنية، فغضب غضباً شديداً، واتفق مع أبي الخطار على الثورة، "فأصفقت يمن الأندلس وحميرها وكندتها على تقديمه (تقديم حُريث) والطوع له، وانحازت مضر وربيعة إلى يوسف بقرطبة حضرة الملك. وأقبلا حتى نزلا شقندة"[1].

دارت بين اليمنية بزعامة أبي الخطار وحريث، والقيسية بقيادة يوسف الفهري والصميل بن حاتم معركة طاحنة، كان ميدانها شقندة. وقد شبه صاحب أخبار مجموعة هذه المعركة بصفين[2]، ووصفها المقري بأنها "لم يك بالمشرق ولا بالمغرب حرب أصدق منها جلاداً، ولا أصبر رجالاً"[3]. وقال ابن عذاري: "لم يعهد حرب مثلها في المسلمين، بعد حرب الجمل وصفين"[4]. فقد تضارب المتحاربون بالسيوف والرماح حتى تكسرت، ثم تجاذبوا بالشعور، وتلاطموا بالأيدي، وتحاثوا بالتراب، ثم استقدم يوسف والصميل الجزارين وَالرعاع من قرطبة، فأقبل نحو أربعمائة منهم بالسكاكين والعصي. وانتهت المعركة، بل الملحمة بغلبة اليمنيين، وقتل وأسر كثيرين منهم، وكان أبو الخطار وابن حريث من بين الأسرى[5]، وقد قتلهما يوسف، وقتل الأسرى أيضاً وذلك سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م[6].

انتهت وقعة شقندة "قاطعة الأرحام"[7]، ووليّ يوسف الفهري، "وعاد الصميل بن حاتم قائده الأعلى، وقدحه المعلّى"[8] وظلا كذلك حتى سنة ١٣٨هـ/٧٥٥م حيث تغلب عليهما عبد الرحمن الداخل، ودانت له الاندلس[9]. وبعد وفاته سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م خلفه

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٦/٣؛ وانظر: مجهول، أخبار مجموعة: ٥٨.
(٢) مجهول، أخبار مجموعة: ٥٩.
(٣) المقري، نفح الطيب: ٢٥/٣.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٦/٣.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٦/٣؛ مجهول، أخبار مجموعة: ٥٩-٦١؛ المقري، نفح الطيب: ٢٥/٣-٢٦.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٦/٢-٣٧.
(٧) مجهول، أخبار مجموعة: ٦١.
(٨) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٧/٢.
(٩) انظر التفاصيل: ابن عذاري، البيان المغرب: ٤٠/٢ وما بعدها؛ المقري، نفح الطيب: ٣٢/٣ وما بعدها؛ ابن خلدون، تاريخ: ١٥٤/٤.

أميراً على الاندلس ابنه هشام الأول (المرتضي) (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م)، وكان ينافسه أخوه سليمان. وقد خرج هشام سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م إلى طليطلة حيث كان أخوه لإخضاعه. ولكن سليمان عندما علم بقدومه توجه على رأس مؤيديه إلى قرطبة مستخفياً، ونزل بشقندة، فخرج إليه أهل قرطبة، كما أخبروا أميرهم هشاماً خبره، فأرسل قوة بقيادة ابنه عبد الملك ولى سليمان هارباً عندما اقتربت منه[١].

وشهد ربض شقندة في سنة ٢٠٢هـ/٨١٨م وقعة مشابهة لوقعة شقندة بين القيسية واليمنية من حيث خطورتها ونتائجها، وذلك في عهد الأمير الأموي الحكم بن هشام (الربضي) (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م). وقد فصّلنا القول فيها في مادة (الربض) من هذه الموسوعة[٢].

وتعرضت شقندة في عهد الأمير الأموي عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م لغزوات الثائر على بني أمية عمر بن حفصون، فقد كان يهاجم شقندة، ويروع أهلها بين حين وآخر. فعمل الأمير عبد الله على أخذه بالحيلة، إذ أمر بإخراج السرادق الأميرية "إلى فحص الربض بشقندة. فلما اشتدت أطنابه، ومُدت حبائله وأسبابه"[٣] أرسل ابن حفصون قوة من فرسانه للاستيلاء عليه. وكان الأمير عبد الله قد أعد له الكمائن. ولما اقتربت قوات ابن حفصون خرجت إليه الكمائن "وطردتهم طرداً من هنالك، ووصلت إلى ابن حفصون فدفعته عن الجهة، ومنعته من تلك الوجهة"[٤]. وفي أعقاب ذلك جهز الأمير عبد الله جيشاً من أربعة عشر ألف مقاتل، وطارد ابن حفصون، وألحق به هزيمة شديدة[٥].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٦٢/٢.

(٢) انظر: (الربض) من هذه الموسوعة؛ وانظر أيضاً: ابن سعيد، المغرب: ٤٢/١-٤٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٧٥/٢-٧٧؛ عنان، تراجم اسلامية شرقية وأندلسية: ١٥٩؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٢٢-٢٢٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٢/٢.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٢/٢.

(٥) المصدر نفسه: ١٣٢/٢.

وكان بشقندة في أثناء الفتنة البربرية في الاندلس: سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر، الذي سماه أهل قرطبة إمام البربر، فقد التفوا حوله، وبايعوه بالخلافة في شوال ٣٩٩هـ/١٠٠٨م في الوقت الذي كان الخليفة بقرطبة هو المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر. وكان المهدي قد شجع العامة بقرطبة على قتل البربر، فقامت مذبحة عظيمة ذهب ضحيتها عشرات الآلاف منهم[١]. وقد تعاهد البربر مع المستعين (سليمان بن الحكم) على أن يدخلوه إلى قرطبة. ولتحقيق ذلك تحالفوا مع النصارى بقيادة سانشو بن غرْسيه Sancho Garcés، فأمدهم بقوات كبيرة هاجمت قرطبة وقتلت من أهلها عشرات الآلاف[٢].

وارتبط تاريخ شقندة كربض من أرباض قرطبة بتاريخ هذه المدينة. وقد تناولتها هذه الموسوعة في حديث مفصل[٣].

(١) ابن عذاري، المصدر نفسه: ٨٣/٣؛ وانظر أيضاً: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٣٤٩.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٣/٣ وما بعدها؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ٣٤٩-٣٥١.
(٣) انظر مادة (قرطبة Cordoba) في هذه الموسوعة.

شقوبية Segovia:

مدينة من مدن الجزء الرابع من الأندلس[1]، هي عبارة عن مجموعة من القرى المتجاورة المتقاربة المتلاصقة المتداخلة العمارات، كانت مكتظة بالسكان[2]. يصف الحميري أهلها بأنهم أنجاد أجلاد، ويذكر أن شقوبية تبعد عن طليطلة مائة ميل[3].

يشير المقري إلى أن الجلالقة تمكنوا من احتلال شقوبية ومدناً أخرى عندما شُغل المسلمون في الأندلس بعبد الرحمن الداخل وتمهيد أمره، وظلت في يد الجلالقة إلى أن افتتحها مرة ثانية المنصور محمد بن أبي عامر، ثم احتلها النصارى فيما بعد[4].

والجدير بالذكر أن أهل شقوبية النصارى وقفوا إلى جانب ملك أراغون ألفونسو المحارب في الحرب الأهلية التي دارت بينه وبين الملكة أوراكا ملكة قشتالة وليون، وذلك سنة ٥٠٧هـ/١١١٤م[5].

وينسب إلى شقوبية عيسى بن جابر فقيه مسجدها، وهو صاحب الكتاب الشقوبي (El Alquiteb Segoviano) الذي وجد بالنثيا أجزاء منه بعد أن أحرق الإسبان كتب الموريسكيين[6].

---

(١) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٢.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٣٥٠؛ وصفة جزيرة الأندلس: ١٠٤.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ٣٥٠؛ وصفة جزيرة الأندلس: ١٠٤.

(٤) المقري، نفح الطيب: ١/٣٣٠.

(٥) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ١٢٢ والهامش.

(٦) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي: ٥٠٨.





شَقَبان: Šaqbän

قرية تقع إلى الشرق من لشبونة، وهي من قراها[1]. ينسب إليها طيطل بن إسماعيل الشقباني الشاعر، ومن شعره في الزهد قوله[2]:

يا غافلاً شأنه الرقـــادُ كأنما غرَّكَ المــــرادُ

الموتُ يرعاك كل حيـــنٍ فكيف لم يجْفُكَ المهادُ

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٥٤.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٣٥٤.

شُقُورَة Segura:

مدينة، يلفظ اسمها بفتح أوله، وبعد الواو الساكنة راء[١]. ويلفظ أيضاً بضم الشين المعجمة، وضم القاف[٢]. وضبطها ابن صاحب الصلاة بتشديد القاف: شقّورة[٣]، وهو خطأ.

وشقورة التي وصفها الإدريسي بأنها حصن كالمدينة[٤] تعد من أعمال جيان[٥]، وتقع إلى الشمال من مدينة مُرسية[٦]، والشمال الشرقي من مدينة أبّدة[٧] على رأس جبل يسمى جبل شقورة[٨]. وهو جبل وصفه بعضهم بقوله[٩]:

عالٍ كأنّ الجنَّ إذ مردت ... جعلته مرقاةً إلى السُّحُبِ

وتغطي هذه الجبل الغابات والمراعي والورود الذكية الرائحة، وفيه "شجر الطخش الذي يتخذ منه القسي"[١٠]. فهو كثير الخصب والماشية والأشجار والثمار[١١]، ويعتبر أيضاً كثير العمارة، ففيه "من القرى والمعاقل والحصون المانعة ثلاثمائة قرية، وثلاث وثلاثون حصناً"[١٢]. وتقع مدينة شقورة في رأس هذا الجبل[١٣]، ولذلك تعتبر من أمنع مدن

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٥٥/٣؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ٢٩٤/١.
(٢) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٧٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٨٨/٢.
(٣) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٢٠٤.
(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٠/٥.
(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٥؛ المقري، نفح الطيب: ٤٨٠/١، ج١؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ١٧٣/١، ج٣.
(٦) ياقوت، معجم البلدان: ٣٥٥/٣.
(٧) ابن الخطيب، الإحاطة: ١٧٣/١، ج١.
(٨) الزهري، الجعرافية: ٩٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٠/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٥.
(٩) ابن سعيد، المغرب: ٦٥/٢، وهو من شعر الوزير ابن عمّار.
(١٠) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٥؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٢، ج١.
(١١) الزهري، الجعرافية: ٩٨.
(١٢) الزهري، الجعرافية: ٩٨.
(١٣) المصدر نفسه: ٩٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦٠/٥.

الأندلس، ومعقلاً من معاقلها[1] "يتعب البصر في استقصاء سمكها، ويرتد حسيراً عن آفاق ملكها"[2].

ذكر الإدريسي أن نهر قرطبة، أو نهر الوادي الكبير، وكذلك نهر الأبيض يخرجان من أسفل جبل شقورة[3]. وأما المقري فيجعلهما نهراً واحداً يمر نصفه إلى مُرسية مشرقاً والنصف إلى قرطبة وإشبيلية مغرباً[4]. ونهر الأبيض هو نهر شقورة الذي ينبع من منحدرات وسفوح جبل شقورة، ويروي مدينتي مُرسية وأوريوله في شرقي الأندلس، ويصب في البحر المتوسط[5]. وقبل وصوله إلى مرسية يمر بموضع يكثر فيه الكبريت الأحمر الذي لا يوجد في غير هذا المكان "ومنه يجلب إلى أقطار الأرض كلها إلى العراق وإلى اليمن وإلى الشام"[6].

فتح شقورة ـ باعتبارها إحدى مدن كورة جيان ـ طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١١م، فبعد انتصاره على القوط في معركة وادي لكه سار على رأس جيشه إلى تلك الكورة فافتتحها[7]. وسكنها بعد الفتح جند قنسرين، حيث أنزلهم فيها والي الاندلس أبو الخطار حسام ابن ضرار الكلبي (١٢٥ـ١٢٨هـ/٧٤٣ـ٧٤٦م)[8]، وكان أكثر سكان شقورة نفسها ممن ينتسبون إلى غافق بن عك بن عدنان[9].

---

(١) الزهري، المصدر نفسه: ٩٨؛ ابن سعيد، المغرب: ٦٥/٢.
(٢) ابن سعيد، المغرب: ٦٥/٢.
(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٦١/٥.
(٤) المقري، نفح الطيب: ٤٨٠/١.
(٥) الزهري، الجعرافية: ٩٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٢، ج١.
(٦) الزهري، الجعرافية: ٩٩.
(٧) ابن الخطيب، الإحاطة: ١٠١/١؛ واللمحة البدرية: ٢٥؛ المقري، نفح الطيب: ٢٦١/١.
(٨) المقري، نفح الطيب: ٢٣٧/١؛ ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس: ٤٥؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٦. وذكر ابن الخطيب في الإحاطة: ج١، ص ١٠٣ أن الذين سكنوا كورة جيان هم جند الأردن.
(٩) المقري، نفح الطيب: ٢٩٤/١؛ وانظر أيضاً: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٢١ـ١٢٢.

أصبحت شقورة في عهد ملوك الطوائف إحدى مدن مملكة إشبيلية التي أسسها بنو عباد[1]، وقد استولى عليها المرابطون سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م، ذلك أن الأمير المرابطي يوسف ابن تاشفين (٤٦٣-٥٠٠هـ/١٠٧٠-١١٠٦م) ولى على الأندلس سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م قائده سير ابن أبي بكر[2]، وفوض إليه جميع أمورها، فراسل سير المعتمد بن عباد، وطلب إليه الدخول في طاعة ابن تاشفين، ويسلم إليه مملكته، فتلكأ ابن عباد، وعندئذ وجه إلى إشبيلية جيشاً بقيادة محمد بن عائشة، فاستولى على شقورة في صفر من سنة ٤٨٤هـ/١٠٩١م[3].

وعندما ضعف المرابطون في الاندلس استولى على شقورة: ابراهيم بن أحمد بن همشك، واتخذها قاعدة له[4]، "فغلظ أمره، وساوى محمد بن مردنيش، وداخله حتى عقد معه صهراً على ابنته، فاتصلت به الرياسة والإمارة، وكان سيفاً لصهره سلطاناً على من عصاه"[5]. ولكن الرجلين ما لبثا أن اختلفا، ونشأت بينهما الشحناء والعداوة والبغضاء[6]، ولجأ ابن همشك إلى الموحدين يستغيثهم "ويستنصر بهم عليه، ويستصرخهم إلى غزوه"[7]. وقد أغاثه الموحدون، ودخلوا الاندلس سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م، وأصبحت شقورة منذ دخولهم إحدى المدن التي تدين بطاعتهم[8].

وعندما انهارت دولة الموحدين آلت شقورة إلى بني الأحمر الذين أسسوا دولتهم في غرناطة والمناطق الجنوبية الشرقية من الاندلس. ومع أن المصادر لم تشر صراحة إلى تاريخ

---

(١) عنان، دول الطوائف: ٦٤.
(٢) الناصري، الاستقصا: ٥٢/٢-٥٣.
(٣) المصدر نفسه: ٥٣/٢-٥٤؛ عنان، دول الطوائف: ٢٧٩، ٣٥٤.
(٤) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ق٢٦٣/٢؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٢، ج١.
(٥) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ق٢٦٣/٢.
(٦) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٣٠٢-٣٠٣.
(٧) المصدر نفسه: ٣٠٨.
(٨) انظر التفاصيل: المصدر نفسه: ٣١٣ وما بعدها.

سقوط مدينة شقورة إلا أن المرجح أن مؤسس مملكة بني الأحمر: محمد بن يوسف بـن نصـر تنـازل عنهـا لملـك قشـتالة فرنـاندو الثـالث، بموجـب معـاهدة صلـح عقـدت بينهمـا سـنة ٦٤٣هـ/١٢٤٦م[1].

---

(١) انظر: عنان، نهاية الاندلس: ٣٦.

شِلْب Silves:

مدينة، يلفظ اسمها بكسر أوله وسكون ثانيه، وآخره باء موحدة[(١)]. وكان بعض أُدبائها يفتح الشين[(٢)].

تقع شلب في غربي الاندلس على بعد ثلاثة أميال من المحيط الأطلسي[(٣)]. وبينها وبين قرطبة تسعة أيام أو عشرة وذلك للفارس المجدّ[(٤)]. وهي بقبلي مدينة باجة إلى الغرب من إشبيلية[(٥)]، وتعتبر قاعدة كورة أكشونبة[(٦)]، وهي في البرتغال الحالية، وليس بينها وبين بطليوس سوى ثلاث مراحل[(٧)].

ولشلب مرسىً تصنع فيه السفن، إذ تتوفر جبالها على الأشجار الملائمة لهذه الصناعة[(٨)].

وشلب مبنية في بسيط من الأرض على ضفة نهر آنه، وهي مدينة قديمة، واسعة الشوارع، حسنة البناء، حصينة. وأسواقها وطرقها وشوارعها مفروشة بالرخام[(٩)]. وفيها قصر مشهور يعرف بقصر الشّراجيب[(١٠)]. وهو الذي يقول فيه الشاعر أبو بكر بن عمّار[(١١)]:

---

(١) ياقوت، معجم البلدان، ٣/٣٥٧.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٣٥٧.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٤٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى: ٥/٢١٨؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٥٧؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢/٢٣٨ الحاشية ٢.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى: ٥/٢١٨؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٥٧.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١٠٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى: ٥/٢١٨.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٦؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٥٧.

(٧) المقري، نفح الطيب: ١/١٨٤ الحاشية ٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٢/٤١٨ الحاشية ٤.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٤٣؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢/٢٣٨ الحاشية ٢.

(٩) ابن سعيد، المغرب: ١/٣٨١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٤٣؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٦؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢/٢٣٨ الحاشية ٢.

(١٠) ذكره ابن سعيد بالجيم (الشراجيب): المغرب: ١/٣٨١.

(١١) القلقشندي، صبح الأعشى: ٥/٢١٨؛ ابن سعيد، المغرب: ١/٣٨١.

وسلّم على قصر الشراجيب عن فتى   له أبداً شوق إلى ذلك القصر

ويستقي أهل شلب "من واديها الجاري إليها من جهة جنوبها، وعليه أرحاء البلد"[١]. وهو نهر دراو[٢]. "ولها بسائط فسيحة، وبطائح عريضة؛ ولها جبل عظيم منيف، كثير المسارح والمياه، وأكثر ما ينبت فيه شجر التفاح العجيب، يتضوّع منه روائح العود"[٣]. وفي سهولها جنات وبساتين، وغلاّتها وفيرة[٤].

وسكان شلب عرب من اليمن، وهم فصحاء يقولون الشعر، ويتصفون خاصّتهم وعامتهم بالنبل[٥].

وقد أشار ياقوت إلى فصاحة أهل شلب والملكة الشعرية التي يتميزون بها فذكر أنه سمع من عدد لا يحصى قولهم: "قلّ أن ترى من أهلها من لا يقول شعراً ولا يعاني الأدب، ولو مررت بالفلاّح خلف فدانه وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه، وأي معنى طلبت منه"[٦].

ومن شعراء شلب: محمد بن إبراهيم بن غالب الشّلبي الذي أمر أن يكتب على قبره[٧]:

لئن نفذ القدر السابقُ   بموتي كما حكم الخالقُ

فقل للذي سرَّهُ مصرعي: تأهب فإنك بي لاحقُ

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٦؛ ابن سعيد، المغرب: ٣٨١/١.

(٢) سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢٣٨/٢ الحاشية ٢.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٦.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٤٣/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٦.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٤٣/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٦.

(٦) ياقوت، معجم البلدان: ٣٥٧/٣-٣٥٨.

(٧) المصدر نفسه: ٣٥٨/٣.

ومن شعرائها أبو مروان عبد الملك بن بدران شارح قصيدة ابن عبدون التي مطلعها[(١)]:

الدهر يفجعُ بعد العين بالأثر   فما البكاء على الأشباح والصُّور

ومنهم أبو عمرو بن مالك الذي قال في شلب[(٢)]:

أنا لولا النسيمُ والبرقُ والوُرْقُ   وصوبُ الغمام ما كنتُ أصبو
ذكرتني شِلباً وهيهات منـــي   بعدما استحكم التباعُدُ شلْبُ

لم تذكر المصادر الاسلامية فاتح شلب أو تاريخ فتحها، ولكن المؤكد أنها لم تكن من فتح طارق بن زياد أو موسى بن نصير، إذ لم تكن في الخط الذي سلكه أي من الفاتحين، حسبما ذكرت المصادر.

غير أن هناك روايات كثيرة يمكن باستقرائها الجزم بأن شلب فُتحت على يد عبد نزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٥هـ/٧١٤م في عهد أبيه أو في أوائل ولايته على الاندلس (ذو القعدة ٩٥هـ - رجب ٩٧هـ/٧١٤-٧١٦م)، فقد ذكر ابن القوطية أن عبد العزيز افتتح ما بقي من مدن الأندلس[(٣)]. وذكر صاحب أخبار مجموعة أنه افتتح في ولايته مداين كثيرة[(٤)]، وذكر مثل ذلك المقري[(٥)]. وترجح المراجع أن فاتح غرب الاندلس - حيث تقع شلب — هو عبد العزيز بن موسى[(٦)].

(١) المقري، نفح الطيب: ١/١٨٥.
(٢) المصدر نفسه: ١/١٨٤، وقد ذكر المقري من شعراء شلب أيضاً: أبا محمد عبد الله بن السيد البطليوسي "فإن شلبا بيضته، ومنها حركته ونهضته": نفح الطيب: ١/١٨٥؛ بينما ذكر ابن سعيد من شعرائها: أبو بكر محمد بن وزير، وابنه أبو محمد بن وزير، وأبو الوليد بن أبي حبيب، وغيرهم. انظر: ابن سعيد، المغرب: ١/٣٨٢-٣٨٣.
(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الاندلس: ٣٦.
(٤) مجهول، أخبار مجموعة: ٢٠-٢١.
(٥) المقري، نفح الطيب: ١/٢٨١ ويذكر أن عبد العزيز ولي الاندلس بعد عودة أبيه موسى "فضبط سلطانها، وضم نشرها، وسدّ ثغورها، وافتتح في ولايته مدائن كثيرة مما كان قد بقي على أبيه موسى منها".
(٦) انظر على سبيل المثال: الحجي، التاريخ الاندلسي: ٨٢؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ١٠٩-١١٠.

لم تقع في شلب أحداث مهمة خلال عهد الولاة (٩٥ـ١٣٨هـ/٧١٤ـ٧٥٥م)، وفي عهد الإمارة الأموية في الأندلس تعرضت السواحل الغربية لهجوم المجوس (النورمان) وذلك سنة ٢٢٩هـ/٨٤٤م[١] أثناء إمارة الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط (٢٠٨ـ٢٣٨هـ/٨٢٢ـ٨٥٢م)، غير أن المسلمين ردوهم. وكان من نتائج هذا الهجوم أن أرسل ملك الدنمارك هوريك Horic وفداً يطلب عقد معاهدة سلام مع الأمير الأموي، فوافق، وأرسل إلى ملك الدنمارك مبعوثاً هو الغزال[٢] على رأس وفد أندلسي، وقد انطلق الوفد من مرسى شلب، ومكث في الدنمارك ما يزيد على السنة ثم رجع إلى قرطبة[٣].

وكان لشلب دور في ثورات المولدين في أيام الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن (٢٧٥ـ٣٠٠هـ/٨٨٨ـ٩١٢م)، فقد استوطنها أحدهم، وهو بكر بن يحيى بن بكر وعمرها[٤]. وكان بكر هذا "له ترتيب وأهبة، ورجال شجعان، وعدة موفورة... وكان له عهد مؤكد إلى جميع من في طاعته بإضافة أبناء السبيل، وقراء النزيل، وحفظ المجتازين، فكان السالك بناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه"[٥].

وتعرضت شواطئ الاندلس الغربية لهجوم المجوس (النورمان) مرة أخرى في عهد الخليفة الأموي (٣٥٠ـ٣٦٦هـ/٩٦١ـ٩٧٦م) وذلك سنة ٣٥٥هـ/٩٦٦م[٦]، "فخرج إليهم المسلمون، ودارت بينهم حرب استشهد فيها من المسلمين، وقتل فيها من الكافرين، وخرج

---

(١) العذري، نصوص عن الأندلس: ٩٨ وما بعدها؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٧/٢ وما بعدها.

(٢) الغزال: هو يحيى بن حكم الجياني، كان من كبار أهل الدولة الأموية، وكان مشهوراً في الشعر والحكمة. انظر: المقري، نفح الطيب: ٣٤٦/١.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٣٤٦/١ـ٣٤٧؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٢٣٣ـ٢٣٤.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٧/٢؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٥٥.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٧/٢.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٣٨/٢ـ٢٣٩؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس: ٢٨٦؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٠٨ـ٣٠٩.

أسطول إشبيلية؛ فاقتحموا عليهم بوادي شلب، وحطموا عدة من مراكبهم، واستنقذوا من كان فيها من المسلمين، وقتلوا جملة من المشركين، وانهزموا إثر ذلك خاسرين"[١].

وثار في شلب عندما انتثر عقد الخلافة الأموية في الأندلس: الحاجب أبو الأصبغ عيسى بن القاضي أبي بكر محمد بن سعد بن مُزي، وذلك سنة ٤١٩هـ/١٠٢٨م، وملكها[٢]، وأقام بها إمارة ضمت أيضاً كورة باجه. وعندما توفي المظفر سنة ٤٣٢هـ/١٠٤٠م[٣] خلفه في حكمها ابنه محمد بن عيسى الملقب (عميد الدولة)، إلا أن المعتضد بن عباد، صاحب إشبيلية، اضطره إلى التخلي عن باجة، بينما ظل هو في مدينة شلب، وقد استمر في حكمها حتى وفاته سنة ٤٤٠هـ/١٠٢٨م[٤].

وثار في شلب بعد وفاة عميد الدولة القاضي عيسى بن أبي بكر بن مُزين، فبايعه أهلها، وبسط حكمه عليها، وتلقب بالمظفر[٥]. ولما تم له الأمر "ضبطها وأتقن ضبطها، وجمع رجالها، وقسم بينهم أموالها، وجند جنودها، واحترس من المعتضد احتراساً عظيماً، وجعل يهاديه ويصانعه، ولا ينفعه شيء من ذلك، والمعتضد يشن عليه الغارات في كل الأيام، بل في كل الأوقات"[٦].

واستمر المعتضد بن عباد في ضغطه على المظفر، وإصراره على احتلال مدينة شلب من يده، مما اضطره إلى مواجهته في معارك طاحنة ذهب ضحيتها كثيرون من الطرفين، إلا أن المعتضد تمكن من التغلب على المظفر، وقتله سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٢م[٧].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٣٩/٢.
(٢) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٢٠٢/٤؛ عنان، دول الطوائف: ٤٤؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٣٥٤.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٩٢/٣؛ عنان، دول الطوائف: ٤٤.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٩٣/٣؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، دول الطوائف: ٤٤.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٦/٣-٢٩٧؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٤٤.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٧/٣.
(٧) المصدر نفسه: ٢٩٧/٣.

وخلف المظفر في حكم مدينة شلب ابنه محمد بن عيسى، وتلقب بالناصر، وكان عالماً أديباً كثير المعارف، مما جعل أهل المدينة يحبونه. وقد استمر في حكمها إلى أن توفي سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م(١).

وحكم شلب بعد الناصر ابنه عيسى بن محمد بن سعيد بن مُزين، وتلقب المظفر، وحكم رعيته بالعدل، ولكن المعتضد بن عباد شن عليه الغارات، ووالى عليه السرايا، ثم نزل عليه فحصره وضايقهُ وقطع عنه المرافق كلها... واشتد البلاء على أهل شلب وغيرها"(٢).

وتعرضت مدينة شلب أثناء حصار المعتضد بن عباد لها للخراب، فقد هدم سورها بالمجانيق من جهة، ونقبه من جهة، ثم دخل المدينة، وتوجه إلى قصر المظفر "فأخذه وضرب عنقه صبراً... وذلك في شوال سنة خمس وخمسين وأربعمائة"(٣). وبمقتل المظفر انقرضت دولة بني مزين في شلب، وذلك سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م(٤).

وبعد أن خضعت شلب للمعتضد بن عباد، صاحب إشبيلية، ولّى عليها ابنه المعتمد، فنزلها، واتخذها دار إمارة، وكان يعاونه في حكمها وزيره أبو بكر بن عمار(٥).

وظلت شلب في أيدي بني عباد إلى أن استولى عليها المرابطون سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م(٦)، ولما ضعفوا، والتاث أمرهم في الاندلس ثار عليهم في منطقة شلب: الحسين بن قسي

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٩٧-٢٩٨؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٤٤.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٩٨. وانظر: عنان، دول الطوائف: ٤٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٩٨.

(٤) المصدر نفسه: ٣/٢٩٨؛ عنان، دول الطوائف: ٤٤.

(٥) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٤/٢٠٢؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٦٠. وابن عمار هو: أبو بكر محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهري، وأصله من قرية من قرى شلب حيث ولد سنة ٤٢٢هـ/١٠٣١م، ووفد على مدينة شلب فنشأ بها، وتلقى دراسته الأولى، ثم رحل إلى قرطبة، فأكمل دراسته هناك، وبرع في الشعر والأدب، ومدح المعتضد بن عباد فحفظ له ذلك، ولما استولى على مدينة شلب وعين ابنه المعتمد والياً عليها اتخذه وزيراً. عنان، دول الطوائف: ٦٣.

(٦) السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ١٧٦، ٢٣١.

المتصوف، الذي تلقب بالإمام، وذلك في عام ٥٣٩هـ/١١٤٤م، وقد سمي أتباعه بالمريدين، وسُميت ثورته ثورة المريدين، ودخل في طاعته كثيرون من زعماء غربي الأندلس. وكان زعيم مدينة شلب نفسها في تلك الأثناء الفقيه محمد بن عمر بن المنذر، وقد أيد الإمام ابن قسيّ الذي حاول التوسع مستغلاً ضعف المرابطين، ولتحقيق أطماعه وطّد علاقاته بالموحدين الذين كانت دولتهم في المغرب يشتد أزرها[١].

ورأى محمد بن عمر بن المنذر، زعيم شلب، أن يطرد المرابطين من غربي الأندلس، فاحتلّ باجة من أيديهم، ثم قدّم الولاء والطاعة لابن قسيّ، فأقره والياً على مدينة شلب وما ولاها[٢]. غير أن شلب سقطت في أيدي: سيد راي بن وزير، أحد قادة ابن قسيّ المنافسين لابن المنذر، وذلك سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥م وقد خلع ابن وزير طاعة ابن قسي، فعبر إلى المغرب، واستنجد بالموحدين[٣].

وعبرت الجيوش الموحدية إلى الاندلس في أوائل سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م، واستولت على مدينة شلب في تلك السنة[٤]، وعينت ابن قسيّ والياً عليها، إلا أنه لم يلبث أن تمرد على الموحدين، واستعان عليهم بملك البرتغال ألفونسو انكريكيث، ودفع ذلك أهل شلب للثورة على ابن قسي، وفتكوا به في قصر الشراجيب سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م[٥].

وعين الموحدون والياً على شلب: محمد بن عمر بن المنذر الذي اعلن طاعته لهم، وذلك في جمادى الأولى من سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م[٦].

---

(١) السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٧١-٢٧٢.

(٢) أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية: ٧٢- ٧٣.

(٣) المرجع نفسه: ٧٤-٧٥.

(٤) الناصري، الاستقصا: ١١٧/٢؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٧٣؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٥٨؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية: ٩٢-٩٣.

(٥) ابن الآبار، الحلّة السيراء: ٢٠٠/٢؛ السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٧٢.

(٦) ابن الآبار، الحلّة السيراء: ٢٠٠/٢؛ وانظر: السامرائي، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية: ٢٧٣؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: أبو رميلة، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية: ٩٧-٩٩.

وجرت بعد ذلك في الأندلس أحداث أدت إلى سقوط شلب في أيدي النصارى، فقد توفي ملك البرتغال الفونسو انكريكيث (ابن الرنق) سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م، وخلفه ابن سانشو الأول Sancho I الذي كان متحمساً لاحتلال المدن الاسلامية، في الوقت الذي انشغل فيه الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب (المنصور) (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) بمشكلاته الداخلية[١]. وقد شكلت هذه الأحداث ظروفاً مواتية لملك البرتغال من أجل تحقيق أهدافه، بل أصبحت أكثر ملاءمة عندما تصادف وجود حملة صليبية كانت متجهة إلى الشرق لنجدة الصليبيين هناك على سواحل البرتغال. فقد استعان شانجو الأول بهم، فقدموا له آلاف المقاتلين تقدموا جميعاً إلى مدينة شلب، وضربوا حولها الحصار، وذلك في ربيع الآخر من سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م[٢].

وتصدى أهالي شلب للنصارى ببسالة، حيث تحصن واليها: الحافظ عيسى بن أبي حفص داخل المدينة، وقاوم الحصار البرتغالي الصليبي، وكان الأهالي يُفشلون محاولات الاقتحام، ويفوتون الفرص على النصارى رغم تمكنهم من حفر السراديب تحت أسوار المدينة، وإحداث حروق فيها. غير أن النصارى تمكنوا من قطع المياه عن شلب، فضاق أهلها بالحصار، مما اضطر أهلها للتسليم، إذ عرضوا على سانشو الأول "أن يخرجوا سالمين في أنفسهم، ويتركوا البلد بجميع ما فيه من أموالهم وأثاثهم، فأجابهم إلى ذلك"[٣]. غير أن حلفاءه الصليبيين رفضوا الصلح، وطالبوا بقتل أهل شلب المسلمين جميعاً، لكن سانشو الأول أقنعهم بالاكتفاء بما في المدينة من أسلاب. وعلى ذلك دخلوا المدينة بعد ثلاثة أشهر من الحصار الشديد، سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م[٤].

---

(١) انظر التفاصيل: سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢/٢٣٦ وما بعدها؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٦٢.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٦؛ الناصري، الاستقصا: ٢/١٨٤ ويذكر أن سقوط شلب كان سنة ٥٨٦هـ؛ وانظر أيضاً: سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢٣٨-٢٣٩.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٦.

(٤) انظر: المصدر نفسه: ١٠٦؛ الناصري، الاستقصا: ٢/١٨٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٩/٢١١؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢/٢٤٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٦٢-٤٦٣.

وعندما سمع الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب المنصور بسقوط شلب في أيدي النصارى عبر إلى الاندلس سنة ٥٨٦هـ/١١٩٠م، في أخريات المحرم منها[١]، وأنفق تلك السنة في تدويخ النصارى. ثم تقدم إلى مدينة شلب "فوصلها في ثاني جمادى الأخيرة سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م، فأحدقت الجيوش بها، وأخذت بمخنقها، ونصب عليها المجانيق وآلات الحرب، وجدُّوا في قتالها، وبالغوا في نكاية أهلها، فطلبوا الأمان في أنفسهم على أن يسلّموا المدينة، ويخرجوا إلى بلادهم، فأجيبوا إلى ذلك، وخرجوا منها في السادس والعشرين من جمادى الأخيرة"[٢].

وهكذا استطاع المنصور الموحدي استعادة مدينة شلب بعد أربعة وعشرين يوماً من الحصار، وعاد إلى قرطبة فدخلها بخمسة عشر ألفاً من السبي، وثلاثة آلاف أسير[٣].

وظلت شلب في أيدي الموحدين إلى أن التاث أمرهم، وعندئذ تمزقت الأندلس، وطمع النصارى باحتلال مدنها في الوقت الذي تنازع الملك فيها: محمد بن يوسف بن هود الجذامي، ومحمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر الذي تغلب على خصمه، وأنشأ دولة لبني الأحمر في غرناطة، وفي هذه الأثناء كان في شلب متنفذ يحكمها يدعى ابن محفوظ، وقد تنازل عن المدينة للنصارى عندما اشتد ضغطهم عليه، فقد سلمها لملك قشتالة فرناندو الثالث سنة ٦٤٥هـ/١٢٤٧م[٤].

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٧؛ الناصري، الاستقصا: ١٨٤/٢.
(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٨.
(٣) الناصري، الاستقصا: ١٨٤/٢؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ٣٨٠/٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢١١/٩؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢٤٦/٢-٢٤٨؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٤٦٣.
(٤) عنان، نهاية الاندلس: ٣٦.

شَلْبَطَرَّة Salvatierra:

حصن، ضبط الحميري اسمه بفتح أوله وسكون ثانيه، وبتشديد الرّاء، قبلها طاء[١]. واستبدل المراكشي بالطاء تاءً: شلبترة[٢]. وكتب الناصري اسمه بالسين المهملة[٣]. ومعنى شلبطرة: الأرض البيضاء[٤].

وشلبطرة حصن أو قلعة عظيمة من عمل قلعة رباح تقع على مقربة منها[٥]. "وهو حصن منيع وضع على قمة جبل، وقد تعلّق بأكناف السحاب، ليس له مسلك إلا من طريق واحد في مضائق وأوعار"[٦].

كان حصن شلبطرة في أقصى الحدود الجنوبية لملكة قشتالة، وقد اتخذه النصارى موقعاً متقدماً يراقبون منه تحركات المسلمين[٧]، ويكمنون فيه قواتهم للاعتداء عليهم[٨]. ومنه كان النصارى ينطلقون للإغارة على أراضي المسلمين وقواتهم. وقد عبر الحميري عن خطورة هذا الحصن على المسلمين والاسلام بقوله: "...علقت به حبائل الصلبان، وحنجر من ناقوسه ما في جهاته الأربع من التكبير والأذان؛ مرقب الدوّ، وعقاب الجوّ؛ العلم المطل على الاعلام، والنكتة السوداء التي هبت بسائط الاسلام، والخبأة الطلعة الذي لا حال

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٨.
(٢) المراكشي، المعجب: ٢٢٩.
(٣) الناصري، الاستقصا: ٢٢١/٢.
(٤) المراكشي، المعجب: ٢٢٩.
(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٨.
(٦) الناصري، الاستقصا: ٢٢١/٢.
(٧) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٩.
(٨) المصدر نفسه: ١٠٩.

للمسلمين معه. قد جعلته النصرانية إلى كل غاية جناحاً، وأعدته إلى أبواب المعاقل والمدائن مفتاحاً"[١].

فتح المسلمون شلبطرة سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م، وقد مهدت لذلك ظروف وأحداث كثيرة متلاحقة. فبعد انتصارهم على النصارى في معركة الآرك سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م[٢] استولى المسلمون بقيادة الأمير الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩٥هـ/١١٨٤-١١٩٨م) على كثير من المعاقل والحصون، واستعادوا قلعة رباح[٣]، فلجأ النصارى إلى شلبطرة، وتحصنوا بها. ولما رأى الفونسو الثامن ملك قشتالة من المسلمين ما لا قبل له به أرسل إلى المنصور "يسأله المهادنة، فهادنه إلى عشر سنين"[٤]. ثم عاد المنصور إلى مراكش في سنة ٥٩٤هـ/١١٩٧م وتوفي في السنة التالية[٥]. وخلفه ابنه أبو عبد الله محمد الناصر (٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م).

أخذ الفونسو الثامن - بعد تجميع قواته واستعادة قوته - يشن الغارات على الأراضي الاسلامية في الاندلس، وكان يعاونه في ذلك ملك أرغون بيدرو الثاني (Pedro II). ثم استعان بالممالك النصرانية الأخرى، واستنجد بالبابا انوسنت الثالث (Innocent III) فحشد له المؤازرين من نصارى فرنسا وغيرهم. كما قام ألفونسو الثامن نفسه بالاستغاثة "بأهل ملته، وكاتب من قرب وبعد منهم، وشكا إليهم ما دهاه من المسلمين، وحثهم على حماية دينهم ونصر ملتهم، فاستجابوا له، وجاؤوه من كل جهة، وانثالوا عليه"[٦].

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٩-١١٠.
(٢) المراكشي، المعجب: ١٨٠؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٣٨١-٣٨٢؛ الناصري، الاستقصا: ٢/١٨٥.
(٣) المقري، نفح الطيب: ٤/٣٨٢؛ المراكشي، المعجب: ١٨١؛ الناصري، الاستقصا: ٢/١٩٢-١٩٣.
(٤) المراكشي، المعجب: ١٨٢.
(٥) المصدر نفسه: ١٨٢؛ الناصري، الاستقصا: ٢/٢٠٣؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ٤/٣٨٢.
(٦) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٩.

وصلت أخبار الأندلس إلى الأمير الموحدي الناصر في مراكش، فهالته اعتداءات النصارى وتحشداتهم، فهب للتصدي لهم، وجمع الجيوش من أنحاء المغرب. وشرع في إجازتها إلى الأندلس خلال الفترة من أوائل شوال حتى أواخر ذي القعدة من سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١١م[١]، وبعد وصوله إلى الأندلس اجتمعت إليه حشود أخرى من المسلمين فبلغ عدد قواته نحو ستمائة ألف مقاتل[٢]. وسار بهذه القوات الهائلة إلى إشبيلية حيث أمضى بقية سنة ٦٠٧هـ/١٢١١م[٣] في تنظيمها وترتيبها فرقاً، "وأمر كل فرقة أن تنزل ناحية"[٤].

سار الناصر على رأس جيوشه وهو معجب بما رأى من كثرتها[٥]، "واهتزت جميع بلاد الفرنجة لجوازه، وتمكن رعبه في قلوبهم، فأخذوا في تحصين بلادهم، وإخلاء ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم"[٦]. وبادر بعضهم إلى طلب السلم، والتهادن مثل ملك النافار، وملك ليون وملك انجلترا، فوافق وهادنهم[٧]. ثم تقدم مخترقاً أراضي قشتالة إلى أن بلغ قلعة شلبطرة فحاصرها. ويبدو أنه يئس من فتحها في البداية، إذ هم بالرحيل عنها، إلا أن وزيره أبا سعيد بن جامع أشار عليه أن يظل مقيماً على حصار القلعة حتى يفتحها[٨].

استجاب الناصر لنصيحة وزيره، واستمر في حصار شلبطرة الذي بدأ في أوائل سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م "فنصب عليها المجانيق، ورميت بالحجارة الصم الكبار، وطال حصارها إلى أن ضاق أهلها وأعياهم الأمر"[٩]. وظل مقيماً على الحصار ثمانية أشهر فنيت خلالها مؤن

(١) المراكشي، المعجب: ٢٢٨؛ الناصري، الاستقصا: ٢٢٠/٢.
(٢) المقري، نفح الطيب: ٣٨٣/٤؛ الناصري، الاستقصا: ٢٢٠/٢.
(٣) المراكشي، المعجب: ٢٢٨.
(٤) الناصري، الاستقصا: ٢٢٠/٢.
(٥) المقري، نفح الطيب: ٣٨٣/٤؛ الناصري، الاستقصا: ٢٢٠/٢.
(٦) الناصري، الاستقصا: ٢٢٠/٢-٢٢١.
(٧) الناصري، الاستقصا: ٢٢١/٢؛ أبو رميلة، علاقات الموحدين: ٢٧٧-٢٧٨.
(٨) الناصري، الاستقصا: ٢٢١/٢.
(٩) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٨.

المسلمين "وقلت علوفاتهم، وكلت عزائمهم، وفسدت نياتهم"[١] إلا أن النصارى المحصورين في القلعة كانوا ـ كما يبدو ـ في ضائقة أشد، وقبل استسلامهم طلبوا من الناصر أن يسمح لهم بالاتصال مع ألفونسو الثامن، حتى يقيموا عليه الحجة، ويبدو له العذر بأن المقاومة مستحيلة، فأذن لهم لأن ذلك سيكون "أشد من وقع السيوف عليه"[٢].

انطلق بعض النصارى من شلبطرة إلى ملكهم ألفونسو الثامن "وأعلموه بما انتهوا إليه من الشدة، وما بلغوا من الجهد والمشقة، وحملوا إليه بعض أحجار المجانيق التي يرُمون بها، فعذرهم، ولم تكن عنده قدرة لدفع ما نزل بهم"[٣]. ورجع هؤلاء إلى شلبطرة، وسلموها للناصر في صدر ربيع الأول من سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م[٤].

قام الناصر بعد استيلائه على شلبطرة بالسماح للنصارى بمغادرته دون أن يمسّهم بسوء احتقاراً لهم "وساروا إلى قومهم يحملون هموماً طوالاً وآمالاً قصارا؛ وعلى أثرهم طهّر الله تعالى المعقل من الأوران، ورقيت أعاليه ألوية الإيمان، وبدل الله عز وجل فيه الناقوس بالأذان"[٥].

عاد الناصر بعد فتح قلعة شلبطرة إلى إشبيلية ليمضي فصل الشتاء، وليستعد لفتح جديد، وانتصار آخر. ومضى ألفونسو الثامن، ملك قشتالة في حشد القوات النصرانية من كل حدب وصوب. ولما تكاملت استعداداته زحف من طليطلة نحو سهل العقاب القريب من

---

(١) الناصري، الاستقصا: ٢٢١/٢. ويذكر الحميري أن مدة الحصار كانت إحدى وخمسين ليلة، انظر: صفة جزيرة الاندلس: ١٠٩.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٠٩-١١٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٩.

(٤) المصدر نفسه: ١٠٩؛ وانظر: المراكشي، المعجب: ٢٢٩؛ الناصري، الاستقصا: ٢٢٣/٢ ويذكر أن شلبطرة استسلمت للناصر في ذي الحجة من سنة ثمان وستمائة.

(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٠. وقد أخطأ الحميري في التعبير بقوله: "وبد الله عز وجل فيه الناقوس بالأذان" فالصحيح أن الله بدّل بالناقوس الأذان.

شلبطرة إلى الجنوب من قلعة رباح. كما زحف الناصر من إشبيلية إلى تلك المنطقة، والتقى الطرفان في معركة العقاب الطاحنة يوم الاثنين ١٤ أو ١٥ صفر سنة ٦٠٩هـ/١٦ تموز ١٢١٢م، وكانت الدائرة فيها على المسلمين إذ لم ينج منهم ـ فيما يذكر المقري ـ سوى أقل من ألف، وكان عددهم عند دخول المعركة ستمائة ألف، وقيل كان المتطوعة فقط من هؤلاء مائة وستين ألفاً[١].

وسقطت شلبطرة بعيد انتصار ألفونسو الثامن في معركة العقاب بأيدي النصارى، ولم تقم للمسلمين بعد هزيمتهم في العقاب قائمة تحمد[٢].

(١) انظر التفاصيل عن معركة العقاب ونتائجها: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١٣٧ـ١٣٨؛ المقري، نفح الطيب: ٣٨٣/٤؛ ابن الخطيب، الإحاطة: ٣٨٣/١؛ الناصري، الاستقصا: ٢٢٣/٢ـ٢٢٤؛ المراكشي، المعجب: ٢٣١ـ٢٣٣.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٣٨٣/٤؛ الناصري، الاستقصا: ٢٢٤/٢.

شَلْطِيش Saltés:

جزيرة فيها مدينة[١]، يلفظ اسمها بفتح أوله وسكون ثانيه، وكسر الطاء، وآخره شين أخرى[٢]. وقد وصف الحميري والإدريسي مدينتها بأنها عبارة عن بنيان متصل بعضه ببعض، وليس لها سور[٣]. وقال ابن سعيد: جزيرة في البحر المحيط، فيها مدينة صغيرة حصينة"[٤]. وذكر ياقوت أنها بلدة صغيرة[٥]. وأشار المقري إلى أنها مدينة وحسب[٦].

يحيط البحر بمدينة شلطيش وجزيرتها من جميع الجهات "إلا مقدار نصف رمية حجر"[٧]. ويستغل السكان هذه المسافة القصيرة لجلب الماء العذب الصالح للشرب[٨]. وهذه الجزيرة قريبة من مدينة لبلة[٩]، وتقع إلى الغرب من إشبيلية على البحر[١٠]، حيث يكثر السمك، ويحمل منها مملحاً إلى إشبيلية[١١].

ويبدو أن مدينة شلطيش قديمة، فقد ذكر الحميري أنه وجد فيها "بيع للأول"[١٢]. وتقع هذه المدينة في الجهة الجنوبية من الجزيرة التي يبلغ طولها نحو ميل[١٣]. وبينها وبين أونبة Juelva أربعة أميال[١٤].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١٦٧/١.
(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٣٥٩/٣.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٠؛ الادريسي، نزهة المشتاق: ٥٤٢/٥.
(٤) ابن سعيد، المغرب: ٣٥٢/١.
(٥) ياقوت، معجم البلدان: ٣٥٩/٣.
(٦) المقري، نفح الطيب: ١٦٧/١.
(٧) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٠.
(٨) المصدر نفسه: ١١١.
(٩) المصدر نفسه: ١١٠؛ المقري، نفح الطيب: ١٦٨/١.
(١٠) ياقوت، معجم البلدان: ٣٥٩/٣.
(١١) المقري، نفح الطيب: ١٦٨/١.
(١٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١١.
(١٣) المصدر نفسه: ١١١؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٤٢/٥.
(١٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١١.

وتوجد في جزيرة شلطيش آبار عذبة، وبساتين، ويكثر فيها شجر الصنوبر، ومراعيها خصيبة. كما تزرع في أرضها القطاني وتسقى من ينابيعها[١]. ومن أكثر ما تشتهر به مدينة شلطيش صناعة الحديد "الذي يعجز عن صنعه أهل البلاد لجفائه"[٢]. ومن هذا الحديد تصنع مراسي السفن والمراكب[٣].

وتعتبر مدينة شلطيش مرفأ يتميز بعدم تأثره بالرياح، ولذلك تلجأ إليه السفن باستمرار، فهي "كثيرة السفن، وبها دار صناعة لإنشائها"[٤].

فتح شلطيش ـ على الأرجح ـ موسى بن نصير سنة ٩٤هـ/٧١٢م، إذ تقع في الخط الذي سلكه فاتحاً. وهو الذي فتح المناطق والمدن مثل: لبلة القريبة منها. وربما كان فاتحها هو عبد العزيز بن موسى إذ أرسله موسى على رأس جيش من ماردة بعد فتحها[٥].

سكن جزيرة شلطيش ومدينتها بعد الفتح بنو بكر بن وائل[٦]. وكثيراً ما كانت تتعرض لغزو المجوس (النورمان)، "وكان أهلها في كل مرة يفرون عنها ويخلونها"[٧]. وقد أشار العذري إلى أنهم غزوها سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥م في عهد الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ـ٢٣٨هـ/٨٢٢ـ٨٥٢م) إلا أنهم غادروها حالما علموا بوصول مراكب الأمير عبد الرحمن لمحاربتهم[٨].

---

(١) الحميري، المصدر نفسه: ١١١.
(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٤٢؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١١.
(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٤٢؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١١.
(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١١.
(٥) انظر: المقري، نفح الطيب: ١/٢٧١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٥؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ٩٦ـ٩٧.
(٦) مؤنس، فجر الأندلس: ١٣٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٢١.
(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٤٣.
(٨) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٠٠.

وظلت شلطيش تابعة لحكومة قرطبة الأموية إلى أن دالت دولة الأمويين في الأندلس بوفاة آخر خلفائهم هشام الثاني (المؤيد بالله) سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م حيث استقل بها وبمدينة ولبة أبو زيد عبد العزيز البكري، وبويع له فيهما سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م[١]، "فدامت دولته، واتصلت مدته، وفشا أمره، وعظم شأنه، وكان محسناً فاضلاً خيراً، وكانت أيامه أعياداً من رخاء السعر، وأمن السبيل"[٢]. ولما اشتد ساعد بني عباد في إشبيلية، وأثل المعتضد بن عباد ملكهم فيها أخذوا يعملون على التوسع على حساب جيرانهم، فشن المعتضد الغارات على إمارة البكري، مما اضطره إلى التنازل له عن جزيرة شلطيش، وذلك سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م[٣].

وكان مما أبرز شلطيش في عهد بني عباد اتخاذها معتقلاً أو منفى لبني جهور، حكام قرطبة، وخلاصة ذلك أن العلاقات بين المعتضد بن عباد وجيرانه بني جهور كانت قائمة ـــ في ظاهرها ـــ على الصداقة والتحالف، وظلت كذلك إلى أن توفي المعتضد سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م[٤]. ولما خلفه ابنه المعتمد سار على نهج والده فيما يتعلق ببني جهور، ولكنه بيّت الإيقاع بهم. وقد واتته الفرصة عندما استغاث به أبو الوليد محمد بن جهور ضد صاحب طليطلة المأمون يحيى بن ذي النون الذي حاصر قرطبة محاولاً احتلالها[٥]. إذ وجه المعتمد جيشاً بقيادة ابنه عباد، الملقب بالظافر لمساعدة بني جهور في فك الحصار عن عاصمتهم، وعندئذ انسحب ابن ذي النون بينما دخل الظافر قرطبة، واعتقل أبا الوليد بن جهور، ونفاه مع ولديه إلى جزيرة شلطيش "فسُجنوا هنالك، وأقام الظافر ملكاً"[٦]، وذلك

(١) ابن خلدون، تاريخ: ٢٠٢/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٩/٣.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٩/٣.
(٣) ابن خلدون، تاريخ: ٢٠٢/٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٤/٣.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٨٣/٣ـ٢٨٤.
(٥) المصدر نفسه: ٢٥٧/٣ـ٢٥٨.
(٦) ابن سعيد، المغرب: ٥٦/١ـ٥٧؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٥٩/٣ـ٢٦١؛ ابن خلدون، تاريخ: ٢٠٤/٤.

سنة ٤٦١هـ/١٠٦٩م[1]. وقد ظل ابن جهور سجيناً في شلطيش إلى أن توفي فيها سنة ٤٧٢هـ/١٠٧٩م[2].

وظلت شلطيش في أيدي المسلمين حتى سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م حيث تنازل عنها ابن محفوظ لملك قشتالة فرناندو الثالث[3]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن عنان يؤكد أن جزيرة شلطيش اختفت "ولم يبق لها اليوم وجود"، دون أن يذكر أي تفاصيل[4].

---

(١) ابن خلدون، تاريخ: ٤/٢٠٤.

(٢) المصدر نفسه: ٤/٢٠٤.

(٣) عنان، نهاية الأندلس: ٣٨.

(٤) عنان، دول الطوائف: ٤٣.

شلمنقة Salamanca:

مدينة، اختلف ضبط اسمها في المصادر، فقد وردت : شلمنقة ـ وهو الأشهر والأرجح ـ لدى المقري وابن حيان[١]، ووردت: شلمنتقة لدى العذري والبكري[٢]، وضبطها أبو الفدا بالسين المهملة واللام والنون ثم كاف وهاء في الآخر (سلمنكة)[٣]، وشلمنتقة (Salamantica) هو اسمها القديم[٤].

تقع مدينة شلمنقة شمال نهر قلمرية، وتبعد عن قلمرية قاعدة بلنسية مرحلتين، وشلمنقة إلى الغرب من قلمرية. وقد ذكر أبو الفدا أنها من بلاد قلمرية[٥]. وقد عدّها البكري من مدن الجزء الخامس من الأندلس[٦] وشلمنقة أيضاً ولاية في شمالي إسبانيا[٧].

لم تحدد المصادر فاتح شلمنقة أو تاريخ فتحها، والمرجح أن ذلك كان على يد طارق بن زياد في وقت مبكر. وقد خسروها في وقت مبكر أيضاً حيث استغلّ النصارى انشغال المسلمين في الأندلس بعبد الرحمن الداخل، وما رافق بدايات عهده من فتن وحروب، وهاجموا عدداً من المدن الشمالية واحتلوها، فقد سقطت في يد فرويلا بن الفونس الأول (الكاثوليكي) ملك الجلالقة الذين قوي أمرهم، واستفحل سلطانهم، فعمدوا إلى ثغور البلاد، ومنها شلمنقة، وأخرجوا المسلمين منها[٧]. وقد كان ذلك ـ على الأرجح ـ سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م.

---

(١) المقري، نفح الطيب: ١/٣٣٠؛ ابن حيان، المقتبس: ٥/٤٨٥.
(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ٧٤، ٧٩؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٣.
(٣) أبو الفدا، تقويم البلدان: ١٨٤.
(٤) العذري، نصوص عن الأندلس: ١٦٧ الهامش.
(٥) أبو الفدا، تقويم البلدان: ١٨٤.
(٦) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٣.
(٧) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٢٨.
(٧) المقري، نفح الطيب: ١/٣٣.

أصبحت شلمنقة بعد أن احتلها النصارى قاعدة من قواعدهم، ومنطلقاً يهاجمون منها الأندلس، ففي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م خرج قومس شلمنقة على رأس ثلاثمائة فارس لمهاجمة الثغر الأعلى، وكان قائد الثغر يومئذ: أحمد بن يعلى بن وهب الذي ما إن أحسّ بهم حتى أخرج إليهم: "محمد بن أزراق في خيل جديرة انتقاها له، فتلقى العدو... ودارت بينهم حرب صعبة...هزم الله فيها عدوه، فقتل منهم مائة علج، وأسر منهم مثل ذلك، وانصرف غانماً سالماً"[١].

وغزا الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر شلمنقة سنة ٣٦٦هـ/٩٧٦م[٢]، ونازل حصن الحامة الموجود فيها[٣]، والذي كان يتبع راميرو الثاني ملك اشتريس[٤]. وفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م غزاها المنصور ثانية بالتعاون مع صهره غالب، فافتتحا حصوناً كثيرة "ودوّخا مدينة شلمنقة وأخذا أرباضها، وقفل ابن أبي عامر إلى قرطبة بالسبي والغنائم، وبعدد عظيم من رؤوس المشركين"[٥].

وهاجم المسلمون شلمنقة في عهد المرابطين، وذلك سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م، ففي تلك السنة اعتدى النصارى على إشبيلية، وقام نفر من قادة شلمنقة بمهاجمة بطليوس، فتصدى لهم الأمير تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين وهزمهم، ومزق جيوشهم، وعاد إلى قرطبة ظافراً[٦].

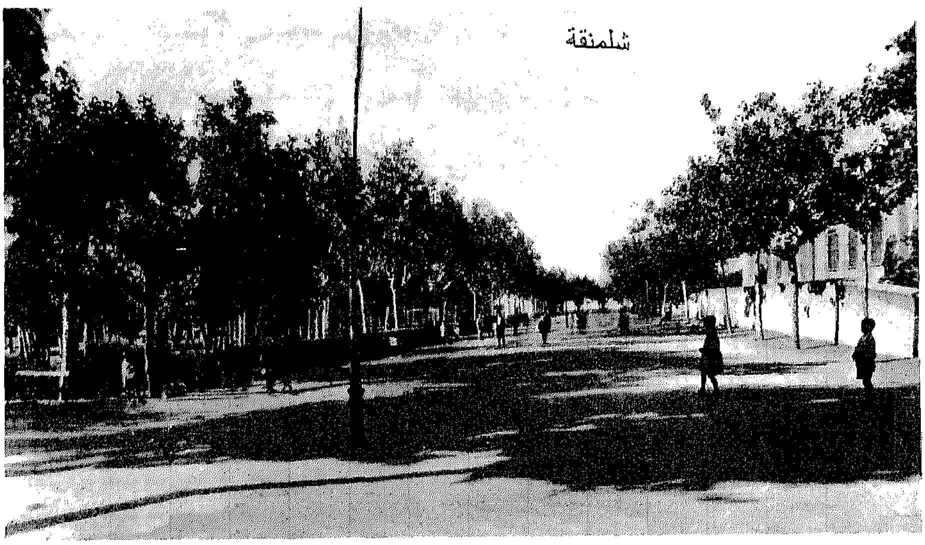
---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٤٨٥/٥.
(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ٧٤.
(٣) العذري، نصوص عن الأندلس: ٧٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٦٤/٢.
(٤) أبو الفدا، تقويم البلدان: ١٨٥.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٦٧/٢؛ العذري، نصوص عن الأندلس: ٧٩؛ الصوفي، تاريخ العرب في إسبانيا: ٥٢، ٥٧، ٥٨، ١٢١.
(٦) ابن القطان، نظم الجمان: ١٩٩ الهامش.

مدينة شلمنقة (منظر عام)



Salamanca.—Vista general, tomada a vista de pájaro.



Salamanca.—Parque de la Alameda. Paseo Central.

شَلوبِينِية Salobreña:

حصن، يلفظ اسمه بفتح أوله، وبعد الواو الساكنة باء موحدة مكسورة، ثم ياء مثناة من تحت، ونون مكسورة، وياء أخرى خفيفة مثناة من تحت[1]. وبهذا اللفظ ذكره الحميري[2]. وورد في مصادر أخرى بألفٍ بعد الباء الموحدة: شلوبانية[3]. واسم: شلوبينية أو شلوبانية تحريف للاسم القديم (Salambina)[4].

يقع هذا الحصن في كورة إلبيرة على شاطئ البحر المتوسط[5]، على بعد ستة عشر كيلومتراً إلى الشرق من المنكب[6]. ويعد من الثغور الصغيرة الواقعة جنوب ولاية غرناطة[7]. وقد أشار الحميري إلى أن هذا الحصن يقابل ميناء مليلة في المغرب[8].

ويشرف حصن شلوبينية أو شلوبانية على القرية المسماة بهذا الاسم من ناحية الشرق من ارتفاع شاهق[9]. وهي قرية تحيط بها الجبال من الشمال والغرب، وتجود في أرضها الموز وقصب السكر[10].

وصف ابن الخطيب شلوبانية بأنها أخت المنكب، وقال عنها "حصانة معقل، ومرقب متوقل، وغاية طائر، وممتنع ثائر، ومتنزه زائر، تركب ـ بدنها ـ الجداول المرفوعة،

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٠.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١١.

(٣) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٥؛ اللمحة البدرية: ٢٩؛ الإحاطة: ١/١١٢؛ مجهول، نبذة العصر: ٣٤؛ ابن خلدون، تاريخ: ٧/١١٩.

(٤) انظر: ابن الخطيب، مشاهدات: ٨٠، ج٥.

(٥) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٠.

(٦) ابن الخطيب، مشاهدات: ٨٠، ج٥؛ معيار الاختيار: ٨٨، ج ١٠١؛ الإحاطة: ١/١١٢، ج١.

(٧) ابن الخطيب، الإحاطة: ج١/١٢.

(٨) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١١.

(٩) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ١/٨، ج ١٠١.

(١٠) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١١؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٠.

وتخترق جهاتها المذانب المفردة والمشفوعة، ففي المصيف تلعب بالعقل الحصيف، وفي الخريف تسفر عن الخصب والريف"[1].

آلت شلوبانية في عهد مملكة غرناطة إلى عمر بن محلّي البطوئي، وكان والياً لبني مرين على مالقة التي تنازل عنها ملوك غرناطة لبني مرين. وقد استطاع ملك غرناطة محمد (الفقيه) (٦٧١-٧٠١هـ/١٢٧٢-١٣٠٢م) أن يقنعه بالخروج له عن مالقة سنة ٦٧٧هـ/١٢٧٨م، وعوضه عنها بالمنكب وشلوبانية[2].

ويذكر ابن خلدون أن الفقيه استرجع المنكب من عمر بن محلّي سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م بينما ظلت شلوبانية في يده[3].

وسقطت شلوبانية في أيدي النصارى سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م، ففي تلك السنة احتل ملك قشتالة فرناندو الخامس إلبيرة وحصونها[4]. وقد حاول المسلمون استعادتها سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م إذ حاصروها، وقاتلوا النصارى فيها قتالاً شديداً وكادوا يحققون عليهم انتصاراً ساحقاً، إلا أنهم اضطروا إلى فك الحصار قبل ذلك لحماية غرناطة من تهديد ملك قشتالة المباشر[5].

---

(١) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٥٥.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعمال: ق٢/٢٨٩؛ ابن خلدون، تاريخ: ٧/٢٦٦.

(٣) ابن خلدون، تاريخ: ٧/٢٧١.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٤/٥١٨؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢١٠-٢١١.

(٥) مجهول، نبذة العصر: ٣٣-٣٤.

شُلُون Šalun :

ناحية من نواحي سرقسطة، يلفظ اسمها: بفتح أوله ويُضم، وسكون الواو، وآخره نون[١]. وفي هذه الناحية مجموعة كبيرة من القرى[٢]، وقد سميت بهذا الاسم لأن نهراً يسمى نهر شلون أو وادي شلون يمر بها إلى الشمال من سرقسطة، ويصب في نهر ايبرو قبل أن يبلغ المدينة[٣].

تقع على نهر شلون مدينة سالم، ومدينة حريزة، ومدينة قلعة أيوب، ويسقي مدينة روطة، ويأخذ في سهل ووعر، ويسقي من الأرض مالا يُحصى كثرة[٤].

كانت ناحية شلون موئلاً لبعض الثوار، فقد ثار فيها في عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن: اسماعيل بن موسى وذلك سنة ٢٥٨هـ/٨٧١م، وترددت الصوائف عليه، وكان أخطرها صائفة سنة ٢٦٥هـ/٨٧٨م حيث أفسد جيش الأمير زروع قرى شلون وأحرقها، وأمضى في منازلتها اثني عشر يوماً[٥].

وكانت ناحية شلون إحدى النواحي التي امتارت منها جيوش الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين الله عندما غزا سرقسطة سنة ٣٢٣هـ/٩٣٤م لمناجزة محمد بن هاشم التجيبي المنتزى بها[٦].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٠.
(٢) العذري، نصوص عن الأندلس: ٣٣.
(٣) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ٨٠.
(٤) العذري، نصوص عن الأندلس: ٢٢.
(٥) المصدر نفسه: ٣٣.
(٦) ابن حيان، المقتبس: ٥/٣٥٨.

وينسب إلى شلون ابراهيم بن خلف بن معاوية العبدري المقّري الشـلوني، وكـان حسـن الحفظ والضبط[1].

[1] ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٠.

شُلَيْر : Solarius

جبل، قال ياقوت في ضبطه: بلفظ التصغير، وآخره راء[1]. ويسمى أيضاً جبل الثلج، وجبل إلبيرة[2]، وشلير مأخوذة من اللاتينية (Solarius) أي المُشمس لانعكاس أشعة الشمس على ثلوجه[2]. ويقع قبلي غرناطة[3]، وهو متصل بالبحر الأبيض المتوسط، حيث ينتظم بجبال ريُّه[4]. وهذا الجبل لا يفارقه الثلج صيفاً وشتاءً[5]، وقد وصفه الزهري فقال: "هو من عجائب الأرض، وذلك أنه جبل لا يخلو منه الثلج لا صيفاً ولا شتاءً، ولقد يوجد فيه الثلج من عشرة أعوام قد أسودّ ورجع مثل الحجر الأسود، فيكسر ويخرج من قلبه الثلج الأبيض. وهذا الجبل لا ينبت في رأسه نبات ولا يعيش فيه حيوان، وطرفه الأسفل كله معمور بالسكنى المتصل بعضه ببعض، والسكنى فيه مسيرة ستة أيام، وفيه كثير من الجوز والقسطل والتفاح وثمار الفرصاد، هو توت العرب. وهي أكثر بلاد الله حريراً"[6].

وتنبع من شلير أنهار كثيرة ذكر الزهري أنها خمسة وعشرون نهراً منها ثمانية عشر تصب في البحر المتوسط، والسبعة الباقية ترفد نهر الوادي الكبير[7]. وتوجد في أعلاه الأزاهر الكثيرة، وأجناس الأفاوية الرفيعة، ويجلب منه العقيان[8].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦/٣.
(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٢؛ والروض المعطار: ٣٤٣.
(٢) المقري، نفح الطيب: ١٤٨/١ الهامش.
(٣) المصدر نفسه: ١٤٨/١.
(٤) الحميري، الروض المعطار: ٣٤٣؛ وصفة جزيرة الأندلس: ١١٢.
(٥) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ٩٠؛ المقري، نفح الطيب: ١٤٨/١؛ الحميري، الروض المعطار: ٣٤٣.
(٦) الزهري، الجعرافية: ٩٣-٩٤؛ وانظر: ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ٩٠.
(٧) الزهري، الجعرافية: ٩٤؛ ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ٩٠.
(٨) المقري، نفح الطيب: ١٧٧/١؛ الزهري، الجعرافية: ٩٤.

وليس لجبل شلير مسلك إلا من ثلاثة أماكن فقط، فإذا صعد أحد على الجبل من إحدى هذه الطرق رأى منه بلاد المغرب كأرض تلمسان وغيرها، ورأى أيضاً أكثر بلاد الأندلس[1].

وتكثر في القرى المتصلة بجبل شلير إضافة إلى الحرير والكتان أصناف الفواكه العجيبة، والأعشاب الطبية[2].

وقد يتعرض من يصعد على رأس الجبل للهلاك من شدة برده "لأنه تقوم فيه ريح يُقال لها الداخل مثل ما تقوم الرياح في البحر. وتجري فيه ريح باردة فيموت كل من أصابته تلك الريح من بني آدم وجميع الحيوانات"[3]. ويُذكر في هذا المجال أن الشاعر أبا محمد عبد الله بن صارة البكري مرّ بجبل شلير فوجد ألم برده فقال[4]:

يحلُّ لنا تركُ الصلاة بأرضكم   وشرب الحُميَّا، وهو شيء محرّمُ
فراراً إلى نار الجحيم فإنها   أخفُّ علينا من شلير وأرحم
أقول، ولا أُنحي على ما أقوله   كما قال قبلي شاعر متقدم
فإن كان شربي مُدخلي في جهنّمٍ   ففي مثل هذا اليوم طابت جهنّمّ

---

(١) الزهري، الجعرافية: ٩٤؛ الحميري، الروض المعطار: ٣٤٣؛ وصفة جزيرة الأندلس: ١١٢.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٣٤٣؛ وصفة جزيرة الأندلس: ١٣٢؛ وانظر: ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ٩٠؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٨٥؛ ابن الخطيب، اللمحة البدرية: ٢٢.

(٣) الزهري، الجعرافية: ٩٤.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٠؛ الحميري، الروض المعطار: ٣٤٣؛ وصفة جزيرة الأندلس: ١٣٢.

شَمْجَلَة Šamaǧla :

مدينة، ضبط ياقوت اسمها بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح الجيم، وذكر أنها من أعمال ريّه "وهي قريبة من البحر يكثر فيها قصب السكر والموز"[1]. وتسمى أيضاً: شمجيلة[2].

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦١.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٣٦١.

شَمْنَتَان Šamantan :

بلد[١]، وأشار ابن حيان إلى أن شمنتـان حصـن أو منطقـة فيهـا نحـو مائـة حصـن[٢]. وبينما ضبط ياقوت شمنتان بفتح الشين وسكون الميم ضبطه ابـن حيـان بضمهمـا. وشمنتـان من ناحية جيان[٣].

كان ثائراً في شمنتان في عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر لدين ا لله: عُبيد ا لله بن أمية بن الشالية، وقد استسلم للخليفة في سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م حالاً رحل عسكر الخليفة إلى الحصن "ولاذ بالأمان، ونزل عن جميع معاقله وحصونه بشمنتان، وكـان عددهـا يقارب المائة، فيها قلاع مشهورة بشدة المنعة، فولى الناصر على جميعها يحيى بن الليث"[٤].

ينسب إلى شمنتان القاضي أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الرحمن بـن عيسـى بـن رجـاء الحجري الشمنتاني، كان خيراً فاضلاً، أخذ عن أبي الوليد محمد بن عبد ا لله البكري، ولي قضاء المرية قبل دخـول المرابطـين الأندلـس، وتـوفي سـنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م[٥]. ويذكـر ابـن الخـراط أن الشـمنتاني "كـان في شـبيبته تـاجراً ... والـتزم التجـارة في سـوق المريـة زماناً"[٦].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٤/٣.
(٢) ابن حيان، المقتبس: ٦٠/٥.
(٣) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ٨٦، ١٩٢؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٤/٣.
(٤) ابن حيان، المقتبس: ٦٠/٥، ٦٥.
(٥) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٤/٣؛ ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ٨٦؛ ١٩٢.
(٦) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ٨٦.

وينسب إلى شمنتان أيضاً الأديب الشاعر: أحمد بن مسعود الأزدي الشمنتاني الأزدي[1] .

شَمّونَت Šammunt :

قرية، ضبط ياقوت اسمها: بالفتح، والتشديد، وسكون الواو، وفتح النون، والتاء المثناة. وأشار إلى أنها من أعمال مدينة سالم [2] .

شُميط Šumait :

حصن من أعمال سرقسطة، يلفظ اسمه بالضم ثم الكسر[3] .

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٢/٣.
(2) المصدر نفسه: ٣٦٥/٣.
(3) المصدر نفسه: ٣٦٦/٣.

شَنْت إِشْتِيبَن: San Esteban

مدينة، تقع بالقرب من وشقة (Huesca)[(١)]، وأشار ابن حيان إلى أن شنت إشتيبن حصن[(٢)]، وذكر أنه يسمى أيضاً: قاشْتُره مُورش[(٣)]. وقد أشار ابن عذاري إلى هذا الاسم بلفظ: شنت اشتبن، دون ياء[(٤)]. كما أشار إليه بلفظ: شنت اشتبين، أي بتقديم الباء الموحدة على الياء المثناة[(٥)]. وقد حدد ابن حيان موقع الحصن بقوله: "المُوفي على حاضرة إلبيرة"[(٦)]. مما يدل على أن هناك أكثر من مكان يعرف بهذا الاسم.

كان ثائراً في عهد الخليفة الأموي الناصر لدين الله في حصن إشتيبن: هابل بن حُريز بن هابل، وقد غزاه الناصر سنة ٣٠٠هـ/٩١٢م، فأنزل الجيوش على الحصن، وأحدقت به، وحورب أشد محاربة وأنكاها لمدة عشرين يوماً مما اضطر هابل إلى الاستسلام[(٧)].

وغزا الناصر في سنة ٣٠٨هـ/٩٢٠م حصن شنت إشتيبن الواقع في الثغر الأقصى قرب مدينة وشقة، وكان "بيضة الكفرة وقاعدة ثغرهم، والموضع الذي تعّودوا منه الاستطالة على من أمهم ومن طرقهم"[(٨)]، إلا أنهم عندما لاحظوا ثبات المسلمين، وإصرارهم على كسر شوكة النصارى في ذلك الحصن، اضطر النصارى إلى إخلائه، "وخرجوا هاربين عنه، فدخله المسلمون، وغنموا جميع ما فيه"[(٩)].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٣٨٢/١ الهامش.
(٢) ابن حيان، المقتبس: ٦٣/٥.
(٣) المصدر نفسه: ١٦٣/٥.
(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٣٦/٢.
(٥) المصدر نفسه: ١٨٨/٢.
(٦) ابن حيان، المقتبس: ٦١/٥.
(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٦٣/٢؛ ابن حيان، المقتبس: ٦٣/٥.
(٨) ابن حيان، المقتبس: ١٦٣/٥.
(٩) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٧٧/٢؛ ابن حيان، المقتبس: ١٦٣/٥-١٦٤.

وفي سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م قام الناصر لدين الله بغزوته المعروفة بأشتبين إلى كورة إلبيرة، واحتل بحصن أشتيبين الواقع فيها يوم الاثنين "ربيع الأول من السنة" وكان أهله على مكايدة باطنة، وإظهار طاعة تحتها مداهنة، فعرض عليهم الناصر لدين الله النزول عن حصنهم إلى البسائط حوله... فاضطربوا في أمرهم، ولاذوا عن رشدهم، فأداخت العساكر بهم، وأخذت في الجد والعزم في محاصرتهم والإحاطة بهم من جميع جهاتهم، حتى بلغت من التضييق منتهاه بهم"[1]. ثم قام الناصر ببناء ستة حصون متقابلة حول اشتيبين، وشحنها بالمرابطين المجاهدين[2]، وبعد طول حصار اضطر الناصر للعودة إلى قرطبة، وترك لحصار الحصن وزيره القائد عيسى بن أحمد بن أبي عبيده[3] الذي ظل محاصراً للحصن إلى أن افتتحه واستنزل من كان فيه[4].

أما حصن شنت أشتيبن الواقع في الثغر الأقصى فقد وقعت بساحته معركة كبرى سنة ٣٢٦هـ/٩٣٧م بين: محمد بن هاشم وبين المعروف بأندُوره، وهو كاتب العلجة طوطة الوصية على عرش ملك البشكنس ومن تجمع معه من القوامس. وكان المسلمون ثلاث كتائب؛ الأولى بقيادة محمد بن هاشم، والثانية بقيادة محمد بن عثمان المصحفي، والثالثة بقيادة محمد بن لُبّ ومعه بنو رزين وبنو ذي النون وغيرهم[5]. وقد أظهر الله المسلمين على النصارى، إذ انهزموا لائذين بالأوعار، وخيل المسلمين تسوقهم، فقُتلَ منهم جمع، وتوصل المسلمون إلى الشعاب التي كانت فيها نساؤهم وامتعتهم، فسبوا منهم كثيراً، وملؤوا أيديهم من غنائمهم"[6].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٠٠.
(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٩٠؛ وانظر: ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٠١.
(٣) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٠١.
(٤) المصدر نفسه: ٥/٢٠٢.
(٥) ابن حيان، المقتبس: ٥/٤٢٠.
(٦) المصدر نفسه: ٥/٤٢١.

وعندما توفي الخليفة الناصر طمع الجلالقة في الثغـور، فقـاد خليفتـه الحكـم المسـتنصر بنفسه جيشاً اقتحم به بلادهم، ونازل شنت اشتيبن وافتتحه عنـوة واسـتباحه، وذلـك سـنة ٣٥٢هـ/٩٦٣م[1]. وقـد اضطـر النصـارى في أعقـاب هزيمتهـم إلى عقـد السـلم مـع المسـتنصر "وانقبضوا عما كانوا فيه"[2].

(١) المقري، نفح الطيب: ١/٣٨٢-٣٨٣؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٣٦.

(٢) المقري، نفح الطيب: ١/٣٨٣.

شنت أُولاَلَية: San Ulalia

مدينة[1]، وقال ابن حيان: حصن[2]. وقد ضبط ياقوت: أولالية بضم الهمـزة، وسكون الواو، وبعد لا لام مكسورة، وياء مثناة من تحت خفيفة، وذكر أن شنت أولاليـة مدينـة مـن أعمال طليطلة[3].

وذكر ابن حيان أن شنت أولالية حصن من حصون الثائر عمـر بـن حفصـون مـن كـورة رية، وقد أمر الخليفة الناصر حاجبه بدر بن أحمد سنة ٣٠٧هـ/٩١٩م بمنازلتـه، ومناهضـة من فيه، فأنفد الحاجب إلى الحصن رجالاً من أولى البأس والنجدة، فلما اقـتربوا منـه هـرب مؤيدو عمر بن حفصون "فتردّوا من رؤوس الجبـال علـى رؤوسـهم، وتفرقـوا في الأرض أيـدي سبأ"[4].

وفي سنة ٣١٦هـ/٩٢٨م أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بهدم شنت أولايـة وغـيره مـن الحصون المحيطة بجبل ببشتر، وذلك بعد قضائه على ثورة عمر بن حفصون[5].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٦/٣.
(٢) ابن حيان، المقتبس: ١٥١/٥.
(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٦/٣.
(٤) ابن حيان، المقتبس: ١٥١/٥.
(٥) المصدر نفسه: ٢١٩/٥؛ وانظر مزيداً من التفاصيل: ابن عذاري، البيان المغرب: ١٩٦/٢-١٩٧.

شَنْت بَاطَر: San Battar

حصن من أعمال كورة رية، ذكره ابن حيان بهذا اللفظ[1]، وأورده بلفظ بيطر أيضاً[2]. وبهذا اللفظ الأخير أورده ابن عذاري (بيطر)[3]. أما ياقوت فضبطه بباء موحدة مفتوحة، وياء مثناة من تحت، وطاء مهملة، وراء. وأضاف إلى ذلك هاء[4].

وكان هذا الحصن من الحصون التي امتنع فيها عمر بن حفصون، الثائر على الأمويين بالأندلس، وقد غزاهُ الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٠١هـ/٩١٣م، وعندما اقترب منه خرج أهله منه هاربين، مخلفين وراءهم أقواتهم وأثاثهم، فغنم ذلك عسكر الخليفة[5]. وتعرض هذا الحصن لهجوم القوات التابعة للخليفة مرة أخرى سنة ٣١١هـ/٩٢٣م، وكانت بقيادة الخليفة نفسه[6]. وغزا الحصن للمرة الثالثة سنة ٣١٥هـ/٩٢٧م، وقطع ما حوله من أشجار، واجتث ما في بسائطه من كروم لإضعاف معنويات عمر بن حفصون وأتباعه[7]. وقد مهد ذلك للتغلب على هذا الثائر في السنة التالية حيث تمكن الوزير القائد سعيد بن المنذر القرشي من استنزال أهل حصن شنت بيطر وغيره من المعاقل، "وأهبطهم من أجبلهم، فتفرقوا في بسائطهم، واستقصى الحصون خراباً ونسفاً... فعادت بذلك كورة ريُّة الواسعة الأقطار، على كثرة ما كان فيها من الحصون المانعة والمعاقل القاصية، ليس فيها حبل مضبوط ولا عدو مزهوب"[8].

---

(١) ابن حيان، المقتبس: ٥/٨٦.

(٢) المصدر نفسه: ٥/١٨٤.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٨٤.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٦.

(٥) ابن حيان، المقتبس: ٥/٨٥-٨٦.

(٦) المصدر نفسه: ٥/١٨٤؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٨٤.

(٧) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢١٠؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/١٩٣-١٩٤.

(٨) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢١٨.

شَنْتَبَرِيَّة :Santaver

تكتب أيضاً مفصولة: (شنت برية)[1]. وتكتب شنت بفتح فسكون، ومعناها بلدة أو ناحية. وأما برية فأولها باء موحدة مفتوحة، وراء مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت مشددة[2]. ذكر الحميري أنها كورة قاعدتها مدينة أُقليش[3]، ولذلك لم يفرد لها وصفاً. وربما نمت في الكورة قرية اسمها شنتبرية[4] حتى أصبحت مدينة، طغى اسمها على الكورة[5]. وزادت اتساعاً بمرور الزمن، واتصلت أحوازها بحوز مدينة سالم[6].

ذكر ياقوت أن شنتبرية شرقي قرطبة "وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات، لها حصون كثيرة...وفيها شجر الجوز والبندق"، وتقع على مقربة من نهر وادي التاجه شمال غرب قونقة وجنوب شرق وادي الحجارة[7].

كانت شنتبرية ـ بعد الفتح ـ من منازل البربر[8]، ومنهم بنو عوسجة من ملزوزة[9]، وبنو غزلون. كما كان فيها بنو هذيل من مديونة[10].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٦/٣؛ ابن خلدون، تاريخ: ١٥٧/٤.

(2) المصدر نفسه: ٣٦٦/٣.

(3) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ٣٨؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢١٥/٣.

(4) مجهول، أخبار مجموعة: ١١٣.

(5) انظر: العذري، نصوص عن الأندلس: ١٤٢.

(6) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٦/٣.

(7) المصدر السابق: ٣٦٦/٣؛ وانظر: عنان، دول الطوائف: ٩٤، ج١.

(8) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٩٨-٥٠٠؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٢٥.

(9) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٩٨.

(10) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٩٩-٥٠٠؛ وانظر أيضاً: مؤنس، فجر الأندلس: ٣٨٣-٣٨٤.

وكانت ثورة البربر من أخطر ما حدث في شنتبرية، فقد هاجت فتنتهم فيها سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م[١]. وفي سنة ١٥١هـ/٧٦٨م ثار فيها رجل من بربر مكناسة يدعى: شقنا بن عبد الواحد، وكانت أمه تسمى فاطمة، فادعى أنه من ولد فاطمة عليها السلام ثم من ولد الحسين بن علي. وقد أقام في شنتبرية، واجتمع إليه كثير من البربر. وقد سار لحربه الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٥-٧٨٨م)، إلا أنه هرب في الجبال وامتنع فيها[٢].

وعين عبد الرحمن والياً على شنتبرية: عثمان بن مروان بن أبان بن عثمان سنة ١٥٢هـ/٧٦٩م، وأمره بملاحقة شقنا، إلا أن هذا الأخير تمكن من قتله في المدينة[٣]. وقد تمكن الأمير عبد الرحمن من القضاء على ثورة شقنا في سنة ١٥٥هـ/٧٧١م، فقد دخل في أمره بربري آخر من أبناء مديونة يدعى هلال، "وكان رأس البربر في شرق الأندلس، وقلده أمر الفاطمي المتقدم الذكر، فكان في ذلك الراحة منه، وتفرقت بفعله ذلك كلمة البربر"[٤]. وبعد هذه الترتيبات التي أدت إلى انفضاض البربر من حول شقنا، وجد نفسه وحيداً، فترك المدينة متجهاً صوب الشمال[٥].

وتعرض البربر في شنتبرية في سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م لمذبحة على يد هاشم الضراب[٦]. فقد جمع الضراب حوله عدداً كبيراً من أهل الشر والفساد، "فتألّب إليه منهم نفر؛ فخرجوا يغيرون على العرب والبربر، وتسامع أهل الشرُّ به فقطعوا إليه، حتى اجتمع له منهم جمع

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٤/٢.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٤/٥-٣٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٤/٢؛ ابن خلدون، تاريخ: ١٥٧/٤.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٨٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٥/٥ ويذكر أن الوالي هو سليمان بن عثمان بن مروان.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٥٤/٢-٥٥.

(٥) المصدر نفسه: ٥٥/٢.

(٦) ثار الضراب بطليطلة، وسمي بهذا الاسم "لأنه لما أحرق الحكم طليطلة، وأنزل أهلها منها إلى السهل، أخذ رهائنهم. فدخل حينئذ هاشم الضراب قرطبة، وصار يضرب بالمعدل في الحدادين أجيراً فعرف بالضراب". وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٣/٢.

عظيم وخلق كثير، فعلا ذكره، وانتشر صيته. وأوقع بالـبربر بشـنت بريـة، ودار لـه عليهـم دوائر"[1]. وقد استمر في ثورته حتى سنة ٢١٦هـ/٨٣١م حيث شـن عليـه محمـد بـن رسـتم عامل الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢٢-٨٥٢م) حرباً شـديدة، وهزمـه "وقتله هو ومن كان معه؛ وكانوا آلافاً"[2].

وظهر في شنتبرية سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م موسى بن ذي النون الهواري[3]، ومن بعـده ابنـه مطرف الذي ثار فيها "وقد كان له صيت من الشجاعة ومحـل مـن النسـب، والعصبيـة"[4]. وقد أسر النصارى مطرف في بعض غزواتهم للأندلس، ولكنه فرّ من الأسر وعاد إلى شنتبرية، وعندئذ "استقامت طاعته إلى آخر دولة الأمير محمد"[5] (٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن بني ذي النون الذين أسسـوا مملكـة طليطلـة في عهـد ملـوك الطوائف كانوا في الأصل ولاة على شنتبرية. وقد بسط جدهم اسماعيل بن ذي النـون حكمـه على الكورة كلها في أواخر عهد الدولة العامرية[6]. وقد ظلت شنتبرية إحدى مـدن مملكتهـم إلى أن انتزعها من القادر بن ذي النون: صاحب سرقسطة المقتـدر بـن هـود، إذ كـانت بـين المملكتين عداوات وحروب، وكان ملوكهما يستعين كل منهم على الآخر بالنصارى[7].

وقد استطاع ألفونسو السادس ملك قشتالة الاستيلاء على شنتبرية بعد احتلالـه مدينـة طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م[8]، فبعد احتلالها سقطت في يـده المنـاطق الواقعـة شمـال نهـر

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٨٣/٢.
(٢) المصدر نفسه: ٨٣/٢.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٧٢/٥.
(٤) ابن خلدون، تاريخ: ١٧٢/٤.
(٥) المصدر نفسه: ١٧٢/٤.
(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٧٦/٣ وما بعدها؛ وانظر التفاصيل: عنان، دول الطوائف: ٩٤-٩٥.
(٧) عنان، دول الطوائف: ١٠٦.
(٨) المقري، نفح الطيب: ٣٥٢/٤-٣٥٤؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٨٥.

التاجة من طلبيرة غرباً حتى وادي الحجارة وشنتبرية شـرقاً، وكـانت هـذه المنطقـة تشـتمل على كثير من القرى والضياع[1].

---

[1] عنان، دول الطوائف: ١١٣.

شَنْتَرَة Cintra:

مدينة، يلفظ اسمها بالفتح ثم السكون، وتاء مثناة من فوقها، وراء مهملة[١]. وضبطها بفتح الشين أيضاً ابن سعيد[٢]. وضبطها بكسرها: الحميري، والبكري وابن حيان[٣].

تقع شنترة إلى الشمال الشرقي من لشبونة[٤]، على مقربة من المحيط الأطلسي لا تبعد عنه سوى ميل واحد[٥]. وهي على نهر تاجُه الذي يروي أراضيها[٦]، "ولها حصنان في غاية المنعة"[٧]. ومن صفاتها أن الضباب يغشاها دون انقطاع، "وهي صحية الهوى، تطول أعمار أهلها"[٨].

وذكر ابن سعيد أن شنترة مشهورة بالخصب[٩]، فمن خواصها "أن القمح والشعير يُزرعان فيها ويحصدان عند مضي أربعين يوماً من زراعته"[١٠]. ويذكر المقري نقلاً عن ابن اليسع "إن التفاح فيها دور كل واحدة ثلاثة أشبار وأكثر... فإذا أرادوا أن يجيء بهذا العظم قطعوا أصلها، وأبقوا منه عشراً أو أقل، وجعلوا تحتها دعامات من الخشب"[١١]. وأشار إلى

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٧/٣.
(٢) ابن سعيد، المغرب: ٤١٥/١.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٢؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٣؛ ابن حيان، المقتبس: ٢٧٨/٥.
(٤) المقري، نفح الطيب: ١٦٤/١، ج١؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٧/٣؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٢.
(٥) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٢-١١٣.
(٦) المقري، نفح الطيب: ١٦٤/١، ج١؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٣.
(٧) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٢.
(٨) المصدر نفسه: ١١٢.
(٩) ابن سعيد، المغرب: ٤١٥/١.
(١٠) المقري، نفح الطيب: ١٦٤/١.
(١١) المقري، نفح الطيب: ١٦٤/١.

حجم تفاحها ياقوت والحميري وابن سعيد[١] ، وأضاف الحميري: الكمثرى[٢]. وأكد أن جبال شنترة ينبت فيها البنفسج بطبعه، ويخرج من المدينة أيضاً "عنبر جيد"[٣].

كانت شنترة في عهد ملوك الطوائف إحدى مدى مملكة بطليوس لأصحابها بني الأفطس[٤]، وقد تنازل عنها أحد ملوكهم وهو عمر المتوكل لملك قشتالة ألفونسو السادس سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م مقابل مساعدته له ضد خطر المرابطين الذين قرروا الاستيلاء على ممالك الطوائف كلها، وتوحيد الأندلس تحت رايتهم[٥]. غير أن المسلمين استعادوا هذه المدينة، وظلت في أيديهم حتى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م حيث سقطت في يد ملك البرتغال ألفونسو هنريكيز بعد استيلائه على لشبونة في السنة السابقة (٥٤٢هـ/١١٤٧م)[٦].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٧/٣؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٣؛ ابن سعيد، المغرب: ٤١٥/١.
(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٣.
(٣) المصدر نفسه: ١١٣.
(٤) عنان، دول الطوائف: ٨٠.
(٥) انظر: سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ١١٩-١٢٠؛ السامرائي، علاقات المرابطين: ١٧٥.
(٦) انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٧/٣؛ ابن سعيد، المغرب: ٤١٥/١؛ عنان، نهاية الاندلس: ١٥.

شَنْتَرِين Santarem:

مدينة، ذكر ياقوت أن اسمها مركب من كلمتين: شنت، وهي لفظة بالفتح فالسكون معناها: البلدة أو الناحية "لأنها تضاف إلى عدة أسماء"(١). ورين بكسر الراء، وياء مثناة من تحت، ونون(٢). وشنترين معدودة في كور باجة (Beja)(٣). وهي من أعمال لشبونة(٤)، وتبعد عنها إلى الشمال سبعة وستين كيلومتراً(٥)، بينما تبعد عن قرطبة إلى الغرب خمسة عشر يوماً، وعن باجة أربعة أيام(٦).

وتقع شنترين على نهر تاجة قرب مصبه في المحيط الأطلسي(٧). وهي على جبل شاهق الارتفاع(٨)، يتميز بما فيه من انجرافات عديدة. وتشرف من موقعها على وادي نهر التاجة "وتتوزع المدينة حول الحافة العظيمة للجبل من جهة القبلة"(٩). ومن هذه الجهة "لها حافة عظيمة لا سور لها"(١٠). وللمدينة حي يمتد على طول النهر. ذكر ذلك الحميري والإدريسي قائلين: "وبأسفلها ربض على طول النهر"(١١). وقد جعلها موقعها هذا ملتقى للطرق التي عبرتها الحملات الحربية(١٢). وتضم المدينة ثلاثة مراكز عمرانية: الأول بأعلى

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٦.
(٢) المصدر نفسه: ٣/٣٦٧.
(٣) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٣؛ ابن سعيد، المغرب: ١/٤١٧؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٧؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٣.
(٤) المقري، نفح الطيب: ١/١٦٧.
(٥) البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٧٦، ج٤؛ المقري، نفح الطيب: ١/١٤٤، ج٤؛ وانظر: ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ١٧، ج٦.
(٦) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٧.
(٧) ابن سعيد، المغرب: ١/٤١٧؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٧؛ حتاملة، أيبيريا: ٨٦.
(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٥٠؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٣.
(٩) سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ١/٢١٥.
(١٠) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٥٠؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٣.
(١١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٣؛ الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٥٠.
(١٢) سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية: ١/٢١٥.

المرتفع، وهو المدينة القديمة، والآخران في أسفله. وهناك أبراج وبقايا أسوار ما زالت قائمة إلى اليوم في موضع يسمى (Las Foute dos Figueiras) أو سان تياجو (San Tiago)[(١)].

تعد أراضي شنترين من أخصب الأراضي، ذلك أن "نهرها يفيض على بطحائها كفيض نيل مصر"[(٢)]. ويزرع أهلها في طميه "عند انقطاع الزريعة في البلا"[(٣)] فيغل ما يزرعون من أشجار متنوعة وبقوليات[(٤)]، فأرضها "غاية من الكرم والطيب"[(٥)]. فهي أطيب بقاع الأرض إذ تنتج فيها الحبة مائة وأكثر[(٦)].

وفي شنترين جامع عظيم، وحمامات كبيرة، وأسواق واسعة مرتّبة[(٧)]. ولها في المحيط الأطلسي جزائر مسكونة عامرة[(٨)].

ذكر المقري ـ نقلاً عن الفتح بن خاقان ـ أن شنترين "لا يروعها صرف، ولا يفرعها طرف، لأنها متوعرة المراقي، معفرة للراقي، متمكنة الرّواسي والقواعد، من ضفة نهر استدار بها استدارة القُلب* بالساعد، قد أطلت على خمائلها إطلال العروس من منصتها، واقتطعت من الجوّ أكثر من حصتها"[(٩)].

---

(١) سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية: ٢١٥/١ـ٢١٦.
(٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٣.
(٣) المصدر نفسه: ١١٣.
(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٥٠/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٣.
(٥) ابن سعيد، المغرب: ٤١٧/١.
(٦) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٤.
(٧) سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية: ٢١٦/١.
(٨) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٤.
* القلب: السوار المفتول من طاق واحد لا من طاقين. انظر: مختار الصحاح للرازي، مادة : قلب.
(٩) المقري، نفح الطيب: ٦٦٤/١.

وشنترين مدينة قديمة، كانت إحدى ثلاثة أقضية تألفت منها البرتغال، وذلك في العصر الروماني[1]. وكان اسمها في ذلك العصر Scallabis[2]. وقد احتلها الملك القوطي يورويك Eurico (٤٦٦-٤٨٤م) خلال الحملات التي شنها على البرتغال بين سنتي ٤٦٨-٤٦٩م[3]. وتحول اسمها في القرن السابع الميلادي إلى سانتا إيرين تكريماً لامرأة اسمها إيرين سقطت قتيلة فيها، ومن ذلك الاسم اقتبس المسلمون اسمها: شنت إيرين أو شنترين[4]، أي بلد أو ناحية إيرين[5].

فتح شنترين عبد العزيز بن موسى في عهد والده، وذلك سنة ٩٤هـ/٧١٣م، فموسى وابنه عبد العزيز هما اللذان فتحا جنوبي الأندلس وغربيها[6].

وكان من أبرز ما وقع في شنترين من أحداث في العهد الاسلامي ثورة أمية بن إسحاق القرشي على الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، فقد انتزى أمية فيها، واستجاش بالملك النصراني رُدمير الثاني ملك ليون (٣٢٠-٣٣٩هـ/٩٣٢-٩٥٠م) ضد المسلمين، فوجه إليه الناصر قائده أحمد بن يحيى بن إلياس، فهاجمه في الخامس والعشرين من ربيع الأول سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م، وأخضعه[7].

---

(١) حتاملة، أيبيريا: ١٧٧.

(٢) المرجع نفسه: ١٧٧؛ وانظر: سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢١٥/١.

(٣) حتاملة، أيبيريا: ٢١٥.

(٤) سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢١٥/١.

(٥) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٦/٣.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة: ١٨؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ١٤٦؛ المقري، نفح الطيب: ٢٧١/١؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ٩١ وما بعدها؛ مؤنس، فجر الأندلس: ١١١.

(٧) ابن حيان، المقتبس: ٤٢١/٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٩٨/٢؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية: ٢١٦/١.

وأصبحت شنترين في عهد ملوك الطوائف (٤٠٠-٤٨٤هـ/١٠٠٩-١٠٩١م) إحدى مدن مملكة بطليوس التي أسسها بنو الأفطس[١]، وكان أبو محمد عبد الله بن محمد بن مسلمة المعروف بابن الأفطس أول ملوكهم، وقد توفي سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م فخلفه ابنه (المظفر) محمد ابن عبد الله، وفي عهده استعدّ ملك قشتالة فرناندو الأول (٤٢٦-٤٥٨هـ/١٠٣٥-١٠٦٥م) لغزو شنترين واحتلالها، فلما علم المظفر بذلك بادر إلى نجدتها، فوصلها قبل فرناندو الذي "جرّد من خيله سرية ثقيلة أمرهم بقصد مدينة شنترين"[٢]. وكان قد خامر أهلها الجزع، وكادوا يستسلمون"[٣]. وقد بادر المظفر إلى الاتصال بفرناندو، وهادنه، ووافق على أن يؤدي له جزية سنوية مقدارها خمسة آلاف دينار على أن يترك شنترين[٤].

وعندما عزم المرابطون على إخضاع ممالك الطوائف لسلطانهم لجأ ملك بطليوس أبو محمد عمر بن محمد المظفر، والذي خلف والده، واتخذ لقب المتوكل على الله (٤٦٠-٤٨٧هـ/١٠٦٧-١٠٩٤م)، لجأ إلى ملك قشتالة ألفونسو السادس (٤٦٥-٥٠٢هـ/١٠٧٢-١١٠٩م) يطلب عونه ضد المرابطين، وتحالف معه، وتنازل له عن بعض المدن من بينها شنترين ثمناً لهذا التحالف، فدخلها النصارى سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م، غير أن أهالي بطليوس لم يرضوا عن هذا التحالف، فتمردوا على ملكهم المتوكل، واستدعوا المرابطين لتخليصهم[٥]. وقد هب المرابطون لإغاثتهم، فدخلوا بطليوس، وقتلوا المتوكل، واستعادوا شنترين من أيدي النصارى سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م[٦].

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٣٥-٢٣٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٢٣٥-٢٣٦.

(٣) المصدر نفسه: ٣/٢٣٨.

(٤) المصدر نفسه: ٣/٢٣٨؛ وانظر: سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢١٦-٢١٧؛ عنان، دول الطوائف: ٨٥.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الاعلام: ق٢/١٨٥-١٨٦؛ عنان، دول الطوائف: ٣٨٦؛ السامرائي، علاقات المرابطين: ١٧٥.

(٦) السامرائي، علاقات المرابطين: ١٧٥.

وظلت شنترين في أيدي المسلمين إلى أن تغلب عليها النصارى سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، فقد استولى عليها ألفونسو هنريكيز (ابن الريق أو الرنك) ـ كما تسميه المصادر الاسلامية[١] ـ ملك البرتغال، وذلك بعد احتلاله مدينة لشبونة سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م[٢].

وقد حاول الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠هـ/ ١١٦٢-١١٨٤م) استعادة شنترين من أيدي النصارى سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، فقصدها في جمع كثيف، وحاصرها شهراً كاملاً، إلا أن المنية وافته قبل استكمال مهمته، فانسحب جيشه عائداً إلى إشبيلية[٣].

ويذكر المراكشي تفاصيل هذه المحاولة، ويوضح أن خطأً ما في الاتصال بين أبي يعقوب وجيشه هو الذي أوصل المسلمين إلى هذه النتيجة، أي وفاة أبي يعقوب دون فتح شنترين. إذ يذكر أنه "نزل عليها فضايقها، وأخذ في قطع ثمارها، وإفساد زروعها وشن الغارات على نواحيها"[٤]. وكان الفونسو هنريكيز عندما سمع بحركة أبي يعقوب ووجهته قد حشد أفضل قواته وفرسانه ودخل بهم المدينة "واثقاً بحصانتها ومنعتها"[٥]. وأحضر معه حينما دخلها الأقوات والمؤن والأسلحة، وزادها تحصيناً. وعندما نزل عليها أبو يعقوب، وحاصرها، وفات وقت قبل أن يتمكن من فتحها، خشي المسلمون أن يتأخر ذلك، فيدخل فصل الشتاء، ويرتفع منسوب نهر تاجه فينقطع عنهم المدد، "فأشاروا على أمير المؤمنين

---

(١) ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة: ٩٦؛ ابن الخطيب: الإحاطة: ٥٢٢/١.

(٢) انظر: ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٧/٣؛ ابن سعيد، المغرب: ٤١٧/١؛ وانظر أيضاً: الطيبي، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس: ٢٣٨-٢٤٠.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٣٧٩/٤؛ الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٤؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ٢١٧/١.

(٤) المراكشي، المعجب: ١٤٨.

(٥) المصدر نفسه: ١٤٨.

بالرجوع إلى إشبيلية، فإذا كان وجه الزمان عادوا إليها، أو بعث من يتسلمها، وصّوروا له أنها في يده لا يمنعه منها مانع، فقبل ذلك منهم ووافقهم عليه"[1].

وكان الاتفاق أن يجتاز المسلمون النهر في صباح اليوم التالي، غير أن خبر الرحيل انتشر بسرعة بين جند المسلمين، فقوض معظمهم أخبيتهم، ورحلوا دون تنظيم "وبات الناس يعبرون الليل كله وأمير المؤمنين لا علم له بذلك". وكان للنصارى جواسيس في معسكر المسلمين ينقلون تحركاتهم، ولما علموا بأن الذين ظلوا حول الأمير الموحدي قلة هاجموهم، وأعملوا فيهم السيف، وتمكن بعضهم من طعن أبي يعقوب طعنة تحت سرته كانت السبب في وفاته بعد أيام[2].

---

(١) المراكشي، المعجب: ١٤٨ـ١٤٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٩ـ١٥٠.

شنت زلايه: San Zelia

وردت في صفة جزيرة الأندلس باسم مختلف هو: شنترلانه[١]، وصوبه محقق الروض المعطار[٢]. وهي مدينة أو قرية على يمين الطريق إلى قلشانة[٣]. ويذكر الحميري أن ناقوس شنت زلايه "ملقى في الأرض لا حارس له، ولا رقبة عليه، ويزعم أهلها أنه معقود ممنوع من جميع الناس، وأن من أخذه لا يمكنه الخروج به من القرية"[٤].

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٣.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٣٤٧.

(٣) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٣؛ والروض المعطار: ٣٤٧.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٣؛ والروض المعطار: ٣٤٧.

شَنْتَفـي Santa Fé:

بلدة محدثة، ارتبط بناؤها بحصار غرناطة الذي انتهى بسقوطها في يد ملكي قشتالة: فرناندو الخامس وإيزابيلا سنة ٨٩٧هـ/١٤٩٢. وقد أشار إليها المقري دون أن يذكر اسمها، فقد ذكر أن العدو خرج في ١٢ جمادى الآخرة ٨٩٦هـ/١٤٩١م "إلى مرج غرناطة، وأفسد الزرع، ودوّخ الأرض، وهدم القرى، وأمر ببناء موضع بالسور والحفير، وأحكم بناءه"[١].

وذكر صاحب نبذة العصر أن فرناندو الخامس بعد نزوله في مرج غرناطة "شرع في البناء، فبنى هنالك سوراً كبيراً في أيام قلائل، وسماه شنتفي"[٢]. أما أرسلان فقد ذكر أن هذه البلدة، إنما هي "مدينة عامرة بأسواق وحوانيت، مقسومة بشارعين عظيمين... ولما تم بناؤها أطلق عليها اسم: صنتافي"[٣].

وقصة بناء هذه البلدة التي ذكر بعض المؤرخين أنها الوحيدة من بين مدن الاندلس التي لم تطأها قط قدم مسلم[٤]، هي أن فرناندو الخامس، ملك قشتالة وزوجه إيزابيلا عندما عزما على حصار غرناطة واحتلالها حطا بعسكرهما البالغ نحو خمسين ألف رجل على بعد نحو اثني عشر كيلومتراً من المدينة[٥]، وذلك عند قرية تسمى عتقة (Vega)، ونصبا خيام العسكر هناك[٦]، كما أُعدت للملكة إيزابيلا خيمة "كانت من أبدع الفساطيط في النصرانية"[٧].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٥٢٤/٤.
(٢) مجهول، نبذة العصر: ٣٧.
(٣) أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٧١.
(٤) عنان، نهاية الاندلس: ٢٢٢.
(٥) حتاملة، محنة مسلمي الاندلس: ٤٩.
(٦) مجهول، نبذة العصر: ٣٧؛ عنان، نهاية الاندلس: ٢٢٢.
(٧) أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٦٨.

وذات ليلة التهمت النار خيمة الملكة، ثم امتدت ألسنة اللهب إلى الخيام المجاورة بسرعة فائقة، فهبت الملكة مذعورة، وركضت نحو خيمة الملك فرناندو الخامس الذي هب من نومه منزعجاً[1]. "وارتدى كسوته الحربية، وتقلد سلاحه، وامتطى صهوة جواده، وخرج من المعسكر، وفي أثره رجال الجيش والقواد الذين تحركوا بحركته وفعلوا مثل فعله"[2].

وحدثت في المعسكر الذي أتت عليه النيران جلبة قوية، حيث اختلطت أصوات الرجال بصهيل الخيول بنفير الأبواق بصراخ وصائف الملكة الخائفات، وامتزج ذلك كله بقعقعة السلاح مما أوحى بأن حرباً حقيقية توشك أن تقع[3].

وظن كل من الطرفين: المسلمين والنصارى أن الحريق مقصود، فبينما اعتقد النصارى أنه من تدبير المسلمين، حتى ينشغلوا بإطفائه، مما يتيح فرصة مهاجمتهم مستغلين اضطرابهم، اعتقد المسلمون أن الحريق من تدبير النصارى مكيدة منهم[4].

وقد سار بعض قادة النصارى على رأس فرقة من ثلاثة آلاف فارس، وتقدم بهم نحو غرناطة للإغارة عليها، والتصدي للمسلمين الذين ظن أنهم سيهاجمون جيوش قشتالة "فلم يبرز أحد، وإنما شوهدت الرؤوس المعممة متطلعة من شرفات الأسوار نحو الحريق"[5].

والحقيقة أن المسلمين عندما شاهدوا النيران تلتهم معسكر النصارى ظلوا في مواقعهم، ولم يحركوا ساكناً، فقد ظنوا "أن العدو إنما قام بلعبة إشعال النار في معسكره، ليوهمهم ويشجعهم على مغادرة عاصمتهم. ومن ثم يسهل عليه مهاجمتها، وابتلاعها لقمة سائغة"[6].

---

(1) حتاملة، محنة مسلمي الأندلس: ٤٩.

(2) المرجع نفسه: ٤٩؛ وانظر أيضاً: أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٦٨.

(3) حتاملة، محنة مسلمي الاندلس: ٤٩.

(4) المرجع نفسه: ٤٩؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٦٨.

(5) أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس: ٢٦٨.

(6) حتاملة، محنة مسلمي الأندلس: ٤٩.

ولكي يفوت المسلمون هذه الفرصة على النصارى احتفظوا بمواقعهم، ولم يحركوا ساكناً[1].

وكان سبب الحريق ــ كما تبين فيما بعد ــ أن الملكة إيزابيلا طلبت من إحدى وصيفاتها أن تنقل شمعة كانت بجانب سريرها إلى جهة أخرى، فوضعتها في مكان قريب من الستائر، وعندما هبت الريح اتصل لهيب الشمعة بإحدى الستائر، ثم امتدت ألسنة اللهب إلى ما جاورها، وهكذا حتى أحرقت المخيم كله[2].

وعندما عرف الملكان الكاثوليكيان سبب الحريق قررا الاستعاضة عن الخيام ببناء منازل تؤويهما وتؤوي الجيش، وبدأ العمل على قدم وساق، وصار ملك قشتالة "يهدم القرى، ويأخذ ما فيها من آلة البناء، ويجعله على العجل، ويحمله إلى ذلك البلد الذي بناه ويبني به، وهو مع ذلك يقاتل المسلمين ويقاتلونه قتالاً شديداً"[3].

وبعد ثمانين يوماً من العمل المتواصل تم بناء المدينة التي تقاطع شارعاها على شكل صليب، حيث قسماها إلى أربعة أحياء في وسطها رحبة فسيحة لاجتماع الجيش[4]. كما حصل للمدينة أربعة أبواب، باب في كل جهة. وما لبثت حتى دارت فيها الحركة التجارية، وأخذت القوافل ترد إليها وتصدر عنها، في الوقت الذي كانت فيه غرناطة المحاصرة مقطوعة الإمداد، تعاني من الجوع والحرمان[5].

---

(١) حتاملة، محنة مسلمي الأندلس: ٥٠.

(٢) المرجع نفسه: ٥٠؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الاندلس: ٢٦٨.

(٣) مجهول، نبذة العصر: ٣٧؛ وانظر أيضاً: حتاملة، محنة مسلمي الأندلس: ٥٠؛ أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس: ٢٧١.

(٤) أرسلان، خلاصة تاريخ الأندلس: ٢٧١.

(٥) حتاملة، محنة مسلمي الأندلس: ٥٠.

وبعد أن تم بناء المدينة وإحاطتها بالأسوار بدأ التفكير في إطلاق اسم عليها، وقد أراد الجيش القشتالي تسميتها إيزابيلا تخليداً للملكة، ولكنها لم توافق على ذلك، وأمرت بأن يطلق عليها الاسم الديني: (Santa Fé) أي الإيمان المقدس، وهي تسمية تعكس التعصب الديني الذي كان صفة ملازمة للملكة الكاثوليكية، كما تعكس المغزى الديني للحرب الصليبية التي شنها نصارى قشتالة ضد مسلمي الأندلس[١].

وكان بناء شنتفي على أبواب غرناطة ذا تأثير بالغ على معنويات مسلمي غرناطة، فقد أيقنوا أن ملك قشتالة لن يبرح المكان إلا باحتلال غرناطة، وقد صرف همته بالفعل إلى الحصار والإقامة، وظل يضيق الخناق عليها حتى سقطت بعد نحو سبعة أشهر، وذلك في ربيع الأول ٨٩٧هـ/٢ كانون الأول ١٤٩٢م[٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كريستوفر كولبس عندما عزم على اكتشاف العالم الجديد (أمريكا)، إنما انطلق من شنتفي سنة ١٤٩٢م، حيث حظي بوداع الملكة إيزابيلا ومباركتها[٣].

---

(١) حتاملة، محنة مسلمي الاندلس: ٥٠؛ عنان، نهاية الاندلس: ٢٢٢.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٤/٥٢٥؛ حتاملة، محنة مسلمي الأندلس: ٥٣، ٥٧.

(٣) حتاملة، محنة مسلمي الأندلس: ٥٠.

للاستزادة عن شنتفي انظر:

1- Garrido Atienza, Miguel, Los Alquezares de Santafe (Granada 1893)

شنت قُرُوش: Santa Cruz

حصن من أعمال ماردة، ضبط ياقوت اسمه: بضم القاف، وسكون الواو بعد الـراء، ثـم شين معجمة[1] .

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٦٧.

شَنْتَمَرِيَّة (الشرق) Santa Maria de Albarracin:

في الأندلس مدينتان باسم (شنتمرية)، إحداهما في الشرق، وهي هذه والثانية في الغرب[١]. ويلفظ بفتح الميم وكسر الراء "وأظنه يراد به مريم"[٢]. وشنتمرية الشرق تسمى أيضاً: السَّهلة لخصبها واتساع أراضيها وكثرة أنهارها[٣]. وسُميت: سهلة بني رزين باسم أصحابها في عهد ملوك الطوائف[٤]. وهم من بيوتات البربر، وكانوا أمراء هذه المدينة[٥].

تقع شنتمرية الشرق إلى الشمال الشرقي من مدريد[٦]، على فرع من فروع نهر إيبرو (Ebro)[٧] إلى الشرق من وادي الحجارة (Guadalajara)[٨]. والسهلة أيضاً كورة واسعة "متوسطة ما بين الثغر الأقصى والأدنى من قرطبة"[٩]، متصلة العمارة، تمتد إلى الشرق من مدينة شنتبرية (Santaver)[١٠].

فتح شنتمرية الشرق ـ على الأرجح ـ طارق بن زياد سنة ٩٢هـ/٧١١م، فهو ـ بعد فتحه طليطلة ـ توجه شمالاً حتى وصل إلى مناطق وادي الحجارة وفتحها، ثم عاد إلى طليطلة، وتوجد شنتمرية الشرق في هذا الخط الذي سار فيه فاتحاً، وتوجد وادي الحجارة قربها إلى الشمال[١١].

---

(١) ابن سعيد، المغرب: ٣٩٥/١؛ وانظر: البكري، جغرافية الاندلس وأوروبا: ٦٩، ج١.
(٢) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٧/٣.
(٣) المقري، نفح الطيب: ١٣١/١، ج٢، ١٦٩، ج٥؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٧١، ج٢.
(٤) المقري، نفح الطيب: ٤٤٠/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٨٢/٣.
(٥) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٩٩ـ٥٠٠.
(٦) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٩، ج٢.
(٧) المصدر نفسه: ٦٩، ج٢؛ حتاملة، أيبيريا: ٧١.
(٨) ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٧١، ج٢.
(٩) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٨٢/٣.
(١٠) انظر: ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٩٩؛ البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٩، ج٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٨٤/٣.
(١١) المقري، نفح الطيب: ٢٦٤/١ـ٢٦٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣/٢.

نزل شنتمرية الشرق ـ كما ذكرنا ـ بنو رزين، وهم من هوّارة من البربر، ومنهم بنو فرفرين "وكان لهم ثروة وعدد"[1]. ولم تذكر المصادر أحداثاً تلفت الانتباه في هذه المدينة، أو في المناطق المحيطة بها التي يسميها ابن حيان: بلاد بني رزين[2]، وذلك على مدى القرون الأربعة الأولى من التاريخ الاسلامي في الأندلس، باستثناء ثورة أشار إليها ابن عذاري، قام بها مروان بن هُذيل بن رزين، إلا أنه قدم في سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م على الخليفة الأموي الناصر، وقدم معه أمراء بني رزين، وأعلنوا خضوعهم، "فأدنوا وأكرموا"[3].

وعندما انتثر عقد الخلافة الأموية في الأندلس، وانتزى زعماؤها على ما في أيديهم، وثار كل رئيس بموضع، ثار هذيل بن خلف بن لبّ بن رزين، المكنى أبا محمد، والملقب بالأصلع، ثار في شنتمرية الشرق، وبويع له بها سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م[4]. وكان الأصلع ـ كما يصفه ابن عذاري ـ "بارع الجمال، حسن الخلق، جميل العشيرة، ظاهر المروة، لم يُر في الأمراء أبهى منه منظراً، مع طلاقة لسانه، وإدراك حوائجه ببيانه"[5]. وقد تلقب بالحاجب عز الدولة[6]. وتعرضت الإمارة الصغيرة التي أنشأها لأطماع جيرانه، وخاصة منذر بن يحيى التجيبي، صاحب الثغر الأعلى، إذ حاول أن يخضعه فأبى، وتصدى له، واستقرت الأوضاع في إمارته، فنعمت بالهدوء، إلى أن توفي في السهلة (شنتمرية الشرق) سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م[7].

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٩٩-٥٠٠؛ وانظر: مؤنس، فجر الأندلس: ٣٨٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٢٥.
(٢) ابن حيان، المقتبس: ٢٧٨/٥.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٢١/٢.
(٤) المصدر نفسه: ٣٠٧/٣-٣٠٨؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، دول الطوائف: ٢٤٢ وما بعدها.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٠٨/٣.
(٦) عنان، دول الطوائف: ٢٤٣.
(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣٠٨/٣.

خلف عز الدولة ابنه: أبو مروان عبد الملك بن هذيل، جبر الدولة، ذو الرياستين، "وكان سيّة الدهر، وعار العصر، جاهلاً لا متجاهلاً، وخاملاً لا متخاملاً، قليل النباهة شديد الإعجاب بنفسه، بعيد الذهبة بأمره، زارياً على أهل عصره"[1].

امتد حكم جبر الدولة زمناً طويلاً، إذ استمر فيه حتى سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م حيث توفي[2]. وكان عهده ـ كما يبدو ـ مستقراً في معظمه، إذ لم تشر المصادر إلى أحداث مهمة وقعت أثناء حكمه كتلك التي وقعت في الممالك الأخرى. إلا أنه في الفترة المتأخرة تعرض لضغط شديد من النصارى، فقد عاث في السهلة فرناندو الأول، ملك قشتالة، واحتل عدداً من حصونها[3]. وفي سنة ٤٨١هـ/١٠٨٩م حصل السيد القمبيطور[4] على إذن من ملك قشتالة ألفونسو السادس بأن يحتل ما يستطيع من أراضي المسلمين ويتملكها، فهاجم أراضي السهلة بعصابة مؤلفة من سبعة آلاف مقاتل، وعاث فيها، ومن ثم عسكر في شمالها الشرقي، وعندما شعر جبر الدولة بأنه يهدد إمارته بادر إلى معسكره، وعقد معه اتفاقاً على أن يتركه وشأنه مقابل دفع جزية سنوية لألفونسو السادس ملك قشتالة، ودفع مبلغ فوري له، بصفته نائباً عن الملك، مقداره عشرة آلاف دينار. وبعد توقيع هذا الاتفاق، وقبض المبلغ غادر القمبيطور السهلة، متجهاً نحو بلنسية[5].

وخلف جبر الدولة عبد الملك بن رزين ابنه: حسام الدولة يحيى، وذلك بعهد أبيه ووصيته. ولم يكن حسام الدولة أفضل حالاً من والده، فقد "سلك في التخلف مسلك أبيه، مدمناً للخمر، مكثراً من الغثيان، ضعيف العقل"[6]. وكان ملوك النصارى يسخرون منه

---

(١) ابن عذاري، المصدر نفسه: ٣/٣٠٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٣١٠؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٧٥، ج٥.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٧٥.

(٤) هو رودريجو أو ـ كما تسميه المصادر العربية (رُذريق) دياث دي فيفار Rodrigo Diaz de Vivar، وهو فارس قشتالي مغامر، نكبت على يديه بلنسية، وهو الذي أحرق قاضيها ابن جحاف. انظر: الحجي، التاريخ الأندلسي: ٣٦٩.

(٥) عنان، دول الطوائف: ٢٤٦؛ الحجي، التاريخ الأندلسي: ٣٧١؛ السامرائي، علاقات المرابطين: ١٩٠ـ١٩١.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣١٠.

نزل شنتمرية الشرق ـ كما ذكرنا ـ بنو رزين، وهم من هوّارة من البربر، ومنهم بنو فرفرين "وكان لهم ثروة وعدد"[1]. ولم تذكر المصادر أحداثاً تلفت الانتباه في هذه المدينة، أو في المناطق المحيطة بها التي يسميها ابن حيان: بلاد بني رزين[2]، وذلك على مدى القرون الأربعة الأولى من التاريخ الاسلامي في الأندلس، باستثناء ثورة أشار إليها ابن عذاري، قام بها مروان بن هُذيل بن رزين، إلا أنه قدم في سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م على الخليفة الأموي الناصر، وقدم معه أمراء بني رزين، وأعلنوا خضوعهم، "فأدنوا وأكرموا"[3].

وعندما انتثر عقد الخلافة الأموية في الأندلس، وانتزى زعماؤها على ما في أيديهم، وثار كل رئيس بموضع، ثار هذيل بن خلف بن لبّ بن رزين، المكنى أبا محمد، والملقب بالأصلع، ثار في شنتمرية الشرق، وبويع له بها سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م[4]. وكان الأصلع ـ كما يصفه ابن عذاري ـ "بارع الجمال، حسن الخلق، جميل العشيرة، ظاهر المروة، لم يُر في الأمراء أبهى منه منظراً، مع طلاقة لسانه، وإدراك حوائجه ببيانه"[5]. وقد تلقب بالحاجب عز الدولة[6]. وتعرضت الإمارة الصغيرة التي أنشأها لأطماع جيرانه، وخاصة منذر بن يحيى التجيبي، صاحب الثغر الأعلى، إذ حاول أن يخضعه فأبى، وتصدى له، واستقرت الأوضاع في إمارته، فنعمت بالهدوء، إلى أن توفي في السهلة (شنتمرية الشرق) سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م[7].

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٤٩٩ـ٥٠٠؛ وانظر: مؤنس، فجر الأندلس: ٣٨٤؛ سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٢٥.

(٢) ابن حيان، المقتبس: ٥/٢٧٨.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٢١.

(٤) المصدر نفسه: ٣/٣٠٧ـ٣٠٨؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: عنان، دول الطوائف: ٢٤٢ وما بعدها.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣٠٨.

(٦) عنان، دول الطوائف: ٢٤٣.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣٠٨.

خلف عز الدولة ابنه: أبو مروان عبد الملك بن هذيل، جبر الدولة، ذو الرياستين، "وكان سيّئة الدهر، وعار العصر، جاهلاً لا متجاهلاً، وخاملاً لا متخاملاً، قليل النباهة شديد الإعجاب بنفسه، بعيد الذهبة بأمره، زارياً على أهل عصره"[١].

امتد حكم جبر الدولة زمناً طويلاً، إذ استمر فيه حتى سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م حيث توفي[٢]. وكان عهده ـ كما يبدو ـ مستقراً في معظمه، إذ لم تشر المصادر إلى أحداث مهمة وقعت أثناء حكمه كتلك التي وقعت في الممالك الأخرى. إلا أنه في الفترة المتأخرة تعرض لضغط شديد من النصارى، فقد عاث في السهلة فرناندو الأول، ملك قشتالة، واحتل عدداً من حصونها[٣]. وفي سنة ٤٨١هـ/١٠٨٩م حصل السيد القمبيطور[٤] على إذن من ملك قشتالة ألفونسو السادس بأن يحتل ما يستطيع من أراضي المسلمين ويتملكها، فهاجم أراضي السهلة بعصابة مؤلفة من سبعة آلاف مقاتل، وعاث فيها، ومن ثم عسكر في شمالها الشرقي، وعندما شعر جبر الدولة بأنه يهدد إمارته بادر إلى معسكره، وعقد معه اتفاقاً على أن يتركه وشأنه مقابل دفع جزية سنوية لألفونسو السادس ملك قشتالة، ودفع مبلغ فوري له، بصفته نائباً عن الملك، مقداره عشرة آلاف دينار. وبعد توقيع هذا الاتفاق، وقبض المبلغ غادر القمبيطور السهلة، متجهاً نحو بلنسية[٥].

وخلف جبر الدولة عبد الملك بن رزين ابنه: حسام الدولة يحيى، وذلك بعهد أبيه ووصيته. ولم يكن حسام الدولة أفضل حالاً من والده، فقد "سلك في التخلف مسلك أبيه، مدمناً للخمر، مكثراً من الغثيان، ضعيف العقل"[٦]. وكان ملوك النصارى يسخرون منه

(١) ابن عذاري، المصدر نفسه: ٣/٣٠٩.

(٢) المصدر نفسه: ٣/٣١٠؛ ابن الكردبوس، تاريخ الاندلس: ٧٥، ج٥.

(٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٧٥.

(٤) هو رودريجو أو ـ كما تسميه المصادر العربية (رُذريق) دياث دي فيفار Rodrigo Diaz de Vivar، وهو فارس قشتالي مغامر، نكبت على يديه بلنسية، وهو الذي أحرق قاضيها ابن جحاف. انظر: الحجي، التاريخ الأندلسي: ٣٦٩.

(٥) عنان، دول الطوائف: ٢٤٦؛ الحجي، التاريخ الأندلسي: ٣٧١؛ السامرائي، علاقات المرابطين: ١٩٠-١٩١.

(٦) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣١٠.

سخرية لاذعة، فعندما أهدى ألفونسو السادس "هدية جليلة من الحلي والحلل والخيل والبغال وتحف الملوك يعجز عنها الوصف"[1] كافأه ألفونسو بقرد. "فكان من ضعف عقله يفخر بذلك القرد على ملوك الأندلس"[2].

وظلت السهلة إمارة تدين بالولاء لبني رزين إلى أن أنهى المرابطون إمارتهم فيها، حيث دخلتها قواتهم بقيادة أبي عبد الله بن فاطمة في ٨ رجب ٤٩٧هـ/نيسان ١١٠٤م[3]. ولم تشر المصادر المتوافرة إلى سقوط السهلة في يد النصارى. ومن المرجح أن تكون قد سقطت في أيدي ألفونسو المحارب، ملك أرغون، بعد انتصاره على المرابطين في معركة قتندة سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م[4].

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣١١.
(٢) المصدر نفسه: ٣/٣١١.
(٣) المصدر نفسه: ٣/٣١١؛ وانظر: ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس: ٨٨، ج١.
(٤) المقري، نفح الطيب: ٤/٤٦٠-٤٦١.

شَنْتَمَرِيَّــة (الغرب) Santa Maria de Algarve:

يلفظ اسمها بفتح الميم، وكسر الراء، وتشديد الياء[1]. وهي مدينة تقع اليوم في جنوبــي البرتغال، اسمها: فارو (Faro)[2]. ويقع معظمها على ساحل المحيط الأطلســي[3]. وقـد ذكـر الحميري أنها من مدن أُكشونبة (Ossonoba)[4].

وشنتمرية الغرب مدينة متوسطة "لهــا مسجد جـامع ومنـبر وجماعــة"[5]. "وهـي أول الحصون التي تعد لبنبلونــة" وأتقنهــا، وأعلاهــا بنيانــاً، وتقــع إلى الشــرق مــن مدينــة شِــلْب (Silves) بينـهما ثمانية وعشرون ميلاً[6].

ويحيط بشنتمرية الغرب سور إذا كان المد صعد ماء المحيط فيه. وتعتبر مينــاء بحريــاً، وتكثر فيه حركة السفن الصادرة والواردة، كما توجــد فيــه دار لصناعــة الســفن[7]. وتكـثر في أراضي المدينة كروم العنب والتين. وتوجد في مقابلها في المحيــط جــزر صغـيرة ينبـت فيهــا الصنوبر[8].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٧/٣.

(٢) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ٦٩، ج٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٥؛ المقري، نفح الطيـب: ١٣١، ج٢.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٤٣/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٥.

(٤) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٤؛ وأكشونبة مدينة مندرسة يقدر علماء الآثار موقعها بين مدينة فـارو Faro الحالية وآثار مدينة Estoı على الساحل الغربي للبرتغال. انظر: ابن الكردبوس، تاريخ الاندلـس: ١٢٧، ج٣.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٤٣/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٥.

(٦) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٤-١١٥.

(٧) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٤٣/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٥.

(٨) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٤٣/٥؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٥.

ومدينة شنتمرية الغرب إحدى المدن القديمة، "حسنة الترتيب"[1]. وقد ذكر الحميري أن بناحيتها أعجوبة، وأشار إلى أن جميع المسلمين الذين وصلوا إلى تلك الناحية شاهدوها، وهي " عين ينفجر بماء كثير، ينظر الناس ذلك عياناً، فإذا قربوا منها ووقفوا عليها انقطع جريانها، فلا تفيض بقطرة، فإذا تباعد الناس عنها عادت إلى حالها"[2].

فتح شنتمرية الغرب ـ على الأرجح ـ عبد العزيز بن موسى بن نصير سنة ٩٥هـ/ ٧١٤م في عهد أبيه أو في أوائل ولايته على الأندلس (٩٥-٩٧هـ/٧١٤-٧١٦) ويستند هذا الترجيح على أن المدينة لم تكن في الخط الذي سلكه فاتحاً أي من القائدين موسى وطارق. وأن ما لم يفتتحاه افتتحه عبد العزيز حسب روايات المصادر[3].

وكان كثير من سكان شنتمرية الغرب بعد فتحها، وتوطد الإسلام فيها من المولدين[4]، وقد ثار فيها بعضهم لعلّ أشهرهم: بكر بن يحيى بن بكر الذي استقل بالمدينة سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م في عهد الأمير الأموي عبد الله بن محمد (٢٧٥-٣٠٠هـ/٨٨٨-٩١٢م). وقام بتحصينها حتى أصبحت أشبه بالحصن المنيع، فقد "اتخذ عليها أبواب حديد، وكان له ترتيب وأهبة، ورجال شجعان، وعُدة موفورة"[5].

وقد سلك بكر بن يحيى في شنتمرية الغرب مسلك الملوك، إذ اتخذ الوزراء والكتاب، ومجلساً للشورى. وكان كريماً مضيافاً يهتم بأبناء السبيل، ويحافظ على سلامة من يجتازون

---

(١) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥٤٣/٥؛ وانظر: سحر سالم، تاريخ بطليوس الاسلامية: ١٧٠/١، ج ١١٣.

(٢) الحميري، صفة جزيرة الأندلس: ١١٤.

(٣) انظر: ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس: ٣٦؛ مجهول، اخبار مجموعة: ٢-٢١؛ المقري، نفح الطيب: ٢٨١/١؛ وانظر أيضاً: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ١٠٩-١١٠؛ الحجي، التاريخ الاندلسي: ٨٢.

(٤) هم الذين ولُدوا في الأندلس من آباء مسلمين وأمهات اسبانيات.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٧/٢.

ناحيته حتى قيل: "كان السالك بناحيته كالسالك بين أهله وأقاربه"[١]. وكان والده يحيى قد غلب على كورة أكشونية، فاعترف الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) بالأمر الواقع، وعندئذ استوطن مدينة شلب (Silves) وعمرها[٢].

وفي عهد ملوك الطوائف (٤٠٠-٤٨٤هـ/١٠٠٩-١٠٩١م) انتزى على شنتمرية الغرب سعيد بن هارون، وحكمها حتى وفاته سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م[٣]، فخلفه ابنه أبو عبد الله محمد الذي تلقب بالمعتصم، وقد طمع بالمدينة في عهد المعتضد بن عباد، صاحب إشبيلية، فأخذ يضايقه، ويشن عليه الحروب. ولما وجد أنه غير قادر على دفعه تنازل له عنها، وذلك سنة ٤٤٣هـ/١٠٥١م[٤].

وظلت شنتمرية الغرب في يد بني عباد إلى أن استولى عليها المرابطون الذين أخضعوا مملكة إشبيلية خلال الفترة ٤٨٣-٤٨٤هـ/١٠٩٠-١٠٩١م[٥]، ولم تقع في المدينة خلال عهدهم أحداث تذكر. وقد حكمها في أواخر عهدهم علي بن عيسى. وعندما انفرط عقد الدولة المرابطية أعلن ابن عيسى طاعته للموحدين، وذلك سنة ٥٤١هـ/١١٤٧م[٦]. وفي عهدهم سقطت المدينة في يد ملك قشتالة فرناندو الثالث سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٩م[٧].

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب: ١٣٧/٢.
(٢) انظر: سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: ٢٥٥.
(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢١٥/٣.
(٤) المصدر نفسه: ٢١٥/٣، ٢٩٨-٢٩٩؛ ابن سعيد، المغرب: ٣٩٥/١.
(٥) انظر: السامرائي، علاقات المرابطين: ١٦٤ وما بعدها.
(٦) انظر: أبو رميلة، علاقات الموحدين: ٩٥.
(٧) عنان، نهاية الأندلس: ١٦، ٣٨.

شنت ياقب، ياقوب، ياقوه Santiago de Compostela:

تلفظ ياقُب بياء مثناة من تحت. وبعد الألف قاف مضمومة، ثم باء موحّدة[١]. وتلفظ أيضاً: (ياقوة)[٢]. وهي مدينة تقع في أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة الايبيرية[٣]، حيث تكثر الغابات والنباتات الطبيعية[٤]. وقد ذكر ابن عذاري أنها، أي المدينة "قاصية غليسية"[٥]. واعتبرها المقري ـ نقلاً عن ابن سعيد ـ من ساحل الجلالقة[٦]. وعدّها البكري من مدن الجزء الخامس وقاعدته مدينة ماردة[٧]، بينما لم يحدد ياقوت موقعها، وإنما اكتفى بالقول: "قلعة حصينة بالأندلس"[٨]. وهي قاعدة الجلالقة على المحيط الأطلسي[٩].

وشنت ـ كما يذكر ياقوت ـ معناها: بلد أو مكان أو ناحية[١٠]، أما ياقوه أو ياقوب فهو: ياق[١١]، أو يعقوب[١٢] الذي سميت كنيسة في تلك الناحية باسمه بعد أن بناها، وأصبحت محجاً للنصارى من كل مكان. فقد قيل إنه: يعقوب أحد حواريي المسيح ـ عليه السلام ـ الاثني عشر[١٣]. وقيل إنها سميت كذلك ليس لأن الحواريّ بناها، وإنما لأنها بُنيت على جسده، حيث "قُتل في بيت المقدس، وأدخله تلامذته في مركب، فجرى به المركب في البحر الشامي، إلى أن خرج به إلى البحر المحيط، حتى انتهى به إلى موضع

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٨/٣.
(٢) المقري، نفح الطيب: ١٢٩/١، ٢٠٠.
(٣) المقري، نفح الطيب: ١٢٩/١، ج٣؛ حتاملة، ايبيريا: ٦٩.
(٤) حتاملة، أيبيريا: ٦٩.
(٥) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٤/٢.
(٦) المقري، نفح الطيب: ١٢٩/١.
(٧) البكري، جغرافية الاندلس واوروبا: ٦٣؛ وانظر: الزهري، الجعرافية: ١٠٤.
(٨) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٨/٣.
(٩) المقري، نفح الطيب: ٢٠٠/١.
(١٠) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٦/٣.
(١١) الزهري، الجعرافية: ١٠٥.
(١٢) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٥.
(١٣) الزهري، الجعرافية: ١٠٥.



Una vista de Santiago. (Foto K-Sado).

مدينة شانت ياقوب (منظر جزئي)

الكنيسة بساحل فيه، فبُنيت الكنيسة ليوم معروف جُعل عيداً لها"[1]. وأصبحت مزاراً للنصارى، واستمرت كذلك خلال الحكم الاسلامي[2]. وخاصة أن ياقوب أو يعقوب الذي دفن فيها لم يكن أحد الحواريين وحسب، وإنما "كان أخصّهم بعيسى عليه السلام، وهم يسمونه أخاه للزومه إياه. وقد زعم جماعة منهم أنه ابن يوسف النجار"[3].

ومدينة شنت ياقوب صعبة المدخل، "إذ ليس لها مدخل إلا على مكان واحد"[4] كما أنها وعرة الموقع، بعيدة الشقة[5]، "وعليها يشقّ النهر المسمى بنهر مرسين الهابط من بلاد جليقية"[6]. ومن أبرز ما تشتهر به معدن الذهب الذي يكثر في نواحيها[7]. ويوجد على جبل قريب منها تمثال ضخم مشرف يشبه تمثال قادس[8].

خرج المنصور محمد بن أبي عامر إلى شنت ياقوب في غزوته الثامنة والأربعين، وذلك في ٦ جمادى الآخرة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، بعد أن أنشأ أسطولاً كبيراً "وجهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين، وحمل الأقوات والأطعمة والعدد والأسلحة، استظهاراً على نفوذ العزيمة"[9]. وعبر هو ورجاله من موضع على نهر دويرُه، ثم توجه إلى شنت ياقوب حيث وصلها في أوائل شعبان من تلك السنة "فوجدها المسلمون خالية من أهلها، فحاز المسلمون غنائمها، وهدموا مصانعها وأسوارها وكنيستها"[10].

---

(١) الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٥؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٩٤ـ٢٩٥؛ المقري، نفح الطيب: ١/٤١٤؛ حتاملة، أيبيريا: ١٨٣.

(٢) حتاملة، ايبيريا: ١٨٣.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٩٤.

(٤) الزهري، الجعرافية: ١٠٥؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ١/٤١٤.

(٥) المقري، نفح الطيب: ١/٤١٤.

(٦) الزهري، الجعرافية: ١٠٥.

(٧) المقري، نفح الطيب: ١/٢٠٠.

(٨) المصدر نفسه: ١/١٢٩؛ وانظر: (قادس) في هذه الموسوعة.

(٩) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٩٥.

(١٠) المقري، نفح الطيب: ١/٤١٤ـ٤١٥؛ وانظر: ابن عذاري، البيان المغرب: ٢/٢٩٦.

ويبدو أن المسلمين لم يتركوا في مدينة شنت ياقوب ما يمكن أن يمتنع به النصارى من مبان وحصون يستغلونها في اعتداءاتهم المتكررة. ويعبر ابن عذاري والمقري عن ذلك بقولهما: "فغودرت هشيماً كأن لم تُغن بالأمس"[(١)]. وذلك باستثناء قبر الحواري يعقوب الذي كانوا يقدسونه، فقد وكل المنصور به من يحفظه، ويدفع الأذى عنه[(٢)]. ثم قفل راجعاً "وقد بلغ غاية لم يبلغها مسلم قبله"[(٣)] .

(١) المقري، نفح الطيب: ٤١٥/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٦/٢.

(٢) المقري، نفح الطيب: ٤١٥/١؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٦/٢.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٤١٦/١؛ ولمزيد من التفاصيل انظر: الحميري، صفة جزيرة الاندلس: ١١٥-١١٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩٤/٢-٢٩٦.

شَنَش Šanš :

حصن، ذكر ابن سعيد أنه على مرحلة من ألمرية[1]، وأكثر ما يشتهر به هذا الحصن: التوت والحرير والقرمز[2]. ومن حصن شنش الكاتب أبو محمد عبد الغني بن طاهر الذي عاصر أواخر الدولة الموحدية في الأندلس، ومن شعره[3]:

تبسّم شيبي في عذاري منكّباً   فقلت له يا ليت طرفي قد عَمِي
فقال عجيبٌ بغضُ من لاح طالعاً   كصبحٍ، ولم يُظهر خلاف التبسُّمِ

---

(١) ابن سعيد، المغرب: ٢٢٥/٢؛ وانظر: المقري، نفح الطيب: ١٦٤/١.

(٢) المقري، نفح الطيب: ١٦٤/١.

(٣) ابن سعيد، المغرب: ٢٢٦/٢.

شنْفيرُه: Sanfera

حصن، يقع على أربع مراحل إلى الشرق مـن مُرسية، وهـو مشـهور بالمنعـة "بـارز إلى السماء، مع وثاقة بنائه"[1]. يذكر الحميري أن محمد بن هود استرجعه من النصـارى سـنة ٦١٤هـ/١٢١٧م، حيث قاد خمسمائة رجل، وطلع في سلّم من حبال، فقتل حـارس الحصـن في ظلمة الليل "ولم يزل يطلع رجاله واحداً بعد واحد إلى أن حصلـوا بجملتهـم في الحصـن، وفرّ الروم الذين خلصوا من القتل إلى برج مانع، فقال ابن هود: إن أصبح هؤلاء في هذا البرج جاءهم المدد من كل مكان، فالرأي أن نطلق النيران على بابه، فلمـا رأوا الدخـان، وأبصـروا اشتعال النار طلبوا الصلح على أن يخرجوا بأنفسـهم، فكـان ذلـك، واسـتولى المسـلمون علـى الحصن"[2].

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ٣٤٨؛ صفة جزيرة الأندلس: ١١٦.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٣٤٨؛ صفة جزيرة الأندلس: ١١٦.

شَنْقُنِيرَة (Sangonera):

فُحص، ضبط ياقوت اسمه: بالفتح ثم السكون، وقاف مضمومة، ونون مكسورة، وياء مثناة من تحت ساكنة، وراء[1]. وذكره الزهري بلفظ مختلف، وهو: شنقير[2]. وقد حددت المصادر موقع هذا الفحص في تُدمير أو مرسية، وهو من أعمال مدينة لورقة[3]. وقد وصفه ياقوت بأنه حسن المنظر والمخبر، كثير الريع[4]. وقد وصف الزهري هذا الفحص أيضاً فذكر أن الحبة الواحدة إذ زُرعت فيه تنبت من القمح ثمانين ومائة سنبلة، وفي السنبلة ثمانون ومائة حبة طيبة. وفيه يوجد الخروف الراضع على قدر أمه في الوزن، وتكون القرعة التي تترك يابسة فتسع قفيزاً قرطبياً من القمح وأكثر[5]. وذكر الحميري أن الحبة تتفرع في هذا الفحص إلى ثلاثمائة قصبة، في كل قصبة سنبلتها[6]. وذكر ابن الخراط أن هذا الفحص يسقيه سيل يأتيه من جهة بلّس، حيث تصل مياهه إلى شنقنيرة بعد أن تروي الفندون، فتغمر الأرض، وينبت القمح، حيث يكون إنتاجه وفيراً[7].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٨/٣.

(٢) الزهري، الجعرافية: ١٠٠.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ٥١٣؛ الزهري، الجعرافية: ١٠٠؛ ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٨/٣.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٣٦٨/٣.

(٥) الزهري، الجعرافية: ١٠٠.

(٦) الحميري، الروض المعطار: ٥١٣.

(٧) ابن الخراط، اقتباس الأنوار: ٥٢.

شُوذَر: Jódar

قرية، تقع في كورة جيان بين غرناطة ومدينة جيان[1]، وهذه القرية تعرف بغدير الزيت لكثرة زيتونها، وهي كثيرة المياه والبساتين، كثيرة السقي، بها جامع على أعمدة رخام، وكانت تقام فيها سوق كل ثلاثاء[2].

ذكر ابن حزم أن ممن سكن شوذر بعض بني الضباب بن كلاب بن ربيعة[3]. وكان أهلها ممن ثاروا على عبد العزيز بن عبد الرحمن الناصر بن أبي عامر العامري في عهد ملوك الفتنة، وذلك في سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م[4].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٧٠؛ ابن عاصم الغرناطي، جنة الرضا: ٢/١٢٨ الهامش؛ الحميري، الروض المعطار: ٣٥١.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٣٥١؛ صفة جزيرة الأندلس: ١١٧.

(٣) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٢٨٧.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب: ٣/٣٠٢.



Jódar.—Una vista.



Jódar.—Un aspecto de la hermosa ciudad.

شَوْش: Sauš

قرية مشهورة على نهر كبير يمر على مدينة إستجة، ويصب في نهر قرطبة[1]. أضاف إليها ابن حزم: الأنصار، فسماها (شوش الأنصار) في ذكره أولاد مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج، حيث ذكر أن "بالأندلس من ولده قوم بقرية شوش الأنصار من إشبيلية، وهم: بنو عبد السلام بن سريّ بن هاشم بن عبد السلام بن ابي رواحة..."[2].

وينسب إلى شوش: أبو المخشي عاصم بن زيد بن يحيى بن يحيى بن حنظلة بن علقمة بن عدي بن زيد التميمي ثم العبادي، ذكر ابن سعيد أن أباه دخل الأندلس من المشرق مع جند دمشق فنزل بقرية شوش، ونشأ ابن عدي على قول الشعر، واشتهر به، إلا أنه كان جسوراً على الأعراض، فقطع الأمير الأموي هشام بن عبد الرحمن (١٧٢-١٨٠هـ/٧٨٨-٧٩٦م) لسانه[3]. وكان الشعراء يطعنون في نسب هذا الشاعر، ومنهم ابن هبيرة الذي قال فيه[4]:

أقُلَفتُك التي قُطعت بشَوْش　　　دعتك إلى هجائي وانتضالي

ويذكر ابن سعيد أن أبا المخشيّ توفي في دولة الحكم بن هشام (١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م)[5].

(١) ابن سعيد، المغرب: ٢/١٢٣.
(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٣٦٤-٣٦٥.
(٣) ابن سعيد، المغرب: ٢/١٢٣.
(٤) المصدر نفسه: ٢/١٢٤.
(٥) المصدر نفسه: ٢/١٢٤.

شِيْبَه: Šiba

جبل، يلفظ اسمه بكسر أوله، وهو جبل منيف يقع في كورة قَبْرَة. وعلى هذا الجبل تنبتُ ضروب الثمار "وفيه النرجس الكثير"[١].

شِيرَس: Šires

حصن، يلفظ اسمه بالكسر ثم السكون ثم راء، وآخره سين مهملة، ويلفظ أيضاً بالشين المعجمة في آخره. وقد وصفه ياقوت بأنه "حصن حصين ومعقل مكين من أعمال تاكرنا وهو بلد عامر فيه زرع وضرع وفواكه"[٢].

شِيرَكَه: Širca

حصن من أعمال بلنسية، يلفظ اسمه بالكسر ثم السكون، وآخره هاء[٣].

شِيرَة: Šira

قرية من عمل جيان، اشتراها أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شُهيد بأحوازها وجميع منازلها وربوعها، وأهداها للخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر[٤].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٧٩.
(٢) المصدر نفسه: ٣/٣٨٢.
(٣) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٨٢.
(٤) المقري، نفح الطيب: ١/٣٥٩.

الصـــاد

صَالِحَة Zalia:

ذكرها ابن الخطيب، وهي مدينة قديمة زالت من أواسط القرن السادس عشر الميلادي[1]، كانت تقع بين بليش مالقة والحمة[2].

وصف ابن الخطيب صالحة بقوله "كان ماؤها فضياً، ووجه جوها وضياً، وعصيرها مرضياً، ورزقها أرضياً، وفضلها ذاتياً لا عرضياً، فهي مهبّ نسف ودار خسف"[3].

الصَّخْرة: Peña (Al-Zajra)

قال ياقوت: "بلفظ واحدة الصخر من الحجارة: من أقاليم أكشونبة بالأندلس"[4]. وذكر البكري أن الصخرة، المعروفة بصخرة أبي حسان حصن من أعمال ماردة[5]. والصخرة أيضاً حصن يبعد عن قرطبة عشرين ميلاً، "وهو حصن منترك"[6].

---

(١) ابن الخطيب، معيار الاختيار: ٦٥؛ وانظر ص ٩٣، ج ٢٠٦؛ مشاهدات، ٩٣، ج٣.
(٢) ابن الخطيب، مشاهدات: ٩٣، ج٢.
(٣) ابن الخطيب، : ٦٥.
(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٩٥.
(٥) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا: ١١٩ـ١٢٠.
(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق: ٥/٥٧٢.

صخرة بلاي (Peña de Pelayo): Zajrat Pelayo

هي أقصى نقطة من أشتريس على المحيط الأطلسي[1]، ذكر المقري أن موسى بن نصير كان يستعد لفتح جليقية عندما أتاه مغيث الرومي، رسول الخليفة الوليد ابن عبد الملك يأمره بالخروج عن الأندلس، والإضراب عن الوغول فيها "فلاطف موسى مغيثاً رسول الخليفة، وسأله إنظاره إلى أن يُنفذ عزمه في الدخول إليها والمسير معه في البلاد أياماً، ويكون شريكه في الأجر والغنيمة، ففعل، ومشى معه حتى بلغ المفازة، فافتتح حصن بارو وحصن لُكّ، فأقام هناك، وبث السرايا حتى بلغوا صخرة بلاي على البحر الأخضر"[2].

وقد حاول والي الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي اقتحام صخرة بلاي. وكان ملك جليقية قد لجأ إليها "وكان بها في ثلاثمائة راجل. فما زال المسلمون يضيقون عليهم حتى صاروا ثلاثين رجلاً، وحتى فنيت أزوادهم، ولم يتقوتوا إلا بعسل يجدونه في خروق الصخرة. وأعيى المسلمين أمرُهم، فتركوهم"[3].

---

(١) المقري، نفح الطيب: ٢٧٦/١ الهامش.

(٢) المصدر نفسه: ٢٧٥/١-٢٧٦.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب: ٢٩/٢.

الصُّخور: Peñas :Al-Zujur

حصن صغير على نهر مُرسية[١]، بدأ المتوكل محمد بن يوسف بن هود الجذامي ثورته فيه سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م على الأمير الموحدي أبي العلاء إدريس المأمون[٢]. فقد جمع ابن هود من يثق بهم من أصحابه، وخرج بهم إلى حصن الصخور فدعا لنفسه "واجتمع له جمع من القطاع ودعّار الشعاري والضياع وقال لهم: أنا صاحب الزمان، وأنا الذي أردّ الخطبة عباسية"[٣]. وقد انقادت الأندلس ـ كما يذكر ابن سعيد ـ لابن هود، وصدرت المخاطبات عنه بأمير المسلمين المتوكل على الله "وكان عامياً جاهلاً مشئوماً على الأندلس، كأنما كان عقوبة لأهلها"[٤].

لقد دخلت في طاعة ابن هود عدة مدن أندلسية منها: مرسية وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة والمرية، وخاض معارك مع النصارى مثل فرّانده الثالث ملك قشتالة، ووالده ألفونس التاسع ملك ليون، وخسر معظمها. ثم أوقع به أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر (الغالب بالله)، وانتصر عليه في عدة معارك كان آخرها سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٦م. وفي سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٧م نشبت معركة بين أمير الموحدين المأمون إدريس وبين ابن هود، فهزمه المأمون ما جعل ابن هود يتقهقر إلى مرسية، ثم مات في تلك السنة في مدينة المرية. وتغلب الغالب بالله ابن نصر على الأندلس، وخاصة أن الأمير الموحدي المأمون اضطر إلى مغادرتها عائداً إلى مراكش بسبب فتنة وقعت فيها[٥].

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ٣٥٥؛ وصفة جزيرة الأندلس: ١١٨.

(٢) ابن سعيد، المغرب: ٢/٢٥١؛ الحميري، الروض المعطار: ٣٥٥.

(٣) الحميري، الروض المعطار: ٣٥٥.

(٤) ابن سعيد، المغرب: ٢/٢٥١.

(٥) المصدر نفسه: ٢/٢٥١-٢٥٢؛ المقري، نفح الطيب: ٤/٣٨٤؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام: ٢٧٧-٢٨٠.

الصخيرة: Peña Pequeña (Al-Zujaira)

حصن من أعمال ماردة، قال ياقوت في لفظ اسمه: تصغير الصخرة من الحجارة[1]. وتعرف هذه الصخيرة بصخيرة حمص[2]. وقد خرج فيها موسى بن يزيد في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله على طاعة الأمويين، إلا أن الناصر تمكن من استنزاله سنة ٣٠٩هـ/٩٢١م[3].

صَدْفُورَة: Sadfura

موضع، قال ياقوت: بالفتح ثم السكون ثم فاء بعدها واو ساكنة وراء. وهو من أعمال فَحص البلوط[4].

---

(١) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٩٥.
(٢) ابن حيان، المقتبس: ٥/١٧٣.
(٣) المصدر نفسه: ٥/١٧٣.
(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٣/٣٩٧.

صَدِينَة: Sadina

قرية، ومدينة أثرية، لم يذكرها غير الحميري، وقد قال: "من كور شـذونة بـالأندلس، أزلية، قائمة الأسوار، باقية الآثار، تطرد المياه داخلها من عين ثـرّة تطحـن علـى جداولهـا الأرحاء، وهي غاية في الحصانة لا ينفذ جيش إليها، ولا يتوصل عسـكر للنزول عليهـا"[١]. ويرجح إحسان عباس أن هذه القرية هي Grazalema التي تقع حيث كـانت تقع مدينـة ابـن السليم[٢].

---

(١) الحميري، الروض المعطار: ٣٥٦؛ وطبقة جزيرة الأندلس: ١٢٠.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ٣٥٦ الهامش.

تم بحمد الله الجزء الأول من الموسوعة

ويليه الجزء الثاني ويبدأ

بحرف الطاء



خليج بسكاية (بسكونية)
فرنسا (بلد غاليش)
المحيط الأطلسي (بحر الظلمات)
جليقية
اشتريس
ليون
البشكنس
نبرة
جبال البرت
أرغون
قطلونية
قشتالة القديمة
قشتالة الجديدة
البرتغال (برتقال)
الجوف استرامادورا
جبال قرطبة
الأندلس
تدمير
البحر المتوسط الشامي
الجزائر الشرقية البليار
ميورقة
منورقة
يابسة
بحر الزقاق
نهر دويرة
نهر التاجه
نهر وادي آنة
نهر الوادي الكبير